تجليد
صالح البقر
بيروت - المزرعة

DATE DUE

J. Lib,

1 FE 1982

JAFET LIB.

2 DEC 1982

V.1

297.04
K61aA
V.1
c.1

آراء حرة

للأستاذ الشيخ عبد الله القيشاوي
غزة

وضعها في مائة وستين بحثاً

ضمن ثمانية أجزاء

الجزء الأول

[حقوق الطبع محفوظة للمؤلف]

القاهرة
مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية
٤٠ شارع نوبار باشا (سابقا شارع الدواوين)
١٩٥٤

بحوث الجزء الأول
من كتاب
آراء حرة

صفحة

مقدمة المؤلف والسبب الداعى لتأليف هذا الكتاب ٣

١ — الشفاعة فى الاسلام والفداء فى النصرانية — جوابا لسؤال من غزة ٣٣

٢ — الشفاعة المأذون بها الواردة فى القرآن ٥٧

٣ — الأمانة التى عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وحملها الانسان . جوابا لسؤال من دمشق الشام . ٧١

٤ — الشجرة التى أكل منها آدم وحواء فأخرجا من الجنة . والملائكة ، وابليس ، والجن ٨٢

٥ — الشجرة الملعونة فى القرآن الواردة فى بعض آياته ٩٦

٦ — ذبح البقرة وضرب القتيل ببعضها الوارد فى القرآن — جوابا لسؤال من القدس ١٠٣

٧ — فتق السموات والأرض بعد أن كانتا رتقا — جوابا لسؤال من دمشق الشام ١١١

٨ — موت الذى مرّ على القرية هو وحماره مائة عام ، ثم بعثهما جوابا لسؤال من غزة ١١٨

٩ — نوم أصحاب الكهف ثلاثماية سنة وتسعا . ثم بعثهم . جوابا لسؤال من نابلس ١٢٧

صفحة

١٠ — موسى وفتاه ، والحوت الذى اتخذ سبيله للبحر عجبا ... ١٤٣

١١ — عيسى وخلقه من الطين طيرا ، واحياؤه الموتى ، وابراؤه الأكمه والأبرص ، — جوابا لسؤال من رام الله التابعة للقدس ... ١٤٨

١٢ — محمد وتنبؤاته فى القرآن والحديث عن كثير من المخترعات الحديثة التى وجدت فى هذا العصر ١٧٢

١٣ — محمد وتنبؤاته فى القرآن والحديث عن كثير من الوقائع الغيبية ، والحوادث المستقبلة فى الدنيا بصورة لم تحصل من نبى قبله ٢٠٨

١٤ — محمد ورياسته للعالم بعد المسيح وختمه للرسل بمقتضى آيات الانجيل . ردا على القس الفريد نيلسن الدنمركى ... ٢٣١

١٥ — سليمان والطير ، والجن والنملة والهدهد وبلقيس وعرشها — جوابا لسؤال من دمشق الشام ٢٤٧

١٦ — سليمان وهاروت وماروت والشياطين والسحر ٢٦٨

١٧ — سليمان ومنسأته ، وتسخير الريح له ، والقاء جسد على كرسيه ٢٧٨

١٨ — المعاد والبعث ٢٨٦

١٩ — الروح بعد الموت ٣٠٧

٢٠ — معاد اليهود الى فلسطين حسب التوراة . ومزاعم الصهيونيين فى ذلك وردى على مزاعمهم ٣٢٣

٢١ — نجاة أهل الكتاب ونوالهم أجرهم عند ربهم ودخولهم الجنة لاستيفاء ثواب أعمالهم الطيبة ودخولهم النار لعقابهم على الأعمال القبيحة والاعتقادات الباطلة وذلك كالمسلمين بنص القرآن الكريم ٣٤٧

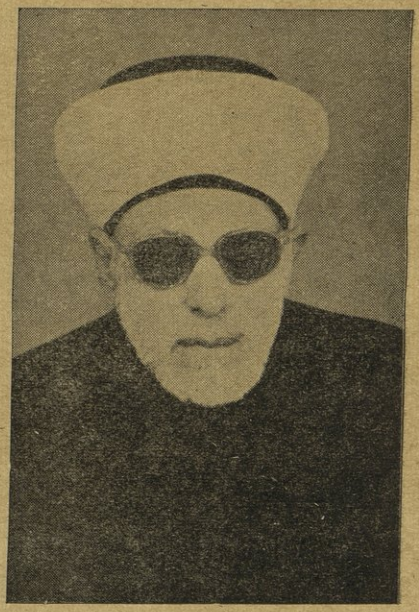

(صورة المؤلف)

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أنزل عليه الحق المبين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وبعد ، فقد كنت سئلت من علماء وغيرهم من دمشق الشام وغيرها أسئلة كتابية وشفاهية عن بعض مسائل علمية دقيقة وكنت أجبت عليها بأجوبة كذلك كتابية وشفاهية . ولما كان السائل خصوصا اذا كان من العلماء انما يسأل عن رأيي الخاص لا عن رأى المفسرين فى الموضوع الذى سأل عنه كانت معظم أجوبتى عن هذه الأسئلة انما هى مما فتح الله به على من أفهامى الخاصة حسب ما أعلم وان كان قد يوجد بعضها فى كتب لم أطلع عليها .

وقد نشرت بعضها فى الجرائد والمجلات وبقى كثير منها لم ينشر فأردت حبا فى الفائدة أن أجمعها فى كتاب خاص باسم (آراء حرة) ليتمكن من الاطلاع عليها كل من أراد . وبالنظر لكون بعض هذه الأسئلة قد كانت أجوبتها مستغربة مستهجنة عن بعض الناس فقد أعقبها بعض أسئلة أخرى فى نفس موضوعها اضطررت للاجابة عنها فأصبحت بسبب ذلك مطولة مشتملة على شىء من التكرار وعلى ايراد المعنى الواحد بصور مختلفة حسب المقتضيات لأجل الاقناع . ولذلك فانى أرجو القارىء أن يعذرنى فى هذا التكرار وفى تطويل الكلام الذى قد يكون مملا فى بعض المواضع والذى اضطررت الى نقله بحذافيره فى هذا الكتاب حسب ما حصل وتوقع محافظة على صورته الأصلية . وقد كنت عازما على تلخيص بعض ذلك أو اختصاره ولكنى لم أجد الفرصة ولم يساعدنى الحظ .

المجاز فى القرآن

لا يشترط فيه أن تكون قرينته

مانعة من إرادة المعنى الحقيقى خلافاً للمفسرين

ان الاسئلة التى وردت الينا اذا كانت عن معنى آية قرآنية غامضة مشكلة بحسب ظاهرها فكثيرا ما يكون جوابى عليها بتفسير الآية بمعنى مجازى متى وجدت قرينة تدل عليه وان لم تكن هذه القرينة مانعة من ارادة المعنى الحقيقى خلافا للمفسرين حيث لا يجوزون تفسيرها بالمعنى المجازى الا اذا كانت القرينة مانعة من ارادة المعنى الحقيقى جريا على قاعدتهم القائلة

(لا يصار فى القرآن الى المجازى الا اذا تعذرت الحقيقة) ولكنى أقول: ان هذه القاعدة وان كانت مشهورة الا أنه لا وجه لها ولا دليل عليها، لا من اللغة ولا من العقل ولا مستند لها لا من علم البلاغة ولا من الدين والشرع حتى نضطر الى العمل بموجبها ونجعلها قاعدة يجب الجرى عليها فى القرآن دون غيره، بل القرآن كسائر كلام العرب من أنه متى وجدت فيه قرينة تدل على المعنى المجازى جاز حمل الكلام عليه وان لم تكن هذه القرينة مانعة من ارادة المعنى الحقيقى. واننى أرى أن تقييد القرآن بتلك القاعدة انما هو تحكم فى غير محله بل تجريد للقرآن عن الأبلغية لأن المجاز أبلغ من الحقيقة فحرمان القرآن من المجاز الا فى مواضع قليلة جدا وهى ما تتعذر فيها ارادة المعنى الحقيقى انما هو حرمان له من الأبلغية اذ أن الكلام كلما كثر فيه المجاز كان أكثر بلاغة مما قل فيه من ذلك.

وما مثل من قيد القرآن بتلك القاعدة القائلة (لا يُصارُ فى القرآن الى المجاز ما لم تتعذر الحقيقة) مع دعواه ان القرآن أفصح كلام وأبلغه الا كمثل من أدعى أن زيدا أكرم الناس أو أجملهم مثلا ثم هو لا يرضى بعد ذلك ان ينسب اليه اى نوع من أنواع الكرم والجمال الافى مواضع قليلة جدا بحيث لا يساوى غيره فى هذا الكرم أو الجمال فضلا عن كونه

أكرمهم أو أجملهم . فهل يجوز لنا أن نحرم القرآن من الأبلغية الا فى حالة اضطرارية وهى حالة تعذر المعنى الحقيقى ، وهل يصح لنا أن نجرده عن المعنى المجازى مع وجود قرينة تدل عليه بعد علمنا بأن المجاز أبلغ من الحقيقة . ان هذا مما لا يحوزه العقل ولا ترضاه قواعد اللغة ، ومما تأباه بلاغة القرآن .

التقيـــد بقـــاعدة

لا يصار إلى المجاز إلا إذا تعذرت الحقيقة

قد أبعد المسلمين عن الوصول لكثير من معانى آيات القرآن الكريم

اننى أعتقد جازما أن اتباع هذه القاعدة الوهمية قد منع المسلمين من فهم كثير من آيات القرآن بما هو الغـرض المقصود منها . قال الامام عبد القاهر الجرجانى فى كتابه (دلائل الاعجاز) ما نصه :

(ومن عادة قوم ممن يتعاطون التفسير بغير علم أن توهموا أبدا فى الألفاظ الموضوعة على المجاز والتمثيل أنها على ظاهرها فيفسروا المعنى بذلك ويبطلوا الغرض ويمنعوا أنفسهم والسامعَ منهم العِلمْ بموضع البلاغة وبمكان الشرف ، وناهيك اذا هم أخذوا فى ذكر الوجوه وجعلوا يكثرون من غير طائل . هناك ترى ما شئت من باب جهل قد فتحوه وزند ضلالة قدحوا به ، نسأل الله العصمة والتوفيق) .

وقال فى موضع آخر ما نصه (واعلم أنه كان بيّنا من الشىء انه لا يحتمل الا الوجه الذى هو عليه حتى لا يشكل وحتى لا يحتـاج فى العلم بأن ذلك حق وصواب الى تفكير وروية فلا مزية فيه . وانما المزية تكون ويجب الفضل اذا احتمل فى ظاهر الحال غير الوجه الذى جاء عليه وجها آخر) انتهى .

فأنت ترى ان الامام المذكور صاحب كتاب دلائل الاعجاز قد ذم المفسرين الذين يأخذون دائما بظاهر لفظ الآية وعـدهم من الجهـلاء بموضع بلاغة القـرآن وشرفه على سائر الكلام . كما انه عـد الكلام الذى لا يحتمل الا وجها واحدا أنه لا مزية له ولا فضـل فيه أبدا وأن

المزية والفضل انما هى فى الكلام الذى يحتمل وجوها أخرى تحتاج فى فهمها الى روية وتفكير .

وعليه فالبلاغة فى القرآن تقضى بأنه متى وجدت قرينة دالة على ارادة المعنى المجازى صح حمل لفظ الآية عليه وان لم تكن تلك القرينة مانعة من ارادة المعنى الحقيقى لأن القرآن ما أتى بتلك القرينة الا ليدل السامع على انه يريد بهذا الكلام معناه المجازى قصدا للبلاغة والفصاحة .

ليست كل آية ذكر فيها لفظ الجنة والنار
أو الثواب والعقاب تعنى الآخرة فقط دون الدنيا

ولذلك فانى فسرت بعض الآيات التى جعلها المفسرون فى أحوال الآخرة بأمور وأحوال فى الدنيا لوجود قرائن تدل على أن المراد بها ذلك خلافا للمفسرين الذين متى وجدوا فى الآية لفظ عذاب أو نعيم أو جنة أو نار أو جهنم أو ثواب أو عقاب أو ساعة فانهم يحملونها على الآخرة مهما وجدوا من القرائن التى تدل على انها فى الدنيا مع ان هذا قد يكون خلاف الحقيقة لأن معانى هذه الالفاظ كما انها تتحقق فى الآخرة كذلك تتحقق فى الدنيا أيضا ولأن القرآن كما يعد ويتوعد بما سوف يحصل فى الآخرة فانه يعد ويتوعد أيضا بما سيحصل فى الدنيا بل الوعد والوعيد القريبان يؤثران فى النفس أكثر مما يؤثر فيها البعيدان خصوصا وان القرآن انما نزل لاصلاح أحوال الناس فى حياتهم الدنيا والآخرة معا فلا يجوز أن يحمل كل وعد ووعيد وكل عذاب وتهديد وكل ترغيب وترهيب وكل ثواب وعقاب على الآخرة فقط مما يجعل الناس لا يهتمون بارتكاب الاجرام والمعاصى ما دام الجزاء متأخرا الى وقت غير معلوم بخلاف ما لو كان الجزاء مستعجلا فى الدنيا فانهم يخافون منه أو يرغبون فيه أكثر مما كان متأخرا .

ومما يدل من القرآن على ان جزاء الاعمال قد يكون فى الدنيا أيضا قوله تعالى فى سورة النحل (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) وقوله فى المائدة (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ

وما أُنْزِلَ إليهم مِن رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا من فوقِهِم وَمِن تحت أَرْجُلِهِمْ) وقوله فيها أيضاً (وقالت اليهودُ والنَّصارَى نحنُ أبناءُ اللهِ وأحِباؤُهُ قل فَلِمَ يعذبكم بذنوبكم) فان هذه الآية دليل على ان التعذيب فى الدنيا والا فكيف يكون ذلك حجة عليهم واقناعا لهم وقوله فى الاعراف (ولو أَنَّ أَهلَ القُرَى آمَنوا واتقَوْا لَفَتَحْنَا عَليهم بَرَكاتٍ من السماء والأرضِ) وقوله فى هود (يا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكم ثم توبُوا إليهِ يُرْسل السماءَ عليكم مِدْراراً ويَزِدْكُمْ قُوَّةً إلى قُوَّتِكُم) وقوله فى نوح (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إنَّه كانَ غَفَّاراً ، يُرْسِلِ السماءَ عليكم مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بأموالٍ وبَنِينَ وَيَجْعَلْ لكم جَنَّاتٍ ويَجْعَل لكُم أَنْهاراً) وقوله فى سورة الجن (وأَنْ لَوْ اسْتَقامُوا على الطريقة لأَسْقَيْنَاهُم ماءً غَدقاً) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة التى تصرح بأن جزاء الأعمال من ثواب وعقاب قد يكون فى الدنيا أيضا .

ومما يؤيد ذلك قوله تعالىٰ فى عدة آيات (إنَّ اللهَ سَرِيعُ الحسابِ) فان السرعة فى الحساب تقضى أن يكون ذلك الحساب والجزاء فى الدنيا لا كما يقول المفسرون من ان المراد بسرعة الحساب انما هو بيان قدرة الله تعالى على محاسبته الناس كافة يوم القيامة فى آن واحد كما يقولون لأن المقام الذى وردت هذه الآيات فيه مقام تهديد ، لا مقام بيان قدرة الله تعالى . ومقام التهديد يقتضى سرعة حصول المهدد به .

وبالجملة فان أنا فسرت بعض الآيات التى جعلها المفسرون للآخرة بما هو فى الدنيا . فلا يتصورن أحد أنى أنكر الآخرة — معاذ الله — كما قد يتوهم بعض الجامدين الذين يحبون أن يصطادوا فى الماء العكر ، بل أريد أن أفسر كل آية بما يفهم من معناها ومغزاها وبما تدل عليه قرينتها وفحواها . على ان لفظ الدنيا قد يراد به الأولى والبداية ولفظ الآخرة قد يراد به الخاتمة والنهاية ، وهذا يصدق على أولى الشخص وآخرته وأولى الأمة وآخرتها وأولى العالم أجمع وآخرته ، ومما هو صريح فى ارادة أولى الشخص وآخرته قوله تعالى فى حق فرعون وعذابه فى الدنيا بالغرق ونحوه (فأَخَذَهُ اللهُ نَكالَ الآخرةِ والأُولى إنَّ فِى ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى) فان هذه

الآية صريحة فى أن الآخرة قد يراد بها آخرة الشخص فى دنياه خصوصا وان العبرة انما تكون فى الأمور التى شاهدها الانسان فى الدنيا ليمكن أن يعتبر بها ويتعظ . وحينئذ فيجب أن يفسر لفظ الدنيا والآخرة فى القرآن حسب ما يفهم من المقام وحسب القرائن والأحوال . كما ان الخلود أى التأبد الوارد فى القرآن يفسر أيضا بحسب مقتضيات الأحوال فتارة يكون المراد منه مدى حياة الشخص كما يقال (حكم على فلان بالسجن المؤبد) فان ذلك لا يعنى الا انه حكم عليه بالسجن مدى حياته . وتارة يكون المراد منه مدى حياة الأمة . وأخرى مدى حياة العالم وأخرى يكون المراد منه الخلود الأبدى الذى لا نهاية له .

القرآن الكريم

له ظاهر وباطن ، أى حقيقة ومجاز

من المقرر المعلوم عند العموم أن المجاز أبلغ من الحقيقة أى أن استعمال اللفظ فى معناه المجازى أبلغ فى التعبير وأفصح فى التكلم من استعماله فى معناه الحقيقى الظاهر ولذلك كثر المجاز فى القرآن الكريم وفى أشعار العرب ونثرهم وخطبهم وكثر أيضا فى كلام فصحاء المولدين ومن بعدهم الى يومنا هذا وهاهى مقالات الكتاب فى الجرائد والمجلات شاهدة على ذلك حتى لا نكاد نجد سطرا واحدا من كلام المتقدمين والمتأخرين خاليا من استعارة أو كناية أو تشبيه أو تمثيل أو مجاز بل ان كلامنا العادى وعرفنا العامى لا يخلو من ذلك أيضا .

ولما كان القرآن الكريم أفصح كلام وأبلغه ، لزم حينئذ أن يكون فيه من التشبيه والتمثيل والاستعارة والكناية والمجاز أكثر من غيره لأنه هو منبع البلاغة ومقياسها ومنشأ الفصاحة وأساسها وهكذا سائر الكتب السماوية فانك تجد فيها كثيرا من الأمثال والتشبيهات وأنواع المجاز والكنايات ، فكم وكم فى آيات الكتب المقدسة من معان مجازية منطوية تحت طى ألفاظها ، ومن مقاصد جوهرية مختفية فى بطون أصدافها ، ومن

حقائق مستورة فى لفائف عباراتها ، ودقائق مصونة فى أكمام كلماتها ، وجواهر مكنونة فى ثنايا تعبيراتها ، وحسان مقصورة فى مخدرات آياتها ومعان عالية مرموز اليها بقرائنها واشاراتها ، معبرا عنها بالمجاز والكناية والتشبيه والتمثيل والاستعارة التى هى أبلغ من التعبير عنها بالحقيقة . واننى أرى ان هذا هو المقصود من كون القرآن له ظاهر وباطن أى له حقيقة ومجاز .

فالآيات القرآنية لها معان غير معانيها الظاهرة كما ورد فى الحديث الشريف (ما نزل فى القرآن آية الا ولها ظهر وبطن) أى حقيقة ومجاز وظاهر وباطن وكلا المعنيين مراد ومقصود فالظاهر مراد لأنه طريق لفهم الباطن ، والباطن مراد لأنه غاية ونتيجة للظاهر ومقصود منه .

وقد صرح شيخ المفسرين الامام محمد بن جرير الطبرى بأنه قد يستعمل اللفظ فى القرآن ويراد منه حقيقته ومجازه معا لصحة المعنيين واحتمال كونهما مقصودين كما انه قد يستعمل اللفظ المشترك فى معنييه أو معانيه ولو كانت كثيرة اذا لم يمنع من ذلك مانع .

وقال حجة الاسلام الغزالى فى مشكاة الأنوار ما نصه (ان أبطال الظواهر رأى الباطنية وابطال البواطن مذهب الحشوية فالذى يجرد الظاهر من الباطن حشوى والذى يجرد الباطن من الظاهر باطنى والذى يجمع بينهما هو الكامل ولذلك قال عليه الصلاة والسلام (للقرآن ظاهر وباطن وحد ومطلع) فموسى عليه السلام فهم من الأمر بخلع النعلين اطراح الكونين فامتثل الأمر ظاهرا بخلع نعليه وباطنا بخلع العالمين فهذا هو (الاعتبار) أى العبور من شىء الى غيره ومن ظاهر الى سر ، فظاهر خلع النعلين منبه على ترك الكونين فالمثال فى الظاهر حق واداؤه الى السر الباطن حقيقة . وكذلك الحال فى قوله تعالى (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) فانه قد ورد ان الماء هو العلم والمعرفة والأودية هى القلوب ، فالظاهر حق والباطن حقيقة ، يجب اعتبارهما معا اذ انه فرق بين من يسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تدخل

الملائكة بيتا فيه كلب أو صورة فيقتنى الكلب فى البيت ويقول ليس الظاهر مراداً بل المراد تخلية بيت القلوب عن كلب الغضب لأنه يمنع المعرفة التى هى من أنوار الملائكة اذ الغضب غول العقل وبين من يمتثل الأمر بالظاهر ثم يقول ليس الكلب بصورته بل بمعناه وهو السبعية والضراوة فاذا كان البيت الذى هو مقر الشخص والبدن واجبا أن يحفظه عن صورة الكلبية فلأنه يجب حفظ بيت القلب وهو مقر الجوهر الحقيقى الخاص عن سر الكلبية بالأولى فمن يجمع بين الظاهر والباطن جميعا هو الانسان الكامل) انتهى .

وقال فى موضع آخر (ان من ينظر الى الحقائق من الألفاظ ربما يتحير من كثرتها وتخيل كثرة المعانى والذى ينكشف له الحقائق يجعل المعانى أصلا والألفاظ تابعة وأمر الضعيف بالعكس اذ يطلب الحقائق من الألفاظ ، والى الفريقين أشار الله تعالى بقوله (أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) فعليك بالتخير لفهم حقائق الألفاظ وفهم ما هو مقصود منها فانه لما كان علم الشهادة مرقى الى عالم الملكوت كان سلوك الصراط المستقيم عبارة عن هذا الترقى وقد يعبر عنه بالدين وبمنازل الهدى فلو لم يكن بينهما مناسبة واتصال لما تصور الترقى من أحدهما الى الآخر) انتهى كلام الامام .

أقول ومن ذلك نعلم ان الظاهر مرقاة ومطية للباطن وان المعنى الحقيقى بالنظر لاتصاله ومناسبته للمعنى المجازى جعل واسطة تدرج وانتقال من أمر ظاهر محسوس الى أمر معنوى معقول ، وان المعنى المجازى المعنوى مشبه بالمعنى الحقيقى الحسى فيتدرج العقل عند سماع اللفظ من معناه الظاهرى الى معناه الباطنى المقصود لوجود القرينة الدالة على ارادته ، فمتى وجدت القرينة الدالة صح ارادة المعنى المجازى وان لم تكن ارادة المعنى الحقيقى متعذرة .

وهناك آيات كثيرة من القرآن على هذا الوجه من المجاز أى ان قرينة دالة فقط لا مانعة فمن ذلك ما ذكره الغزالى فى كلامه السابق ومنه

أيضا قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التوراةَ والإنجيلَ وما أُنْزِلَ إليهم من ربهم لأكلُوا من فوقهم ومن تحتِ أَرْجُلهم) فان المقصود من هذه الآية ان الناس لو أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم الآن وهو القرآن أى لو اتبعوا التعاليم الالهية المنزلة عليهم لأصبحوا فى غاية من السعادة والرقى وسعة السلطان والملك وحسن الهداية وانتظام الأحوال . فها هو قد استعمل لفظ الأكل فى معناه المجازى مع صحة ارادة المعنى الحقيقى وهو أكل الطعام من فوقهم أى بانزال المطر أو تحت أرجلهم أى من نبات الأرض .

ومنها قوله تعالى (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم) فان المراد منها الا تغتصبوا أموال اليتامى ولا تظلموهم فى حقوقهم مع صحة ارادة المعنى الحقيقى أيضا وهو أكل طعامهم . ومنها قوله تعالى (يأكلون التراث أكلا لما) فان المراد من أكل التراث الاستيلاء على الارث بلهفة وشدة ورغبة ولو كان الارث غير مأكول كنقد وأرض مع صحة ارادة المعنى الحقيقى وهو أكل الطعام الموروث كبر وشعير ونحوه ، وهكذا كثير من الآيات الأخرى التى فسرتها فى كتابى هذا بالمعنى المجازى وان كان المعنى الحقيقى غير متعذر فيها ، وبالجملة فانه لا وجه أصلا ولا دليل أبدا لما جرى عليه الفقهاء والمفسرون من عدم اعتبار المجاز فى القرآن الا اذا تعذرت الحقيقة .

إجماع المحققين

على عدم تكفير أو تفسيق

من يأول آية من القرآن بغير ظاهرها

أجمع المحققون على انه لا يكفر ولا يفسق ولا يبدع من أول آية من القرآن بغير ظاهرها وفسرها بغير معناها الحقيقى . قال الامام حجة الاسلام الغزالى فى كتابه (فيصل التفرقة بين أهل الكفر والزندقة) ما نصه : (وقد تأولوا العصا والنعلين فى قوله تعالى « اخلع نعليك » وقوله « وألق ما فى يمينك » ولعل الظن فى مثل هذه الأمور التى لا تتعلق بأصول الدين يجرى مجرى البرهان فى أصول الاعتقاد فلا يكفر ولا يبدع)

انتهى . وقال ابن حزم (لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله فى اعتقاد أو فتيا وان كل من اجتهد فى شىء من ذلك فدان بما رأى انه الحق فانه مأجور على كل حال ان أصاب فأجران وان أخطأ فأجر واحد وهذا مذهب أبى حنيفة والشافعى وسفيان الثورى وابن أبى ليلى وداود بن على وهو قول كل من عرفنا له قولا فى هذه المسألة من الصحابة رضى الله عنهم ما نعلم منهم خلافا فى ذلك أصلا) انتهى .

وقال الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى كتابه (الاسلام والنصرانية) ما نصه (اتفق أهل الملة الاسلامية الا قليلا ممن لا ينظر اليه على انه اذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل وبقى فى النقل طريقان طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه وتفويض الأمر الى الله فى عمله ، والطريق الثانية تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة حتى يتفق مع ما أثبته العقل ، وبهذا الأصل الذى قام على الكتاب وصحيح السنة وعمل النبى (ص) مهدت بين يدى العقل كل سبيل وأزيلت من سبيله العقبات واتسع له المجال الى غير حد) انتهى .

وقال فى موضع آخر من الكتاب المذكور ما نصه (وقد عرف من قواعد وأصول الاسلام انه اذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ويحتمل الايمان من وجه واحد حمل على الايمان ولا يجوز حمله على الكفر) انتهى .

وقال فى موضع آخر ما نصه (لكل مسلم أن يفهم عن الله من كتاب الله وعن رسوله من كلام رسوله بدون توسيط أحد من سلف ولا خلف وانما يجب عليه قبل ذلك أن يحصل من وسائله ما يؤهله للفهم كقواعد اللغة العربية وآدابها وأساليبها وأحوال العرب خاصة فى زمان البعثة وما كان الناس عليه فى زمن النبى (ص) انتهى .

وقد نقل العارف الشعرانى عن ثقات الأمة اجماع المسلمين على معذرة المتأولين فى غير أصول الدين كالتوحيد والصلاة والصوم ونحوها مما علم من الدين بالضرورة وانه ان أصاب فله أجران وان أخطأ فله أجر واحد

وقال أيضا ان من أعظم ما بلى به المسلمون رمى بعضهم بعضا بالفسق والكفر بالتأويل مع ان مقصد الجميع منهم انما هو الوصول الى الحق بما بذلوا فيه من جهدهم لتأييده واعتقاده والدعوة اليه) انتهى .

أقول وانما سقت كلام هؤلاء المحققين لأدفع به انتقاد الجامدين المقلدين الذين كانوا قد اعترضوا على حينما نشرت فى الجرائد تفسير آيات مائدة عيسى وآيات عصا موسى وغيرها من الآيات الأخرى بمعنى مجازى منطبق على العقل واستبعدت فيها ارادة المعنى الحقيقى غير المنطبق على العقل ، ولأدفع به ما سوف يعترضون به على أيضا عند اطلاعهم على بحوثى هذه من تأويل بعض الآيات المشكلة المعضلة وحملها على المعنى المجازى المعقول بدلا من المعنى الحقيقى المشكل المعضل غير المعقول .

ولا شك ان تفسير الآيات القرآنية بمعنى بسيط طبيعى سهل معقول غير منتقد من الأجانب خير من تفسيرها بمعنى مستهجن مستغرب أو بمعنى غير معقول منتقد من الأجانب ومن شبان المسلمين أيضا الذين هم على شفا جرف من انكار الدين وانكار كثير من آيات القرآن الحكيم حينما يأخذون هذه الآيات على ظاهرها كما جرى عليه كثير من المفسرين .

وما قصدت من هذه البحوث ومن حل هذه الآيات المشكلة المعضلة بوجوه معقولة فقط ولو كانت بعيدة وبمعانى مجازية بقرينة دالة فقط ولو كانت غير مانعة الا لأدفع عن القرآن الحكيم طعن الطاعنين من مبشرى المسيحيين ، وأنزهه عن انتقاد المنتقدين من متمشدقى المسلمين وأزيح عنه شبهات الزنادقة والملحدين الذين قد يجول بخاطرهم انكار مضمون بعض آيات القرآن الحكيم لو بقيت غير معقولة بمقتضى تفاسير المفسرين فأردت أن أقرب هذه الآيات الى العقل بحيث لا يجرأ على الطعن فيها مبشر مفسد ، ولا ينتقد عليها متمشدق أو زنديق أو ملحد ، بل يعتقد الجميع منهم انها منطبقة على العقل والعلم تمام الانطباق وانها آيات الله وبيناته فى الآفاق وان الجمود على ظاهر ألفاظها انما هو من شأن المغفلين المقلدين ومن شئنة ضعفاء العقول الجامدين لا من رأى المحققين والمدققين

الجمود بغيض الدين

والتقليد الأعمى نقيض القرآن الحكيم

قال تعالى فى سورة محمد (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) وقال فى سورة ص (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ) .

فهاتان الآيتان الكريمتان تنعيان على الجامدين الذين جعلوا من التقليد الأعمى أقفالا على قلوبهم وعقولهم فلا يتفكرون فى حقائق معانى آيات القرآن ، ولا يتدبرونها اتكالا على تفكير غيرهم فيها واكتفاء بما يتبادر من ظواهرها بدون التنقيب عما هو المقصود منها مع ان الله تعالى قد ذم من فعل ذلك بمدح مخالفيهم بقوله تعالى (وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا) أى لم يكبوا عليها وهم صم عمى بلا تفكير فى ما هو المقصود الحقيقى منها وانما يكبون عليها ببصيرة وبحث عن حقيقتها ويخرون عليها بوعى وتنقيب عما هو المراد منها فلا يتقيدون بظواهرها ولا ينقادون الى تقليد الغير فيها بل يستعملون عقولهم فى فهم هذه الآيات والوقوف على معانيها ضمن أساليب اللغة العربية من حقيقة ومجاز أو استعارة وكناية وغيرها لأن المجاز ونحوه مما ذكر انما هو من أساليب اللغة العربية أيضا .

فهذه الآية تذم التقليد الأعمى والجمود على الظواهر وتبين لنا أنه لا يجوز أن نخر خرا على ظواهر الآيات فقط أو نكتفى بالتقليد فيها بل تعلمنا ألا نتقيد بأفهام الغير ممن لم يكن معصوما ، وألا نجمد على فهم دون فهم ولا على رأى دون رأى او معنى دون آخر ، بل نفكر فيها جميعها ونختار ما هو المعقول منها ونتبع ما هو الأحسن فيها قال الله تعالى فى سورة الزمر (الذينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أولئكَ الذينَ هَدَاهُمُ اللهُ وأولئكَ هم أُولوا الأَلْبَابِ) فأولوا الألباب والعقول الذين هداهم الله هم الذين يتبعون المعقول المقبول ، وأما غير المعقول والمقبول فانه لا يجوز للناس اتباعه ولا اعتباره لأن الانسان اذا اعتبر وأتبع ما لا

يتصوره ، ولا يعقله فقد اتبعه على عمى ، وسار فيه على غير بصيرة وهدى ، فيكون ممن خروا عليه صما وعميانا .

وقد ذم الله تعالى المقلدين لمن قبلهم بدون تفكير فيما قلدوهم فيه ، ولا معرفة لدليله ولا وقوف على صحة استدلاله ، وانكر على الذين يتبعون آباءهم فى كل شىء فقال تعالى فى سورة الزخرف (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ) وفى آية أخرى منها (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) . وفى سورة المائدة (قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) وفى سورة يونس (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) وفى سورة لقمان (بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ) وفى سورة الاعراف (قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) وفى سورة الشعراء (قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) الى غير ذلك من الآيات التى تندد على من يقلدون آباءهم وأجدادهم ومن قبلهم فى شىء من الاشياء بمجرد كونهم قالوه أو فعلوه بدون تفكر فى حسنه أو قبحه ، وبدون معرفة لصحته أو عدم صحته ، وبدون وقوف على ثبوته أو عدم ثبوته ، وبدون معرفة لبرهانه ودليله ، مما يجعل العقل معطلا ويصير الانسان مقلدا .

وأصرح آية فى هذا المعنى قوله تعالى فى سورة الاسراء (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) أى لا تتبع ولا تعتمد الا على ما تعلمه أو تتحققه بسمعك أو بصرك أو فؤادك أى قلبك وعقلك وضميرك ووجدانك لأنك اذا قلدت غيرك ولم تستعمل هذه القوى فأنت مسؤول عنها لأنك لم تصرفها فيما خلقت لأجلها.

ومن ذلك يعلم انه لا يجوز لنا تقليد المفسرين فى كل ما قالوه ما لم تتحقق صحته ونقف على دليله . قال تعالى فى سورة البقرة (قُلْ هَاتُوا

بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) . وقال فى سورة يوسف (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي) .

(وقد ثبت عن الائمة الأربعة رضوان الله عليهم ان كل واحد منهم كان يقول للناس ما معناه (لا تتبعوا قولى ما لم تقفوا على دليلى ، واذا خالف قولى شيئا من كتاب الله أو حديث رسوله فاضربوا به عرض الحائط) مما يدل على انهم لا يريدون من الناس أن يقلدوهم فى أقوالهم تقليدا أعمى وانما يقلدونهم فيها اذا ظهرت لهم حجتها وبرز لهم دليلها .

قال ابن حزم فى كتاب الاحكام فى عدم جواز التقليد ما نصه (روى عن عمر انه قال :(ان حديثكم شرُّ الحديث وان كلامكم شر الكلام فانكم قد حدثتم الناس حتى قيل قال فلان وقال فلان وتُرِكَ كتابُ الله تعالى . من كان منكم قائما فليقم بكتاب الله والا فَلْيجلس) فهذا قول عمر لأفضل قرن على ظهر الأرض ، فكيف لو أدرك ما نحن فيه من ترك القرآن وكلام محمد عليه الصلاة والسلام والاقبال على ما قاله مالك وأبو حنيفة والشافعى فحسبنا الله ونعم الوكيل وانا لله وانا اليه راجعون) انتهى .

وقال فى موضع آخر من الكتاب المذكور ما نصه :

(ان الناس الآن يعرضون كلام الله وكلام الرسول على قول صاحبهم أى أمامهم الذى يتبعونه وهو مخلوق مذنب يخطىء ويصيب ، فان وافق قول الله وقول الرسول قول امامهم ، وصاحبهم أخذوا به وان خالفاه تركوا قول الله تعالى جانبا وقول رسوله ظهريا وثبتوا على قول صاحبهم وما نعلم فى المعاصى ولا فى الكبائر بعد الشرك المجرد أعظم من هذه وانه لَأَشدُّ من القتل والزنا لأن فيما ذكر الاستخفاف بالله ، وأما القاتل والزانى (فعالمان بأن فعلهما خطأ وانهما مذنبان فهما أحسن حالا مما ذكر) انتهى ، وقال فى موضع آخر ما نصه : (ان التقليد هو اعتقاد الشىء لأن فلانا قاله مما لم يقم على صحة قوله برهان ، واما اتباع مَنْ أَمَرَ اللهُ باتباعه فليس تقليدا بل هو طاعة لله . والتقليد لا يجوز والمقلد آثم على كل حال

سواء كان مصيبا أو مخطئا وهو عاصى لأوامر الله تعالى فاسق مجرَّح الشهادةاذا تمادى على التقليد بعد قيام الحجة عليه بعدم جوازه والمجتهد المخطىء خير عند الله وأفضل من المقلد المصيب) انتهى .

وقال ابن القيم فى كتابه أعلام الموقعين ما نصه : (لا يجوز للمقلد أن يفتى فى دين الله بما هو مقلد فيه وليس على بصيرة منه سوى انه قول من قلد دينه . هذا اجماع من السلف كلهم وصرح به الامام أحمد والشافعى رضى الله عنهما وغيرهما) .

وقال فى موضع آخر : (وأما قول الشيخ بن عمرو : ان لهذا المفتى المقلد أن يقول (هذا مقتضى مذهب الشافعى مثلا) فلعمر الله لا يقبل ذلك من كل من نصب نفسه للفتيا حتى يكون عالما بمأخذ صاحب المذهب ومداركه وقواعده جمعا وفرقا ويعلم ان ذلك الحكم مطابق لأصوله وقواعده بعد استفراغ وسعه فى معرفة ذلك فيها) .

وقال فى موضع آخر (اذا وجد فى البلد عالم يعلم مأخذ الحكم من الكتاب والسنة لا يجوز للسائل أن يسأل المقلد أبدا بل يجب عليه أن يسأل هذا العالم ، ولكن اذا لم يوجد فى البلد الا المقلد فرجوع السائل اليه أولى من أن يقوم على العمل بلا علم أو يبقى مرتبكا فى حيرته مترددا فى عماه وجهالته لأن هذا هو المستطاع دون غيره) .

وقال فى موضع آخر : (قال الشافعى قدس الله تعالى روحه : أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس قال ابو عمر وغيره من العلماء : أجمع الناس على ان المقلد ليس معدودا من أهل العلم وأن العلم معرفة الحق بدليله وهذا كما قال أبو عمر رحمه الله فان الناس لا يختلفون فى أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل وأما بدون الدليل فانما هو تقليد . فقد تضمن هذان الاجماعان اخراجَ المتعصب بالهوى والمقلد الأعمى عن زمرة العلماء وسقوطها باستكمال من فوقهما الغروض من وراثة الأنبياء . فان العلماء هم ورثة الأنبياء فان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذه بحظ وافر . وكيف يكون من ورثة الرسول (ص) من يجهد ويكدح فى رد ما جاء به الى قول مقلده ومتبوعه ، ويضيع ساعات عمره فى التعصب والهوى ولا يشعر بتضييعه

تالله انها فتنة . عمت فأعمت ورمت القلوب فأصمت . ربا عليها الصغير وهرم عليها الكبير واتُّخِذَ لأجلها القرآنُ مهجورا . وكان ذلك بقضاء الله وقدره فى الكتاب مسطورا . ولما عمت بها البلية ، وعظمت الرزية بحيث لا يعرف أكثر الناس سواها . ولا يعدون العلم الا اياها فطالب الحق من مظانه لديهم مفتون ، ومؤثره على ما سواه عندهم مغبون ، نصبوا لمن خالفهم فى طريقهم الحبائل ، وبغوا له الغوائل ، ورمـوه عن قوس الجهل والبغى والعناد. وقالوا لاخوانهم انا نخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد . فحقيق بمن لنفسه عنده قدر وقيمة أن لا يلتفت الى هؤلاء ولا يرضى لها بما لديهم . واذا رفع له علم السنة النبوية شمر اليه ولم يحبس نفسه عليهم فما هى الا ساعة حتى يبعثر ما فى القبور ، ويحصل ما فى الصدور ، وتتساوى أقدام الخلائق فى القيام لله ، وينظر كل عبد ما قدمت يداه، ويقع التمييز بين المحقين والمبطلين ، ويعلم المعرضون عن كتاب ربهم وسنة نبيهم انهم كانوا كاذبين) انتهى كلام ابن القيم .

وقال الامام الرازى فى تفسيره مفاتيح الغيب عند قوله تعالى توبيخا لليهود والنصارى (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ) .

ما نصه : ليس المراد من الأرباب انهم اعتقدوا انهم آلهة العالم بل المراد انهم أطاعوهم فى أوامرهم ونواهيهم وفى تحليلهم وتحريمهم ، فقد روى أن عدى بن حاتم الذى كان نصرانيا لما سمع قوله تعالى عن اليهود والنصارى (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم ورُهْبَانَهُم أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ) ذهب الى رسول الله (ص) وقال له ما كنا نعبدهم فقال (أليس يحرمون ما أحل الله فيحرمونه ويحلون ما حرم الله فيستحلونه . قال : بلى . قال : فتلك عبادتهم) .

وقال الربيع قلت لأبى العالية كيف كانت تلك الربوبية فى اليهود والنصارى . قال انهم ربما وجدوا فى كتاب الله ما يخالف أقوال الأحبار والرهبان فكانوا يأخذون بأقوالهم وما كانوا يقبلون حكم كتاب الله تعالى .

ثم قال الرازى وقد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله تعالى فى بعض مسائل وكانت مذاهبهم بخلاف تلك الآيات فلم يقبلوا تلك الآيات ولم يلتفتوا اليهـا وبقوا ينظرون الى كالمتعجب يعنى كيف يمكن العمل بظواهر هذه الآيات مع ان الرواية عن سلفنا وردت على خلافها . ولو تأملت حق التأمل لوجدت هذا الداء ساريا فى عروق الأكثرين من أهل الدنيا) انتهى .

وقال السيد حسن صديق فى تفسير هذه الآية ما نصه (وفى هذه الآية ما يزجر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عن التقليد فى دين الله وايثار ما يقوله الأسلاف على ما فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة فان طاعة المتمذهب لمن يقتدى بقوله ويستن بسنته من علماء هذه الأمة مع مخالفته لما جاءت به النصوص وقامت به حجج الله وبراهينه ونطقت به كتبه وأنبياؤه هو كاتخاذ اليهود والنصارى للأحبار والرهبان أربابا من دون الله للقطع بأنهم لم يعبدوهم بل أطاعوهم وحرموا ما حرموا وحللوا ما حللوا . وهـذا صنيع المقلدين فى هذه الأمة وهو أشبه به من شبه البيضة بالبيضة والتمرة بالتمرة والماء بالماء . فيا عباد الله ويا أتباع محمد ابن عبد الله ما بالكم تركتم الكتاب والسنة جانبا وعمدتم الى رجال هم مثلكم فى تعبد الله لهم بهما وطلبه للعمل منهم بما دلا عليه وأفاداه فعملتم بما جاءوا به من الآراء التى لم تعمد بعماد الحق ولم تعضد بعضد الدين ونصوص الكتاب والسنة بل تنادى بأبلغ نداء وتصوت بأعلى صوت بما يخالف ذلك ويباينه فأعرتموها آذانا صما وقلوبا غلفا ، وأفهاما مريضة وعقولا مهيضة ، وأذهانا كليلة وخواطر عليلة وأنشدتم بلسان الحال :

وهل أنا الامن غزية أن غوت غويت وان ترشد غزية أرشد

تدعوا أرشدكم الله وايای كتبا كتبها الأموات من أسلافكم واستبدلوا بها كتاب الله خالقهم وخالقكم ومعبدوهم ومعبدوكم واستبدلوا أقوال من تدعوهم بأئمتكم وما جاءوكم به من الرأى أقوال أمامكم وأمامهم وقدوتكم وقدوتهم وهو الامام الأول محمد صلى الله عليه وسلم .

دعوا كل قول عند قول محمد فما آمن فى دينه كالمخاطر

اللهم اهدنا الى الحق وارشدنا الى الصواب وأوضح لنا طريق الهداية) انتهى .

لا يجب بل لا يجوز تقليد الفقهاء والمفسرين

فيما يقولون مالم نتحقق صحته بالدليل

ومن كل ما قدمناه تعلم انه لا يجوز تقليد من يجوز عليه الخطأ مهما كان عظيما ما لم يعرف دليله على ذلك من الكتاب والسنة ، وانه اذا لم يعرف دليله فانه يجوز مخالفته والرجوع الى ما يفهم من الكتاب والسنة وانه يجوز لكل عالم واقف على أساليب اللغة العربية أن يفهم فى كتاب الله أفهاما جديدة غير الأفهام المسطورة بشرط أن تكون ضمن قانون اللغة وأسلوب العرب لأن القرآن الكريم لم ينزل لأناس دون آخرين أو لمفكر دون باقى المفكرين ، بل أنزله الله ليتفهمه كل من عرف اللغة العربية وكان ذا عقل وتفكير وروية . قال تعالى فى سورة يوسف (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) وفى سورة الزخرف (إنا جَعلناهُ قُرْآناً عَربياً لعلكم تُفْلحون) والضمير فى تعقلون راجع لجميع المخاطبين من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم فكل من يعرف العربية وكان ذا عقل وفهم يجوز له أن يفهم فى القرآن وأن يتدبر فى آياته وأن يتفكر فى بيناته قال تعالى فى سورة ص (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيكَ لِيدَّبَّرُوا آياتِهِ ولِيذَّكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ) وقال فى سورة القمر أيضاً (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القرآنَ للذكرِ فَهَلْ مِن مُدَّكِر) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة التى تعطى للانسان حرية الفهم فى الكتاب وحرية البحث والتفكير والتدبر فيه ولم يخصصه بفئة من الناس دون فئة أخرى ولا بوقت دون وقت آخر .

قال الاستاذ مصطفى صادق الرافعى فى كتابه (اعجاز القرآن) ما نصه : (لقد ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض ولم يفسر فى القرآن الا قليلا جدا وهذا وحده يجعل المنصف يقول أشهد ان محمد رسول الله اذ لو كان الرسول فسر للعرب بما يحتمله زمنهم وتطيقه أفهامهم

لجمد القرآن جمودا تتهدم عليه الأزمنة والعصور بآلاتها ووسائلها ، فان كلام الرسول نص قاطع ، ولكنه ترك تاريخ الانسانية يفسر كتاب الانسانية فتأمل حكمة ذلك السكوت فهى اعجاز لا يكابر فيه الا من قلع مخه من رأسه) انتهى .

باب الاجتهاد مفتوح أبداً

ومن يقول بقفله يكون كاليهود فى قولهم (يد الله مغلولة)

مع بيـان المعنى المراد من هذه الآية

وما ذكرناه يؤيد ان باب فهم القرآن وباب الاجتهاد فى الاحكام لم ينسد خلافا لبعض العلماء الجامدين الذين يقولون انه قد انسد وانه لا يجوز لأحد أن يفهم فى القرآن وان يستخرج منه الأحكام غير ما فهمه واستخرجه السابقون فان هؤلاء بقولهم هذا قد حصروا فضل الله وفيضه العـام فى جماعة مخصوصـين وفى وقت خاص مع انه لا يجوز لنا أن نتصور ان فضل الله ينقطع فى زمن من الأزمان عن أحد من الناس .

وكأنَّ هؤلاء الجامدين يقولون كما قال اليهود (يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ) أى مغلولة عن اعطاء من يشاء فى أى وقت شاء اذ أنهم حصروا فيضه ووحيه فى بنى اسرائيل أى فى أناس من العالم دون آخرين وفى وقت دون آخر مع ان فضل الله وفيضه عام ينزل على كل قلب مستعد ويلامس كل عقل قابل ويخالط كل نفس صافية بلا تقيد بفرد دون فرد وبلا تخصيص بوقت دون وقت .

واذا كانت فيوضات الله المادية التى تغذى الجسم لا تنقطع عن الناس أبدا بل هى دائمة باقية ما دام الانسان باقيا ، فكذلك فيوضاته الروحانية التى تغذى الروح يلزم أن تكون دائمة باقية ما دامت الروح باقية أيضا فالفيوضات الروحانية كالفيوضات المادية سواء بسواء فى لزوم دوامها وضرورة انزالها ، فكما ان الغيث ينزل على الأرض فتستفيد منه القطعة القابلة من الأرض دون غيرها ، فكذلك الفيض الالهى الروحانى ينزل على الأرواح فتستفيد منه النفوس القابلة دون غيرها مع عدم الانقطاع

فى ذلك أصلا اذ لا يجوز لنا أن نتصور أن الفيوضات الالهية تنقطع عن عباد الله فى زمن من الأزمان كما نرى ونشاهد. أن الفيوضات المادية لا تنقطع عنهم فى وقت من الأوقات والا لكانت (يد الله مغلولة) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا اذ أن معنى قوله تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة) أى أن اليهود بالنظر لكونهم قد حصروا فيض الله الروحانى ووحيه السماوى بهم فقط دون غيرهم من الأمم الأخرى كالأمة العربية فلسان حالهم يقول (يد الله مغلولة) عن اعطاء فيضه وانزال وحيه على غيرهم فالمراد أنها مغلولة عن الأمور الروحانية الدينية كما يشعر بذلك قوله تعالى عقب هذه الآية(وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً منهم ما أُنْزِلَ إِلَيكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً) أى انهم بسبب اعتقادهم انحصار عهد النبوة والرسالة فى بنى اسحاق دون غيرهم فان رسالتك وما أنزل اليك من ربك لا يزيد أكثرهم الا طغيانا وكفرا بسبب عدم ايمانهم بك وبما أنزل اليك لكونك لست من بنى اسحاق الذين انحصر فيهم عهد النبوة حسب اعتقادهم .

وعليه فليس المراد أن اليهود تقول ان يد الله مغلولة عن الأمور المادية كالرزق ونحوه من الأمور الدنيوية كما يقول بذلك المفسرون فان فهمهم هذا قد أوقعهم فى عدة اشكالات لم يتمكنوا من الخلاص منها .

ومن جملة هذه الاشكالات الواردة على فهم هؤلاء المفسرين اننا نرى اليهود مطبقين ومتفقين على انهم ما قالوا بذلك أبدا وانهم لا يعتقدون به أصلا من أول نشأتهم الى يومنا هذا اذ لايشك عاقل فى الدنيا ان الله تعالى الذى يقدر على خلق العالم وعلى تنظيمه بأحسن نظام أن تكون يده مغلولة وقدرته مقيدة وقاصرة والا فكيف يمكنه مع هذه القدرة الناقصة واليد المغلولة أن يحفظ العالم ويدبر شؤونه وأن يسيره بأحسن نظام فى كل وقت من الأوقات وزمن من الأزمان فقول كهذا لا يعقل أن يصدر من أحد فضلا عن أمة عاقلة موحدة بالله تعالى كاليهود . وحينئذ فقد وجب أن نفهم هذه الآية كما قلنا من أن اليهود نظرا لحصرهم عهد النبوة فى بنى اسرائيل . كما يعتقدون وادعائهم انه لا يوجد من غيرهم

نبى ولا رسول كما يقولون فاذن هم قائلون بلا شك ولا ريب (يد الله مغلولة) عن اعطاء الأمور الروحانيّة الدينية لغيرهم . وهذا القول ليس بمستبعد عليهم لأنه موافق لاعتقادهم ولذلك فانهم لم يؤمنوا الى الآن بمحمد عليه الصلاة والسلام لكونه من بنى اسماعيل المحروم من عهد النبوة حسب اعتقادهم .

أما القول بغل يد الله عن الأمور المادية الدنيوية كالرزق ونحوه فلا يعقل أن يصدر عنهم لأنه مخالف لاعتقادهم فى الله مناقض للمشاهد المحسوس لهم ولغيرهم من جميع الناس .

واذ قد عرفت أن اليهود يقولون (يد الله مغلولة) عن الفيوضات الروحانية وان الله قد وبخهم على هذا القول فهل يصح لنا حينئذ أن نتبعهم ونجاريهم فى ذلك ونقول مثل قولهم بأن باب الاجتهاد قد انسد من نحو ألف سنة الى الآن . كيف صح لهؤلاء الجامدين أن يتصوروا بأن باب الفهم فى القرآن قد قفل وان باب الاجتهاد قد انسد مع ان أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام تدل على ان الله تعالى (لا بد وان يبعث على رأس كل قرن من يجدد لهذه الأمة أمر دينها) فهذا المجدد هلا يكون مجتهدا على الأقل خصوصا وان الفقهاء قد اشترطوا فى صحة نصب القاضى أن يكون مجتهدا . فاذا كان القاضى العادى لا بد وان يكون مجتهدا ، فالمجدد يلزم أن يكون مجتهدا بالأولى ، واذا كان المجدد الذى يبعث فى كل قرن والقاضى أيضا يلزم أن يكونا مجتهدين فباب الاجتهاد حينئذ لا ينسد أبدا ، واذا كان الاجتهاد فى الأحكام الشرعية غير ممنوع حتى الآن بنص أكابر الفقهاء ، ونص الاحاديث فكيف بالاجتهاد فى فهم آيات القرآن الذى ينادى دائما لفهمه وتدبره كل أرباب العقول والأبصار وجميع أولى الألباب والأفكار ، فى كل الامكنة والازمنة والاعصار لأنه كتاب خالد والخطاب به عام لجميع الناس سواء منهم المتقدمون والمتأخرون فكلهم مطالبون بأن يتدبروه ويعقلوا هدايته ويدركوا أسراره ويتلقنوا منه حجة الله على عباده وينتفعوا به

فى دينهم ودنياهم . ولو جاز أن تقف العقول البشرية عن متابعة هداية الله وعن تدبر كلمات الله لما قامت حجة الله على المتأخرين من الناس كما قامت على المتقدمين منهم ولما كانت هناك فائدة عملية فى أن يضمن الله الحفظ والخلود لكتابه الكريم .

اذن فما بالناقد حرمنا أنفسنا هذا المتاع العقلى ، وهذه اللذة الفكرية فلم ننظر كما نظروا ، ولم نجتهد كما اجتهدوا بل لماذا رضينا أن نكون صدى لهم فى كل شىء حتى لنستشيرهم ولا نستشير عقولنا فى أحوال شهدناها وغابوا عنها ورأيناها رأى العين وتوهموها .

الشروط التى اشترطها الفقهاء فى إمكان تحقيق الاجتهاد

قد أخرت المسلمين عن بحث كثير من أمور الدين

مع بيان أن هذه الشروط تتحقق فى كثير من علماء كل عصر

رغماً عن الجامدين المقلدين

ان (شروط الاجتهاد) التى يزعمها الفقهاء هى التى قضت علينا بذلك نعم (شروط الاجتهاد) التى تصورها أهل العلم من المتأخرين شيئا هائلا رهيبا وأسرفوا فى تقييد أنفسهم وتقييد الناس بها وأقاموا منها حجايا بين العقول وبين ما أوسع الله لها من مدى فى التأمل والتفكير هى التى أخرتنا

قال بعض الفضلاء فى مجلة الرسالة : أبى المتأخرون الا أن يجعلوا للاجتهاد شروطا ثم زعموا للناس أن هذه الشروط صعبة لا يستطيعها أحد ، وانها كثيرة متشعبة لا تكاد تجتمع لأحد فأغلقوا باب الاجتهاد وأوجبوا على الناس أن يقلدوا ثم لم يكتفوا بذلك حتى أوجبوا عليه تقليد فقهاء معينين يتعصبون لهم ويزعمون أنهم أولى بالاتباع من غيرهم . ولكن أقوالهم اضطربت فى ذلك اضطرابا يثير الظنون ويغرى بالتهم فقالت طائفة منهم لا يجوز لأحد أن يختار بعد أبى حنيفة وأبى يوسف وزفر ، وقالت طائفة أخرى لا اختيار بعد الاوزاعى وسفيان وقال قوم ليس لأحد أن يختار بعد الشافعى ، وقال آخرون ليس لأحد أن يختار بعد المائتين من الهجرة . ولما اشتهرت المذاهب الأربعة المعروفة وكان لها

أتباع ومتعصبون يخشى بعضهم كيد بعض اصطلحوا فيما بينهم على انه لا يجوز تقليد أحد سوى هؤلاء الأئمة الأربعة فجعلوا لحكمهم أثرا رجعيا ينسحب على جميع الفقهاء الذين اجتهدوا فلم يعد لأحد أن يأخذ بقول الليث أو سفيان أو غيرهما من أصحاب المذاهب التى لم ترزق من الجد وحسن الطالع ما رزقته هذه المذاهب المعروفة ، فانقرضت ولم يبق لها أنصار يدافعون عنها ويدعون اليها .

فعلوا ذلك كله وألقوه فى روع العامة كأنه عقيدة من العقائد وشغبوا به على أصحاب العقول الراجحة والأفكار الحرة ، وأعلنوا عليهم حربا طاحنة جيوشها العامة والدهماء وأسلحتها والتكفير والرمى بالزندقة والخروج على اجماع الأمة وغير ذلك من أنواع التهم . ثم عكفوا على كتب بخصوصها لا يعرفون غيرها ولا يعتمدون سواها ولا يتلقون شريعة الله الا منها وزعموا ان الدنيا خلت ممن يستطيعون أن يخرج على هذه الكتب أو يتكلم فى العلم دون أن يعتمد عليها بل حرموا على الناس أن ينظروا فى كتاب الله أو سنة رسوله نظر العلماء المستنبطين وأوجبوا على العالم أن لا يقضى ولا يفتى بشىء منها حتى يعرضنه على ما تنقله هذه الكتب من أقوال مذاهبهم فان وافقها جاز الحكم به والا وجب رده وعدم قبوله .

تلك آثار بعيدة المدى لا يزال الفقه الاسلامى يعانيها ويحمل أصرارها وأغلالها ويتعثر فى أشواكها وأذيالها وهو الفقة الذى ورثناه عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه من بعده وعن الأئمة المهتدين قويا لا يعرف الضعف ، ناشطا لا يعرف الجمود ، واسعا لا يضيق صدرا بالنوازل والأحداث .

(شروط) ومتى كان للاجتهاد شروط ؟ هل ذكرت فى كتاب الله أو فى سنة رسوله ، هل كان الصحابة الذين اجتهدوا أو اختلفوا وتعددت آراؤهم يعرفونها . وهل روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان ينهاهم عن الاجتهاد أو يشترط له شروطا خاصة .

لقد كان الصحابة رضى الله عنهم مع تفاوتهم علما وفهما وادراكا لأسرار التشريع يجتهدون ويختلفون فيما بينهم وربما انفرد الواحد منهم بالرأى لا يراه غيره ولقد وجد من بعدهم عشرات بل مئات من المجتهدين وكانت لهم حرية فكرية واسعة المدى . فأين فى هذا كله خبر تلك الشروط وهل زعم أحد انهم أعدوا أنفسهم أولا لنيل شروط معينة وأشهدوا الناس على انهم حصلوها ثم أخذوا بعد ذلك ينظرون .

(كلا) فليس الاجتهاد منصبا تمنحه الأمة وتمنعه ، انما هو مرتبة علمية يشعر بها العالم من نفسه وليس كل أحد يدعى ذلك ، ولم نسمع ان أحدا من أهل العلم قد التمسه أو أقدم عليه دون ان تكون له اداته الطبيعية وليس الناس ملزمين برأى من الآراء كأنه فريضة محكمة ، وانما هو العلم أساسه الحجة والبرهان ولو اتفق الناس على أن رجلا منهم صار من أهل الاجتهاد لما أعفاه ذلك من تمحيص العقول لآرائه والتثبت من حجته ، ولو أنكر الناس على رجل منهم هذه المنزلة لما أعفاهم ذلك من الخضوع لرأيه حين تكون الحجة الى جانبه . فليس الأمر اذن أمر شروط تشترط وانما هو العلم يجب أن تسمع كلمته من أى فم كان وان تفهم وتقبل اذا كانت حقا وان ترفض وترد اذا كانت باطلا . أما الشروط التى اشترطها الفقهاء فى الاجتهاد فهى :

أولا : العلم بلغة العرب وأصول الفقه بحيث يميز بين صريح الكلام ومجمله وحقيقته ومجازه وعامه وخاصه ومطلقه ومقيده الخ .

ثانيا : العلم بكتاب الله وسنة رسوله فيما يتعلق بالأمر المجتهد فيه .

ثالثا : القدرة على التمييز بين صحيح الحديث وحسنه وضعيفه وموضوعه الخ .

رابعا : العلم بالناسخ والمنسوخ على القول بوجود ناسخ ومنسوخ فى كتاب الله أما على القول بعدم وجود ذلك فلا يكون هذا شرطا .

خامسا : العلم بمسائل الاجماع على القول بحجية الاجماع ، أما على القول بعدم حجيته فلا يكون شرطا .

وهذه الشروط وان عـدها بعض الفقهاء صعبة المنـال الا انها فى الحقيقة سهلة يمكن تحقيقها وتوفرها لكثير من العلماء فى كل عصر ، واذا كانت سهلة متوفرة فى عصور كانت العلوم فيها ناشئة وكان العلماء يرحلون للحديث من بلاد الى بلاد فكيف بهـذا العصر الذى سـهل الاطلاع فيه على كل علم وكل مسألة بواسطة المطابع وتوفر الكتب والمراجع ، وكثرة وجود المؤتمرات العلمية والدراسات المنظمة ، وكثرة وجود المكاتب والفهارس والصحف والمجلات والمذياع ونحو ذلك . وحينئذ فشروط الاجتهاد الآن متوفرة وسهلة أكثر منها فى كثير من الأزمان وعلى كل حال فباب الاجتهاد يجب أن يكون مفتوحا الى الآن وفى مستقبل الأيام ما دام القرآن والحديث موجودين وما دام للناس عقول وافهام .

الدين والشرع ضمن العقل لا فوقه

أى ليس خارجاً عنه ولا مناقضاً له

ان كثيرا من العلماء الجامدين يعتقدون أن الدين والشرع فوق العقل أى لا يلزم أن يكون كله معقولا بل كثير من أحكامه تعبدية أى أن الله تعالى قد تعبدنا بالعمل بها وان لم تكن معقولة المعنى . وكان هذا الاعتقاد قد سرى لبعض المسلمين من معتقـدات المسيحيين القائلين بأن الدين لا يدخل تحت طور العقل حيث ان هؤلاء قد وجدوا ان تعاليمهم الدينية وعقائدهم الكنيسية غير معقولة ، فقالوا بذلك والحقيقة والواقع أن دينهم الحقيقى الأصلى شىء ، وهذه التعاليم والعقائد الموجودة عندهم الآن شىء آخر . اذ أن هذه كما انها خارجة عن طور العقل فهى خارجة أيضا عن حقيقة الدين المسيحى الأصلى لأن كل محتويات الأديان معقولة وان كره الجامدون من أهل كل دين .

كيف صح للناس أن يقولوا بأن شيئا من أى دين من الأديان خارج عن العقل مع أن العقل له رقابة واشراف وسلطة على كل شىء من الأمور الدينية والكونية والطبيعية وله حرية البحث والتنقيب عن كل شىء فى السموات والأرض وما بينهما ، وعن كل شىء نزل فى الكتب السماوية

فالله تعالى قد خلق العقل وجعله مهيمنا على كل شيء وأنزل الكتب السماوية وأوصاها بمرافقة العقل وموافقته فى كل شيء فالدين هو العقل (ولا دِينَ لِمَنْ لا عَقْلَ لَه) كما فى الحديث الشريف . فلو ورد فى الكتاب شيء يخالف بظاهره العقل يجب تأويله بما يجوزه العقل ويساعده فلا يجب الايمان عندنا بغير معقول باتفاق جميع المسلمين خلافا لبعض الملل كالنصارى الذين منعوا العقل من أن يخالف فى بحثه شيئا من كتبهم المقدسة وأوجبوا على أنفسهم الايمان بغير المعقول حتى جعلوا الايمان بغير المعقول أساسا وأصلا من أصول دينهم .

أما دين الاسلام فهو دين الفطرة أى الخلقة والطبيعة وهو دين العقل والعلم . قال تعالى فى سورة الروم (فَأَقِمْ وَجْهَكَ للدين حَنيفاً فِطْرَةَ اللهِ التى فَطَرَ الناسَ عليها لا تَبْدِيلَ لخلق اللهِ ذلكَ الدينُ القَيِّمْ ولكن أكثرَ الناسِ لا يعلَمُونَ) . فالفطرة والعقل والعلم والدين عندنا لا يفترق بعضها عن بعض ولا تختلف فى شيء ما بل كل منها يوافق الآخر ويعضده كما سيأتى بيانه فى تصريحات الآيات القرآنية الكثيرة .

على انه لو كان الشرع فوق العقل كما يقول هؤلاء الجامدون لما كلفنا الله به حيث قال تعالى (لا يكَلِّفُ اللهُ نفساً إلاَّ وُسْعَهَا) أى بدنيا وعقليا ، فلا يكلفنا بما ليس فى وسع عقولنا ولا بما فوق مداركنا كما لا يكلفنا بما ليس فى وسع أبداننا وبما ليس تحت طاقة جوارحنا بل كل ما يكلفنا الله به من كل شيء هو مستطاع معقول مفهوم أى لا يكلفنا الا بشيء مستطاع لأجسامنا أن تعمله ولعقولنا أن تفهمه وان كانت عقول البعض منا قد لا تفهم ذلك ولا تدركه ولا تعرفه لعدم الاعتناء به أو عدم البحث والتنقيب عنه فهو فى وسع العقل وان كان العقل قد أهمل فهمه والبحث فيه .

فكل حكم شرعى وكل أمر دينى هو ضمن العقل لا فوقه كما يدل على ذلك كثيرا من آيات القرآن منها قوله تعالى (إنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرآناً عَرَبياً لعلكم تعقلون) وقوله فى آية أخرى (إنّا جَعلناهُ قرآناً عَرَبيًّا لعلكم

تعقلون) أى انما جعلناه بلغتكم العربية لتعقلوا وتفهموا كل ما تضمنه من الاحكام الشرعية والأمور الدينية والعلوم الكونية وغيرها فهذه الآيات تفيد أن كل ما فى القرآن ضمن العقل لا فوقه اذ لو كان فوق عقل البشر لما نزل على البشر ولكان انزاله علينا عبثا .

ومنها قوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنا من رسولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لهم) فهذه الآية صريحة فى أن كل الأديان معقولة للانسان يجب أن تبين له بالدليل والبرهان . ومنها قوله تعالى (قُلْ هاتُوا برهانَكم إِن كنتم صادقينَ) فهذه الآية تكلف كل من يدعى دعوى أو يقول قولا سواء كان دينيا أو دنيويا أن يأتى عليه بالبرهان خصوصا عند الانكار . ومما يشعر بذلك أيضا قوله (ان كنتم صادقين) أى ان الصادقين لا يعدمون برهانا على صدق قولهم أو عملهم اذ أن الصدق دليله معه . ومنها قوله تعالى (كتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرآناً عربيًّا لِقومٍ يعلمون) اذ لا شك ان الكتاب العربى المفصل لمن يريد أن يعلم ويفهم انما هو تحت العقل لا خارج عنه . وكذا قوله (وكلَّ شيءٍ فَصَّلْناهُ تفصيلاً) أى كل شىء من الأمور الدينية ولاشك أن الشىء المفصل للانسان هو داخل تحت عقله والالما كان مفصلا وموضحا له .

ومنها قوله تعالى فى سورة ص (كتابٌ أنزلْناهُ إِليكَ مباركٌ ليدّبروا آياتهِ) فانها تفيد أن كل آيات القرآن المشتملة على الأمور الشرعية وغيرها قد جعلها الله تعالى تحت تدبر العقل وتصرفه بحيث لا تخرج عنه ولا تفلت منه .

ومنها قوله تعالى فى سورة البقرة (كذلك يُبَيِّنُ اللهُ لكم الآياتِ لعلكم تتفكَّرونَ فى الدنيا والآخرة) . فان هذه الآية تجعل جميع أمور الدنيا والآخرة تحت تفكير العقل وتحت بحثه ونظره .

ومنها قوله تعالى فى سورة البقرة (إِنَّ فِى خَلْقِ السمواتِ والأرضِ واختلافِ الليلِ والنهارِ والفلكِ التى تَجْرِى فى البحرِ بما يَنْفَعُ الناسَ وما أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السماءِ مِنْ ماءٍ فأَحيا به الأرضَ بعد موتِها وبَثَّ فيها من كل

دابَّةٍ وتصريفِ الرِّياحِ والسحابِ المسخَّرِ بينَ السماءِ والأرضِ لآياتٍ لقومٍ يعقِلونَ) . تدبر أيها العاقل فى هذه الآية وانظر كيف ان الله تعالى قد جعل للعقل سلطة البحث والنظر والتفكير فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار الى آخر ما ذكره فى هذه الآية من الأمور العظيمة الدقيقة التى ربما كان البحث فى كثير منها أدق وأصعب من البحث فى حكمة تشريع الأحكام الدينية المتعلقة بأعمال الانسان التى يقول عنها الجامدون انها فوق العقل

ومنها قوله تعالى فى سورة النحل (وَسَخَّرَ لكم اللّيلَ والنهار وَالشمسَ والقمرَ والنجومُ مسخراتٌ بأمرِهِ إن فى ذلكَ لآياتٍ لقومٌ يعقلون)

ان هذه الآية تفيد أن الله تعالى سخر لنا هذه الكواكب العظيمة وجعل لعقولنا سلطة البحث عنها ومعرفة حركاتها وسكناتها وتأثيراتها ومنافعها الى غير ذلك مما هو أدق من معرفة منافع وفوائد حركاتنا وسكناتنا الناشئة عن التكاليف الشرعية ومعرفة آثارها ونتائجها ومنافعها.

ومنها قوله تعالى فى سورة الروم (ومِن آياتِهِ يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وطَمَعاً ، ويُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فيُحيى به الأرضَ بعدَ موتِها إنَّ فى ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقلونَ) . فهذه الآية قد أعطت لعقولنا سلطة البحث عن البرق وسببه وكيفية انزال الماء من السماء وما ينتج عنه من الأحياء الى غير ذلك مما هو أصعب من البحث عن الأحكام الشرعية وأسباب التكليف بها .

ومنها قوله تعالى فى سورة النحل (وإنَّ لَكُمْ فى الأنعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فى بُطونِه من بينِ فَرْثٍ ودَمٍ لَبَناً خَالِصاً سائغاً للشاربينَ ومِن ثمراتِ النَّخِيلِ والأعنابِ تتَّخِذُونَ مِنه سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إنَّ فى ذلكَ لآيةً لقومٍ يَعْقِلونَ) فهذه الآية قد جعلت تحت تصرف العقل البحث عن أسباب وكيفية استحالة الفرث والدم القذرين الى لبن خالص سائغ للشاربين ، ومعرفة كيفية ذلك أدق من معرفة أسباب حل الشىء وحرمته .

ومنها قوله تعالى فى سورة الرعد (وفى الأرض قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وجَنَّاتٌ من أعنابٍ وزَرْعٌ ونخيلٌ صِنْوانٌ وَغَيرُ صِنْوانٍ يُسقَى بماءٍ واحدٍ ونُفَضِّلُ بَعضَها عَلَى بَعْضٍ فى الأُكُلِ إنَّ فى ذَلك لآياتٍ لقومٍ يَعْقلونَ) .

فهذه الآية توعز لعقولنا أن تبحث وتتعقل وتفهم كيف أن جميع هذه الأشياء مع كونها مزروعة فى قطع متجاورات من الأرض وتسقى بماء واحد ومع ذلك فهى مختلفة تمام الاختلاف فى الشكل والطعم واللون والرائحة . وما هى أسباب هذا الاختلاف ، وعلل هذا التفاوت مما يدلنا صراحة على أن الله تعالى قد جعل تحت ادراك عقل الانسان كل شىء فى السموات والأرض مما له أدنى تعلق وارتباط بالانسان فكيف لا يجعل تحت ادراك عقله معرفة حكمة أفعاله وسبب مشروعية أعماله التى هى ألصق شىء به وأسهل شىء عليه .

ومنها قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِن دونِكُم لا يَألونكُم خَبَالاً وَدُّوا ما عَنِتُّمْ قد بَدَتِ البغضاء من أفواهِهِم وما تُخفى صدورُهم أكْبَرُ قد بَيَّنا لكم الآياتِ إن كُنتم تعقلون) فهذه الآية الكريمة تنهانا عن اتخاذ بطانة من غيرنا وتربط النهى بقولها (ان كنتم تعقلون) مما يدل على أن أسباب النهى معقولة ، الى غير ذلك من الآيات الكثيرة التى تفيد أن الأوامر والنواهى وكل مسائل الشرع مما يدرك بالعقل ، وأن الأديان كلها معقولة مفهومة رغم أنف الجامدين من أهل كل دين . وعليه فان كل ما يكلف به الانسان وكل ما نزل عليه من الكتب المقدسة وكل آية من آياتها يجوز للانسان أن يبحث فيها ويفهم ما يحتمله اللفظ منها ولا يجب عليه أن يقلد غيره فى فهمها ما دام هو أهلا للفهم والتدبر خصوصا اذا كان فهم الغير وتفسيره ليس مستندا الى دليل صحيح ولا الى نقل ثابت عن المعصوم .

ولذلك كله فاننى ما وجدت حرجا فى أن أبحث فى آيات القرآن الكريم أبحاثا غير أبحاث المفسرين ، وأن أرى غير آرائهم وأفهم غير أفهافهم ، وأن أنشر هذه الأبحاث والآراء والأفهام فى كتاب خاص ما دامت منطبقة

على اللغة والعقل مستندة الى الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، فان أصبت فيها فهذا ما أرجوه وأتمناه ، وان أخطأت فانى استغفر الله .

وقد بلغت هذه البحوث مائة وستين بحثا جعلتها فى ثمانية أجزاء وكنت ألفت قبل كتابى هذا تسعة عشر مؤلفا صغيرا فى مواضيع مختلفة بعضها طبع وبعضها لم يطبع ولذلك حينما ألفت هذا الكتاب لم أجد لى غنى عن نقل بعض ما فى تلك المؤلفات وجعلها ضمن هذا الكتاب عندما وجدت مناسبة ولزوما لذلك ، واننى الآن أشرع بعون الله فى المقصود متكلا على المولى المعبود فأقول :

البحث الأول

الشفاعة فى الإسلام والفداء فى النصرانية

بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله رب العالمين ، الذى أذن لصفوة خلقه من الأنبياء والمرسلين بالشفاعة للعصاة والمذنبين ، والوساطة للخطاة الآثمين ، فى اقلاعهم عن الذنوب والآثام ، وتركهم للمعاصى والاجرام ، وابعادهم عن الخطيئات والسيئات ، وتبديلها بالأعمال الصالحة والمبرات ، والاستعاضة عنها بفعل الخيرات والحسنات لينالوا بذلك أعلى المراتب والدرجات ويستحقوا بها جزيل الثواب فى فسيح الجنات ، والصلاة والسلام على صاحب الشفاعة العظمى ، والوساطة الكبرى ، والوسيلة الحسنى ، والمقام الاسمى محمد خاتم الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين الى يوم البعث والجزاء والدين .

السبب الذى دعانى

للبحث فى موضوع الشفاعة

كنت ذات ليلة من ليالى رمضان سنة ١٣٤٩ هـ فى مجلس بديوان حضرة الوجيه السيد ابراهيم العلمى الغزى ، اذ قرأ بعض حفاظ القرآن الشريف عشرا متضمنا لبعض آيات الشفاعة فسألنى اذ ذاك حضرة الدكتور السيد توفيق حتحت الغزى عن معنى الشفاعة وكيفيتها وما المراد منها فقلت له : هل تريد أن أجيبك على ذلك حسب المعنى المشهور بين الناس أم حسب ما أرى وأفهم فى معنى آيات الشفاعة ، فقال : بل حسب ما ترى

أنت وتفهم لأن الفكرة المشهورة معلومة للجميع ، فبينت له مجمل ما ستراه مفصلا فى هذا البحث ، فعندها قبل هذه الفكرة جماعة من الحاضرين وأنكرها آخرون وسكت الباقون .

واذا بالناس فيما بعد يتحدثون فى المجالس بأننى أنكرت شفاعة الأنبياء وجحدت الشفاعة العظمى لخير الأصفياء ، ثم أخذ العلماء بعد ذلك يدرسون فى مساجد غزة فى هذا الموضوع ردا على وتنديدا بى ، وانكارا لما قلت ، مع أنهم لم يسمعوا ذلك منى مباشرة وانما بلغهم ممن ينقلون الكلام بلا فهم ولا تدبر ، ويروون الحديث بلا تحقق ولا تثبت. وأنا وان كنت قد سامحت هؤلاء فيما قالوه عنى ونسبوه الى من غير علم ولا هدى الا أننى رأيت من الواجب ازالة لما ألصقوه بى وبيانا لحقيقة ما قلته أن أضع هذا البحث لتفصيل هذا الموضوع وتحقيقه .

وقبل الشروع فيه أرجو ممن يريد أن يطلع عليه أن يتفكر ويتمعن جيدا فى معنى الآيات التى سأوردها وفى تطبيق هذه الفكرة عليها ، فان وجدنى مصيبا فيها فهذا ما ألهمنى الله اياه ، وان وجدنى مخطئا فلست أول من أخطأ وانى استغفر الله .

الشفاعة بالمعنى المشهور بين الناس

أمر لا يليق بالله تعالى ولا بأحد من رسله

ان الشفاعة بمعنى توسط أحد الأنبياء أو الخواص يوم القيامة بين الله تعالى وبين المذنب العاصى المشفوع له فى اسقاط ذنبه وعدم مؤاخذته على جرمه كما هو المشهور بين الناس أمر لا يليق بالله تعالى ولا بأحد من رسله العظام عليهم الصلاة والسلام . أما كونه لا يليق بالله تعالى فلأن الشفاعة بهذا المعنى تشعر :

(أولا) بأن الشفيع قد يكون أعلم بحال المشفوع له من المشفوع عنده وهو الله تعالى فينبؤه الشفيع بما خفى عنه من حاله ويبين له وجه استحقاقه لغفران ذنبه واسقاط جرمه عنه وعدم مؤاخذته عليه .

(ثانيا) لأنها تشعر بأن الشفيع قد يكون أرحم بالمشفوع له من المشفوع عنده وهو الله تعالى أو هو أوسع صدرا منه وأشفق وأرأف عليه ولذلك توسط له عنده فى غفران ذنبه ومسامحته فيه .

(ثالثا) لأنها تشعر بأن الشفيع قد يثنى الله تعالى عن عزمه ويحوله عن ارادته فيما يتعلق بحال المشفوع له كما يحصل مثل ذلك فى شفاعة الشفعاء عند الملوك والحكام من البشر فيعدلون بهم عن ارادتهم ويحولونهم عن عزمهم فيتحولون اما لرغبة فى مودة الشفيع أو المشفوع له أو لرهبة من أحدهما أو لاحتياجه للاستعانة بأحدهما فى بعض الأمور أو لمحاباة أو لحياء أو لاقتناع من كلام الشفيع أو لتأثر من رجائه واستعطافه الى غير ذلك من الأسباب الكثيرة التى تؤدى الى قبول شفاعة الشفعاء مما لا يليق واحد منها بالله جل وعلا .

ولا يصح أن يقال أن ذلك كله منفى هنا فى هذا المقام بالنسبة الى الله تعالى لأنه لا يشفع عنده أحد الا باذنه فهو يأذن أولا فى الشفاعة للشفيع فيشفع وحينئذ فلا يتصور شىء مما ذكر . لأننا نقول اذا فسرنا الشفاعة بالمعنى المشهور بين الناس لا يكون معنى اذنه تعالى فى ذلك الا كمن يقول للشفيع اننى أريد أن أغفر لزيد ذنبه وأسامحه فى خطيئته ولكننى لا أريد أن أفعل ذلك ابتداء من نفسى ، بل برجاء واستعطاف منك فتعال أنت وتشفع لهعندى أمام الناس ليعلموا أوليظنوا أن مسامحتى له وغفران ذنبه انما كان بواسطتك وبرجاءك وبشفاعتك . ولا يخفى ما فى ذلك مما لا يليق بالله تعالى من الايهام والتلبس والمداجاه والتصنع التى لا يحتاج الله تعالى اليها مع عبيده وخلقه ولا يليق حصولها منه مع أنبياءه ورسله ، فاذا كان الله تعالى يريد أن يغفر ذنب أحد ويسامحه فيه ، فما الذى يدعوه الى هذا التصنع وترك الصراحة وسلوك هذه الطريقة التى لا يسلكها الا خائف أو مخادع أو متصنع فى أموره ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فهو سبحانه اذا أراد أن يغفر لأحد ذنبه فانما يغفره بمجرد ارادته ومحض مشيئته بدون توسط أحد ما ولا شفاعته . قال تعالى فى

سورة المائدة « يغفر لمن يشاء ويعـذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما واليه المصير » .

وأما كون هذه الشفاعة بهذا المعنى لا تليق بأحد من الأنبياء والمرسلين بل ولا بأحد من الأولياء أو العلماء أو الشهداء أو الصديقين أو الصالحين فضلا عن أعقل الخلق وأفضلهم أجمعين ، فلأن الشفاعة بمعنى توسط واحد من هؤلاء فى اسقاط الذنب عن المذنب وعدم مؤاخـذة المجرم العاصى لله تعالى المخالف لأوامره ونواهيه هى جراءة منهم على الله تعالى وتدخل فى شؤونه وشؤون خلقه التى هو أعلم وأولى بها منهم ومحاولة له فى عدم اجراء العدالة بين الناس وعدم معاقبة من يستحق العقاب منهم وتسبب فى المحاباة أو تصنع أمام الناس او ايهام ومداجاة لهم ممالايليق شىء من ذلك بأحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسـلام . اذ من المعلوم أنه لو توسط أحد من النـاس وشفع لدى الحاكم القضائى فى اسقاط الجزاء عن المجرم لعددنا ذلك نقيصة فى حق الشفيع لأنه يحاول بذلك تحويل العدالة عن مجراها الطبيعى ، ولاتهمنا هذا الشفيع بغرض شخصى أو منفعة ذاتيـة أو بتصنع لا يليق ، ولاتهمنا الحاكم أيضا اذا أطاعه فى شفاعته بمثل ذلك أيضا ، أو اتهمناه بالمحاباة التى هى أنقص خلة وأشنع خصلة وأقبح صفة للحكام . فاذا كان هذا العمل لا يليق بأحط الناس مع أحط الحكام فكيف يليق بالأنبيـاء مع الله تعالى وهم أعلم الناس بعظمته وأشدهم مخافة منه .

الشفاعة بالمعنى المشهور تنافى العدالة

وتجرؤ الناس على فعل الذنوب وتشبه الفداء عند النصارى

ان الشفاعة بمعنى التوسط فى اسقاط الذنب عن المـذنب وعدم مؤاخذة المجرم هى ضد العدل وتحويل له عن مجـراه الطبيعى . لأنه لا يخلو الحال اما أن تكون هذه الشفاعة لمذنب دون مذنب وهذا هو عين المحاباة والظلم واما أن تكون لجميع المذنبين وهذا هدم لجميع الشرائع

الالهية وعدم اعتبار لانذارها ووعيدها ، وعدم اكتراث بزجرها وتهديدها واستغناء عن وعظها وارشادها بل عدم تمييز بين المطيع والعاصى اذ أنه لا فرق حينئذ بينهما فى عدم عقابهما وفى دخولهما الجنة . الا بأن المطيع قد وصل الى ذلك بطاعته وعمله الطيب ، والعاصى قد وصل اليه بشفاعة الشافعين ، ولا يخفى ما يترتب على هذا الاعتقاد من التهاون بالأعمال الطيبة الصالحة والتجاسر على الأعمال القبيحة السيئة مما يفسد نظام العالم ، ويعرقل رقى وسعادة الأمم .

على أن ذلك مناقض تمام المناقضة لكثير من الآيات القرآنية كقوله تعالى « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خيراً يَرَهُ ، ومن يَعْمَلْ مثقالَ ذَرَّةٍ شرًّا يَرَه » وقوله تعالى (لها ما كَسَبَتْ وَعليها ما اكْتَسَبَتْ) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة الواردة فى هذا الشأن والصريحة فى أن كل انسان لا بد وأن يجازى على عمله من خير أو شر مهما كان قليلا جدا ، وهـذا هو عين الانصاف والعدالة وضده هو الظلم والمحاباة .

واننى أرى أن الشفاعة بالمعنى المشهور بين المسلمين هو أشبه شىء بالفداء عند النصارى فى اعتقاد أن كلا منهما يسقط الخطايا عن المخطئين بعد فعلها ويذيل الذنوب عن المذنبين بعد ارتكابها ، ولا شك أن هذا الاعتقاد يجسر على الذنوب ويجرىء على ارتكاب المعاصى مع أن كلا من الفداء والشفاعة له معنى آخر حسن صحيح غير ما فهمه الجمهور فيهما مما لا يترتب عليه شىء من ذلك .

وبيـان ذلك : أن الفداء الوارد فى الانجيل ليس معناه الا أن عيسى عليه السلام قد تحمل أنواع المشقات والمتاعب حتى الموت فى سبيل هداية أمته وارشادهم واخراجهم من الكفر الى الايمان وابعادهم عن الذنوب والمعاصى والآثام ، فهو قد فداهم من ذلك بنفسـه وقدمهم على شخصه شأن كل نبى مع أمته ، فان كل واحد منهم كان يجاهد أقصى المجاهـدة فى تنفيذ الغرض الذى أتى اليه ، وهو هداية الناس الى الله تعالى ولو بموته فى هذا السبيل ، أو تحريقه كابراهيم ، أو قطع رأسه

كيحيى ، الى غير ذلك من أنواع البلايا والمصائب الكبيرة ، والمشقات والمتاعب الكثيرة التى تحملها الأنبياء فى سبيل هداية أممهم واسعادهم ، وحينئذ فليس معنى كون عيسى عليه السلام فدى أمته أنه أسقط عنهم عقاب أثامهم ، وأزاح عنهم تبعة ذنوبهم واجرامهم ، بحيث لا يعاقبون عليها بعد فعلها ، ولا يحازون عليها بعد ارتكابها كما يفهم النصارى حيث يقولون فى أناجيلهم (ان دم المسيح على الصليب هو كفارة لجميع من آمن بصلبه) بل يقول يوحنا فى الاصحاح الثانى من رسالته الأولى (وان أخطأ أحد منا فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار هو كفارة لخطايانا ، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضا) فهذه الكفارة وهذه الشفاعة ليس معناهما كما يفهمها النصارى فى أنها تسقط ذنوبهم بعد فعلها . كما أن الشفاعة فى الاسلام ليس معناها كما يفهمه المسلمون من أنها سوف تسقط عنهم ذنوبهم يوم القيامة بحيث لا يعاقبون أيضا عليها فى ذلك اليوم . ان هـذا مما لا يسوغه العقل ولا تقبله الشرائع خصوصا الفداء بالمعنى الذى يقوله المسيحيون من أن غفران الخطايا انما يكون عن طريق الاعتقاد بصلب المسيح .

وقد رأيت فى كتاب (الحياة بعد الموت أو على حافة العالم الأثيرى) فى علم استحضار الأرواح للمستر (فندلاى) المسيحى ما نصه : اننى استحضرت مرة روح قسيس مات من نحو قرن فقال لى اننى لم أخطو خطوة فى سبيل التقدم فى عالم الأرواح الأثيرى الا بعد أن وصل الى من عالم المادة آخر شخص كان قد حضر مجتمعاتى ومواعظى فى الكنيسة فقلت له : لماذا فأجابنى لأنه كان يدعو الى تعاليم المسيحيين ويعظ الناس بأن غفران الخطايا انما يكون عن طريق الاعتقاد بصلب المسيح ، وان العقاب واقع لا محالة بكل من لا يعتقد هذا الاعتقاد ، فكنت أنتظر كل واحد يفد على فى العالم الأثيرى ممن حضروا مواعظى فى الكنيسة لأقول له أننى كنت مخطئا فى ذلك ، واننى كنت أعطيكم فكرة خاطئة عن الحياة الآتية بعد الموت .

وهذا ونحوه مما يدل على أن الفداء بهذا المعنى انما هو خطأ فى الفهم، وان كان صحيحا من حيث الأصل وسأبين فيما سيأتى ما هو المراد من الفداء فى النصرانية ومن الشفاعة فى الاسلام حسب ما يفيد الانجيل والقرآن ، وانهما بالمعنى الذى يعتقده الناس لا دليل عليه من الكتب المقدسة بل بالعكس انما تدل على عدم صحته .

الآيات القرآنية الصريحة

فى أن الشفاعة يوم القيامة ولو كانت من نبى لا تقبل ولا تنفع ولا تطاع ولا يملكها أحد ولا تغنى عند الله شيئاً يوم القيامة

ان الشفاعة بمعنى توسط أحد من الخلق مهما كان عظيما بين الحاكم المطلق وهو الله تعالى وبين أحد العصاة المذنبين فى اسقاط ذنبه وغفرانه يوم القيامة أمر غير مقبول وغير نافع ولا مطاع ولا يغنى عند الله شيئا فى ذلك اليوم بمقتضى صريح آيات كثيرة من القرآن الحكيم .

الآية الأولى : قوله تعالى فى سورة البقرة ٤٨ « واتَّقُوا يوماً لا تَجزِى نفْسٌ عن نَفْسٍ شيئاً ولا يُقْبَلُ منها شفاعَةٌ ولا يُؤْخَذُ مِنها عَدْلٌ ولا هم يُنْصَرُون » . فان هذه الآية صريحة فى نفى الشفاعة مطلقا ، وعدم قبولها يوم القيامة من ثلاث وجوه : —

١ — من جهة قوله « لا تجزى نفس عن نفس شيئا » فانها تفيد أن مطلق نفس ولو كانت نفس نبى لا تجزى عن مطلق نفس أخرى شيئا يوم القيامة ، فلو كانت هناك شفاعة لأجزت نفس عن نفس وهذا ضد الآية .

٢ — من جهة قوله « ولا يقبل منها شفاعة » فانها نكرة فى سياق النفى فتعم كل شفاعة من أى شخص أى لا تقبل يوم القيامة شفاعة أحد ولو كان نبيا مرسلا .

٣ — من جهة قوله « ولاهم ينصرون » فلو كان أحد الأنبياء شفيعا لأحد العصاة يوم القيامة ، لكان هؤلاء العصاة منصورين من طرف هؤلاء

الأنبياء وهو خلاف الآية ولكان الأنبياء ناصرين لمن يعصى الله تعالى وهذا ما لا يليق بهم .

الآية الثانية : قوله تعالى فى سورة البقرة ١٢٣ أيضا « واتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِى نَفْسٌ عن نفسٍ شيئاً ولا يُقْبَلُ منها عَدْلٌ ولا تَنفَعُها شَفَاعَةٌ » فان هذه الآية صريحة فيما تقدم بيانه فى الآية الأولى وصريحة أيضا فى أن أى نفس لا تنفعها يوم القيامة شفاعة أى نفس أخرى ولو كانت نفس نبى.

الآية الثالثة : قوله تعالى فى سورة المدثر ٤٨ « فَمَا تَنفَعُهُم شَفَاعَةُ الشَّافعينَ » أى فى يوم سقر كما هو صريح الآية قبلها . وضمير « فما تنفعهم » راجع للمجرمين فى الآية قبلها وهى صريحة فى أن المجرم العاصى لا تنفعه يوم القيامة شفاعة أحد ما ولو كان نبيا مرسلا .

الآية الرابعة : قوله تعالى فى سورة المؤمن ١٨ « وأَنْذِرْهُم يومَ الآزفَةِ إِذِ القلوبُ لَدَى الحَناجِرِ كاظمِينَ ، ما لِلظَّالمينَ مِنْ حَمِيمٍ ولا شَفِيعٍ يُطَاعُ . يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ » فان هذه الآية تفيد أنه فى يوم الآزفة لا يوجد للظالمين أو المجرمين العاصين حميم ولا شفيع مطاع مطلقا ، ولو كان رسولا لأنه تعالى يعلم من حال المشفوع له ما لا يعلمه أحد غيره مما تخونه الأعين وتخفيه الصدور .

الآية الخامسة : قوله تعالى فى سورة يس ٢٣ « إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عنِّى شفَاعَتُهُمْ شيئاً ولا هُمْ يُنْقِذُونِ » فانها صريحة فى أن الله تعالى اذا أراد أحدا بضر لا تغنى عنه شفاعة الشافعين شيئا ولا ينقذونه مطلقا من هذا الضر ولا يثنون الله عن عزمه ولا يحولونه عن ارادته فى ذلك أصلا .

الآية السادسة : قوله تعالى فى سورة الانفطار ١٩ « ومَا أَدْرَاكَ ما يَوْمُ الدِّينِ . ثمَّ مَا أَدْرَاكَ ما يومُ الدِّينِ . يومَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لنفسٍ شيئاً والأمرُ يومئذٍ للهِ » فان هذه الآية صريحة فى أن مطلق نفس لا تملك يوم القيامة لمطلق نفس أخرى شيئا لا شفاعة ولا غيرها ، بل

الأمر كله والشفاعة كلها يومئذ لله وحده بلا توسط أحد ما بل بمجرد ارادته ومحض مشيئته . قال تعالى فى سورة الفتح « وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمواتِ والأرضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يشاءُ ويُعذِّبُ من يشاءُ » .

الآيات القرآنية الصريحة

فى أن الشفاعة مطلقاً لا وجود لها يوم القيامة أصلا

الآية الأولى : قوله تعالى فى سورة البقرة ٢٥٤ « مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يومٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ ولا شَفَاعَةٌ » فهذه الآية أصرح من الصريح فى نفى الشفاعة من أى أحد ما مطلقا يوم القيامة ، لأن لفظ الشفاعة نكرة فى سياق النفى فتكون عامة عموما كليا .

الآية الثانية : قوله تعالى فى سورة الأنعام « وأَنْذِرْ بِهِ الذينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إلى رَبِّهِمْ ليسَ لهم من دونهِ ولىٌّ وَلَا شفيعٌ لعلهم يَتَّقُونَ » ان هذه الآية واردة فى حق الكافر وفى حق المذنب أيضا بدليل قوله « لعلهم يتقون » وهى تفيد أنه لا يوجد يوم الحشر شفيع ما من دون الله فى أى جرم ما مطلقا ، لأن لفظ (شفيع) نكرة فى سياق النفى فيكون عاما كما سبق .

الآية الثالثة : قوله تعالى فى سورة الأنعام ٥١ أيضا « وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ ليسَ لها من دون اللهِ وَلِىٌّ وَلا شَفِيعٌ » فانها صريحة فى أن النفس تبسل أى ترهن وتعاقب يوم القيامة بما كسبت من الذنوب وأنه ليس لها من دون الله شفيع فى ذنبها مطلقا .

الآية الرابعة : قوله تعالى فى سورة الأعراف ٥٢ « فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفعاءَ فَيَشْفَعُوا لنَا أَو نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غيرَ الذى كُنَّا نَعْمَلُ » فانها تتضمن معنى التحسر على عدم امكان وجود شفعاء لهم يوم القيامة على ذنوبهم وعلى عدم امكان رجوعهم الى الدنيا ليعملوا أعمالا حسنة غير التى كانوا قد عملوها من الأعمال السيئة . فهذه الآية تفيد عدم وجود شفعاء يوم القيامة .

الآية الخامسة : قوله تعالى فى سورة الشعراء ١٠٠ « (وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا

الْمُجْرِمُونَ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ » أى فى يوم أن تبرز الجحيم للغاوين ويختصمون فيها كما فى الآية قبلها . فهذه الآية دالة على عدم وجود شفيع مطلقا يوم القيامة وعلى عدم وجود صديق حميم فيه يشفع للانسان فى معاصيه اذ الانسان انما يجد عمله فقط فى ذلك اليوم فهو شفيعه الحقيقى وهو صديقه الوفى .

الآية السادسة : قوله تعالى فى سورة السجدة ٧٠ « مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ » فان لفظ شفيع نكرة فى سياق النفى فتنفى وجود أى شفيع يوم القيامة من دون الله مطلقا ولو كان نبيا مرسلا.

الآية السابعة : قوله تعالى فى سورة الزمر ٤٤ « قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » فانها صريحة فى أن الشفاعة جميعها أى الشفاعة لكل الناس فى كل الأجرام ليست الا لمن له ملك السموات والأرض وهو الله وحده . فليس لأحد دونه شفاعة مطلقا لا لرسول ولا لنبى ولا لولى ولا لعالم ولا لشهيد ولا لصديق ولا لصالح ولا لغيرهم مطلقا لأن الشفاعة تتضمن معنى المشاركة مع المشفوع عنده فى جلب المنفعة للمشفوع له أو دفع الأذى عنه حيث أن الشفاعة لغة مأخوذة من الشفع ضد الوتر فالمشفوع عنده بعد أن كان فردا فى هذا العمل أصبح بانضمام الشفيع اليه فى ذلك شفعا وزوجا وأصبحا معا شركاء فى جلب المنفعة أو دفع الأذى عن المشفوع له وهذا ما لا يرضاه الله تعالى لنفسه ولا تجوزه آيات كتابه قال تعالى « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ » .

الآيات القرآنية الصريحة

فى أن الله تعالى يعتبر الشفاعة عنده شركاً له

ويعد الشفيع شريكا والمستشفع بغيره تعالى مشركا به

مع بيان معنى الشفاعة فى اللغة ، وأنها تتضمن هذا المعنى بعينه

الآية الأولى : قوله تعالى فى سورة يونس ١٨ « وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ

سُبحَانَهُ عَمَّا يُشرِكُونَ » فان هذه الآية صريحة فى أن اعتقاد وجود شفعاء عند الله تعالى هو شرك محض واعتقاد بأن الله تعالى لا يعلم كل ما فى السموات والأرض وأنه يحتاج الى وسطاء وشفعاء وشركاء يعينونه وينبئونه ويعلمونه بحال المشفوع لهم ويتوسطون لهم فى غفران ذنوبهم عنده ، وصريحة أيضا فى أنـه يعتبر الشفعاء شركاء والمستشفعين بهم عنده مشركين لهم به .

الآية الثانية : قـوله تعالى فى سورة الأنعام ٩٤ « وَمَا نَرى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الذينَ زَعَمْتُمْ » فان هذه الآية تتضمن معنى التبكيت لمن يزعم بأن له شفيعا عند الله تعالى لأنه يكون كمن يزعم أن لله شريكا اذ أن الشفيع شريك للمشفوع عنده .

الآية الثالثة : قوله تعالى فى سورة الزمر : « أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ » فان هذه الآية تبكيت أيضا لمن يتخذون من دون الله شفعاء مطلقا لأنهم كمن يتخذون من دونه شركاء لأن الشفعاء شركاء للمشفوع عنده كما تقدم .

الآية الرابعة : قوله تعالى فى سورة الروم ١٣ « وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ » فهذه الآية تفيد جعل الشفعاء من الشركاء وأن المجرمين لا يستفيدون يوم قيام الساعة شيئا من هؤلاء الشفعاء مطلقا . فمن تأمل جيدا فى معنى هذه الآيات خصوصا فى معنى الآية الأولى يظهر له جليا أن الله تعالى قد اعتبر الشفاعة عنده شركا له وعد الشفعاء شركاء والمستشفعين بغيره تعالى مشركين به .

وبيـان ذلك أن من شفع لك عند أحد الحكام فى دفع الأذى عنك أو جلب المنفعة لك فقد أصبح شريكا لهذا الحاكم فى ذلك فالحاكم كان واحدا وترا فأصبح بالشفيع فى هذا الأمر اثنين وشفعا وأصبح هذا الشفيع وهذا المشفوع عنده شركاء فى دفع هذا الأذى أو جلب هذه المنفعة للمشفوع له وأصبح المستشفعون فى ذلك مشركين لهذا الشفيع مع الحاكم فى قضاء حاجتهم هذه فالشفاعة هى ضم واشراك الشفيع مع المشفوع عنده فى فعل يعود بالمنفعة على المشفوع له وهذا

هو عين معنى الشفاعة فى اللغة قال فى المصباح (شفعت الشىء شفعا من باب نفع ، ضممته الى الفرد وشفعت الركعة جعلتها اثنتين ومنه اشتقت الشفعة كغرفه لأن صاحبها يشفع ملكه بها أى يضمها اليه) انتهى .

وقال فى مختار الصحاح (الشفع ضد الوتر يقال كان وترا فشفعه) انتهى .

وقال فى القاموس (الشفع : خلاف الوتر وهو الزوج) وقوله تعالى (مَنْ يَشْفَعْ شفَاعَةً حَسَنَةً) أى من يزد عملا الى عمل انتهى .

وقال تعالى فى سورة الفجر « والشفع والوتر » فانها قابلت الشفع أى الزوج بالوتر أى الفرد . ومن ذلك يعلم أن اللغة تفسر الشفع بضم شىء الى شىء آخر واشراكه معه ويعلم أيضا أن القرآن انما يريد من الشفاعة معنى الضم والاشراك واعتبار الشفعاء شركاء والمستشفعين مشركين .

وحينئذ فهل يجوز لنا أن نجعل لله الحاكم الفرد يوم القيامة شركاء وشفعاء فى شىء ما ؟ تعالى عن ذلك علوا كبيرا . واذا كنا نتهم الحاكم البشرى بالظلم والمحاباة اذا قبل شفاعة شفيع فى حكمه فهل يجوز لنا أن ننسب ذلك الى الله تعالى وهو الحكم العدل المستغنى عن كل ما سواه والمفتقر اليه كل من عداه ان ذلك مما لا يقبله عقل ولا يرضاه ذو لب وفهم .

وعليه فقد أصبح من الواجب المحتم علينا أن نفهم فيما ورد من شفاعة الأنبياء المأذون لهم فيها معنى آخر غير ذلك المعنى المتقدم الذى هو توسطهم يوم القيامة فى اسقاط الذنب عن المذنب الذى نفاه الله تعالى على وجه الاطلاق فى الآيات السابقة وعدّه شركاً .

ما أفهمه وأراه فى معنى الشفاعة الجائزة على الله تعالى

والتى تليق برسله الأكرمين والتى ورد أنها حاصلة بإذنه تعالى

فى آيات القرآن الحكيم مع بيان أن محمداً ﷺ هو بهذا المعنى أعظم الشفعاء وإن له الشفاعة العظمى دون غيره من الأنبياء

ان الشفاعة اللائقة بالله تعالى وبرسله والتى أذن الله بها لمن ارتضاه

من خلقه هى الشفاعة بمعنى الوساطة فى الدنيا بين الخلق والخالق جل وعلا فى تبليغ الشرائع الألهية وهداية الناس الى الايمان بالله تعالى وتوحيده وارشادهم الى الأعمال الصالحة وابعادهم عن فعل الذنوب والمعاصى .

وبيان ذلك أن من تسبب لك فى الايمان ، وأخرجك من الكفر والعصيان ، وحملك على ترك الذنوب والآثام وأرشدك الى طريق العزة والسيادة ، وهداك الى سبيل النجاة والسعادة ، وأخذ بيدك الى عمل الخيرات ، والمبرات ، وتنكب بك عن فعل القبائح والسيئات ، ونظفك من أدران الفسوق والخطايا ، وألبسك لباس الطاعة لرب البرايا ، فقد شفع لك عنده تعالى وتوسط لك فى دخول الجنة وابعادك عن النار .

وأى شفاعة أحسن من هذه الشفاعة وأى وساطة أكبر من هذه الوساطة فهذه هى الشفاعة التى تليق بالرسل ويليق بالله أن يأذن لهم بها أى يرسل أنبياءه لأجلها اذ أنه يوجد فرق عظيم جدا بين التوسط فى ابعاد الخلق عن الذنوب والمعاصى وعدم فعلها وبين التوسط فى عدم مجازاتهم عليها بعد فعلها . فالأول يعودهم على تركها والثانى يجسرهم على فعلها والأول يليق بالله أن يأذن به لرسله والثانى لا يليق أن يأذن به لأحد من خلقه ولا يناسب أن يتداخل فيه أحد مطلقا اذ كيف يليق بكبار الخلق وعظمائهم كالأنبياء أن يتداخلوا مع الله تعالى فى شؤونه وحمله على غفران ذنب زيد دون عمرو وهو أعلم بقلوبهما منهم وهم أعلم الناس بعظمته تعالى وأشدهم مخافة منه . ان هذا من العقل ومن اللياقة بمكان سحيق . فالله تعالى وحده هو الذى يغفر لمن يشاء متى رآه مستحقا للغفران بحسن أعماله بدون توسط أحد ما ولا شفاعة مخلوق مطلقا . وحينئذ فالرسل عليهم الصلاة والسلام لا يصح أن يكونوا يوم القيامة شفعاء ووسطاء فى اسقاط الذنوب عن المذنبين وفى رفع العقاب عن المجرمين وانما هم شفعاء ووسطاء فى ايمان الناس بالله تعالى وفى هدايتهم فى الدنيا وفى حملهم على فعل الخيرات والمبرات فيها وفى ابعادهم عن الأجرام والسيئات المؤدى الى البعد عن النار ودخوله الجنة يوم القيامة .

نعم ان الكفر والذنوب والمعاصى التى كان قد عملها الشخص قبل ايمانه وقبل دخوله فى الدين فانه لايؤاخذ عليها ولا يعاقب بها بل تسقط عنه بمجرد ايمانه ودخوله فى الدين الذى دعى اليه كما يشير اليه الحديث الشريف بقوله (الاسلام يجب ما قبله) أى يقطع ويسقط ما قبله من الذنوب لأنه بايمانه ودخوله فى الدين الجديد قد ولد ولادة جديدة روحانية وأصبح كأنه شخص آخر ، ويكون الرسول الذى هداه الى هذا الايمان وأدخله فى هذا الدين قد شفع له فى ذنوبه التى كانت قبل الايمان وفداه منها بواسطة هدايته الى هذا الايمان وذلك حاصل فى الدنيا أيضا بواسطة وشفاعة الرسل . وبالجملة فان هذا المعنى الذى قلنا أنه حاصل فى الدنيا هو المعنى المراد من الشفاعة فى الاسلام كما أنه هو بنفسه المعنى المراد من الفداء فى النصرانية كماسيأتى تفصيله وتوضيحه.

ثم انه على هذا المعنى يظهر ظهورا واضحا كون محمد صلى الله عليه وسلم هو أعظم الشفعاء وان له الشفاعة الكبرى دون غيره من الأنبياء اذ أنه مرسل الى الناس كافة وأن دينه وشريعته باقية الى يوم القيامة دون غيره من الأنبياء فكل من آمن به واتبع دينه وعمل بشريعته ووصاياه وتعاليمه من وقت ظهوره الى يوم القيامة فهو الشفيع له وهو الواسطة فى سعادته فى الدنيا ودخوله الجنة فى الآخرة .

أما غيره من الأنبياء ففداؤهم وشفاعتهم ووساطتهم محدودة بزمن مخصوص وبأمة مخصوصة وحينئذ فمحمد دون غيره من الأنبياء هو الفادى الأعظم وهو صاحب الشفاعة العظمى والوساطة الكبرى والوسيلة العليا والمقام الأسمى فى الآخرة والأولى لأن من يدخلون الجنة بواسطته هم أضعاف أضعاف من يدخلون بواسطة غيره من الأنبياء عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام .

وهذا المعنى ظاهر واضح لاغبار عليه على فهمنا أما على الفهم المشهور فانه يكون معنى كونه صلى الله عليه وسلم أعظم الشفعاء أنه أعظم الوسطاء فى اسقاط ذنوب المذنبين ، وعدم معاقبة المجرمين ، بل

أكبرهم مناصرة للظالمين، حاشاه أن ينسب اليه هذا المعنى السقيم ، الذى لا يليق بمقامه العظيم ، والذى يأباه له العقل السليم ، والذى يعارض نص آيات القرآن الحكيم،قال تعالى « وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ » وقال أيضا « مَا لِلظَالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ يعلمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى الصُّدُرُ » .

ثم ان هذه الشفاعة بالمعنى الذى قدمناه وان كانت حاصلة فى الدنيا الا أن أثرها ونتيجتها تكون يوم القيامة بدخول الجنة فلا يتحقق معناها الا فى الآخرة فتكون الشفاعة كما هى حاصلة فى الدنيا هى حاصلة فى الآخرة أيضا وبهذا يندفع ما يتوهم من الاعتراض بأن هذا الفهم يشعر بانكار الشفاعة يوم القيامة . مع أن هذا الفهم يحقق الشفاعة ويثبتها فى الدنيا والآخرة معا . أما فى الدنيا فبتعاطى أسبابها ومقدماتها من الرسل من هداية الناس الى العمل الصالح وابعادهم عن العمل السيىء . وأما فى الآخرة فبحصول أثرها وغايتها التى هى الابتعاد عن النار ودخول الجنة ، والشىء انما يتم بنتيجته وغايته ، فالشفاعة لا تتحقق ولا تتم الا يوم الجزاء ولكن لا تكون فى ذلك اليـوم برفع الذنب عن المذنب واسقاطه عن المجرم بعد فعله كما يتوهم كثير من الناس . لأن الشفاعة بهذا المعنى تجسر الناس على فعل الذنوب فى الدنيا ما دام وراءها شفاعة الرسل والأنبياء فى الآخرة . بل ان هذه الشفاعة بهذا المعنى تنافى صريح قوله تعالى « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهْ . وَمَنْ يعمل مثقَالَ ذَرَّةٍ شرّاً يَرَهْ » وتنافى أيضا الآيات السبعة عشر المتقدمة التى تنفى الشفاعة بهذا المعنى فى الآخرة مطلقا وتعدها شركا وكفرا بل تنافى العقل والمنطق والوجدان ولا تليق بالله تعالى ولا يرسله الكرام كما تقدم تفصيله .

بيان أن حديث (شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى)

غير معقول حسب المعنى المشهور فى الشفاعة

مع بيان أن له على فهمنا معنى معقولا مقبولا على فرض صحته وعدم وضعه

(أولا) ان هذا الحديث لا يكاد يكون له معنى معقول لائق بقائله حسب المعنى المشهور فى الشفاعة اذ كأن الرسول الأعظم يقول للناس :

لا تبالوا بفعل الكبائر لأننى شفيع لكم فيها يوم القيامة وسوف أرفع عنكم جزاءها وأسقط عنكم عقابها فى ذلك اليوم ، بل كأنه يقول لهم اذا أردتم أن تكونوا من أهل شفاعتى فكونوا من أهل الكبائر فى أمتى ، وعليه فهل يليق بالنبى صلى الله عليه وسلم أن يتكلم بذلك ويجسر الناس على فعل الكبائر ويسهلها عليهم ويعدهم بأنه شفيع لهم فيها عند الله يوم القيامة حتى يستهينوا بفعلها ويتجارأوا على ارتكابها اتكالا على شفاعته لهم فيها ، ان هذا مما لا يليق أن يصدر مثله على لسان أحد الأنبياء الذين انما جاءوا لانذار الناس وتخويفهم من عاقبة الذنوب والمعاصى ليقللوا من فعلها لا ليطمنوهم بالشفاعة لهم فيها حتى يزدادوا جراءة عليها ما داموا يعتقدون أن أمامهم شفيع لهم فيها يوم القيامة .

(ثانيا) أن هذا الحديث قد نص المحققون من المحدثين على أنه حديث موضوع ومكذوب على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه لم يتكلم به قط .

(ثالثا) أنه توجد أحاديث كثيرة تناقض هذا الحديث تمام المناقضة حسب المعنى المشهور فى الشفاعة . منها ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لابنته وفلذة كبده ولعمه العباس رضى الله عنهما فى مقام نهيهما أن يتكلا عليه (يا فاطمة بنت محمد ويا عباس عم محمد أنا لا أغنى عنكما من الله شيئا يوم القيامة) .

ومنها ما رواه أبو هريرة أنه (ص) قال (لألفين أحدكم يوم القيامة وعلى رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله أغثنى فأقول له : لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك) الى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة الصريحة فى هذا المعنى . وحينئذ فكيف يناقض نفسه ويقول (شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى) مع أن سرقة الشاة التى تعلقت برقبة هذا المستغيث من الكبائر . ثم ان قوله فى هذا الحديث جوابا للمستغيث به (قد بلغتك) يفيد أن التبليغ فى الدنيا هو اغاثته وهى الشفاعة له .

(رابعا) أن هذا الحديث أى حديث (شفاعتى الخ) يعارض تمام المعارضة صريح كثير من آيات القرآن الحكيم كقوله تعالى « قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً » وكقوله تعالى « قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعاً وَلا ضَرّاً » الى غير ذلك من الآيات الكثيرة الواردة فى هذا المعنى .فاذا كان محمد عليه الصلاة والسلام لا يملك لعمه العباس ولا لابنته فاطمة بل ولا لنفسه ضرا ولا نفعا فكيف يملك لغيره من أرباب الكبائر نفعا بالشفاعة لهم فى كبائرهم يوم القيامة . وكيف أيضا يملك ذلك غيره من الناس الذين هم أقل منه فضلا وكرامة عند الله تعالى .

(خامسا) أن منطوق هـذا الحديث حسب المعنى المشهور فى الشفاعة يقتضى أن شفاعته (ص) يوم القيامة انما تكون لأهل الكبائر دون أهل الصغائر مع أن هـذا غير جائز ولا معقول حيث أن أهل الصغائر هم أولى بهذه الشفاعة يوم القيامة من أهل الكبائر لأنهم أخف منهم جرأة على الله تعالى وحينئذ أفلا يكونون مساوين على الأقل لأهل الكبائر فى هذه الشفاعة .

فهذه الملاحظات والاشكالات كلها دليل واضح اما على عدم صحة هذا الحديث وكونه موضوعا واما على عدم صحة ما هو مشهور فى معنى الشفاعة وهذا هو الأرجح عندى فعلى فرض صحة هذا الحديث وعدم وضعه لا يكون له معنى معقول مقبول لائق بقائله الا على حسب فهمنا المتقدم فى معنى الشفاعة اذ أن معناه يكون حينئذ أن شفاعته وتوسطه فى الهداية والارشاد فى الدنيا انما تكون لأهل الكبائر من أمته دون غيرهم وهذا أمر حقيقى واقعى لأن أهل الكبائر هم الذين يحتاجون حقيقة للهداية والاستقامة والى العناية بالوعظ والارشاد بل هم المقصودون أولا وبالذات من ارسال الرسل ومن التوسط فى هدايتهم وارشادهم . وفى قمع شرورهم ومفاسدهم وفى دفع أضرارهم ومظالمهم لأن الكبائر هى التى تضر بالأفراد والأمم وتفسد نظام العالم ولأن أهلها ومرتكبيها هم الذين يعكرون صفو الراحة العمـومية ويزعزعون الأمن العام فى

الأمة بسلبهم الأنفس والأموال وهتكهم الأعراض وارتكابهم الفظائع والجنايات والاجرام وبالظلم والغصب والفساد فى الأرض ، وبالتعدى والخداع والغش وبترك ما يجب عليهم وما هم مكلفون به لمصلحتهم الشخصية ومصلحة الهيئة الاجتماعية الى غير ذلك من أنواع الكبائر الكثيرة التى تخل اخلالا بمصالح الأمة الدنيوية والدينية .

أما الصغائر فبالنظر لتفاهتها فى ذاتها وعدم امكان التحرز منها ولقلة ضررها وعدم تأثيرها تأثيرا كبيرا فى الأمور الدنيوية والدينية كما أشار الى ذلك قوله تعالى « الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ » فان الرسل قد لا يهتمون بها الا فى الدرجة الثانية وبالتبع سدا لذريعة الكبائر وتكميلا للأخلاق وتنزيها للنفس عن كل وصمة ، فأهل الكبائر هم المقصودون حقيقة وبالذات من ارسال الرسل ومن وساطتهم وشفاعتهم لهم بهدايتهم الى الصراط المستقيم وتقويم اعوجاجهم الى الاستواء والاعتدال ، وهذا لا ينافى أن الرسل يلزمهم أيضا أن يعالجوا الصغائر بل والمكروهات وغيرها وان لم تكن هذه الأشياء هى السبب والداعى الحقيقى من ارسالهم ووساطتهم وشفاعتهم .

مثال ذلك أن السلطان اذا علم أن احدى البلاد التى تحت تصرفه قد حصل فيها فساد عظيم أو ثورة كبيرة فانه يرى من اللازم الضرورى أن يرسل لها حملة تهددها ومؤدبا يؤدبها ومصلحا يقوم اعوجاجها ورسولا يسلك بها الصراط السوى ولكن اذا علم أن الذى حصل فيها انما هو فساد عادى أو ثورة صغيرة فانه لا يرسل لها حملة ولا مؤدبا ولا مصلحا ولا رسولا لعلمه أن ذلك مما لا يستغنى الناس عنه ولا يمكن التحرز منه وانه لا تأثير له على الأفراد ولا على المجتمع لتفاهته فى ذاته وعدم أهميته فى نفسه ، ولكن هذا المؤدب والرسول متى أرسل لمنع المفاسد الكبيرة فانه لا يرى له مندوحة من أن يمنع المفاسد الصغيرة ، ويقمع الثورات الضئيلة سدا لذريعة الفساد وغلقا لأبواب الثورات وان لم تكن هذه هى السبب الحقيقى فى مجيئه الى هذا البلد وارساله اليها من طرف السلطان .

فمن هذا المثال يظهر لك أن لزوم ارسال الرسل ووساطتهم وشفاعتهم انما تكون لأهل الكبائر دون أهل الصغائر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » فهذا الحديث على فهمنا فى معنى الشفاعة ظاهر واضح لاغبار عليه ، أما على المعنى المشهود فيها فلا يكون له وجه فى تخصص الشفاعة بأهل الكبائر وعدم مؤاخذتهم عليها وغفرانها دون أهل الصغائر بل الواجب العكس بأن تكون الشفاعة لأهل الصغائر لصغر ذنوبهم وقلة جراءتهم دون أهل الكبائر لعظم جرمهم وشدة جراءتهم على الناس وعلى الله تعالى . فأهل الصغائر أحق وأولى من أهل الكبائر بالشفاعة على هذا المعنى المشهور ، وحينئذ فاللازم عقلا اعتبار ما قدمناه فى معنى الشفاعة وتقديمه على هذا المعنى المشهور وان كان مشهورا لأن اللفظ متى احتمل معنيين أحدهما معقول مقبول لائق بقائله والآخر عكس ذلك فالواجب تفسيره بالمعنى الأول دون الثانى مهما كان الثانى مشهورا بين الناس . فهنا لفظ شفاعة معناه الوساطة الشاملة للوساطة فى عدم المؤاخذة على الذنوب بعد فعلها وللوساطة فى عدم الاتيان بها رأسا وعدم ارتكابها أصلا كما نقول ، والوساطة كما تكون فى الايجاب تكون فى السلب وكما تكون فى الفعل تكون فى الترك والمعنى الذى نقوله موجود فيهما معا لأنه وساطة فى فعل الحسنات والطيبات ووساطة فى ترك المعاصى والسيئات بخلاف المعنى المشهور فانه مختص بالترك أى بعدم المؤاخذة على الذنب . وحينئذ فحمل الشفاعة على المعنى الذى نقوله أولى من وجوه : (أولا) لأنه أشمل من المعنى المشهور (وثانيا) لأنه أنفع للناس وأوفق لمصالحهم (وثالثا) لأنه أليق بحكمة الله تعالى وحكمة رسله (ورابعا) لأنه لايكون هناك لزوم للتشبث بأن هذا الحديث موضوع حيث أن معناه قد أصبح حينئذ صحيحا واضحا لاغبار عليه متينا قويا لا انتقاد فيه بل أصبح بهذا المعنى من جوامع الكلم التى امتاز بها كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلام غيره .

المراد من الشفاعة فى الإسلام ومن الفداء فى النصرانية

شيء واحد هو غير ما يفهمه الناس فيهما

قلنا فيما تقدم أن المراد من الشفاعة فى الاسلام هى وساطة النبى صلى الله عليه وسلم فى الدنيا بين الخلق والخالق فى ايمانهم به وفى توحيده وعدم الاشراك به وفى هدايتهم لدينه وشرائعه وفى ارشادهم الى الأعمال الصالحة الحسنة وابعادهم عن الأعمال القبيحة السيئة وهذا بالحقيقة هو المراد من الفداء فى النصرانية لأن الفداء فى اللغة هو الانقاذ من الشر والاطلاق من الأسر بعوض قال فى المصباح ما نصه (فداه من الأسر استنقذه بمال واسم ذلك المال الفدية وهو عوض الأسر ، وفاديته مفاداة وفداء أطلقته وأخذت فديته) انتهى .

والمسيح عليه السلام قد فدى قومه بنفسه وبما تحمله من المشاق والمتاعب حتى الموت فى سبيل هدايتهم الى الله تعالى وارشادهم الى صالح الأعمال وفك أسرهم من شهوات النفوس وحينئذ فالمقصود من الشفاعة والفداء شيء واحد هو انقاذ الناس من سوء العذاب ومن مغبة العقاب ومن شر المآب بما يبذله الأنبياء فى الدنيا من النفس والنفيس وبما يتحملونه من المشاق والمتاعب والتحريق والتقتيل فى سبيل ذلك . فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد ضحوا بأنفسهم وأرواحهم فى سبيل هداية قومهم واسعادهم ورفع العذاب عنهم وبذلك يكونون قد فدوهم من العذاب وشفعوا لهم من العقاب .

وتحقيق القول فى ذلك أن الذنوب والمعاصى والخطايا منها ما هو قبل بعثة الرسول الى أمته ومنها ما هو بعد ذلك . أما ما كان قبل البعثة فانها تغفر وتسقط بالايمان بذلك الرسول حتى الكفر والشرك فيصبح ذلك الرسول فى زمانه هو الفادى والمخلص لكل من آمن به وهو الشفيع له فى كل ذنوبه وخطاياه وكفره وشركه قبل ايمانه ، وذلك لما ورد فى الحديث السابق من أن (الاسلام يجب ما قبله) أى يقطع ما قبله

ويفصله عن صاحبه كأنه لم يفعله ، ولما ورد أيضا فى الانجيل من أن المسيح هو الفادى والمخلص لكل من آمن به وأن كل من آمن به فقد ولد ولادة جديدة روحية وتخلص من كل ذنوبه وخطاياه حيث يصبح بايمانه طاهرا مطهرا نقيا من كل ذنب كيوم ولدته أمه . فأنت ترى أن الاسلام والنصرانية متفقان على أن الدخول فى دين الله والايمان بالرسول الذى يرسله الله يكفر جميع الخطايا السابقة ويمحو كل الذنوب الماضية . وحينئذ فقد أصبح كل رسول مخلصا للناس وفاديا لهم ومكفرا لخطاياهم التى كانت قبل أيمانهم وشفيعا لهم فيها وأصبح الفداء فى النصرانية والشفاعة فى الاسلام على معنى واحد فى ذلك .

أما الذنوب والخطايا التى بعد الايمان بالرسول فمعنى كون الرسول مخلصا للناس منها وشافعا لهم فيها أنه يمنع الناس من ارتكابها ويبعدهم عن فعلها بارشاده وهدايته للناس واخراجهم من ظلمات الجهل والضلال والغواية الى نور العلم ، والصلاح والهداية وليس معنى تخليصهم منها وشفاعته لهم فيها محو تلك الذنوب بعد ارتكابها كما يعتقد المسيحيون فى معنى فداء المسيح وكما يعتقد المسلمون فى معنى شفاعة محمد عليهما السلام لأن هذا الاعتقاد يجرأ الناس على فعل الذنوب والمعاصى ويفتح بابا واسعا لارتكاب الآثام والخطايا اتكالا على هذا التخليص والفداء وارتكازا على هذه الشفاعة مع أن كل نبى من الأنبياء ما جاء الا لأجل أن يجعل الناس يتركون هذه الذنوب ولا يفعلونها ولا يستعملونها لما يترتب على فعلها واستعمالها من المفاسد والمضار واختلال الأمن والنظام ولا يصح أن يكون مجىء الرسل لأجل تخليص الناس وفدائهم والشفاعة لهم من الذنوب والمعاصى بعد فعلها وارتكابها لأن ذلك غير معقول اذا فعلت هذه الأمور بعد الايمان بذلك الرسول وبعد الاعتقاد بوجوب أتباعه فى كل ما جاء به عن ربه . ومن جملة ما جاء به عن ربه الجزاء على السيئات والحسنات (من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) .

وهنـــاك فرق كبير بين الذنب قبل الايمان بالرسول والذنب بعد الايمان به لأن ذاك كان قبل العهد والميثاق الذى أخذه على نفسه بايمانه وهذا بعد قبول ذلك العهد المتضمن لترك الذنوب وبعد التزام هذا الميثاق الذى يمنع من فعلها ولذلك قال تعالى (وَمَا كُنَّا مُعَـذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُـولًا) أى ليكون الايمان به بمثابة اتفاق والتزام ورضا بكل ما جاء به وكل ما أمر ونهى عنه وشرعه والشرع كالقانون انما يشمل ما بعده لا ما قبله .

وعلى كل فان فداء عيسى وشفاعة محمد عليهما السلام انما هما على معنى واحد فى كل ما تقدم .

والدليل من الانجيل على أن المراد من الفداء والكفارة والشفاعة شىء واحد قول يوحنا فى الاصحاح الثانى من رسالته الأولى (وان أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايا فقط بل لخطايا كل العالم) . فهذه العبارة تفيد أن الكفارة على معنى الشفاعة والكفارة عند المسيحيين هى الفـــداء وحينئذ فقد أصبح الفداء والكفارة والشفاعة على معنى واحد كما قدمنا .

واذا دققنا النظر فى جميع الصفات والأحوال التى يتوهم الناس أنها وردت خاصة بعيسى سواء الفداء أو أحياء الموتى أو غير ذلك فاننا لا نجد واحدة منها مخصوصة به بل نجد أن كل نبى متصف بها وان اختلف التعبير عنها . ولكن بالنظر لكون المسيح عليه السلام قد أهانه قومه كثيرا وحقـــروه حتى جعلوه ابن زنا فمقابلة لذلك ورد فى حقه صراحة صفات عالية لتكون كرد فعل لهذه الاهانة والتحقير وليس هنا ما يدل على اختصاصه بتلك الصفات العالية دون غيره من الرسل . وبالجملة فان كل رسول من الرسل هو المخلص الوحيد فى زمانه وهو الفادى لأمته وهو الشفيع لهم فى ذنوبهم التى قبل ايمانهم والتى بعدها أيضا حسبما وضحناه وفصلناه . وأن معنى الفداء فى النصرانية هو كمعنى الشفاعة فى الاسلام سواء بسواء .

أما الفـداء بالمعنى الذى يفهمه النصارى . والشفاعة بالمعنى الذى يفهمه المسلمون فمع كونهما مخالفين لنصوص كتب الديانتين فهما من أكبر ضروب الاساءة للمجتمع البشرى ومن أضر أنواع الاعتقادات التى يعتقدها الانسان ويعمل بموجبها وويل ثم ويل للشعب الذى أفراده يأتون المنكرات غير آبهين لمسؤوليتها اتكالا على الفداء أو الشفاعة .

قل لى بربك أية رابطة بين الذنب الذى ينشأ عن مرض القلب الشخصى وعن صدأ ووسخ يغشاه ويذهب بنوره وبين موت المسيح على الصليب؟! ومتى كان الانسان صحيح الجسم يشرب الدواء لكى يشفى به جسما آخر مريضا ؟ ! وكم من الأنبياء والقديسين ذبحوا وقطعوا اربا فهـل كان قتلهم كفارة لذنوب البشر ؟ و اذا كان كذلك أفلا يعد ذلك فتحا لباب الاباحية على مصراعيه وتسهيلا لارتكاب المعاصى والاجرام مهما كان نوعها اتكالا على اقتداء الأنبياء والقديسين لهم . واذا قال لنا اخواننا المسيحيون أن الأنبياء والقديسين غير المسيح كانوا مذنبين فلا عبرة لموتهم فى الفداء نقول لهم ان يوحنا المعمدان كان معصوما تاما امتلأ بروح القدس فى بطن أمه ولم يرتكب ذنبا قط كما فى كتبهم وقد عمد أناسا كثيرين منهم يسوع المسيح ثم قطع رأسه فاذا كان قتل معصوم من الذنوب يكون كفارة لذنوب البشر فكم بالحرى أن يكون قتل يوحنا المعمدان أستاذ المسيح كفارة لآثام بنى آدم أيضا . وحينئذ فلا يكون ذلك خاصا بالمسيح ولا يكون مجـرد الايمان بصلب المسيح وقتله مكفرا للذنوب كما يقولون ، خصوصا وأنه ورد فى رسالة يعقوب الرسول قوله (٢ : ١٤) (ما المنفعة يا أخوتى ان قال أحد ان له ايمانا ولكن ليس له أعمال هل يقدر الايمان أن يخلصه) وقوله ٢ : ١٧ (هكذا الايمان أيضا ان لم يكن له أعمال ميت فى ذاته) وقوله ٢ : ٢٤ (ترون اذا أنه بالأعمال يتبرر الانسان لا بالايمان وحده) وورد أيضا فى رسالة بطرس الرسول ٤ : ١٨ (وان كان البار بالجهد يخلص فالفاجر والخاطىء أين يظهران) فان هذه الآيات وغيرها أيضا صريحة فى أن مجرد الايمان والاعتقاد بصلب

المسيح وقتله ليس فيه الخلاص والنجاة كما يقول المسيحيون وانما الخلاص والفداء والنجاة تكون بالأعمال الصالحة المنبعثة عن الايمان بالله تعالى وعن اعتقاد الثواب والعقاب فى الآخرة لا بالفداء بالمعنى الذى يفهمه النصارى حيث أن هذا الفهم فى غير محله لمخالفته لنصوص كتبهم ولمناقضته العقل أيضا . كما أن فهم المسلمين للشفاعة هو فى غير محله أيضا لمخالفته لنصوص القرآن وللعقل أيضا .

البحث الثانى

الشفاعة المأذون بها

الواردة فى كثير من آيات القرآن الكريم

ان القرآن الكريم وان كان قد نفى وجود الشفاعة فى كثير من الآيات الا أنه أثبت شفاعة مأذونا بها فى آيات أخرى ، ولذلك وجب أن نبين المراد من الشفاعة المأذون بها الواردة فى تلك الآيات دفعا لما يتوهم من التناقض فى آيات القرآن .

(الآية الأولى من آيات الشفاعة المأذون بها)

قوله تعالى فى سورة يونس ٣ (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ، ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) .

أى يدبر أمر ارسال الرسل وأمر الدين والتشريع كما هو المراد من لفظ الأمر فى كثير من آيات القرآن مثل قوله تعالى (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ) أى يدبر الأمر الدينى والتشريعى أى ينزل الدين والقرآن من السماء الى الأرض ثم يرفعه كما هو وارد فى الأحاديث أيضا من أن الله تعالى سوف يرفع الدين والقرآن فى آخر الزمان فيكون معنى آية (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ) أى ما من وسيط فى أمر الدين والتشريع وشفيع فى أمر الهداية والايمان بالله تعالى وما من داع اليه ومرسل للناس يتوسط بينهم وبين الله الا من بعد اذنه له أى بارساله اياه ليدعو الناس اليه . فالشفاعة باذن الله هى الدعوة اليه باذنه كما قال تعالى (وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ) فقوله (مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ) وقوله (وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ) هما بمعنى واحد والمقصود منهما

شيء واحد وهو أن الشفاعة والدعوة والرسالة لا تكون الا باذن الله تعالى كما قال فى آية أخرى (أَللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) والقرآن يفسر بعضه بعضا .

ومما يدل على أن هذا هو المراد فى هذه الآية قوله تعالى قبلها (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا) الى أن قال (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ) فهذا يدل على أن المراد من تدبير الأمر ومن الشفاعة المأذون بها انما هى وحى الله لنبيه بانذار الناس وتبشيرهم ليكون بذلك شفيعا لهم .

وبالجملة فالآية تفيد أن الشفاعة تكون فى الدنيا بتوسط الرسل فى هداية الناس الى الله والدعوة اليه ، والى عبادته بدليل قوله فى نفس الآية (ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) . اذ الأمر بعبادة الله انما يكون فى الدنيا كما أن التذكر أيضا انما يفيد فى الدنيا أيضا . فالشفاعة حينئذ هى أيضا فى الدنيا بماهيتها وحقيقتها وهى فى الآخرة بأثرها وغايتها ونتيجتها . اذ لا فائدة ولا غاية من هذه الشفاعة والوساطة فى الايمان والعمل الصالح الا دخول الجنة والتنعم فيها فى الآخرة .

(الآية الثانية)

قوله تعالى فى سورة البقرة (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ) أى منذ الذى يمكنه أن يتوسط فيما بينه تعالى وبين الناس الا باذن الله تعالى له فى هذا التوسط أى بارساله اياه فى هذه المهمة فالمعنى المراد من اذن الله تعالى لأحد الشفعاء هو ارساله أحد الأنبياء لدعوة الناس اليه فيكون الاذن بالشفاعة واقعا بالفعل بارسال الرسل بالفعل .

رأى الأستاذ الإمام

فى آيات الإذن بالشفاعة وبيان ضعفه

ان الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده قال : ان آيات الاذن بالشفاعة

لا تدل على أن الاذن واقع فعلا بل هو كقوله تعالى (يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ) فهو تمثيل لانفراد الله بالسلطان والملك فى ذلك اليوم وعدم جراءة أحد من عبيده على الشفاعة أو التكلم بدون اذنه ، واذنه غير معروف لأحد من خلقه انتهى .

ولكنى أقول أن كلام الأستاذ هنا بعيد لأن الاذن بالشفاعة لو لم يكن واقعا بالفعل لما كان هناك لزوم لاستثناءه من عدم وجود الشفاعة مطلقا حيث قال (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) اذ الاستثناء يقتضى أن يكون حكم المستثنى غير حكم المستثنى منه فى النفى والاثبات .

وعليه فتفسير الاذن بأمر واقع فعلا ولو فى الدنيا أولى من تفسيره بأمر غير واقع مطلقا لا فى الدنيا ولا فى الآخرة كما يقول الأستاذ الامام .

والدليل على أن المراد من الشفاعة فى هذه الآية هى الشفاعة والوساطة فى الدنيا بالايمان والهداية والدخول فى دين الله تعالى بلا اكراه قوله تعالى بعدها (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) أى بل وساطة وشفاعة فقط لا اكراها وبدليل نفيه تعالى الشفاعة مطلقا يوم القيامة قبل هذه الآية فى قوله (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ) فنفيها نفيا باتا مطلقا يوم القيامة فى أول الآيات ثم اتيانها فى آخرها باذنه فيما يتعلق بالدخول فى الدين وعدم الاكراه فيه الذى لا يكون الا فى الدنيا دليل واضح على ما نقول من أن الشفاعة انما هى فى الدنيا بحقيقتها وان كانت فى الآخرة بثمرتها .

(الآية الثالثة)

قوله تعالى فى سورة مريم ٨٨ (يومَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمٰنِ وَفْداً وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا . لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْدًا) .

الضمير فى قوله لا يملكون راجع الى المجرمين . والعهد يحتمل أن يكون المراد منه النبوة والرسالة كما هو وارد بهذا المعنى فى كثير من آيات الكتب المقدسة ، والوفاء بهذا العهد انما يكون فى الدنيا بالتوسط

للمجرمين فى الايمان بالله تعالى وفى هدايتهم وارشادهم الى العمل الصالح وفى تركهم للاجرام والسيئات ليدخلوا بذلك الجنة فى الآخرة . فالرسل هم الشفعاء والوسطاء للنـاس لدخولهم الجنة بايمانهم الذى هدوهم اليه وأعمالهم التى أرشدوهم اليها .

ويحتمل أن يكون المراد من اتخاذ العهد هو الايمان بالله تعالى وتوحيده والعمل الصالح كما هو صريح ما رواه ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لأصحابه ذات يوم (أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا ، قالوا وكيف ذلك . قال أن يقول كل صباح ومساء « اللهم فاطر السموات والأرض وعالم الغيب والشهادة انى أعهـد اليك أنى أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبـدك ورسولك فانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتبعدنى عن الخير وانى لا أثق الا برحمتك فاجعل لى عهدا توفنيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد » فاذا كان يوم القيامة نادى منادى أين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة) . فهذا الحديث صريح فى أن توحيد الله تعالى والايمان به وبرسله والعمل الصالح هو العهد الذى يشفع للمجرمين يوم القيامة فيكون معنى هذه الآية حينئذ أن المجرمين لا يملكون الشفاعة لأنفسهم فى دخولهم الجنة الا من كان منهم قد اتخذ عند الله عهدا بايمانه وتوحيده وأعماله الصالحة فى الدنيا فهؤلاء تشفع لهم أعمالهم فيدخلونها بمقتضى قوله تعالى (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) وعلى كل فالشفيع للانسان المفهوم من هذه الآية اما أن يكون هو ايمانه وعمله الصالح فى الدنيا واما أن يكون هو الرسول المأذون له فى الدنيا بالتوسط للناس فى الايمان والهداية والعمل الصالح . وهذان المعنيان هما المعقولان الموافقان لجميع الكتب السماوية وعلى كلا الحالين فهذه الشفاعة انما تكون فى الدنيا بماهيتها وحقيقتها وتكون فى الآخرة بأثرها وغايتها ونتيجتها . وهـذا ما نحاول اثباته من أنها موجودة فى الدنيا والآخرة معا لا فى الآخرة فقط كما يفهمه الجمهور .

(الآية الرابعة)

قوله تعالى فى سورة طه ١٠٩ (يَوْمَئِذٍ لاَتَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً) معنى يومئذ أى يوم اجابة الداعى الى الله تعالى وهو الرسول ويوم اتباعه فى دعوته بدليل قوله قبلها (يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ) أى الرسول الذى يدعو الى الله تعالى واتباع الرسول فى دعوته انما تكون فى الدنيا وشفاعته يومئذ تكون وتحقق باستجابة دعوته واتباعه فى تعاليمه وارشاداته ولفظ (من) من قوله (الا من أذن له) يحتمل أن تكون فى محل رفع على أنها بدل من الشفاعة بتقدير مضاف أى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة ووساطة من أذن له الرحمن ورضى قوله فى ارشاد الناس ووعظهم وهدايتهم وهم الرسل كما قدمنا .

ويحتمل أن تكون فى محل نصب على أنها مفعول (تنفع) أى لا تنفع الشفاعة والوساطة أحدا الا الذين أذن لهم الرحمن بأن يهتدوا ويعملوا صالحا والذين قد رضى الله لهم قولهم وهذا الاحتمال هو الأصح الموافق لمعنى قوله تعالى (لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) فالشفيع للانسان يوم القيامة هو قوله المرضى لله تعالى وعمله الصالح والمشفوع له هو الشخص المرضى لله تعالى الطائع له فى الدنيا لا العاصى المذنب لأن هذا ليس مرضيا لله تعالى .

وعليه فلا يصح تفسير الشفعاء بالمعنى المشهور من أن بعض الناس كالأنبياء يشفعون يوم القيامة للعصاة فى اسقاط ذنوبهم لأن الله تعالى لا يأذن فى ذلك اليوم لأحد ما بالشفاعة لمن عصى أمره بل الشفاعة لاتكون الا بقول من رضى قوله وبطاعته وعمله فى الدنيا . فطاعته وعمله وقوله المرضى هو الشفيع له يوم القيامة .

(الآية الخامسة)

قوله تعالى فى سورة سبأ ٢٣ (وَمَالَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ . وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) .

والكلام فيها هو كالكلام الذى تقدم فى الآية قبلها .

(الآية السادسة)

قوله تعالى فى سورة الأنبياء ٢٨ (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ . وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ . لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ . يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) .

الضمير فى قوله ولا يشفعون راجع لعباد الله المكرمين الذين توهم الناس أن الله قد اتخذهم أولادا له الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . وهؤلاء هم الرسل المفهومون من قوله فى صدر الآية (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه) وعليه فهذه الآية صريحة فى أن الرسل انما يشفعون ويتوسطون بهداية من ارتضاهم الله لتوحيده وعبادته فى الدنيا بمقتضى صريح قوله فى أول الآية (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أن لا اله الا أنا فاعبدون) اذ الايحاء والعبادة انما تكون فى الدنيا فمن وحد الله تعالى وعبده فى الدنيا بواسطة الرسل فهو المشفوع له من طرف هؤلاء الرسل وحينئذ فتكون هذه الشفاعة من طرف الرسل موجودة ومتحققة فى الدنيا بتوسطهم فى ايمان الناس وتوحيدهم وبتسببهم فى أعمالهم الصالحة لا أنهم يشفعون يوم القيامة للعصاة المذنبين فى اسقاط ذنوبهم وللمخطئين فى عدم مجازاتهم على خطأهم لأن المخطىء المذنب العاصى لله تعالى لا يكون مرضيا عنده ولا يكون ممن خشى الله تعالى وحينئذ فالشفاعة بالمعنى المشهور الذى يفهمه الناس من أنها للعصاة المذنبين لأجل اسقاط ذنوبهم يوم القيامة لا وجود ولا تحقق لها يوم القيامة أصلا .

(الآية السابعة)

قوله تعالى فى سورة الزخرف ٨٦ (وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) فانها تفيد أن ما دون الله لا يملك الشفاعة الا من شهدوا بالحق وهم يعلمون أنه الحق وذلك كالأنبياء والمرسلين الذين شهدوا للناس بالحق وبوحدانية الله تعالى

ووجوب الايمان به ودعوهم الى ذلك وهم يعلمون أن ذلك حق وصدق . وهذه الشفاعة تكون فى الدنيا يتوسط الأنبياء شهادتهم للناس بالحق ودعوتهم اليه .

(الآية الثامنة)

قوله تعالى فى سورة النجم ٢٦ (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) أى لمن يشاءهم ويرضاهم من الملائكة الشافعين أو من البشر المشفوع لهم . والمعنى أن كثيرا من الملائكة لا تغنى شفاعتهم ووساطتهم للبشر شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء من هؤلاء الملائكة أن يشفعوا أو لمن يشاء من البشر أن يشفع لهم وعلى كل فالمراد من شفاعة الملائكة كجبريل هى وساطتهم فى تبليغ الشرائع للبشر من الله تعالى .

والدليل على أن المراد من هذه الشفاعة فى هذه الآية هى الوساطة فى الدنيا بتبليغ الشريعة للناس وهدايتهم الى الله تعالى هو كون جميع الآيات التى قبل هذه الآية واردة فى خصوص هـذا المعنى ، وبيان أن محمدا وجبريل عليهما السلام هم من الرسل والوسطاء والشفعاء وأرباب الوحى حيث قال تعالى فى أول السورة (والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى) ثم قال بعدها (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى الخ) ثم قال بعدها (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) فأنت ترى أن جميع آيات السورة من أولها الى هذه الآية واردة فى معنى اثبات وحى محمد ورسالته ووساطة جبريل بين الله وخلقه . ووساطتها فى ذلك انما هى فى الدنيـا . وحينئذ فالملك المأذون له بالشفاعة فى هذه الآية هو جبريل وشفاعته هى وساطته فى تبليغ الشرائع وتعليم الأنبياء فى الدنيا حسب مفاد الآيات التى قبل هذه الآية . والقرآن يفسر بعضه بعضا . وترى أيضا أن هذه الآيات تندد على من اتخذ اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وسطاء وشفعاء لهم

وأنهم يقربونهم الى الله زلفى . والسورة كلها فى مقام بيان من أذن لهم بالشفاعة والوساطة كمحمد وجبريل عليهما السلام وبيان من لم يأذن لهم فى ذلك كاللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى فالمؤذنون من طرف الله تعالى هم الشفعاء والوسطاء الحقيقيون المقبولون عنده .وأما الذين لم يأذن لهم الله بل اتخذهم الناس من عند أنفسهم وسطاء وشفعاء لهم عنده تعالى فهؤلاء يعتبرهم الله شركاء ويعتبر متخذيهم مشركين .

وبيان ذلك أنك لو اعتبرت زيدا مثلا متدخلا فى شؤون عمرو فقد جعلته شريكا لعمرو وهو ليس بشريك له وصرت أنت مشركا لزيد مع عمرو ولكن اذا أذن عمرو لزيد فى ذلك فلا يكون زيد شريكا له بل يكون مأذونا من قبله ونائبا عنه يعمل باسمه وعلى حسابه .

وحينئذ فالذين جعلوا من عند أنفسهم شفعاء لهم عند الله تعالى فقد جعلوهم شركاء له وكانوا هم أيضا مشركين معه هؤلاء الشفعاء لأنهم أدخلوهم فى شؤونه تعالى وهو لم يأذن لهم بهذا الدخول .

وأما من أذن لهم بالدخول بأن أرسلهم هو ووسطهم بينه وبين خلقه فهؤلاء لا يكونون شركاء له بل مأذونين من طرفه ولا يكون من آمن بهم واتبعهم ، واعتبرهم وسطاء وشفعاء مشركين لهم مع الله تعالى بل يكونون موحدين له لأن هؤلاء الرسل المأذونين بالوساطة والشفاعة انما يتكلمون ويهدون الناس باسمه تعالى وعلى حسابه . قال تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى) وقال أيضا (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) ومن هـذا البيان تعلم الفرق بين المشركين والموحدين وتعلم أيضا أن هـذه الآيات تدل على أن شفاعة الرسل والملائكة هى وساطتهم فى الدنيا وأن هذه الشفاعة موجودة فى الدنيا بحقيقتها وماهيتها وفى الآخرة بأثرها وغايتها ونتيجتها .

ومما يدل على أن الشفاعة تكون فى الدنيا قـوله تعالى فى سورة النساء (فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا من يشفع

شفاعة حسنة يكن له نصيب منهـا ومن يشفع شفاعة عنه سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا) . فان هذه الآية تفيدأن تحريض النبى (ص) للمؤمنين على الجهاد فى سبيل الله هى شفاعة لهم حسنة مما هو صريح فى أن شفاعة النبى للناس هى وساطته لهم فى كونهم يعملون أعمالا صالحة فى الدنيا كالجهاد وغيره مما يستحقون بها دخول الجنة فى الآخرة ، وصريح فى أن ماهيته الشفاعة وحقيقتها تكون فى الدنيا ، وأن أثرها ونتيجتها تكون كما قلنا فى الآخرة .

الخلاصة

والخلاصة فى ذلك هى أنه وجد فى القرآن الكريم سبع عشرة آية مصرح فيها صراحة تامة بنفى الشفاعة مطلقا يـوم القيامة وعدم نفعها وعدم قبولها فى ذلك اليوم من أحد ما . ثم وجد فيه أيضا سبع آيات أخرى تفيد وجود شفاعة مأذون بها ولكنه لم يذكر فى واحدة منها أن هذه الشفاعة المأذون بها تكون يوم القيامة فاذا جعلنا الشفاعة المذكورة فى الآيات الأولى كالشفاعة المذكورة فى الآيات الثانية بمعنى واحد وفى زمن واحد وفى يوم القيامة كما يفهمه الناس ، لزم على ذلك أن تتناقض الآيات السبع عشرة الأولى التى تصرح بنفى الشفاعة مطلقا فى ذلك اليوم مع الآيات السبع التى تفيد وجود شفاعة مأذون بها لأنه لو قال قائل مثلا (لا يوجد فى الدار أحد ما بهذا اليوم) فانه يفهم من قوله هذا أنه لا يوجد فيها واحد مطلقا لا مأذون له ولا غير مأذون له . فاذا قال بعد ذلك لا يوجد فى الدار الا واحد مأذون له ولم يعين يوما مخصوصا ، فاذا حملنا ذلك على اليوم المذكور فى العبارة الأولى لزم عليه أن يتناقض عموم قوله الأول النافى لوجود واحد مامطلقا فى الدار مع قوله الثانى المثبت لوجود واحد مأذون له .

فلو كان مراده استثناء المأذون له فى ذلك اليوم لكان اللائق به أن يقول من أول الأمر لا يوجد فى الدار أحد الا واحد مأذون له لا أنه ينفى أولا نفيا عاما باتا ثم بعد ذلك يثبت بعض ما قد نفاه أولا لأن ذلك

يوجب التشويش والارتباك أو يدل على أنه كان جاهلا بحقيقة الحال ثم رجع الى ما علمه فيما بعد أو يكون ذلك اغفالا وتضليلا للسامعين أو ايهاما وتشكيكا وايقاعا لهم فى الحيرة والتردد وهذا ما لا يليق شيء منه بكتاب الله الذى نزل مفصلا مبينا بنص قوله تعالى (كتاب فصلت آياته) وقوله (كتاب مبين) .

خصوصا وأن ذلك ينافى الفصاحة والبلاغة التى بلغ القرآن الكريم أقصاها وتسنم أعلى درجاتها . وعليه فأين حينئذ هذا التفصيل والبيان ، وأين بلاغة وفصاحة القرآن اذا جعلناه ينفى الشيء نفيا عاما باتا أولا ثم يثبت بعضه ثانيا اذا فرضنا أن آيات النفى العام نزلت قبل آيات الاذن ، أو أنه يثبت بعض الشيء ثم ينفى عموم ذلك الشيء اذا فرضنا أن آيات الاذن نزلت قبل آيات النفى العام ، أو أنه ينفى الشيء ثم يثبته ثم ينفيه ثم يثبته وهكذا اذا فرضنا أن بعض آيات النفى نزلت أولا ثم بعض آيات الاذن ثم بعض آيات النفى ثم بعض آيات الاذن وهكذا مما يوجب التشويش والخبرة والتشكيك .

على أنه كيف يمكننا أن نتحقق بأن أحد هذه الفروض الثلاثة هو الذى حصل دون غيره .

واذا قلنا أن آيات الاذن نسخت آيات النفى العام فمن أين يثبت لنا أن آيات الاذن كلها لم تنزل الا بعد آيات النفى العام كلها حتى يمكن أن تكون ناسخة لها ولم لا يجوز العكس وتكون آيات النفى العام ناسخة لآيات الاذن أو لم لا يجوز أن يكون نزول بعض آيات الفريقين متعاقبا مع نزول البعض الآخر منها . وعليه فهل يليق بنا والحالة هذه أن نجعل القرآن ينسخ الشيء ثم يثبته ثم ينسخه ثم يثبته وهكذا . ان هذا كله مما لا يرضاه مسلم يعتقد بكمال فصاحة القرآن وتمام بلاغته .

على أن النسخ لا يمكن أن يتحقق فى مثل هذه الآيات لأنها اخبار عن حصول شفاعة يوم القيامة أو عدم حصولها . والنسخ انما يكون فى الانشاء دون الاخبار .

والحاصل أننا اذا جعلنا الشفاعة المنفية فى الآيات الأولى والشفاعة المثبتة فى الآيات الثانية بمعنى واحد وفى زمان واحد وهو يوم القيامة كما يفهم الناس فانه يترتب عليه اشكالات كثيرة جدا قد قدمنا لك بعضا منها ولكننا اذا جعلنا معناهما مختلفا بأن جعلنا الشفاعة المنفية نفيا عاما هى الشفاعة بمعنى توسط أحد المخلوقين يوم القيامة بين الله وبين العصاة المذنبين من خلقه فى اسقاط ذنوبهم عنهم فى ذلك اليوم التى بينا سابقا أنها غير مقبولة وغير نافعة وأنها لا تليق بالله تعالى ولا برسله الكرام بل تنافى العقل والمنطق والوجدان وجعلنا الشفاعة المأذون بها هى الوساطة فى الدنيا بين الخلق والخالق فى الايمان بالله تعالى وتوحيده وهداية الخلق اليه وتقريبهم منه مما هو معقول ومقبول وموافق لجميع الكتب السماوية فانه بذلك تنحل جميع الاشكالات المتقدمة وغيرها وتكون جميع الآيات القرآنية واضحة بينة لا ابهام فيها ولا تناقض فى معانيها ، ولا ارتباك فى مبانيها .

خصوصا وأننا اذا بحثنا بحثا دقيقا فى معنى آيات نفى الشفاعة وآيات الاذن فيها نجد أن الآيات الأولى المتضمنة للنفى مصرح فيها تمام التصريح بأن هذا النفى انما هو يوم القيامة فقط كما هو صريح لفظ كل آية وردت فى ذلك . كما أننا نجد أن الآيات الثانية المتضمنة للاذن مشعرة اشعارا ظاهرا اما بمنطوقها أو بمفهومها واما بالآيات التى قبلها أو الآيات التى بعدها بأن هذا الاذن انما هو فى الدنيا فقط كما يظهر ذلك جليا من معنى كل آية وردت فى ذلك كما أثبتناه سابقا مفصلا موضحا.

وحينئذ فما هو الذى يدعونا الى ترك صريح القرآن والاعتماد على بعض الأفهام التى لا مستند لها . فالبحث والتوفيق خير من التقليد والتلفيق . على أننا كنا بينا فيما سبق أيضا أن الشفاعة المأذون بها للرسل عليهم السلام الحاصلة فى الدنيا لا يظهر أثرها ولا تتحقق غايتها ونتيجتها الا فى الآخرة فتكون حينئذ موجودة ومتحققة فى الدنيا والآخرة معا ، كما أن الرسل يكونون شفعاء بين الناس فى الدنيا والآخرة معا أيضا لا فى

الآخرة فقط كمايفهم الناس . ويكون محمد صلى الله عليه وسلم هو أعظم الشفعاء لأنه أكثر هؤلاء الرسل اتباعا وأعظمهم هداية للناس ، وأكبرهم وساطة فى تقريب الخلق من الخالق جل وعلا فله الشفاعة العظمى والمقام الأسمى الذى لا ينبغى لأحد غيره

ومما ذكر يعلم أن الشفاعة الحقيقية مخصوصة بالرسل عليهم الصلاة والسلام لأنهم هم الذين يبلغون الشرائع عن ربهم ويتوسطون فى هداية الخلق لخالقهم . وأما ما ورد من وجود شفاعة للعلماء والأولياء والصديقين والصالحين فانما هى شفاعة تبعية لا أصلية ذاتية لهم لأن من يشفع منهم ويتوسط فى هداية أحد وارشاده الى الدين أو فى الاقتداء به فى عمله الصالح فانما يتوسط باسم الرسول وعلى حسابه ويهدى الى دينه وشريعته . فأصحاب الشرائع والأديان هم الرسل فقط دون غيرهم وغيرهم انما هم تبع لهم فيها . فالرسل هم الشفعاء الحقيقيون وأما العلماء والأولياء والصلحاء وغيرهم ممن ورد أنهم يشفعون للناس فانهم بالنظر لكونهم اتباعا لهؤلاء الرسل فى الدين والشريعة فهم أتباع لهم أيضا فى الوساطة والشفاعة اما بالوعظ والارشاد ونشر العلم ، واما باقتداء الناس بهم فى أعمالهم الصالحة كما ورد (أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) .

هذا تفصيل ما كنت قد أجملته فى بيان معنى الشفاعة التى سئلت عنها حينما كنت بديوان السيد ابراهيم العلمى . وعليه فهل يجوز بعد ذلك لعلماء غزة أن ينسبونى الى انكار شفاعة الرسل الكرام والى جحد الشفاعة العظمى لمحمد عليه الصلاة والسلام . ان هذا لشىء عجاب وأمر لا يرضاه لنفسه أحد من ذوى العقول والألباب .

مع أن كلامى فيه تصريح واثبات للشفاعة بصورة أبلغ وأعظم مما يعتقدون وبوجه أعم وأشمل مما يقولون . نعم ان فى كلامى انكارا للشفاعة بالمعنى الذى هو فى أدمغتهم ، والذى قلدوا فيه غيرهم تقليدا أعمى من غير بحث ولاتدقيق ، والذى بينا بطلانه بالدلائل العقلية وبصريح

الآيات القرآنيـــة وبنص الأحاديث النبـــوية . وماذا على لو أنكرت ما أنكره الله تعالى فى كتابه المبين ونفاه رسوله الأمين ، وأبطله العقل السليم ؟! فان كان هنـــاك لوم فانما يتوجه على من يهمل البحث والتفكير فى نص الحديث والقرآن ، ولا يبالى بواضح الحجة وصريح البرهان .

رأى الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى الشفاعة مطلقاً وبيان ضعفه

ان الأستاذ الامام قد قال فى تفسيره لهذا الموضوع ما نصه (الشفاعة هى أن يحمل الشافع المشفوع عنده على فعل أو ترك كان أراد غيره سواء حكم به أم لا . وهذا محال بالنسبة الى الله تعالى لأن ارادته على حسب علمه وعلمه أزلى لا يتغير ، وحينئذ فآيات الشفاعة الواردة فى القرآن من المتشابهات ، ومذهب السلف يقضى بالتفويض والتسليم ، وانها مزية يختص بها من يشاء يوم القيامة عبر عنها بلفظ (الشفاعة) ولا نحيط بحقيقتها مع تنزيه الله جل جلاله عن المعروف فى معنى الشفاعة فى لسان التخاطب العرفى . وأما مذهب الخلف بما فيهم ابن تيمية والوهابية وغيرهم فانهم أولوا الشفاعة بأنها دعاء يستجيبه الله تعالى . والأحاديث الواردة فى الشفاعة تدل على هذا فقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم يسجد يوم القيامة ويثنى على الله بثناء يلهمه له يومئذ فيقال له (ارفع رأسك واشفع تشفع) . وليس فى الشفاعة بهذا المعنى أن الله تعالى يرجع عن ارادة كان أرادها لأجـــل الشافع وانما هى اظهار كرامة للشافع بتنفيذ الارادة الأزلية عقيب دعاءه ، وليس فيها أيضا ما يقوى غرور المغرورين الذين يتهاونون بأمر الدين ونواهيه اعتمادا على شفاعة الشافعين بل فيه أن الأمر كله لله ، وأنه لا ينفع أحد فى الآخرة الا طاعته ورضاه) .

انتهى كلام الأستاذ الامام فى تفسيره .

أقول ولكنك قد علمت مما قدمناه لك من التوضيح والبيان المدعم بالدليل والبرهان أن لا حاجة لدعوى أن هذه الآيات من المتشابهات بعد تلك الحجج والبينات ، كما أنه لا حاجة أيضا لتأويل الشفاعة بالدعاء اذ أن الدعاء شىء ، والشفاعة شىء آخر فلو كانت الشفاعة دعاء لما نفى

الله نفعها وفائدتها ، ولما صرح بأنها لا تقبل ولا تطاع ولا تغنى شيئا عنده ، ولا يملكها أحد دونه كما مر فى الآيات المتقدمة ، فكيف حينئذ تفسر الشفاعة بالدعاء مع أن الدعاء نافع ومقبول عند الله ومملوك للناس ومطلوب فى القرآن بنص قوله تعالى (ادعونى أستجب لكم) وعليه فكلام الأستاذ الامام وان كان أصلح من غيره الا أنه ضعيف فى ذاته . وتفسير كلام الله بصورة معقولة ومقبولة على نحو ما قدمنا ، خير من ادعاء أنه متشابه مشكل غير مفهوم ، وخير من تأويله بما لا يتفق مع اللغة والقرآن والعقل.

هذا وانى أرجو الله تعالى أن يدلنا جميعا على الصواب ، وأن يجزل لنا الأجر والثواب انه هو الكريم المعطى الوهاب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وعلى سائر الأصحاب .

البحث الثالث

الأمانة التى عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان

سؤال ورد لى من أحد علماء دمشق الشام وجوابى عليه :

كان قد ورد لى سؤال بتاريخ ١٩ جمادى الثانية سنة ١٣٥٥ هجرية من فضيلة الشيخ توفيق البزرة من علماء الشام عما أفهمه فى المراد من الأمانة فى سورة الأحزاب ٧٢ (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السموات والأرضِ والجبالِ فأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً . لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ والْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ على الْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ وكَانَ اللهُ غَفوراً رَحِيماً) . وعن مناسبة هذه الآية لما قبلها وما بعدها من الآيات . وكنت قد أجبته على ذلك بتحرير مؤرخ فى ٢٦ جمادى الثانية سنة ١٣٥٥ الموافق ١٩٣٦/٩/١٢ هذا نصه :

ما قاله المفسرون

فى معنى هذه الأمانة ، وبيان ضعفه

ان المفسرين قد اختلفوا فى بيان المراد من هذه الأمانة اختلافا كثيرا وتمحلوا فى تفسير هذه الآيات تمحلا بعيدا ولم أجد فى تفاسيرهم ما يرتاح اليه العقل ولا فى بياناتهم ما يطمئن اليه الضمير ؛ فان بعضهم قال ان الأمانة هى التكاليف والفرائض الشرعية ، وبعضهم هى الطاعة ، وبعضهم التوحيد ، وبعضهم تجليات الاله بأسمائه الحسنى ، وبعضهم

العقل ، وبعضهم الجنـابة أو الغسل منها ، وبعضهم الأمانة ضد الخيانة أى الأمانة فى كل عمـل من الأعمال هـذا ما اختاره فضيلة شيخ الجامع الأزهر الشيخ مصطفى المراغى وأذاعه بالراديو ، وبعضهم الأعضـاء والقوى ، وبعضهم حروف الهجاء . الى غير ذلك من الأقوال التى يصعب تطبيق هذه الآية عليها ؛ بل ربما كان منافيا لما قبلها وما بعدها من الآيات.

وانك لتعجب من تمحلاتهم حينما يريدون تطبيق هـذه الآيات على ما قالوه فى معنى هذه الأمانة. ويكفى فى رد جميع أقوالهم هذه قوله تعالى فى نفس هذه الآية (وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) اذ لا يعقل أن من تحمل الفرائض الشرعية كالصلاة والصوم والزكاة وغيرها أو تحمل الأمانة ضـد الخيانة فى الأعمال أو تحمل التوحيـد أو تجليـات الله أو العقل التى فى تحمل كل منها سـعادة الانسـان ورقيـه فى الدنيـا والآخـرة أن يكون ظلوما جهـولا ، أى مفـرطا فى الظلم والجهـل ومتناهيا فيهما . بل يلزم أن يوصف بكونه عادلا عليما لما فى ذلك كله من المصلحة والمنفعة له فى الدنيا والآخرة . وكل ما فيـه منفعة ومصلحة وسعادة للانسان لا يصح أن يكون تحمله ظلما وجهلا . كما أنه لا معنى أيضا لأن يكون تحمل الجنابة أو الغسـل منها ، أو تحمل الأمانة ضد الخيانة ظلما وجهلا .

وأحسن ما قالوه فى الجواب عن ذلك ؛ أن معنى كون من تحمل هذه الأمانة ظلوما جهولا أى ظلوما بمخالفته ، جهولا بما يترتب على هـذه المخالفة من العقاب ، وأنت تعلم أن الله تعالى انما نسب الظلم والجهل لمن تحمل هذه الأمانة لا لمن خالفها . وعلى فرض صحة جوابهم هذا وكون هذه الآية تفيد ما قالوه . فهل يليق بالله تعالى أن يذم من تقبل أوامره ، وتحمل فرائضـه ؟! التى لا يخلو أى انسان مهما علت درجتـه من أن يخالف بعضا منها فى بعض الأوقات ، وان يقول له اذا تحملت ما ستضطر الى مخالفة بعضه تكون ظلوما جهولا . واذا كان ذلك ظلما وجهلا ؛ فلماذا كلفنا الله به ؟ وحملنـا اياه ؛ وهل يليق به تعـالى أن يفضل على

الانسان تلك الجمادات من الأرض والجبال لكونها أبت تحمل هذه الفرائض فتحملها الانسان وهل الأليق بالانسان أن يكون كتلك الجمادات فى عدم تحمل ذلك وأن الأحسن له والأفضل أن لا يتحمل هذه الفرائض خوف أن يخالفها ويصبح بهذه المخالفة ظلوما جهولا كما يقول المفسرون . ان هذا لشيء عجاب .

ما أفهمه فى المراد من هذه الأمانة وأدلتى على ذلك

اننى بعدا عن الوقوع فى مثل هذه الاعتراضات أرى من الأولى والأحسن أن تفسر هذه الأمانة بغير ما قاله المفسرون مما يكون نفس تحمله ظلما وجهلا كما هو صريح الآية . ولذلك فانى أفهم فى هذه الأمانة أن المراد بها هنا العقيدة النصرانية التى كانت مشهورة بين الناس الى وقت نزول القرآن باسم (الأمانة) وهى العقيدة التى اتفق مجمع (نيقيه) المسيحى على جعلها عقيدة أساسية للمسيحيين وقانون ايمان لهم، وعلى تسميتها أمانة كما هو مصرح بذلك فى تواريخهم وشروح أناجيلهم . وانما سموها بالأمانة لكونهم جعلوها أمانة فى عنق كل مسيحى بحيث يجب على المسيحيين كلهم أن يعتنقوها وأن يؤدوها لمن بعدهم كما تؤدى الأمانة نظرا لكونها تقررت باسم الدين فى مجامع العلماء والبطاركة والقسيسين ، وأقرها الملوك والحكام والسلاطين . وهذا هو نص هذه العقيدة المسماة بالأمانة (نؤمن باله واحد ضابط الكل ، خالق السموات والأرض كل ما يرى وما لا يرى . وبرب واحد يسوع المسيح بن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور ، نور من نور ، اله حق ، مولود غير مخلوق ، مساو الآب فى الجوهر ، الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا ، نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومن مريم العذراء وتأنس وصلب على عهد بيلاطس النبطى ، وتألم وقبر وقام فى اليوم الثالث كما فى الكتب ، وصعد الى السماء وجلس عن يمين الآب ، وأيضا فسيأتى بمجده ليدين الأحياء والأموات الذى لا فناء لملكه . وبروح

القدس الرب المحى المميت ، المنبثق من الآب ، المتحد مع الآب والابن ، المسجود له . ونعتقد بكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية . ونعترف بمعمودية واحـدة لمغفرة الخطايا ، وتترجى قيامة الموتى ، وحياة الدهر الآتى آمين) هذه هى العقيدة التى اصطلحوا على تسميتها أمانة حسب ما هو مذكور فى شرح الانجيل .

هذه العقيدة المسماة أمانة

منقولة عن عقيدة الهنود القدماء فى الشمس

ان أصل هذه العقيدة منقولة عن عقيـدة الهنود القدماء فى الشمس التى كانوا يعبدونها قال (مالفير) فى كتابه المطبوع فى باريس سنة ١٨٩٥ م الذى ترجمه الى العربية (نخلة بك شفوات) سنة ١٩١٣ م ما نصه :—

(لقد ذكر فى الكتب الهندية القديمة الدينية التى ترجمت الى اللغة الانكليزية عن عقيدة الهنود القدماء ما يأتى : نؤمن (بسافسترى) أى الشمس اله واحد ، ضابط الكل خالق السموات والأرض وبابنه الوحيد (آنى) أى (النـار) نور من نور مولود غير مخلوق مسـاو للآب فى الجوهر ، تجسـد من (فايو) أى (الروح) فى بطن (مايا العـذراء) ونؤمن (بفايو) الروح المحى المنبثق من الآب والابن الذى هو مع الآب والابن يسجد له ويمجد) فالثالوث القديم وهو بسافيسترى (الشمس) أى الآب السـماوى وآنى (النـار) أى الابن وهو النار المنبعثة من الشمس وفايو (نفخة الهواء) أى الروح هو أساس المذاهب عند الشعوب الأريانية أى الهنود القدماء) انتهى ما قاله (مالفير) فى كتابه المذكور .

وعليه فأنت ترى أن عقيـدة النصارى التى سموها أمانة انما هى منقولة عن عقيدة الهنود القـدماء فى الثالوث القديم الذى هو الشمس والنار والهواء ، فنقلها النصارى وجعلوها للآب أى (الله) والابن أى (المسيح) والروح القدس (أى جبريل) وجعلوا هؤلاء الثلاثة واحـدا قديما بثلاثة أقانيم مما هو غير معقول .

السبب فى وضع هذه العقيدة
وفى تسميتها أمانة عنـــد النصارى

ان السبب فى وضع هــذه العقيدة والزام الناس بها وجعلها أمانة فى أعناقهم هو أنه فى زمن الملك قسطنطين ظهر رجل مسيحى اسمه (آريوس) خالف عقيدة النصارى فى ألوهية المسيح ، وأزليته وعدم مخلوقيته حيث قال ما نصه (ان الآب كان اذ لم يكن الابن ثم الله أحدث الابن فكان كلمة له الا أنه محدث مخلوق ثم فوض الأمر الى ذلك الابن المسمى كلمة فكان هو خالق السموات والأرض وما بينهما ثم أن الكلمة تجسدت فى مريم العذراء ومن روح القدس فصار ذلك مسـيحا واحدا فالمسيح الآن هو معنيـات كلمة وجسد الا انهما جميعا مخلوقات) انتهى . فشاعت مقالة أريوس هذه وتبعه فيها خلق كثير فغضب البطاركة والأساقفة والقسس من آريوس ولعنوه ومنعوه من دخول الكنيسة فشـكا أمره الى الملك قسطنطين ، فأحب الملك أن يجمع جميع البطاركة والأساقفة ليتناظروا مع آريوس حتى يظهر الحق فى ذلك . فاجتمع منهم فى مدينة (نيقيه) ألفان وثمانية وأربعون شخصا وكانوا مختلفين فى الآراء والعقائد . فمنهم من كان يقول المسيح ومريم الهان من دون الله . ومنهم من يقول ان المسيح من الآب بمنزلة شعلة نار تعلقت من شعلة نار فلم تنقص الأولى لايقاد الثانية منها . ومنهم يقول لم تحبل مريم لتسعة أشهر وانما مر نور فى بطن مريم كما يمر الماء فى الميزاب لأن كلمة الله دخلت من أذنهـا وخرجت من فرجها من ساعتها . ومنهم من كان يقول بثلاثة آلهة صالح وطالح وعدل بينهما . ومنهم من يقول ربنـا والهنا يسوع المسيح . ومنهم من يقول ان المسيح انسان خلق من اللاهوت كواحد منا فى جوهرة وان ابتداء الابن من مريم وانه اصطفى ليكون مخلصا للجوهر الانسانى صحبته النعمة الالهية فخلق منه بالمحبة والمشيئة . فلذلك سمى ابن الله ويقولون ان الله جوهر واحد واقنوم واحـد يسمونه بثلاثة أسـماء ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القـدس . ومنهم من يقول ان المسيح اله حق وانسـان حق

بطبيعتين مختلفتين ومشيئتين كذلك . ومنهم من يقول انه بطبيعة واحدة ومشيئة واحدة .ومنهم من يقول ان جسد المسيح بغير فعل وان طبيعة الآب والابن جوهر واحد واقنوم واحد ووجه واحد ، الى غير ذلك من الآراء والاعتقادات الكثيرة المختلفة المتناقضة . فاجتمع هؤلاء كلهم عند الملك قسطنطين وتناظروا فاختلفوا وصار كل منهم يؤيد رأيه وعقيدته وينكر ما عداها واشتد الخلاف والنزاع بينهم حتى لعن بعضهم بعضا وانسحب من مجلس المناظرة كثير منهم ولم يبق الا ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا فعجب الملك من ذلك . ثم أن هؤلاء الذين بقوا فى المجلس اتفقوا على أن يجعلوا للناس عقيدة واحدة وأن يسموها (أمانة) فى عنق كل مسيحى بحيث يجب عليه اعتناقها وتأديتها لمن بعده كما يؤدى الأمانة ، واتفقوا على جعلها أساس دياناتهم وقانون ايمان لهم وان يلعن كل من خالفها ويطرد من الكنيسة فوافق الملك على ذلك وأصدر أمره به وأعلنه فى جميع أنحاء المملكة حتى لا يكون للمسيحيين عموما سوى هذه العقيدة ، وان لا يعتبروا ولا يقرروا من الآن فصاعدا سواها وان تكون أمانة فى اعناقهم يعاقبون على عدم تحملها وعلى الاعتقاد والايمان بسواها . وقدكان هذا الخلاف والنزاع فى العقائد سببا فى حصول حروب دينية كثيرة بين المسيحيين حتى أصبح كل فريق منهم يكفر الآخر فى عقيدته . ولكن عقيدة الأمانة هى التى بقيت سائدة شائعة بينهم الى أن ظهر الاسلام والى الآن أيضا .

أدلتى على أن المراد من الأمانة فى القرآن هى عقيدة التثليث عند النصارى واتخاذهم لله ولداً

بناء على ما تقدم أقول انه بالنظر لكون هذه العقيدة النصرانية قد سميت بالأمان واشتهرت بهذا الاسم ، وحيث أن القرآن الكريم كثيرا ما يتعرض لعقائد النصارى فاننى أرى أنه لا مانع أصلا من أن تكون هذه الأمانة هى المرادة فى القرآن فى هذه الآية الكريمة . وان لفظ (أل) فى كلمة الأمانة للعهد أى المعهودة عند النصارى ، وحيث أن هذه

الأمانة محتوية على أمور متناقضة وغير معقولة كجعل الاله الواحد ثلاثة وجعل المسيح مولودا غير مخلوق ومساويا للآب فى الجوهر وكالاتحاد والحلول واتخاذ الله ولدا وغير ذلك مما هو مذكور فى هـــذه الأمانة ومما هو شرك بحت وجهل محض وظلم صرف فقـد قال تعالى عنها فى القرآن الكريم تمثيلا لفظاعتها وشناعتها وثقلها على النفوس (انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانســان انه كان ظلوما جهولا) أى عرضنا الأمانة المعهودة فى الأذهان المعروفة فى تلك الأزمان وهى عقيدة النصارى . فلفظ (أل) فيها للعهد الذهنى أو العهـد الخارجى عرضـناها (على السموات والأرض والجبال) معقوتها وشدتهاوكثرة تحملها (فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) أى أن لسان حالها يقول ذلك لأنهـا عقيدة متناقضة غير معقولة وأمانة بغيضة غير مقبولة ، وحركة ثقيلة غير محمولة ، ولكن حملها الانســان أى جنس الانسان والجنس يتحقق ولو فى بعض أفراده فضلا عن الجماعة أو الأمة كأمة النصارى ، فالمراد من الانسان هنا الانسان النصرانى كما أن المراد من الأمانة هنا العقيـدة النصرانيـة أى أن هـذه العقيـدة لو عرضناها . على الجمادات لأبين حملها وأشفقن منها . ولكن النصارى الذين يدعون أنهم عقلاء قد حملوها واعتقـدوها مع أنهـا غير معقولة تأباها الجمادات والحيوانات فضلا عن الانسان العاقل .

ومما يدل على أن المراد من (الأمانة) هنا هى عقيدة النصارى التى منها اتخاذ الله ولدا قوله تعالى فى سورة مريم ٩١ (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا أن كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا) فان آية مريم هذه قد وصفت عقيـدة اتخاذ الله ولدا التى هى من ضمن عقيدة النصارى بنفس أو مثل الصـفات التى وصفت بهـا آية الأحزاب الأمانة من أن السموات والأرض والجبال تأبى وتشفق من حملها وأنها تنشق وتتفطر

وتخر هدا منها . وهـذا دليل واضح على أن المراد من الأمانة المذكورة فى سورة الأحزاب الموصوفة بهذه الصفات انما هى عقيدة اتخاذ الله ولدا ونحوها مما هو موجود فى عقيدة النصارى وأمانتهم كالتثليث والاتحاد والحلول وغير ذلك لأن القرآن يفسر بعضه بعضا .

تطبيق بقية آية الأمانة
وما قبلها وما بعدها على ما فهمناه فيها
دون إمكان تطبيق ذلك على الأمانة بالمعنى الذى يقوله المفسرون

ثم قال تعالى (انه كان ظلوما جهولا) أى أن هذا الانسان النصرانى المعهود أو الانسان المتحقق فى جماعة النصرانية ظلوم لنفسه فى تحمل هذه الأمانة ، جهول (أى كثير الجهل) فيها لأنها مخالفة للعقل والمنطق ؛ اذ لا يعقل أن يكون لله ولد — وكل ما فى الكون له عبد — أو أن يكون الله الواحد الفرد الذى لا يتجزأ ثلاثة أجزاء وان هذه الثلاثة واحد فرد لا يتجزأ لأن هذا هو عين التناقض ونفس الشرك وغاية الجهل ، ولذلك عد الله تعالى من تحمل هـذه الأمانة ظلوما بشركه ، جهولا فى عقيدته وعلمه قال تعالى (ان الشرك لظلم عظيم) .

وبتفسيرنا هذا قد ظهر جليا وجه كون نفس المتحمل لهـذه الأمانة ظلوما جهولا بخلافه على تفسير المفسرين . فانهم مهما حاولوا فى توجيه أقوالهم فانك لا تجدها سائغة منتظمة . كما أنه على تفسيرنا هذا لا يدخل فى الانسان الظلوم الجهول الأنبياء والمرسلون ولا المؤمنون الموحدون كما دخل هؤلاء وأمثالهم فى الظلوم الجهول على تفسير المفسرين مما لا يليق أن يكونوا داخلين فيهما لأنه على تفسيرنا يكون ذلك مخصوصا بالمثلثين المشركين من النصارى ، وأما على تفسيرهم فانه يشمل كل من تحمل التوحيد أو التكاليف ونحوها مما ذكروه ولو كان المتحمل لها من الأنبياء والمرسلين .

وبهذا التفسير أيضا يظهر جليا جواب سؤالكم الثانى عن مناسبة هذه الآية لما قبلها وما بعدها . فان الله تعالى يقول بعد هذه الآية (ليعذب

الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) حيث أن أصحاب هذه العقيدة وأرباب هذه الامانة قسمان : قسم يعتقد بما فيها من التثليث ونحوه قلبا وقالبا ، ويقربه ظاهرا وباطنا ؛ وهؤلاء هم المشركون والمشركات . والقسم الآخر هو من لا يعتقد بذلك باطنا لأن عقله لا يسلم به ووجدانه لا يطمئن اليه ولكنه يقر به ظاهرا فقط مجاراة لآبائه وأجداده وابناء ملته ، ونفاقا لرؤساء دينه ، وكبراء شريعته ، وهؤلاء هم المنافقون والمنافقات . أما اذا فسرنا الأمانة بالفرائض وغيرها مما قاله المفسرون فانه لا يكون هناك معنى لذكر المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات، ولا وجها لتخصيصهما أيضا لأن من ترك الفرائض ونحوها مما قالوه لا يكون مشركا ولا منافقا وانما يكون عاصيا فقط . وحينئذ فلا يتحقق فيهم معنى الاشراك والنفاق ولا يمكن أن ينطبق معنى هذه الآيات عليهم .

وبهذا التفسير يظهر أيضا معنى قوله تعالى (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) حيث أن أصحاب هذه العقيدة والأمانة يعدون غير مؤمنين قطعيا ، فاذا رجعوا عنها الى الايمان بالله تعالى فان الله يتوب على من آمن منهم ورجع عن هذه العقيدة الباطلة . ولكن تاركى الفرائض ونحوها مما قاله المفسرون لا يكونون بذلك خارجين عن الايمان بالله حتى يتوب على من رجع منهم الى الايمان . وأيضا أن لفظ (ليعذب الله) فى الآية الأولى ، ولفظ (يتوب الله) فى الآية الثانية يشعران بأن المتحمل لهذه الأمانة يعد مذنبا بتحمله لها . وهذا لا يوافق تفسير المفسرين لأن المتحمل للفرائض ونحوها مما قالوه لا يصح أن يعد مذنبا بتحملها .. كما أنه بهذا التفسير يظهر واضحا أيضا وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها فان الله تعالى يقول قبل هذه الآية (وَقَالُوا رَبَّنَا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا) فان هذه الآية تناسب تمام المناسبة لمطاوعتهم لرؤساء الكنيسة فى هذه العقيدة ، وكبراء الشريعة فى هذه الأمانة وأنهم أضلوهم بها حيث قرروها لهم فى مجمع (نيقية) وألزموهم باعتناقها وجعلوها أمانة فى رقابهم يعاقبون على عدم تحملها . ولكن ذلك لا يلائم تفسير

المفسرين لأن ترك الانسان للفرائض انما يكون من نفسه لا مطاوعة للرؤساء والكبراء ، لأن هؤلاء لا يقولون للناس اتركوا ما فرضه الله عليكم ولا تصلوا ولا تصوموا مثلا ، ولكن يمكنهم أن يقولوا لهم ان العقيدة الحقة هى كذا فاتبعوها . فاذا كانت هذه العقيدة التى أمروهم بها باطلة فى الواقع ونفس الأمر كعقيدة التثليث ونحوه التى هى عقيدة الأمانة فانهم يكونون قد أضلوا الناس بها وأتبعهم الناس فيها فيحق لهم أن يقولوا (ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) ولكن لا يمكنهم أن يقولوا (ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فى ترك الفرائض التى فرضتها علينا فأضلونا السبيلا) : —

(أولا) لأن السادة والكبراء لا يجرؤون على تكليف الناس بترك الفرائض الشرعية .

(وثانيا) لو كلفوهم بذلك لا يجب على الناس اطاعتهم اذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ولكن الرؤساء قد يكلفون الناس بالعقائد وبفعل الفرائض لا بتركها . وأيضا يظهر وجه مناسبتها لقوله تعالى قبل هذه الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا) أى آذوه بنسبة السحر والجنون اليه وانه يمكنه أن يريهم الله جهرة كما قالوا (لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً) أى كما نسبوا عيسى الى التثليث وأنه جزء من الله أو هو الله بذاته ، وكما نسبوا الى محمد (ص) السحر والجنون أيضا . فبرأهم الله جميعا مما قالوه فيهم ، وأثبت نبوتهم وبراءة دعوتهم وصحة عقيدتهم ، فهذه الآية تناسب تفسيرنا للأمانة بأنها عقيدة التثليث ونحوه ولكنها لا تناسبها اذا فسرت بالفرائض ونحوها مما قاله المفسرون لأن تحمل الفرائض لا يعد نقيصة حتى يتبرأ منها وحتى تكون ظلما وجهلا . وكذا يظهر وجه مناسبتها لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) أى قولا معقولا مسددا أى لا كقول النصارى فى التثليث ونحوه حيث انه ليس سديدا ولا معقولا . وبالجملة فانه على تفسيرنا هذا نجد أن جميع الآيات التى

ذكرت قبل آية الأمانة وجميع الآيات التى ذكرت بعدها كلها مرتبط بعضها ببعض تمام الارتباط ، متناسق تمام التناسق متلائم تمام الملائمة ، ولكن على تفسير المفسرين لا نجد آية مرتبطة مع الأخرى بل تكون كل آية منها كأنها مقطوعة عما قبلها وما بعدها وعليه فقد أصبح قولنا هذا أقرب مما قاله المفسرون والله أعلم بحقائق الأمور .

هذا ما اجبنا به الشيخ توفيق البزره على سؤاله وقد جاءنا منه كتاب استحسن فيه هذا الرأى وشكرنا عليه .

البحث الرابع

الشجرة التى أكل منها آدم وحواء
فأخرجا من الجنة

قال تعالى فى سورة البقرة ٣٤ : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ . وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ، وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) .

المراد من لفظ الملائكة
ولفظ الشيطان أو إبليس ومن الأمر بسجودهم لآدم
وما قاله المفسرون فى ذلك وما أفهمه فى هذا الموضوع

المراد من السجود هنا مطلق الخضوع والانقياد واختلف العلماء فيما هو المراد من الملائكة فقال بعضهم هم أجسام لطيفة نورانية أو هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة . وقال بعضهم هم جواهر مجردة عن الماديات والجسمانيات قائمة بأنفسها لا تحتاج الى حيز .

أقول ان استثناء ابليس من الملائكة فى الآية قد يشعر باتحادهما فى الماهية وان اختلفا بالصنف والصفة . ويدل على ذلك ما ورد فى بعض الآثار من أن ابليس كان من أكابر الملائكة ومن أكثرهم عبادة لله تعالى ،

وأما قـوله تعالى فى سورة الكهف (الا ابليس كان من الجن) فانه لا ينافى ذلك لأن لفظ الجن كما يصح اطلاقه فى اللغة على ابليس فانه يصح اطلاقه لغويا على الملائكة أيضا لأن الجن مأخوذ من الاجتنان أى التستر والملائكة وابليس كلاهما مستور عن العيون خصوصا وأن القرآن قد أطلق لفظ الجنة على الملائكة فى قوله تعالى : (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً) أى بينه وبين الملائكة كما هو معروف .

والمعنى أن ابليس أبى واستكبر عن الخضوع لآدم المخلوق من الطين أى من الكثافة والبرودة لأنه أى ابليس من الجن المخلوقين من النار أى من الحرارة والرقة والخفة كما قال تعالى حكاية عنه فى آية أخرى (أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ) ولا مانع من كون الجن المخلوقين من نار يسمون ملائكة أيضا لأن معنى كونهم من نار أنهم ليسوا مخلوقات مادية من طين كآدم بل هم مخلوقات لطيفة نارية وقد قال تعالى (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً) .

القـوى الجبارة التى اكتشفت فى هـــذا العصر

مما يصح أن يطلق عليها لفظ الجن والشياطين والملائكة

حسب ما ينشأ عنهـا من ضرر أو نفع

أقول ولا مانع أيضا أن تكون القوى الطبيعية النارية كالديناميت والطاقة الذرية ونحوها مما تكمن فيه القوى الجبارة التى اكتشفت فى هذا الزمن مما يصح أن يطلق عليها أيضا لفظ الجن والشيـاطين أو الملائكة بحسب ما ينشأ عنها من الخير أو الشر . وقد ورد أن من الملائكة من قلب المدن والقرى عاليها سافلها وأن من الجن والشياطين من فعل الأعاجيب لسليمان عليه السلام . وحيث أن هذه القوى الجبارة التى اكتشفت الآن قد فعلت مثل ما كان يفعـل ما يسمونه جنا أو شياطين أو ملائكة من قـديم الزمان فأى مانع حينئذ من تسمية هذه القوى

المكتشفة حديثا جنا أو شياطين أو ملائكة بحسب ما ينشأ عنها من الخير أو الشر وما ينبعث منها من نفع أو ضرر .

وقال بعضهم : الملائكة هى الأرواح الانسانية الصافية الخيرة كما أن الشياطين هى الأرواح الانسانية الخبيثة الشريرة اذا فارقا أبدانهما .

القوى الطبيعية والأرواح الخفية
المنبثة فى جميع الأشياء الأرضية
يصح أن يطلق عليها لفظ ملائكة

وقال بعضهم — واختاره الأستاذ الامام — ان مما يصح أن يطلق عليه لفظ ملائكة أيضا القوى الطبيعية والأرواح الخفية المنبثة فى جميع الأشياء الأرضية لأن ما ورد فى وصف الملائكة من كونهم موكلين بالأعمال من انماء نبات وخلقة حيوان وحفظ انسان وغير ذلك فيه اشارة دقيقة الى أن هذا النمو من النبات لم يكن الا بروح خاص نفخه الله فى البذرة فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة وكذلك يقال فى الحيوان والانسان فكل أمر كلى قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الالهية فى ايجاده فانما قوامه بروح الهى سمى فى لسان الشرع ملكا ، ومن لم يبال فى التسمية بالتوقيف يسمى هذه المعانى بالقوة الطبيعية ، والأمر الثابت الذى لا نزاع فيه هو أن فى باطن الخلقة أمرا هو مناطها وبه قوامها ونظامها لا يمكن لعاقل أن ينكره . وان أنكر غير المؤمن تسميته ملكا وزعم أنه لا دليل على وجود الملائكة أو أنكر بعض المؤمنين تسميته قوة طبيعية أو ناموسا طبيعيا لكون هذه الأشياء لم ترد فى الشرع . فالحقيقة واحدة والعاقل لا تحجبه الأسماء عن المسميات . ويشعر كل من فكر فى نفسه ووازن بين خواطره عند ما يهم بأمر فيه وجه للحق أو للخير ، ووجه للباطل أو للشر — بأن فى نفسه تنازعا كأن الأمر قد عرض فيها على مجلس شورى فهذا يورد وذاك يدفع وأحد يقول افعل وآخر يقول لا تفعل حتى ينتصر أحد الطرفين ويترجح

أحد الخاطرين فهذا الشيء الذى أودع فى أنفسنا ونسميه قوة وفكرا — وهو فى الحقيقة معنى لا يدرك كنهه وروح لا تكنه حقيقتها — لا يبعد أن يسميه الله ملكا أو يسمى أسبابه ملائكة كما أن القوة التى تميل بالمستعد الى الكمال أو بالكمال الى النقص وتعارض مد الوجود لترده الى العدم وتقطع سبل البقاء وتعود بالموجود الى الغناء والتى تعارض فى اتباع الحق وتصد عن عمل الخير تسمى ابليسا وشيطانا اذ لا حجر فى الأسماء .

قال حجة الاسلام الغزالى (ان لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعى الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعى الى الشر يسمى شيطانا ، واللطف الذى يتهيأ به القلب لقبول الهام الخير يسمى توفيقا والذى يتهيأ لقبول الشر يسمى اغواء وخذلانا فان المعانى المختلفة تحتاج الى أسامى مختلفة) انتهى .

فأنت ترى من تصريح الامام الغزالى وغيره ان كل قوة طبيعية من نبات أو حيوان أو انسان تكون سببا فى النمو والحياة ومصدرا للفائدة والمنفعة ومبعثا للخير والسعادة يصح أن تسمى ملكا . وان كل قوة طبيعية تكون سببا فى الضعف والفناء ومبعثا للشر والضرر ومصدرا للفساد والغواية والضلالة يصح أن تسمى ابليسا وشيطانا .

وحينئذ فلا يستبعد أن تكون هذه الآية اشارة الى أن الله تعالى لما خلق الأرض ودبرها بما شاء من القوى الروحانية التى بها قوامها ونظامها وجعل كل صنف من القوى مخصوصا بنوع من أنواع المخلوقات لا يتعدى ما حدد له من الأثر الذى خص به خلق بعد ذلك الانسان وأعطاه قوة يكون بها مستعدا للتصرف بجميع هذه القوى وتسخيرها فى عمارة الأرض وعبر عن تسخير هذه القوى له بالسجود الذى يفيد معنى الخضوع والتسخير وجعله بهذا الاستعداد الذى لا حد له والتصرف الذى لم يعط لغيره خليفة الله فى أرضه لأنه أكمل الموجودات فى هذه الأرض وامتثنى من هذه القوى قوة واحدة عبر عنها بابليس وهى القوة

التى تميل بالشىء الى الفساد والفناء ، وتبعث الانسان على الشر والضرر، فان هذه القوة لم يستطع الانسان اخضاعها اليه وانما ذلك لله وحده .

ومما يؤيد تفسير هذه الآيات بهذا المعنى كون هذه الآيات قد وردت عقب قوله تعالى : (هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً) فإن هذه الآية تشير مع قوله تعالى فى آية أخرى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِى ٱلْأَرْضِ) الى ما ذكرناه من أن كل قوة من قوى الأرض وكل ناموس من نواميس الطبيعة فيها قد خلق خاضعا للانسان وخلق الانسان مستعدا لتسخيره لمنفعته أى الا قوة واحدة هى قوة الشر وناموس الوسوسة المعبر عنها بابليس . فان هذه الآيات تفيدأن الانسان لايقبلها ولايخضعها اليه مهما ارتقى وكمل . وقصارى ما يصل اليه الكاملون هو الحذر من دسائسها والسلامة من سوء عاقبتها بأن لا يكون لها سلطان عليه بحيث تجعله مسخرا لها تستعمله فى شررها كما قال تعالى(إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) وكما قال أيضا (إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرونَ) .

خلافة آدم عن الله فى الأرض
والمراد من لفظ آدم وحواء هنا

ثم قال تعالى (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) .

قد عرفت من الآيات السابقة أن الله تعالى لما أراد أن يوجد النوع الانسانى وأن يجعله خليفة فى الأرض آذن الأرواح المنبثة فى الأشياء لتدبيرها ونظامها وأعلمها بما يريد ففهمت تلك الأرواح من معنى كون الانسان خليفة أنه يفسد النظام ويسفك الدماء بسبب سلطته على كل

ما فى الأرض وتصرفه فيها حسب ما يشاء فأعلم الله تلك الأرواح بأنها لا تحيط علما بحكمة ايجاد هذا الانسان وأن الله هو الذى يعلم ذلك ويعلم أن لهذا النوع الانسانى مزايا وفوائد تتلاشى معها مفاسده وسفكه للدماء ولذلك خلقه وعلمه الأشياء كلها ، ولما كان كل صنف من تلك الأرواح لا يعلم الا طائفة من الأشياء فقد أخضع الله له تلك الأرواح كلها الا روحا واحدا هو مبعث الشر ومصدر الاغواء ، فهذا قد أبى الخضوع واستكبر عن السجود لأن طبيعته تقتضى ذلك .

لما بين الله تعالى ذلك فى الآيات السابقة أراد أن يبين هنا أنه أمر هذا الانسان وزوجه بسكنى الجنة والتمتع فيها ونهاهما عن قرب هذه الشجرة فقال تعالى (فَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) . قال المفسرون المراد من آدم وحواء شخصهما أى أول ذكر خلق من الانسان المسمى آدم ، وأول أنثى خلقت منه المسماة حواء . ولكنى أقول ليس المراد بهما شخصهما بل المراد بهما نوعا الذكر والأنثى .

ما أفهمه من لفظ آدم وحواء

أقول أن المراد بهما هنا نوعهما أى مطلق الذكر من الانسان المعبر عنه بآدم ، ومطلق الأنثى منه المعبر عنه بحواء أو بزوج آدم .

ومما يصرح بذلك قوله تعالى فى سورة طه : (قُلْنَا اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً إلخ) فان قوله (اهبطا) راجع الى آدم وزوجه فى قوله قبلها (ان هذا عدو لك ولزوجك) فتعبير الآية هنا بقوله جميعا بعضكم لبعض عدو الخ الذى يفيد الكثرة وبقوله (ومن أعرض عن ذكرى) الى آخر هذه الآية دليل صريح على أن المراد من آدم هو الذكر مطلقا ، ومن زوجه الأنثى مطلقا لا خصوص شخص آدم وشخص حواء فقط بل أناس كثيرون جدا .

ومما يصرح بذلك أيضا قوله تعالى فى سورة الأعراف : (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ) فتعبير الآية بلفظ (ثم) الموضوعة للتراضى فى قوله (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) بعد قوله (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) بصيغة الجمع التى تفيد أن الناس كانوا موجودين كثيرا قبل الأمر بالسجود لآدم ؛ هذا التعبير دليل واضح على أن المراد من آدم جنس الانسان لا شخص آدم فقط .

ومما يصرح بذلك أيضا آية الحجر فانها تفيد أن السجود كان للانسان وللبشر مطلقا حيث قال فيها (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ) ثم قال : (إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ) ثم قال : (فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) أى للانسان والبشر الذى هو أعم من شخص آدم.

آدم وحواء لم يخلقا فردين فقط
بل خلقا أفراداً كثيرة جداً فى أقطار متعددة متفرقة
ذكراً وأنثى باسم آدم وحواء أو باسم الإنسان

أن القول بأن المراد من لفظ آدم شخص مفرد معين انما هو مبنى على الاعتقاد السائد من أن الله تعالى حينما خلق الانسان فى بادىء الأمر لم يخلق منه الا فردا واحدا فقط وهو آدم وأن حواء انما هى من ضلع من أضلاعه ومن هذا الفرد فقط تفرعت باقى الأفراد ووجدت سائر المخلوقات الانسانية مع أنه يحتمل أن الله تعالى قد خلق فى بادىء الأمر من نوع الانسان أفرادا كثيرة فى أماكن متعددة من الأرض . وهكذا سائر أنواع الحيوانات والنباتات كما نشاهد الآن فى خلق الحيوانات الصغيرة الجديدة فانه تعالى يخلق من كل نوع منها أفرادا متعددة فى أماكن متعددة ولا داعى لحصر قدرة الله فى خلق فرد فقط من كل نوع فى بادىء الأمر بل يجوز أن يكون قد خلق من كل نوع أفرادا كثيرة فى أماكن كثيرة .

وحينئذ فما المانع من القول بأن الله تعالى كان قد خلق فى الأقطار المتباعدة المنفصلة عن بعضها بالبحار ذكورا وأناثا متعددة من نوع الانسان جعل بينهما التوالد بدون أن يكون اتصال بين مواليد هذا القطر وذاك وأطلق عليهما لفظ آدم وحواء لأنهما أسما جنس كما نشاهد الآن من أنه خلق أنواعا جديدة من الحيونات فى عدة أقطار بدون اتصال بين مواليد هذا القطر وذاك . وما المانع أيضا من القول بأن حواء الأنثى قد خلقت فى بادىء الأمر منفردة مستقلة كما خلق آدم الذكر فى بادىء الأمر منفردا مستقلا بدون أن تكون هى أحد أضلاعه كما يقولون وأن معنى كونها من ضلعه أى ضمن حنوه وشفقته وتحت امرته وتصرفه .

وكلامنا هنا لا يعنى أبطال مسألة التطور والنشوء والارتقاء وتنازع البقاء وبقاء الأصلح بل يعنى أن الانسان كان نوعا خاصا مستقلا من بداية نشأته وخلقته ، ومن أول وجود بذرته وخليته . ويعنى أيضا أن خليته الأولى وبذرته الأصلية لم تخلق واحدة فقط بل خلقت آلاف الملايين فى أصقاع متعددة فى الأرض شأن بذور جميع الحيوانات والنباتات كما هو مشاهد وكونه كذلك لا يمنع من وجود التطور فيه بصفة كونه نوعا خاصا مستقلا قائما بنفسه لا منشقا من نوع آخر كما يدعى داروينى من أن الانسان متولد من القرد . وقد ذكرنا الرد عليه وفصلناه بصورة موضحة فى البحث (١١٦) المتعلق بالرد على مذهب داروينى فى هذا الموضوع فراجعه ان شئت .

الجنة والشجرة

التى نهى الله آدم وحواء عن الأكل منها

وما قاله المفسرون فيهما ، وما أفهمه فى ذلك

اختلف المفسرون فيما هو المراد هنا من الجنة فقال بعضهم هى الدار الموعود بها فى الآخرة وقال بعضهم هى بستان فى الأرض خلق فيه آدم . وقد استدل كل واحد من الطرفين على صحة قوله وعلى رد القول الآخر بما لا لزوم للتطويل فيه .

أقول ويحتمل أن يكون المراد من الجنة أمر معنوى وهو النعيم والسعادة والراحة والهناء والسرور ورضا الله تعالى وامتثال أمره . والمراد من السكنى بها والأكل منها رغدا أى السكون والطمأنينة ومطلق التمتع واللذة معبرا عنهما مجازا بالسكنى والأكل .

واختلف العلماء أيضا فى المراد من الشجرة فقال بعضهم هى سنبلة البر والحنطة وبعضهم شجرة الكرم ، وبعضهم شجرة التين ، وبعضهم شجرة التفاح وبعضهم شجرة الموز وبعضهم هى شجرة من أكل منها أحدث ولا ينبغى أن يكون فى الجنة حدث الى غير ذلك من الأقوال البعيدة التى لا دليل لهم عليها .

وقالت الصوفية المراد من الشجرة الطبيعة البشرية ، والمراد من آدم الروح الانسانية ومن حواء النفس الحية ومن الجنة تعلق هذه الروح والنفس بالجسم المادى . أى المراد من الشجرة طبيعة هيكل جسد الانسان المبينة على الشهوات ومن النهى عدم اتباع الروح والنفس لشهوات هذا الجسد ولا يخفى مافى ذلك من البعد أيضا .

وقيل هى شجرة التناسل الذى يحصل بالجماع ولذلك قال فى سورة طه ١٢٠ : (فَوَسْوَسَ لَهُ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَّرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) فانها تشعر بأن الشيطان قد وسوس لآدم بأن يجامع حواء فيأتى له منها نسل فيخلد بذريته فى الأرض ويحصل بذلك على ملك لا يبلى فلما جامعها بدت لهما سوآتهما أى عرفا أن فرجيهما سوأتان يجب على كل منهما أن يسترهما عن عين الآخر فطفقا يسترانها بورق الجنة .

. ولا يخفى ما فى ذلك من البعد أيضا اذ كيف ينهاهما الله عن شجرة التناسل وهو المقصود الحقيقى من خلقهما .

أما فهمه فى المراد من الشجرة
التى أكل منها آدم وحواء فأخرجا من الجنة
وأدلتى من القرآن الكريم على ما أقول

أقول أن المراد من هذه الشجرة أمر آخر غير ما قاله هؤلاء وهؤلاء وبيان ذلك : أن التعبير باسم الاشارة فى قوله (هذه الشجرة) يفيد أن الشجرة مذكورة فى نفس الآيات قبله حتى أشار اليها بلفظ (هذه) والمذكورة فى هذه الآيات انما هى الشجرة الابليسية التى امتنعت من السجود والخضوع لآدم فكأن الله تعالى يقول لآدم حيث أن هذه الشجرة الابليسية قد امتنعت عن الخضوع اليك فقد أصبحت عدوا لك فلا تقربها لئلا تضرك وانما عبر عن ابليس بلفظ (شجرة) باعتبار ذريته وما تناسل منه فهو كشجرة خبيثة تضر دائما بالشجرة الانسانية فكل من أكل من هذه الشجرة الابليسية وتلذذ بهذه الشهوات الشيطانية فقد ظلم نفسه وخرج مما كان فيه من نعيم السعادة ورضا الله تعالى ، وهبط من علو مكانته ورفعة مقامه الى السفالة والدناءة وغضب الله ،وأصبح هؤلاء بسبب ذلك بعضهم لبعض عدو كما قال تعالى فى آية أخرى (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) ولذلك قال : (ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين) أى انكم حيث اقتربتم من هذه الشجرة وظلمتم أنفسكم وأصبح بعضكم عدوا لبعض تتناحرون وتتسافكون الدماء بسبب اقترابكم من شجرة الاغواء فحينئذ ليس لكم فى الأرض مستقر ومتاع الا حينا من الدهر ثم يهلك بعضكم بعضا . فلو بقى الانسان على أصل خلقته من البساطة وسلامة الفطرة وقويم الوجهة كما قال تعالى (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) لما رد الى أسفل سافلين بسبب أكله من شجرة الشياطين ولما أهلك بعضه بعضا بالحروب وغيرها .

ومما يدل على أن المراد من الشجرة المنهى عنها انما هى الشجرة الابليسية الشيطانية قوله تعالى فى سورة الأعراف (٢١) (وناداهما ربهما

الم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما أن الشيطان لكما عدو مبين) فانها تفيد أن المراد نهيهما عن شجرة الشيطان الذى هو عدو لهما ولذريتهما خصوصا وان هذه الآية قد وردت عقب تهديد ابليس لبنى آدم بقوله (لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم) وعقب تحذير الله لآدم وزوجه أى للذكر والأنثى من بنى آدم بقوله (فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة) أى الشجرة المتحدث عنها سابقا التى هى ابليس وذريته الذين توعدوا بنى آدم وهددهم بالاغواء والتضليل وبالقعود لهم على كل صراط مستقيم وبأتيانهم من بين أيديهم ومن خلفهم وايمانهم وشمائلهم .

وبالجملة فان جميع الآيات التى ذكر فيها آدم وحواء والشجرة التى نهيا عنها صريحة فى أن المراد من الشجرة انما هى الشجرة الابليسية الشيطانية أى ابليس وذريته . وعليه فمعنى قوله تعالى فى سورة طه ١٢٠ (فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) أى أنه حينما اقترب الانسان ذكره وأنثاه من ابليس وأطاعاه فى وسوسته وأكلا من ثمرة شجرته بدت لهما سوآتهما أى ظهرت لهما عاقبة سيئاتهما . وأحسا بنتائج أعمالهما السيئة وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة أى طفقا يستران سوء هذه الأعمال بأوراق الجنة أى بالأعمال الصالحة ويكفران بها عن سيئاتهما وبالتوبة الى ربهما .

ومما يفيد ذلك ما ورد فى التوراة أيضا حيث قالت فى الاصحاح الثانى من سفر التكوين (وأخذ الرب الاله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها وأوصى الرب الاله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلا وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتا تموت ؛ فهذه الآية تدل على أن المنهى عنه هو معرفة شجرة الخير والشر . ومما لاشك فيه أن الله تعالى لا ينهى عن معرفة الخير وانما ذكره لأن به يعرف الشر ويتميز به لأنه ضده (وبضدها تتميز الأشياء) فذكره فى آية التوراة لا لأجل النهى عنه بل ليتميز الشر منه الذى أن أكل منه الانسان

أى استعمله يموت ميتة الخطاة الآثمين كما هو المعنى المقصود من الموت فى الكتب المقدسة . وحينئذ فالشجرة التى نهى الله آدم عن الأكل منها ليست شجرة الحنطة أو التين أو التفاح أو الموز أو الحنظل أو نحو ذلك مما يقوله المفسرون بل هى شجرة الشرور الابليسية ، وشجرة الضلالات الشيطانية وثمراتها الشهية الشهوانية .

ما قاله المفسرون

فى معنى قوله تعالى (فبدت لهما سوآتهما إلخ)

وفى معنى قوله (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين إلخ)

وما أفهمه فى معنى هاتين الآيتين خلافاً لهم

قال المفسرون فى معنى قوله (فبدت لهما سوآتهما) وقوله فى آية أخرى ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوآتهما هى عوراتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وكانت مستورة بالنور وقيل بلباس كالظفر ، وحينما بدت لهما غطياها بورق من تين الجنة ، وأنا أقول ان المراد من السوآت هنا السيآت والأعمال القبيحة ، ومن خصف أوراق الجنة عليها سترها وتغطيتها بالأعمال الصالحة أى أعمال أهل الجنة كما تقدم توضيحه . وقال المفسرون أيضا فى معنى قوله تعالى حكاية عن ابليس (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) ان الاستثناء فى هذه الآية على تقدير مضاف أو على تقدير (لا) النافية أى كراهية أن تكونا أو لئلا تكونا ملكين الخ .

أقول انه لا داعى لهذا التصرف المعيب فى آيات القرآن خصوصا جعل المثبت فيها منفيا ، فبدل أن نقول ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا كراهية أن تكونا أو لئلا تكونا ملكين الخ كما يزعم المفسرون نقول ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا لأجل أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين أى فى الجنة كما هو صريح الآيات الأخرى بدون تقدير مضاف وبدون زيادة لفظ (لا) التى تعكس معنى الآية رأسا على عقب ، وحينئذ فمعنى الآية على قولنا أن ابليس أقر واعترف بحقيقة لا يمكنه

انكارها أصلا وهى أن الله تعالى انما نهاهما عن القرب من شجرة الغواية والضلال الا لأجل أن يكونا ملكين فى الصلاح والتقوى أو من الخالدين فى جنة النعيم والطمأنينة . ولكن ابليس نفسه لم يرق له ذلك فوسوس لهما باغرائهما على الشهوات والملذات وعلى مطاوعة النفس والهوى ودلهما على ذلك بالتغرير والخداع كما قال تعالى فى نفس هذه الآية (فدلاهما بغرور) هذا ما أراه أقرب للعقل ولمعنى هذه الآيات القرآنية .

وهذا هو المراد من قوله تعالى فى آية أخرى (فوسوس اليه الشيطان وقال ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) فان هذا تغرير وتضليل من الشيطان للانسان بايقاعه فى طمع النفس بالخلود الكاذب والملك الدائم اذ لا يوجد فى الدنيا خلود لا يفنى أو ملك لا يبلى فهذه الدلالة كاذبة خادعة يقصد منها الشيطان أن يطيعه الانسان فى كل ما يأمره به حتى يأكل من شجرة التخلد فى شهواته وينغمس فى ملك ملذاته التى يقوده الشيطان اليها ويدله عليها .

ثم قال تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) قال المفسرون أن هذه الكلمات هى (ربنا أطعنا أنفسنا فان لم تغفر لنا وترحمنا لتكونن من الخاسرين) وقال بعضهم هى (سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ظلمت نفسى فاغفرلى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت) وقال بعضهم ان آدم رأى مكتوبا على ساق العرش (محمد رسول الله) فتشفع به واطلاق لفظ كلمات على محمد وعلى رسول الله هو كاطلاق لفظ (كلمة) على عيسى عليه السلام الى غير ذلك من الأقوال البعيدة .

أما أنا فأقول ان معنى (فتلقى آدم من ربه كلمات) أى أن الانسان تلقى من ربه بواسطة وحيه على رسله (كلمات) أى تعاليم الهية تهديه الى سواء السبيل والى الصراط المستقيم فتاب عليه بواسطة عمله بهذه التعاليم الالهية والكلمات السماوية كما قال تعالى (إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) فسورة (التين) توضح معنى هذه

الآيات من سورة البقرة حيث أن الانسان قد خلق فى أحسن تقويم ثم رد الى أسفل سافلين بأكله من شجرة الشياطين الا من آمن وتلقى من ربه كلمات الهداية بواسطة النبيين فتاب عليه انه هو التواب الرحيم .

هذا ما أراه أحسن فى تفسير هذه الآيات ، وأما ما تشعر به هـذه الآيات من نسبة الذنب والخطيئة الى آدم مع أنه نبى ورسول والنبى معصوم عن ذلك فقد عرفت أنه على هذا التفسير لا يرد مثل هذا الاعتراض لأن الذنب والخطيئة تكون على هذا التفسير منسوبة الى نوع الانسان . وعلى فرض أن المراد من آدم شخصه كما يقول المفسرون فهذه الخطيئة لم تحصل منه وهو نبى بل حصلت منه قبل النبـوة ؛ لأن النبوة انما حصلت له بعد هبوطه الى الأرض وبعد وجـود ذرية له حتى صح أن يكون نبيا ورسولا لهم . والخطيئة قبل النبوة لا يوجد دليل على منعها .

البحث الخامس

الشجرة الملعونة فى القرآن

ما قاله المفسرون فيها وبيان ضعفه

ما أفهمه فيها خلافاً لهم وأدلتى من القرآن الكريم على ذلك

قال تعالى فى سورة الإسراء ٦٠ : (وَإِذْ قُلْنَا إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا) .

قال المفسرون فى معنى (أحاط بالناس) أن قدرته محيطة بهم ، وان المراد من الناس خصوص أهل مكة ومعنى أحاط أى فتح بلدهم مكة للمسلمين .

أقول ان الأقرب والأوفق بمعنى هذه الآية أن يكون معنى (أحاط بالناس) أى أحاط علما وخبرة بطبائعهم وأخلاقهم وغرائزهم ، وبنزعاتهم وميولهم ورغائبهم أى حيث أنهم مختلفون فى ذلك فلا بد وأن تختلف أيضا عقائدهم وأعمالهم فلا يحزنك ما ترى منهم وحينئذ فليس ذلك مخصوصا بأهل مكة .

وقد اختلف المفسرون فيما هو المراد من هذه الرؤيا فى قوله (وماجعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس) على أربعة أقوال .

الأول : قال بعضهم المراد فيها ما رآه النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام من مصارع كفار قريش فى موقعة بدر فلما أخبر بمصارعهم حصلت فتنة وسخرية واستهزاء برؤياه ولكن الله حقق ذلك .

الثانى : أن المراد بها رؤياه التى رآها بأن المسلمين يدخلون مكة آمنين فأخبر بذلك أصحابه فلما منع عن البيت الحرام عام الحديبية كان ذلك فتنة لبعض القوم ولكن الله حقق هذه الرؤيا فى السنة التى بعدها .

الثالث : أن المراد بها رؤياه فى المنام أن بنى أمية ينزون على منبره نزو القردة أى يتداولون عليه فساءه ذلك ولما شاع الخبر بين الصحابة وبين بنى أمية حصلت فتنة وقيل وقال .

الرابع : وهو قول أكثر المفسرين هو ما أراه الله لنبيه ليلة الاسراء والمعراج من العجائب فلما أخبر الناس بها صدقه الصحابة وكذبه كفار قريش فحصلت فتنة بذلك . وقد اختلف المفسرون أيضا هل هذه الرؤيا منامية أم حقيقية بصرية كما تقدم لك توضيحه فى غير هذا الموضع .

وأما لفظ الشجرة الملعونة فى القرآن فقد قال بعض المفسرين أنه معطوف على لفظ الرؤيا على وجه التقديم والتأخير أى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك والشجرة الملعونة فى القرآن الا فتنة للناس .

وقال البعض الآخر ان لفظ الشجرة منصوب بفعل محذوف دل عليه الفعل المذكور أى والشجرة الملعونة فى القرآن قد جعلناها أيضا فتنة كذلك .

ثم اختلفوا فيما هو المراد من معنى الشجرة على ثلاثة أقوال :

الأول : وهو قول أكثر المفسرين أنها شجرة الزقوم المذكورة فى القرآن فى قوله (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ) ، ومعنى كونها ملعونة أى مكروهة وضارة أو مبعدة عن صفات الخير لأن اللعن فى اللغة هو الطرد والابعاد ومعنى كونها فتنة أنها بالنظر لكونها ستكون ثابتة فى نار جهنم لتكون طعاما لأهلها فالناس تفتتن من ذلك وتقول ان النار تحرق الشجر فلا يمكن أن ينبت فيها مع أن الله قادر على كل شىء .

القول الثانى : أن المراد بالشجرة الملعونة فى القرآن اليهود لأن الله تعالى لعنهم فى القرآن فى عدة آيات كقوله (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) ، وقوله : (كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ

السَّبْتِ) ، وقوله : (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ) ، وقوله : (بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ) واليهود هم فتنة للناس وسبب لايجاد الشرور والمفاسد بينهم .

القول الثالث : أن المراد بالشجرة الملعونة فى القرآن بنو أمية وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى المنام أن أشخاصا مثل القردة ينزون على منبره أى يصعدون عليه واحدا بعد واحد نزو القردة على الأشجار فلما استيقظ أزعجته هذه الرؤيا لأن رؤيا القردة فى المنام تؤول بالمصائب والدواهى والفتن والمحن وقد صار الأمر كما رأى النبى (ص) فان بنى أمية حين تولوا الخلافة المأولة بالمنبر قد أصبحوا مصائب منصبة وقردة منكبة على آل بيت الرسول وبواسطتهم حصلت الحروب والفتن فى الاسلام فكانوا فتنة للناس ولذلك فان النبى (ص) حينما أوحى اليه بتأويل هذه الرؤيا بهذا الأمر استولت عليه الأحزان وما رئى ضاحكا مستبشرا الى أن مات كما روى ذلك فى بعض الأحاديث . هذا هو ما قاله المفسرون فى تفسير هذه الآيات مع بعض زيادة وتحسين اقتضاها توضيح هذه الأقوال .

أقول انك لو تأملت فى تفاسيرهم هذه وتطبيقها على هذه الآيات لرأيت فيها تكلفا ظاهرا خصوصا وان بنى أمية لم يرد ولم يذكر لعنهم فى القرآن أبدا . وعليه فانى أفهم فى معنى الشجرة الملعونة فى القرآن وفى معنى الرؤيا التى أراها الله لنبيه عليه الصلاة والسلام فهما آخر غير ما فهمه المفسرون فيهما .

ما أفهمه فى المراد من الشجرة الملعونة فى القرآن وأدلتى على ما أقول

أما الشجرة الملعونة فى القرآن فانى أفهم فيها أنها هى الشجرة التى نهى الله آدم وحواء عن الاقتراب منها فى قوله تعالى فى سورة البقرة وغيرها (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) وهى الشجرة الابليسية الشيطانية الشهوانية المضرة لكل من اقترب أو أكل منها كما تقدم.

والتعبير عن ابليس فى آية البقرة وغيرها بلفظ (الشجرة) وفى هذه الآية بلفظ (الشجرة الملعونة) انما هو باعتبار ذريته وما تناسل منه فهو كشجرة خبيثة ملعونة تضر دائما بالشجرة الانسانية الوادعة . ومثل هذا التعبير مستعمل كثيرا فى القرآن الكريم حيث عبر فى مواضيع متعددة عن مصدر الخير ومنبته بالشجـرة الطيبة أو المباركة وعن مصدر الشر ومنبته بالشجرة الخبيثة أو الملعونة فمن ذلك قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) وقوله تعالى (اللهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ . نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) .

فها هو القرآن قد جعل الكلمة الطيبة شجرة طيبة ، والكلمة الخبيثة شجرة خبيثة وجعل مظهر نوره تعالى ومطلع نور الاسلام ومصدر هداية جميع الأنام محمدا عليه الصلاة والسلام شجرة مباركة باعتبار ما تفرع منه من أغصان الهداية وأرباب العلوم والدراية وباعتبار ما اقتطف منه من أزهار المحاسن والأخلاق والمكارم ، وما جنى منه من أثمار الحكم والمعارف والفضائل ، ولذلك سمى شجرة مباركة زيتـونة لا شرقية ولا غربية أى هى عامة لجميع الأمم فى كل أنحاء الكرة الأرضية وليست مخصوصة بشرق أو غرب كما سميت أيضا الكلمة الطيبة شجرة طيبة والكلمة الخبيثة شجرة خبيثة . والمعنى أن نور الله وهو الهداية الاسلامية قد سطع من زيت الشجرة المباركة المحمدية .

وبالجملة فانه لا مانع أصلا من تسمية ابليس شجرة ملعونة لأنه منبت الفساد والشرور ومصدر اللعن والطرد من رحمة الله . وعليه فالمراد من الشجرة الملعونة فى القرآن المذكورة فى هذه الآية هى نفس الشجرة التى نهى الله آدم عن الأكل منها المذكورة فى عدة آيات من القرآن كآية البقرة وغيرها وهى نفس شجرة ابليس الملعون فى القرآن فى عدة آيات أخرى كقوله تعالى (وَإِنْ تَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَرِيداً لَعَنَهُ اللهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً) وقوله : (فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلى يَوْمِ الدِّينِ) وقوله فى آية أخرى : (وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلى يَوْمِ الدِّينِ) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة المذكور فيها لعن ابليس وذريته مما يؤيد تفسيرنا هذا بأن المراد من الشجرة الملعونة فى القرآن انما هى الشجر الابليسية التى أكل من ثمراتها آدم وحواء فأخرجا من الجنة والتى لعنها الله فى عدة آيات فى القرآن الكريم .

وأما الرؤيا فانى أفهم فيها غير ما قاله المفسرون أيضا من أنها رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم لمصارع كفار قريش فى وقعة بدر أو رؤياه بأن المسلمين سيدخلون مكة آمنين أو رؤياه بأن قردة تنزوا على منبره . أو ما كان قد رآه فى ليلة الاسراء والمعراج . بل أقول أن المراد من الرؤيا التى أراها الله لنبيه عليه الصلاة والسلام المذكورة فى هذه الآية هى ما رآه من حالة الناس مع ابليس وذريته من بدء الخلقة الى الآن فيما قصه الله عليه فى القرآن وفيما أطلعه الله عليه فى زمانه من عدم انصياع الناس الا قليلا للحق ومكابرتهم فيه ومن عدم ايمانهم الا قليلا بالله ورسله بسبب وسوسة الشيطان وذريته التى هى الشجرة الملعونة لأن لفظ الرؤيا كما يطلق على الرؤيا المنامية يطلق كذلك على الرؤيا العلمية أيضا كما هنا . فهذه الآية فى حق محمد هى مثل قوله تعالى فى حق ابراهيم (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض) . فرؤية ابراهيم ملكوت السموات والأرض ليست منامية ولا بصرية وانما هى علمية فقط كرؤية محمد هنا .

وعليه فيكون معنى الآية وما جعلنا الرؤيا التى أريناك اياها من حالة الناس وما جعلنا الشجرة الملعونة فى القرآن التى هى شجرة ابليس الا فتنة للناس أى اختبارا لغرائزهم وأخلاقهم من حسن وقبح وقوة وضعف وايمان وكفر والا فيمكننا أن نجعلهم جميعا مؤمنين كما قال تعالى : (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً) ، وكما قال أيضاً : (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً) ولكن الله تعالى يريد أن يمتحن الناس ويظهر بعضهم لبعض فى غرائزهم وطباعهم وفى أخلاقهم ونزعاتهم وفى ميولهم ورغباتهم وفى أعمالهم ونياتهم وفى كفرهم وايمانهم ، وأن يجازى كل واحد حسب استحقاقه من خير أو شر . قال تعالى : (الم . أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) فالله سبحانه وتعالى ما خلق الشجرة الابليسية الملعونة فى القرآن الا ليجعلها فتنة واختبارا وامتحانا للناس من ذكور وأناث المعبر عنهما بآدم وحواء .

وأما قوله تعالى (ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا) فان معناه يكون واضحا ظاهرا على تفسيرنا وهو أن الله تعالى قد خوف الناس وحذرهم كثيرا من ابليس وذريته ومن وسوستهم .وحذرهم كثيرا من الحالة التى هم عليها التى نشأت لهم من الاقتراب من هذه الشجرة ولكن تخويفه وتحذيره لهم لم يزدهم الا طغيانا كبيرا كما هو مشاهد فى حالة الناس لغلبة ابليس عليهم .

ولكن المفسرين لم يجدوا لهذه الآية محلا هنا على مقتضى تفسيرهم فاضطروا لأن يربطوها بالآيات الأخرى التى قبلها البعيدة عنها كثيرا وهى قوله تعالى : (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ) . وقد تمحلوا فى كيفية ربطها بها كما تمحلوا أيضا فى ربط قوله فى هذه الآية (واذ قلنا لك أن ربك أحاط بالناس) بالآيات التى قبلها والآيات

التى بعـدها مع أن ذلك ظاهـر واضح على تفسيرنا كما قدمنا دون تفسيرهم .

وأعظم دليل على أن المـراد من الرؤيا التى أراها الله للنبى (ص) ومن الشجرة الملعونة هوما قلناه دون ما قاله المفسرون قوله تعالى عقب هذه الآية : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اُسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً قَالَ أَرَأَيْتَكَ هٰذا الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِى إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً قَالَ اُذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُوراً وَاُسْتَفْزِزْ مَنِ اُسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً ، إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً) .

فان هذه الآيات بمثابة تفصيل وتوضيح للآيات التى قبلها وهى قوله(واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للنـاس والشجرة الملعونة ، فى القرآن ونخوفهم فما يـزيدهم الا طغيانا كبيرا) فان جميع هذه الآيات على تفسيرنا تكون فى موضوع واحد وهو موضوع آدم وابليس وعلى معنى واحد أيضا ولكن على تفسير المفسرين فانك ترى أن آيـة منها فى الشرق وأخرى فى الغرب ولذلك فانهم تحيروا كثيرا فى ربط هذه الآيات بالآيات التى قبلها وتمحلوا لذلك تمحلا كثيرا بمالا ينطبق على معانى هذه الآيات جميعا .

البحث السادس

ذبح البقرة وضرب القتيل ببعضها
الوارد فى القرآن الكريم

جواباً لسؤال ورد لنا من المحامى الشيخ أديب السراج من القدس :

فى سنة ١٩٠٦ كنت مديرا لمدرسة غزة الأميرية وكان أديب أفندى السراج من القدس معلما للحساب والجغرافيا فيها وكان يلازمنى ملازمة تامة ويسألنى عن مسائل كثيرة دينية وغير دينية وكنت أجيبه عليها بأجوبة معقولة فكان يرتاح اليها وينسر منها وأخيرا انتقل الى بلدة القدس معلما هناك ثم جاءنى منه تحرير هذا نصه :

القدس ٢١ أيلول سنة ١٩٢٨

سيدى صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله القيشاوى المحترم .

اننى لن أنسى تلك الاجتماعات والمذكرات ولا تلك الأسئلة التى كنت أعرضها عليكم والأجوبة التى أتلقاها منكم حينما كنت بغزة معكم واننى لا أزال أرغب فى سؤالكم مكاتبة كما كنت أسألكم مشافهة فمن مدة يسيرة كنت فى جلسة مع جماعة من القدس تليت فيها آية البقرة ٧٢ التى تقول خطابا لليهود : (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيها وَاللهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذٰلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) وبعد البحث من العلماء وبعد مراجعة كثير من التفاسير لم يدخل عقلى شىء منها ولم يرتح ضميرى الى أقوالهم فجئتكم الآن راجيا أن تفسروا لى هذه الآية حسب ما تفهمون وتفكرون لا حسب

ما يقوله المفسرون كما تعودت ذلك منكم سابقا وسلامى عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد وصول هذا السؤال عكفت على مراجعة التفاسير لأستنير بشيء من آرائهم فوجدتهم جميعا حتى الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده على فكرة واحدة فى تفسير هذه الآية ووجدت أن تفسيرهم هذا بعيد عن العقل وعما تعطيه هذه الآية من حيث تركيب كلماتها وترتيب عباراتها فصرت بعد ذلك أفكر وأفكر فى هذه الآية وفيما يمكن أن يفهم منها بقطع النظر عما قاله المفسرون فيها . وذات يوم فى صباح باكر وأنا فى فراشى أعدت التفكير فى هـذه الآية فألهمنى الله تعالى فهما آخر غير ما ذكره المفسرون ارتاح اليه ضميرى وانشرح له صدرى فنهضت من فراشى ودونت هذه الفكرة مجملة ثم فصلتها تفصيلا تاما وأرسلتها فى رسالة خاصة الى السائل المذكور وهذا نصها :

غزة فى ٢٧ تشرين أول سنة ١٩٢٨

حضرة الأخ الفاضل الشيخ أديب السراج المحترم .

وصلنى سؤالكم فاهتممت به وأشغلت كل تفكيرى فيه حتى هدانى الله تعالى الى فهم هذه الآية غير فهم المفسرين ثم فصلته واستدللت عليه بأدلة معقولة فلعله يكون صوابا ان شاء الله تعالى الخ .

وهذا مفصل ما أجبت به الأستاذ المحامى المذكور .

ما قاله المفسرون فى معنى هذه الآية
وفى ذبح البقرة ، وعلاقتها بالقتيل
وفى مراجع ضميرى اضربوه ببعضها

ان جميع المفسرين المتقدمين منهم والمتأخرين حتى الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده قد جعلوا ضمير (اضربوه) فى هذه الآية راجعا الى المقتول المفهوم من قـوله (واذ قتلتم نفسـا) وضمير (بعضها) راجعا الى البقرة فى الآية قبلها . واختلفوا فى هـذا البعض ، فقيل هو لسان البقرة ، وقيل فخذها ، وقيل ذنبها ، وقيل غير ذلك من بقية أجزاءها .

وقالوا جميعا فى معنى هذه الآية ان الله تعالى أمرهم أن يضربوا المقتول ببعض أجزاء البقرة التى أمرهم بـذبحها فى الآيةالسابقة فلما ضربوه ببعضها أحيا الله المقتول وقال (قتلنى فلان بن فلان) .

فالمفسرون قد جعلوا آية (واذا قتلتم نفسا الخ) مرتبطة بآية (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً إلخ) واضطروا بمقتضى تفسيرهم هذا أن يجعلوا آية (واذ قتلتم) وان كانت متأخـرة فى اللفظ عن آية ذبح البقرة ، الا أنها متقدمة عليها فى المعنى والحكم ، قالوا لأن حادثة القتل هى السبب فى الأمر بذبح البقـرة حتى يضرب بعضها فى القتيل ليحيا ويخبر عمن قتله ، والسبب متقدم بالطبع على المسبب ، ولذلك كانت آية القتل متقدمة فى الحكم والمعنى على آية ذبح البقرة ، وان كانت متأخرة عنها فى الذكر والوضع . الى غير ذلك مما قاله المفسرون فى هذا الموضوع مما لا يكاد أن يكون معقولا ولا لائقا بأن يفسر به كلام الله تعالى.

ما أفهمه فى هذه الآية

وفى مراجع ضميرى اضربوه ببعضها

خلافاً لقول المفسرين ، وأدلتى الواضحة على ما أقول

اننى أفهم فى هذه الآية فهما آخر غير ما فهمه المفسرون جميعا وهو : أن ضمير (اضربوه) ليس راجعا للمقتـول كما يقولون بل هو راجع للقاتل المكتوم الذى أخرجه الله وأظهره المفهوم من قوله (والله مخرج ما كنتم تكتمون) لأنه أقرب مذكور حسب القاعدة القائلة (ان الضمير يرجع لأقرب مذكور فى الكلام) وأقرب مذكور فى الآية لضمير (أضربوه) هو (ما) الموصولة فى قوله (ما كنتم تكتمون) أى الذى كنتم كتمتموه وأخرجه الله وأظهـره . كما أن ضمير (بعضها) ليس راجعا للبقرة كما يقولون بل هو راجع للنفس المقتولة . والمعنى حينئذ : أضربوا القاتل الذى كان مكتوما وأظهره الله ، أى اظهارا عاديا ، ببعض النفس المقتولة . وانما أرجعنا ضمير (بعضها) للنفس المقتولة لوجوه : —

١ — لأنه ضمير مؤنث مثل الضمير المذكور فى قوله (فادارأتم فيها) فيجب أن يكون مرجعهما واحدا وهو (نفسا) المذكور فى قوله (واذ قتلتم نفسا فادرأتم فيها) وحينئذ فضمير (بعضها) هو وضمير (فيها) شىء واحد وهو النفس المقتولة المتدارأ فيها .

٢ — ان (نفسا) أقرب لضمير بعضها من البقرة ، والضمير انما يرجع لأقرب مذكور فى الكلام حسب القاعدة .

٣ — ان البقرة لا ذكر لها أصلا فى هذه الآية حتى يرجع اليها ضمير (بعضها) بل هى فى آية أخرى بعيدة منها ومنقطعة عنها .

٤ — ان حادثة ذبح البقرة غير حادثة قتل النفس ، حيث أنه مفصول بين هاتين الحادثتين بكلمة (اذ) التى تفيد أنهما حادثتان متغايرتان منقطعتان عن بعضهما لا علاقة لاحداهما بالأخرى كما هو الشأن فى بقية الحوادث المذكورة فى هذه السورة المفصولة بكلمة (اذ) حيث قال تعالى (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم الخ) ثم قال (واذ نجيناكم الخ) ثم قال (واذ فرقنا بكم البحر الخ) الى أن قال (واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة الخ) ثم قال (واذ قتلتم نفسا الخ) الى غير ذلك من هذه الآيات الكثيرة المفصولة عن بعضها بكلمة (اذ) والمتباينة تمام التباين والتى كل واحدة منها فى موضوع غير موضوع الأخرى . وحينئذ فكيف يسوغ للمفسرين أن يجعلوا حادثة القتل مرتبطة بحادثة ذبح البقرة مع أنها منفصلة عنها بكلمة (اذ) كسابقتها ومع أن موضوعيهما مختلفان ؟ وكيف جاز لهم أيضا أن يقولوا أن بين هاتين الآيتين تقديما وتأخيرا مع أنه لا داعى لذلك أصلا ، لو تمعنوا قليلا فى معنى الآية وأرجعوا الضمائر لأقرب مذكور كما بينا .

وعليه فاذا أرجعنا ضمير (اضربوه) الى القاتل الذى كتموه وأخرجه الله من طى الكتمان باحدى وسائل الاظهار المعتادة ، وأرجعنا ضمير (بعضها) الى النفس المقتولة يكون المعنى حينئذ هكذا : (أضربوا الذى كنتم كتمتموه ، وأظهره الله وهو القاتل ببعض المقتول حتى يقتل به)

وحينئذ تصبح الآيــة ظاهرة واضحة لا اشكال فيها ولا غبــار عليها ولا تقديم ولا تأخير بينها ، وبين ما قبلها ، وتصبح هذه الآية لا ارتباط لها بآية ذبح البقرة ، بل تكون مستقلة عنها تمام الاستقلال ويكون معناها أن اليهود كانوا قد قتلوا نفسا وتدرأوا فيها أى تدافعوا وصار كل فريق منهم يدفع شبهة قتلها عن نفسه وينسبها لغيره بقصد اخفاء الجرم وكتمانه وعدم معرفة القاتل ولكن الله تعالى قد أخرجه من طى الكتمان حسب عادته من اظهار القتلة غالبا بالوسائل المعتادة فى اظهارها . فلما ظهر القاتل قال لهم الله : اضربوه ببعض المقتول حتى يقتل بذلك أى اقتلوه ببعض أجزاءه كيده أو رجله كما كان هو قــد قتله ببعض أجزائه أيضا كيده أو رجله جزاء وفاقا وقصاصا مماثــلا ، حتى يكون القاتل قد قتل بمثل ما قتل به المقتول . وهذا هو غاية العدل والانصاف ، وهذا هو القصاص الحق العادل .

وانما قال تعالى (اضربوه) ببعضها ولم يقل (اقتلوه ببعضها) لأنه حيث ظهر بعد الكتمان أنه هو القاتل فقد أصبح أمر قتله قصاصا معلوما ومفهوما من آيات القصاص الأخرى كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر الخ) .

فهو اذن لا يحتاج الى بيان ، وانما الذى يحتاج الى البيان هو كيفية وشكل قتله فبينه بقوله (اضربوه ببعضها) . أى ليكن قتله قصاصا بضربه ببعض المقتول كما كان المقتول قد ضرب ببعض القاتل . أى لا بشنق ولا بذبح ولا بصلب ولا بغيره .

ونظير ذلك فى التعبير أن يقول الحاكم بعد معــرفة القاتل وثبوت القتل عليه ، اضربوه ضربا أو ارجموه رجما ؛ فانه يعلم من هذه العبارة بالبداهة أن المقصود منها أن يقتل بالضرب أو بالرجم لكون أمر قتله معلوما ، ولكن الحاكم يريد أن يبين شكل وكيفية قتله ، فالأمر فى هذه الآية كذلك ، فانه بعد ما بين الله أن القاتل قد ظهر بعد الكتمان فقد أصبح أمر قتله بالقصاص معلوما فأراد أن يبين شكل هذا القتل وكيفيته بأن يكون

بضرب هذا القاتل ببعض هذا المقتول لا بشكل آخر . على أن لفظ الضرب قد يستعمل بمعنى القتل اذا كان المقام مقام قصاص نفس بنفس كما هنا . فيكون لفظ (اضربوه) بمعنى (اقتلوه) .

وبالجملة فان هذه الآية تفيد أن الله تعالى قد أمرهم بأن يكون قتل هذا القاتل الذى كتموه وأظهره الله ببعض المقتول احكاما للقصاص وجزاء وفاقا ، وان كان القصاص وقتل النفس بالنفس فى شريعتنا لا يشترط فيه أن يكون ببعض أجزاء المقتول . على أن بعض مذاهب الاسلام يشترط أن يكون قتل القاتل مثل قتل المقتول من حيث الهيئة والشكل وآلة القتل أيضا استنادا على قوله تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وعلى قوله (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) وهذا يؤيد ما نقوله هنا .

ومما هو صريح فى صحة تفسيرنا وأرجحيته على تفسير المفسرين أن الآية نفسها تفيد أن الاخراج من طى الكتمان قد كان قبل الأمر بالضرب ببعضها حيث ذكرت الآية الاخراج أولا ثم رتبت بينه وبين الأمر بالضرب (بفاء) الترتيب والتعقيب التى تفيد أن الضرب ببعضها انما حصل بعد الاخراج من الكتمان . وهذا ينافى تمام المنافاة لما يقوله المفسرون من أن الضرب ببعضها قد حصل قبل الاخراج من الكتمان وأن هذا الاخراج انما هو نتيجة لهذا الضرب وحاصل بعده وبواسطته . على أنه لو كان هذا مرادا للآية لقالت (فقلنا اضربوه ببعضها ليخرج الله بذلك ماكنتم تكتمون) ولكنها لم تقل ذلك ، بل قدمت الاخراج من الكتمان على الضرب ببعضها مما يدل دلالة ظاهرة على ما قلناه .وعليه فقد أصبح تفسيرنا أقرب لصريح الآية وأوفق بمعناها .

وبهذا التفسير يظهر جليا واضحا معنى قوله تعالى فى هذه الآية (كذلك يحيى الله الموتى) أى أن القصاص بهذا الشكل فيه حياة للأمة الميتة بتعدى بعضها على بعض وافناء بعضها بعضا ، فمعنى احياء

الموتى هنا حفظ الدماء التى كانت عرضة لأن تسفك بسبب الخلاف فى قتل تلك النفس . أى يحييها الله بمثل هذه الأحكام .

وهذا الأحياء هو على حد قوله تعالى (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) وقوله (ولكم فى القصاص حياة) أى أن المراد منه استبقاء الحياة . فهذه الآيات الثلاث على معنى واحد ويفسر بعضها بعضا .

على أننا لو مشينا على تفسير المفسرين لا يكون هنالك معنى لتشبيه احياء الله للموتى فى المستقبل باحياء الميت فى هذه الحادثة التى لزم لها ذبح بقرة ، وضرب الميت بجزء منها ، وهل يلزم لاحياء الموتى فى الآخرة ذبح البقر وضرب الموتى بأجزائها حتى تقول الآية (كذلك يحيى الله الموتى) أى كهذه الحادثة وبمثل هذا العمل يحيى الله الموتى فيما بعد . ان احياء المقتول ببعض أجزاء البقرة لم يكن له نظير ولا مثال من قبل ، ولا هو قانون لاحياء الموتى حتى يجعله الله أساسا ومقياسا ومثالا لاحيائهم فيما بعد . وعلى كل فان كلام المفسرين فى هذا الموضوع مما لا يناسب أن تفسر به آيات القرآن .

وأما قوله فى هذه الآية (ويريكم آياته لعلكم تعقلون) أى يريكم آياته فى احياء الأمم وانتظام أحوالها باستعمالها القصاص ، وحرصها عليه ، كقتلها القاتل ببعض المقتول (لعلكم تعقلون) فائدة العمل بأوامر الله تعالى والخضوع لأحكام شريعته .

ومما ذكرناه يعلم أن تفسيرى هذا معقول ومقبول ومنطبق على قواعد اللغة فى ارجاع الضمائر لأقرب مذكور ، ولا يلزم عليه تقديم بعض الآيات على بعض ، وهو أيضا غير مرتبك المعنى كتفسير المفسرين بل هو منتظم ومتناسق ومؤيد بالآيات القرآنية الأخرى ومفسر بها ، بخلاف تفسير المفسرين فانه على العكس من ذلك كله . وقد يكون السبب فى هذا أن أكثر المفسرين يحبون أن يفسروا القرآن بما هو غريب معجب ولو كان غير معقول ، ثم هم يقلدون بعضهم بعضا بدون تمحيص وبدون

اتعاب أنفسهم واجهاد أفكارهم فى فهم الآيات بحرية الضمير ، واطلاق التفكير كأنهم يعتقدون أن فهم آيات القرآن مقصور على المتقدمين ومحصور فى الأولين مع أن فضل الله يعطيه لمن يشاء ، لا فرق فى ذلك بين المتقدمين والمتأخرين .

البحث السابع

فتق السموات والأرض بعد أن كانتا رتقاً

سؤال من أحد علماء دمشق الشام وجوابي عليه :

حينما ذهبت الى دمشق الشام سنة ١٩٣٠ م لبعض الأشغال التجارية صادف أن اجتمعت فى الجامع الأموى بحضرة الفاضل الشيخ عبد الفتاح علوان فسألنى عما أفهمه فى قوله تعالى فى سورة الأنبياء آية ٣٠ : (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) ، فأجبته فى ذلك الوقت جوابا اجماليا هذا تفصيله : —

ما قاله المفسرون والعلماء العصريون
فى معنى هذه الآية وبيان ضعف أقوالهم

ان المفسرين قالوا فى معنى هذه الآية أن السموات والأرض كانتا شيئا واحدا وقطعة واحدة ففتقهما الله عن بعضهما وفصلهما بواسطة الريح وأصعد السموات الى حيث هى وأقر الأرض وقال بعض العلماء العصريين فى معناها أن الشمس والقمر وباقى الأفلاك يعبر عنها بلفظ السموات ، وأن الأرض كانت هى والشمس والقمر قطعة واحدة ففتق الله الأرض وقطعها من الشمس وهى فى شدة دورانها ثم قطع القمر من الأرض . وهناك اختلاف كثير فى تفسيرها وكلها ترجع الى أن المراد من السموات هى السموات المعلومة ذات الأفلاك والأبراج .

ولكنى أقول انه يرد على تفاسيرهم هذه أن جميع أفراد الناس فضلا عن الذين كفروا الذين ينكرون الاله أو يشركون به لم يكونوا موجودين ولا مخلوقين أصلا حينما فتق الله السموات عن الأرض حتى يقال أن الناس قد رأوها مرتوقة ثم رأوها مفتوقة حسب نص الآية . فعلى هذه التفاسير كيف يؤنبهم الله تعالى ويوبخهم على عدم ايمانهم به ، أو على عدم توحيده بسبب كونهم رأوا وأبصروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقهما الله تعالى والحال أنهم ما كانوا موجودين كليا فى ذلك الوقت فضلا عن رؤيتهم لذلك . وهل يناقض القرآن نفسه حيث يقول فى آية أخرى (ما أشهدتم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) ثم يقول هنا (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما).

وتأويل الرؤية هنا بالعلم كما يقول المفسرون لا يصح أيضا لأن الذين كفروا ما كانوا يعلمون أيضا ذلك خصوصا عوامهم وجهلاؤهم الذين تشملهم الآية ، بل لا يمكن لأحد أن يعلم ذلك ويتحقق لأنه من الأمور الغيبية التى حصلت قبل خلق الانسان على فرض حصولها بهذه الكيفية . وما هو الدليل الذى أقامه الله لهم على حصولها بهذه الكيفية حتى يؤنبهم الله بشىء علموه وتحققوه بالدليل مع أنهم كانوا من الكافرين بكل ذلك وبأن الله قد فعله . وبالجملة فان جميع تفاسير المفسرين فى هذه الآية لا يوجد منها تفسير معقول يحقق قيام الآية حجة على الكافرين. وتفاسير كهذه لا تليق بعظمة آيات القرآن وقوة حجتها ، بل تجعلها كأنها عقيمة لا معنى ولا فائدة منها فى اقامة الحجة وحسن الاقناع .

ما أفهمه فى معنى هذه الآية

وفى المراد من السموات التى كانت رتقاً بالأرض

وفى معنى الرتق والفتق ، وأدلتى على ما أقول بوجه ظاهر معقول

اننى أفهم فى هذه الآية فهما آخر معقولا وغير منتقد ، بل قائمة به الحجة ، ومصرح به فى كثير من آيات القرآن وهو : أن المراد من السموات هنا هى (الغيوم والسحب) وتسميتها (سموات) لأنها مرتفعة وكل

مرتفع يصح أن يطلق عليه فى اللغة (سماء) خصوصا وأن القرآن قد سماها سماء أيضا حيث قال (يرسل السماء عليكم مدرارا) اذ المدرار المرسل انما هو الغمام والمطر . وقال أيضا (هو الذى أنزل من السماء ماء) وقال (وما أنزل من السماء من ماء) اذ لا ينزل الماء الا من الغمام والسحاب . وقال على رضى الله عنه فى خطبة الاستسقاء (اللهم أنزل علينا سماء مخضلة) أى كثيرة الماء . والسماء المخضلة المنزلة انما هى السحب والمطر والغمام والغيوم . وحينئذ فالمراد من السموات فى هذه الآية هى قطع الغمام والسحب الكثيرة ولذلك جمعت وأطلق عليها لفظ (سموات) .

وهذا الغمام وهذه السحب انما هى ماء متجمد متراكم بل هى الثلج بذاته وهى متكونة من الأبخرة التى تسحبها الشمس والهواء من الأرض ومما فيها من البحار والأنهار والأشجار وكل ذى رطوبة فيها بدليل قوله تعالى فى سورة الروم ٤٨ (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا — أى أبخرة مائية مسحوبة من بحار الأرض وأنهارها كما تثير الغبار عن الأرض — فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق — أى قطع الماء وحبه — يخرج من خلاله) أى من خلال هذه الكسف أى قطع الماء المتجمد الذى هو الغمام . وبدليل قوله تعالى فى سورة النور ٤٣ : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً فَيُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) فهذا السحاب والغمام المسمى سماء كان رتقا مع الأرض ومنبثا فيها وقطعة منها لأنه من بخارها ومن بحارها وأنهارها ورطوبة أشجارها بل ومن كل شىء ذى رطوبة فيها ففتقه الله منها وفصله عنها بتبخيره منها بواسطة الشمس والهواء ثم جعله كسفا وركاما على الكيفية التى ذكرها الله فى هذه الآية وهذا ما أثبته العلم وطابق العقل .

والدليل على أن المراد من السموات فى هذه الآية هو الغمام والمطر قوله تعالى فى نفس هذه الآية (وجعلنا من الماء كل شىء حى) أى أننا

ما فصلنا الماء عن الأرض وما رفعناه سماء ثم أنزلناه عليها الا لنجعل منه كل شيء حي . وحينئذ يكون بين هاتين الآيتين المتصلتين ببعضهما مناسبة تامة والتآم ظاهر . أما اذا أردنا من السموات الاجرام العلوية ذات الكواكب كما يقول جميع المفسرين القدماء والعصريين فأى مناسبة حينئذ تكون بينها وبين ذكر الماء ، وجعل كل شيء حي منه ؛ فذكر الماء فى هذه الآية وجعل كل شيء حي منه أعظم دليل على أنه ليس المراد من السموات فى هذه الآية الا سموات الغيوم وقطع الغمام والسحب التى هى ماء يخرج منه كل شيحى . ولا شك أن كل انسان الى آخر الدوان سواء كان كافرا بالله أو مؤمنا به يرى ويشاهد أن الماء الذى كان فى الأرض ملتزقا ومرتتقا بها وقطعة منها قد أصبح الآن غيوما وسحبا وسموات فوقه منفصلة عن الأرض ومنفتقة عنها . وعليه يندفع الاشكال الوارد على الآية فيما لو فسرت السموات فيها بالاجرام المعلومة التى ما شاهد الانسان أصلا ولا علم أيضا أنها كانت مرتوقة بالأرض ثم فتقت عنها .

أما على تفسيرنا هذا فالأمر ظاهر اذ أنه فى كل سنة أيام الشتاء يرى الانسان السموات المفتوقة من الأرض فوقه ويرى الأرض المفتوق منها تحته ويرى الماء الذى جعل الله منه كل شيء حي نازلا من هذه السموات ولهذا صح لله تعالى أن يؤنب ويوبخ الكافرين على انكارهم لوجود الله أو اشراك أحد معه وهم يرون بأبصارهم دائما وأبدا آثار عظمته وكمال قدرته وتمام نعمته من فتق سموات الغيوم والسحب عن الأرض بعد أن كانت رتقا بها ليجعل من هذه العملية ويوجد بها ماء عذبا يخلق منه كل شيء حي . وهل هناك نعمة أعظم من هذه النعمة وأجل منها على الانسان حيث أن خلقه وخلق جميع لوازم حياته من جميع أنواع الأطعمة والفواكه والثمرات ومن شربه ولباسه ومن سائر الحيوانات المسخرة له كل ذلك كان بسبب وبواسطة فتق سماوات الغيوم عن الأرض التى يراها ويبصرها الذين كفروا بوجود الله وبوحدانيته فهل هناك حجة أقوى من هذه الحجة

تقوم عليهم بمقتضى تفسيرى هذا . أما على تفسير المفسرين فلا يوجد فى هذه الآية أدنى حجة تقوم على الكافرين بل بالعكس تكون الحجة لهم على الله لأنهم يمكنهم أن يقولوا ما رأينا بأبصارنا فتق جرم الأرض عن جرم السموات حتى يجعله الله حجة علينا . وعلى فرض أنه فعل ذلك قبل خلقنا فان الله لم يقم لنا دليلا عقليا أو اقناعيا على الأقل يدل على هذا الفصل حتى يمكن أن يكون ذلك حجة له علينا وعليه فان المفسرين سامحهم الله قد جعلوا هذه الآية العظيمة عقيمة المعنى بتفسيرهم هذا . وبالتأمل فى تفسيرهم وتفسيرى يظهر لك الفرق جليا واضحا .

ثم اننى فهمت فى هذه الآية فهما آخر أيضا وهو : أو لم ير الذين كفروا ان المياه والأمطار والسحب المسماة سماء بعد نزولها على الأرض كانتا رتقا وطينة طرية لزجة قبل بروز النبات منهما ففتقهما الله بأنواع هذه النباتات والأشجار والأزهار والحبوب والفواكه والثمرات بل وبأنواع الحيوانات وغيرها مما ذكره الله فى كثير من الآيات . قال تعالى (وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة) فالأرض كانت هى وسموات السحب رتقا ففتقهما الله بالنبات من الزرع والشجر والحيوانات والدواب وبكل شىء خرج منها .

وهذا المعنى يؤخذ من قوله تعالى : (وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَاءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ) فإن هذه الآية تشير الى معنى الآية التى نحن بصددها من أن الأرض متى نزل عليها الماء الذى يسمى بالسماء — واهتزت وربت به وارتقت معه حتى صارا معا شيئا واحدا وطينة طرية لزجة أنبتت من كل زوج بهيج وفتقت بهذا النبات بسبب رتقها بسماء الغمام وامتزاجها بماء المطر . ولكن التفسير الأول أقرب للآية وأوفق بمعناها وان كان كل من هذين التفسيرين صحيحا وقريبا ومعقولا بالنسبة لتفسير المفسرين رحمهم الله .

وبعد كتابة ما تقدم وجدت بعض المفسرين قد قال فى معنى هذه الآية ما نصه (ان السموات كانت رتقا أى لا تمطر وان الأرض كانت رتقا أى

لا تنبت فلما خلق الله للأرض أهلا فتق السموات بالمطر وفتق الأرض بالنبات) انتهى .

أقول أنه يرد على هذا التفسير اعتراضات كثيرة منها :—

الاعتراض الأول : — الذى أوردناه على التفاسير السابقة من أن الذين كفروا بل وغيرهم من سائر بنى الانسان لم يكونوا موجودين حينما كانت السموات مرتوقة صماء لا تمطر والأرض مرتوقة صماء لا تنبت ، وانما خلقوا ووجدوا بعد أن كانت السموات تمطر والأرض تنبت . وعليه فلا يكون الانسان قد رآهما مرتوقتين ثم رآهما مفتوقتين حسب تفسيرهم لأن المطر والنبات مخلوقان قبل خلق الانسان .

الاعتراض الثانى : — ان هذا التفسير بعيد جدا عن معنى الآية حيث انها صريحة فى أن السموات والأرض كانتا رتقا مع بعضهما . أى كانتا قطعة واحدة ففتقهما عن بعضهما ، لا أن السموات كانت رتقا فى نفسها منفردة عن الأرض وأن الأرض كانت رتقا فى نفسها منفردة عن السماء ، لأن هذا المعنى خلاف ظاهر الآية .

الاعتراض الثالث : — أنه لو كان المراد ما يقولون من أن كلا منهما كان رتقا فى نفسه ثم فتق فى نفسه كذلك لقال (ألم تر أن السموات والأرض كانتا رتقاوين) ولم يقل (كانتا رتقا) الذى يدل على أنها كانتا معا رتقا ففتقهما عن بعضهما . وعلى كل حال فان تفسيرنا أقرب للحقيقة والواقع ولمعنى الآية من جميع تفاسير المفسرين .

وكما أن السحاب هو المراد من لفظ السماء فى هذه الآية فقد يكون هو المراد أيضا من لفظ (الابل) فى قوله تعالى فى سورة الغاشية ١٩ (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت) فان لفظ الابل كما أنه يطلق على الجمال فانه يطلق فى اللغة أيضا على السحاب اطلاقا حقيقيا أو اطلاقا مجازيا لشبهه بالجمال فى حمل الأثقال وفى أنها تأتى ارسالا كالابل وتزجى كما تزجى الابل وتكون فى سيرها مسارب كمسارب الابل

كما فى بعض الأحاديث . وحيث أن كلا الاطلاقين لغوى فالأنسب أن تفسر الابل هنا بالسحاب لوجوه : —

١ — لأن السحاب له مناسبة وارتباط بالسموات والأرض والجبال أكثر من مناسبة وارتباط الجمال بها .

٢ — لأن نعمة السحاب على العباد أكثر جداً وأعظم منة من نعمة الجمال عليهم .

٣ — لأن نعمة السحاب عامة شاملة لجميع العالم بخلاف نعمة الجمال.

٤ — لأن كيفية خلق السحاب أعجب من كيفية خلق الجمال ولأن خلقة الجمال ليست بأعجب ولا أعظم من خلقة كثير من الحيوانات كالفيلة ونحوها ، ولا أعجب وأعظم من خلقة الانسان . وحينئذ فلا وجه لتخصيصها دون سواها من الحيوانات .

٥ — لأن المقام مقام التنديد بالكفر بالله مع أسباغه جلائل النعم على العباد فكان ذكر نعمة السحاب أوفق بالتنديد وأقوم فى الحجة والاقناع وأكبر منة على الناس لأن فيها حياة العالم أجمع .

وبالجملة فان تفسير الابل بالسحاب فى هذه الآية كما يقول بعض المفسرين قد يكون أولى وأحسن من تفسيره بالجمال وان صمم عليه أكثر المفسرين .

البحث الثامن

موت الذى مر على القرية وحماره مائة عام ثم بعثهما

جواباً لسؤال من السيد أحمد مرشد من عزة :

قال تعالى فى سورة البقرة ٢٥٩ : (أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هٰذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) .

ما قاله المفسرون فى معنى هذه الآية
واعتراضاتى على تفاسيرهم

قال المفسرون يحتمل أن يكون الذى مر على القرية مؤمنا ، ويحتمل أن يكون كافرا وعلى كل ، فمعنى الآية أن الله تعالى قد أمات هذا المار عليها موتا جسميا مئة عام تحت شجرة ، وأعمى الله عن جسمه الانس والسباع والطير ثم أحياه بعد المائة وأن طعامه الذى كان من التين والعنب وغيره وشرابه من العصير وغيره لم يتغير طعمها ولا رائحتها طوال هذه المدة وأن حماره مات وبلى لحمه وتفرقت أوصاله ولكن بقيت عظامه فأنبت الله عليها اللحم طريا ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق انتهى ملخص كلامهم .

ولكن أقول أن كلام المفسرين هذا بعيد عن العقل ، وغير متلائم مع معنى هذه الآيات لوجوه كثيرة : —

١ — ان ذلك مخالف لسنة الله فى الخلقة .

٢ — انه لو مات بجسمه لما كان هناك معنى لسؤال الله له بقوله (كم لبثت) لأن الميت اذا صار حيا لا يمكنه أن يعلم مقدار مدة موته .

٣ — انه على هذا التفسير ماذا تكون الفائدة من أماتته مائة عام مع أن اماتته يوما واحدا أو لحظة واحدة ثم احياؤه بعد ذلك يكون دليلا كافيا لاظهار قدرة الله تعالى على احياء الأموات اذا كان المراد منها ذلك كما يقول المفسرون .

٤ — انه على هذا التفسير لا يكون تلاؤم بين المدلول عليه أو المفرع عنه وهو قوله (بل لبثت مئة عام) وبين الدليل أو التفريع وهو قوله (فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه) أى لم يتغير . بل يكون الدليل قائما على ضد المدلول أو المفرع عنه فان عدم تغير الطعام والشراب يقتضى عقلا وعادة أن يكون دليلا على قصر مدة اللبث لا على طولها ، أى أن تكون مدة اللبث يوما أو بعض يوم ، لا مئة عام . وحينئذ فكيف يتخذ عدم تغير الطعام دليلا على اللبث مئة عام . وكيف يكون تفريعا عليه حسب نص الآية .

٥ — انه على هذا التفسير لا يكون تلائم بين هذه الآيات بعضها مع بعض كما يظهر ذلك لمن يتأمل ويدقق .

ما فهمه الأستاذ الإمام فى هذه الآية

وبيان ضعفه

أما الأستاذ الامام فقد قال فى معنى هذه الآية ما نصه (فأماته الله مئة عام) أى ضرب على أذنيه ، فمات مئة عام كنوم أهل الكهف ثم بعثه ، وهذا الموت أو الضرب على الآذان هو المراد من الشق الثانى من قوله تعالى فى سورة الزمر ٤٢ (اللهَ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا والتى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ التى قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى) والبعث هو

الارسال فاذا كان هذا النوع من الموت يكون بتوفى النفس أى قبضها فزواله انما يكون بارسالها وبعثها انتهى .

أقول ولا يخفى ما فى هذا التفسير من البعد أيضا :

أولا — لأن أكثر الاعتراضات المتقدمة الواردة على تفسير عبارة (فأماته) بالموت الجسمانى وارد أيضا على تفسيرها بالنوم .

ثانيا — لأن الآية التى استدل بها الامام وان سمت النوم وفاة الا أنها منعت من تسميته موتا حيث قالت (والتى لم تمت فى منامها) وقالت (فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى) مما يدل على أن الوفاة أعم من الموت وأن النوم وان سمى وفاة فلا يسمى موتا . وعليه وبمقتضى هذه الآية ، لا يصح أيضا أن نفسر (فأماته) بمعنى فأنامه نوم أهل الكهف كما يقول الأستاذ الامام . على أن النوم مئة عام أيضا كما هنا أو ثلاثمائة عام كما فى الكهف أمر لا يكاد أن يكون معقولا بالنسبة للأفراد والأشخاص .

ما أفهمه فى المراد من هذه الآيات

وفى معنى إماتة الذى مر على القرية وحماره مائة عام ثم بعثهما

وفى معنى كون الطعام والشراب لم يتسنه إلخ وأدلتى الصريحة على ما أقول

اننى أفهم فى هذه الآية فهما آخر لعله يكون صحيحا معقولا وقريبا متلائما . وبيان ذلك : أن قوله (فأماته الله مئة عام ثم بعثه) انما هو تفريع على قوله (أنى يحيى هذه الله بعد موتها) واستدلال عليه حسب سياق الآية . والتفريع والدليل يجب أن يكونا من نوع المدلول والمفرع عليه حسب القواعد المقررة،فوجب أن يكون حينئذ معنى الأماتة والاحياء فى العبارة الثانية التى هى فرع ودليل المتعلقة بالذى مر على القرية انما هو من نوع الاماتة والأحياء فى العبارة الأولى المفرع والمدلول عليها المتعلقة بالقرية ، خصوصا وأن هاتين العبارتين قد وردتا فى آية واحدة وموضوع واحد لغرض واحد ، فيلزم أن يكون المعنى المراد منهما واحدا .

ولما كان المراد من اماتة القرية ثم احيائها انما هو أمر معنوى وهو

خرابها وخروج أهلها منها ، ثم احياؤها بأعمارها ورجوع أهلها اليها لزم أن يكون أماتة واحياء المار بها الذى هو من أهلها وواحد من سكانها انما هو أمر معنوى أيضا هو خروجه من قريته ووطنه وترك أرضه وسائر أملاكه وتشتته فى البلاد الأخرى بذل وفقر واستعباد وتعاسة وشقاء ثم احياؤه برجوعه الى وطنه وأرضه وتمام حريته ، والى عزه ومجده وكمال سعادته فيكون المعنى حينئذ أن هذا المار وهو العزيز حينما مر على قريته وهى بيت المقدس ووجدها خاوية على عروشها ليس بها أحد من قومه اليهود الذين سباهم نبوخذ نصر قال على سبيل التلهف والتشوق الى عمارة القرية ورجوع أهلها اليها الذى هو واحد منهم (أنى يحيى هذه الله بعد موتها) أى فى أى وقت نرجع الى بلادنا وأوطاننا ونعمرها ونحيا فيها حياة السعادة والهناء والعز والاستقلال بعد هذا الموت والذل والاضمحلال وقد عبر الله تعالى عن هذه الحالة بقوله (فأماته الله مئة عام ثم بعثه) أى أماته فى هذا الذل والاستعباد والتشتت فى البلاد مئة عام ، ثم بعثه من هذا الموت بارجاعه الى الأوطان والتمتع بنعمة الاستقلال .

ومما يؤيد هذا المعنى أن المؤرخين ذكروا (أن عزرا الذى هو العزير أحد ملوك بنى اسرائيل قد أعاد بناء الهيكل وعمر القدس بعد مرور مئة سنة من خرابها على يد نبو خذ نصر) وعليه فيكون خرابها مئة سنة هى مدة موتها وأن اعادة عزرا بناءها وتوليه ملكها هو بعثه بعد موته تلك المدة التى قضاها مع بقية قومه فى الغربة والاستعباد . فكلا الموتتين ، وكلا الحياتين فى الآية هو أمر واحد معنوى كما بيناه . وليس هناك مانع من أن يعيش عزرا فى الحياة أكثر من مئة سنة فيشاهد ذلك كله .

ولما كان قول عزرا الذى مر على هذه القرية (أنى يحيى هذه الله بعد موتها) مستلزما لاستصعاب واستبعاد رجوعها الى حالتها الأولى وعمرانها الأول لما شاهده من كثرة خرابها ، ولما علمه من تشتت أهلها فى أنحاء العالم ، أراد الله تعالى أن يقنعه فى ذلك بما هو معلوم له من حاله ومشاهد له فى نفسه فقال له (كم لبثت) أى كم لبثت فى الحياة من عمرك أى كم

عمرت فيما مضى . والتعبير بهذا اللفظ عن هذا المعنى هو مثل قوله تعالى (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله) فلما سأله الله عما مضى من عمره ظن أنه سؤال عن مقداره وقيمته فى نظر نفسه فقال له (لبثت يوما أو بعض يوم) أى أن كل ما مضى من عمرى كأنه يوم أو بعض يوم فى نظرى لأنه مضى وفات وكل ما فات فقد مات فقال له (بل لبثت مئة عام) أى انك فى الحقيقة قد لبثت فى هذه الحياة من العمر مئة عام من حيث العدد (فانظر) فى كل عام من هذه الأعوام الكثيرة التى مضت (الى طعامك وشرابك لم يتسنه) أى أنظر الى طعامك الذى طعمته وشرابك الذى شربته طول هذه المدة فانه لم يتغير فى سنة ما من السنين عن الذى قبله من حيث المذاق والشكل والهيئة وغير ذلك . فان التين مثلا والعنب وسائر الفواكه والقمح مثلا والفول والعدس وسائر الحبوب وكل طعام تطعمه وشراب تشربه فانى أفنيه وأعيده كما كان فى كل سنة وأميته وأحييه كما هو فى كل عام لم يتغير فى سنة عن الأخرى فى أى وصف من أوصافه ، ولا فى أى شكل من أشكاله وحينئذ فكيف أعجز عن اعادة القرية الى حالتها الأولى بأعمارها واقامة صروحها وعن أحيائها بارجاع أهلها اليها . وهذا استدلال ظاهر قوى لأنه استدلال بما يراه ويشاهده الانسان فى كل عام من عمره على شىء قد لا يحصل فى عمره وهو اعادة قرية بعد خرابها واحياء أمة بعد موتها فالله تعالى أراد أن يطمئن هذا المار بأن هذه القرية لا بد وأن يعيدها تماما كما كانت عليه من قبل كما يعيد الطعام والشراب فى كل سنة الى ما كان عليه من قبل ، وقد حصل ذلك فعلا فقد عادت القدس بعد خرابها وبعد سبى أهلها الى مثل ما كانت عليه قبل السبى .

ويحتمل أن يكون معنى (لم يتسنه) أى لم يمض عليه سنة بل أقل وذلك كما يقال مثلا (هذا الورد يأتى مسانهة) أى سنة بعد سنة فاذا أردت أن تفيد أنه يأتى قبل مضى سنة تقول (هذا الورد لم يتسنه) ان لم يمض عليه سنة بل أقل . وأن يكون المراد من الطعام والشراب جنسه والمعنى حينئذ فانظر الى طعامك الذى تطعم منه وشرابك الذى تشرب منه فانه

لم يتسنه أى لم يمض عليه سنة كاملة بعد فقده وفراغه حتى أحييه وأعيده مرة أخرى أى أننى أفنى ذلك وأعيده وأميته وأحييه فى أقل من سنة كما هى عادتى فى ذلك دائما وأبدا . فكيف حينئذ أعجز عن احياء هذه القرية بعد موتها فى عدة سنين . واشتقاق لفظ (يتسنه) من السنة بمعنى العام معلوم فى اللغة كما يقال استأجرت هذا المكان مسانهة أو مشاهرة أى سنة سنة وشهرا شهرا فمعنى (لم يتسنه) أى لم يبلغ سنة أى لم يمض على وجوده سنة .

وعلى تفسيرنا هذا يظهر ظهورا واضحا وجه الاستدلال والتفريع بقوله (فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه) بكلا معنى لفظ (يتسنه) على احياء واعادة القرية مرة أخرى بخلافه على تفسير المفسرين فانه لا يظهر ذلك أبدا ؛ لأنهم فرعوه على لبثه مئة عام ، واللبث مائة عام لايصح أن يفرع عليه عدم تغير طعامه وشرابه ، بل بالعكس أى انما يفرع عليه تغير الطعام والشراب ، لا عدم تغيره .

ومعنى قوله تعالى (وانظر الى حمارك) أى انظر الى حمارك الذى هو حيوان ، كما نظرت الى طعامك الذى هو نبات ، أى فكما أن النبات الذى هو طعام يميته الله ويحييه ، فكذلك الحيوان : فالمراد جنس الحمار ، وانما خص الحمار بالذكر لأنه كان راكبا عليه فى سفره هذا والمسافر لا يكون معه عادة سوى مأكوله ومشروبه ومركوبه ، وهى ما عبر عنها بطعامه وشرابه وحماره .

ثم أراد تعالى أن يستدل على ذلك بطريقة أخرى أدل وأقوى مما سبق فقال (وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما) أى أنظر كيف ننشذ العظام وتنميها ونقويها ونصلبها تدريجا ثم نكسوها لحما فى الأرحام شأننا دائما فى كل حيوان كما تعلم أنت وغيرك ذلك . أى ما دمت تعلم أيها المار على هذه القرية الخاوية على عروشها أن الله تعالى يعيد الطعام والشراب فى كل سنة وأنه يحيى الحيوان وينشذ العظام دائما . فكيف تستبعد عليه أن يحيى هذه القرية وأن يحييك معها بارجاعك اليها .

ومما تقدم يظهر لك أيها القارىء أن المراد من قوله تعالى (فأماته الله مئة عام ثم بعثه) أى أماته فى الغربة عن الأوطان وفى الذل والهوان مئة عام ، ثم بعثه الى قريته وأحياه فى نعمته . وأن المراد من قوله تعالى (كم لبثت) أى كم لبثت من العمر فى الحياة ، لا كم لبثت فى الموت الجثمانى كما يقول المفسرون .

هذا ما أراه تفسيرا لهذه الآيات اذا اعتبرنا أن المار كان مؤمنا وهو العزير . وأما اذا اعتبرناه كافرا فانى أفسر هذه الآيات كما يلى (فأماته الله مئة عام ثم بعثه) أى أماته فى الكفر والجهل والضلال واتباع الشهوات وتعاطى الملذات مئة عام من عمره ثم بعثه بعدها وأحياه بالايمان وصالح الأعمال وبالعلم والتقوى والهداية الى الطريق الأقوم الأقوى . (قال كم لبثت) أى كم مكثت وأقمت من الزمن فى هذا الموت وفى هذه الشهوات وهذه الملاهى والملذات (قال لبثت يوما أو بعض يوم) أى مدة كأنها يوما أو بعض يوم لأنها مضت فى سرور اللذات ونعيم المسرات . وهذا على حد قول القائل (سَنة السرور سِنة وسِنة الهموم سَنة) قال (بل لبثت مئة عام) أى انك بالحقيقة قد لبثت فى موتك هذا وفى ملذاتك واهوائك وشهواتك مئة عام من حيث العدد كما تعلم ذلك وان كنت تعدها يوما أو بعض يوم فى نظرك . ومع ذلك فقد بعثتك وأحييتك بعد هذه المدة الطويلة ، أفتستبعد وتستصعب بعد ذلك وبعد مشاهدتك لنفسك واطلاعك على حقيقة أمرك انى أحيى هذه القرية وأهلها من جهلها وضلالها أو فقرها وضنكها وذلها واستعبادها أو من فساد أمرها وسوء تصرف أهلها أو من خراب بيوتها ، وقحل مزروعاتها وتلف أشجارها الى غير ذلك من أنواع الموتات المعنوية كما فى قوله تعالى (وأوحيينا به بلدة ميتا) وقوله (فسقناه الى بلد ميت) وغير ذلك من الآيات الكثيرة فى هذا المعنى وأيضا على حد قول القائل .

ليس من مات فاستراح بميت ... انما الميت ميت الأحياء
انما الميت من يعيش كئيبا ... كاسفا باله قليل الرجاء

فالمعنى : لا تستنكر ولا تستصعب أيها المار على هذه القرية ، ولا تستهجن ولا تستبعد أنى أحييها بعد موتها الذى تراه وتشاهده مهما طالت مدة هذا الموت بل لا بد من احياءها بعمارتها وأخصاب زرعها وانماء أشجارها واصلاح أحوالها أو بارجاع أهلها اليها وتكثيرهم واغنائهم وتعليمهم واعزازهم وهدايتهم واصلاحهم بعد فسادهم أى واذا كنت وأنت فرد واحد قصير العمر بالنسبة للأمة والقرية قد اعتبرت المئة عام كأنها يوم أو بعض يوم فكيف تستبعد ذلك على القرية والأمة بأجمعها وهى طويلة العمر بالنسبة اليك فقياسا على احيائك بعد مئة عام قضيتها فى موت الكفر والجهل وهلاك الشهوة والهوى فان بعث واحياء هذه القرية مهما طالت مدة موتها فى مثل ذلك هو أمر يسير وهين علينا لا بعد فيه ولا استنكار ، وقد تقدم لك أن مما يدل على أن المراد من أماتة واحياء الذى مر على القرية هو الاماتة والأحياء المعنويان كون هذا المعنى بعينه هو المراد قطعا من احياء القرية بعد موتها المذكور فى صدور هذه الآية حيث عبر تعالى عن كونها خاوية على عروشها بالموت وعن كونها أصبحت غير خاوية بالحياة حيث قال (أنى يحيى هذه الله بعد موتها) فيلزم أن يكون المعنى المراد فى المثال والممثل له واحدا والا لما صح أن يكون مثالا له اذا كان معناهما متغايرين ، كما لا يصح أن يكون دليلا عليه . والآية قد جعلت اماتة واحياء المار على القرية مثالا ودليلا على احياء جميع القرية وجميع أهلها تمثيلا واستدلالا على الشىء ببعض أفراده وجزئياته كما هو العادة فى الاستدلال .

ومما هو صريح فى أن المراد من احياء هذه القرية واماتتها هو احياء أهلها اليهود حياة معنوية بعد موتهم موتا معنويا قوله تعالى خطابا لنفس اليهود (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) فان هذه الآية صريحة تمام الصراحة فيما نقول .

ومعنى قوله تعالى (ولنجعلك آية للناس) على اعتبار أن المار على القرية مؤمن . أى نجعلك فى اماتتك بالتشتت والذل والهوان، والاستعباد

والفقر والبعد عن الأوطان ، ثم باحيائك فى العز والهنـاء والسعادة ، وبالرجوع الى الأوطان ، مع الاستقلال والسيادة آية للناس ودليلا لهم على وجوب الاقتداء بك فى وجوب تلمس الحياة السعيدة وسلوك السبل الرشيدة .

ومعناها على اعتبار أن المار كافـر أى نجعلك فى اماتتك بالكفر والفسوق والعصيان ثم باحيائك بالهداية والاطاعة والايمان آية للناس ودليلا لهم على وجوب اتباعك فيما هو أقوم وأقوى ، وفيما هو أقرب للنجاة والتقوى .

ومعنى قوله تعالى (فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير) أى فلما ظهر وتبين له الأمر عيانا برجوعه الى وطنه بالفعل ومشاهدته قريته حيه كما كانت أولا (قال أعلم أن الله على كل شىء قدير) حيث أحيانى وأحيا قريتى بالفعل وبعثنى واياها بعد أن أماتنا مئة عام . هذا ما أفهمه فى تفسير هذه الآيات التى تعـد بحسب تفسير المفسرين من المشكلات وعلى كل فالله أعلم بمراده .

البحث التاسع

نوم أصحاب الكهف ثلاثمائة سنة وتسعاً ثم بعثهم

جواباً لسؤال من السيد على نصوح الطاهر من نابلس

قال تعالى فى سورة الكهف ٢٦ : (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ، فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا إلخ) .

كان قد جاءنى من حضرة الفاضل السيد على نصوح الطاهر النابلسى مفتش الزراعة فى القسم الشمالى من فلسطين تحرير محتوى على ثلاثة أسئلة وطلب منى أن يكون جوابى عليها منطقيا معقولا . أما جواب السؤال الأول المتعلق بولادة المسيح وجواب الثالث المتعلق باحراق ابراهيم فسيأتى الكلام فيهما فى موضعهما من هذا الكتاب وأما جواب السؤال الثانى وهو (كيف نام أهل الكهف ثلاثمائة سنة وتسع سنين فى كهفهم ، وكيف ضرب على آذانهم فيه هذه المدة الطويلة) فانى سأذكره هنا فأقول : —

ما قاله المفسرون فى هذه الآيات وبيان ضعفه

أجمع المفسرون على أن الضرب على آذانهم فى الكهف هو انامتهم نوما ثقيلا مرة واحدة سنين عددا . قال بعضهم أى سنين كثيرة غير معلومة. وقال بعضهم هى السنون الثلاثمائة وتسع المذكورة فى الآية بعدها .

ولكنى أقول ان هذا بعيد الأمور : —

١ — قوله تعالى (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) فان قوله (أم حسبت) استفهام انكارى يدل على انكار حسبان أنهم من الآيات الغريبة العجيبة كما يظن الناس الذين يتناقلون أخبارهم من القديم فى المجالس ، أى لا تحسب أن حادثة أهل الكهف حادثة غريبة عجيبة كما يحسبها الناس الذين سألوك عنها وأرادوا امتحانك فى بيان حكايتها لأن حكايتها بالحقيقة ليست كما يزعمون بل كما نقصها عليك بالحق فيما بعد .

٢ — قوله تعالى (ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا) اذ لو كانوا نائمين دائما نوما حقيقيا لما أمكنهم أن يحصوا ما لبثوا ؛ لأن النائم المضروب على أذنيه حقيقة لا يقدر ان يحصى الساعات فى نومه فضلا عن الأشهر والسنين بل مئات السنين ، وحينئذ فيصبح قوله تعالى (لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا) قولا لا معنى له ولا فائدة فيه ولا لزوم لذكره ، اذ لا يمكن أن يكون أحد الحزبين أحصى من الآخر فى ذلك ،لأنهم جميعا غير قادرين على هذا الاحصاء ما داموا نائمين حقيقة على زعم المفسرين .

٣ — قوله تعالى (وهيىء لنا من أمرنا رشدا) اذ النائم لا يحتاج الى ارشاد فىأمره لأنه مغطى العقل ، غير مكلف ولا أمر له ولا حركة عملية يحتاج الى ارشاد فيها .

٤ — قولـه تعالى (فأووا الى الكهف ينشر لكم من رحمته) . اذ النائم نوما حقيقيا دائما لا معنى لنشر الرحمة له ، لأن نشر الرحمة يستلزم أعمالا كثيرة منتشرة حتى تكون الرحمة أيضا منتشرة بقدر تلك الأعمال .

٥ — قوله تعالى (ويهيىء لكم من أمركم مرفقا) لأن النائم ليس له من الأمور والأعمال ما يحتاج معها الى مرافق أو الى معاون له فيها .

وبالجملة فان آيات القرآن تشعر بأن حادثة أهل الكهف لم تكن من الأشياء الغريبة العجيبة كما يظن الناس فى سالف الزمان كما أنها تشعر أيضا بأنهم لم يكونوا نائمين دائما مضروبا على آذانهم ضربا حقيقيا كما يقول المفسرون .

ما أفهمه فى معانى جميع هذه الآيات المتعلقة بهذه القصة خلافاً لما قاله المفسرون فيها

اننى أقول يحتمل أن يكون المراد من الضرب على آذانهم فى الكهف هو اعتزالهم عن الناس اعتزالا كليا فى الكهف وعدم اختلاطهم بأحد منهم ، لأن المعتزل عن الناس الذى لا يجتمع بأحد منهم أصلا مضروب على أذنه بعدم استماع شىء منهم . وهذا لا ينافى أنهم كانوا عائشين فى الكهف كالعادة ينامون تارة ويتقلبون فى البرارى الخالية من الناس يمينا وشمالا تارة أخرى بحيث لا يمكنون أحدا من معرفتهم ، لأنهم كانوا فارين من وجه الحكومة ، مطلوبين لها كما يدل على ذلك قوله تعالى (انهم أن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا اذن أبدا) . على أن قوله تعالى (سنين عددا) ليس معناه سنين كثيرة بل معناه سنين قليلة كما يدل على ذلك قوله تعالى (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم أياما معدودات) أى أياما قلائل تعد على الأصابع . والعدد يصدق على اثنين فأكثر . فقوله (سنين عددا) لا يدل على الكثرة وانما يدل على القلة التى تصدق على ثلاث سنين أو ما يقرب منها .

وعليه فيكون المراد من الضرب على الآذان هو الاعتزال فى الكهف عن الناس كما يشعر بذلك قوله تعالى : (وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ) ويصح أن يبقى الضرب على الآذان على معناه الحقيقى وهو النوم ، ولكن المراد نومهم غالب أوقاتهم حيث أنهم لا شغل لهم يشتغلون به فى الكهف فكانوا يصرفون معظم أوقاتهم فى النوم ، فعبرت الآية عن الأغلبية بما يشعر بالكلية مبالغة فى كثرة نومهم مدة مكثهم فى الكهف .

ومثل هذا مستعمل كثيرا فى اللغة العربية وفى كلامنا العادى ، حيث يقال : نام فلان يومه كله بمعنى أنه أمضى أغلبية يومه فى النوم مما لا ينافى أنه كان يفيق فى أوقات قصيرة لأكل وبراز ونحو ذلك مما هو ضرورى .

ثم ان المفسرين قالوا أن أصحاب الكهف قد كانوا من قوم يعبدون الأوثان قبل موسى . وقيل بعده . وقيل قبل عيسى . وقيل بعده . والذين قالوا بعده قالوا ما نصه (ان أهل الانجيل قد عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح عليه السلام متمسكين بعبادة الله وتوحيده وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم وعتا عتوا كبيرا دقيانوس فانه غلا غلوا شديدا فجاس خلال الديار والبلاد وأكثر فيها الفساد وقتل من خالفهم من المتمسكين بدين المسيح عليه السلام فكان يتتبع الناس فيخيرهم بين القتل أو عبادة الأوثان والذبح لها فمن رغب فى الحياة الدنيا انقاد لأمره وامتثله ، ومن آثر الحياة الأبدية لم يبال بأى قتلة قتله فكان يقتل أهل الايمان ويقطع أجسادهم ويجعلهم على سور المدينة وأبوابها . فلما رأى الفتية ذلك وكانوا من عظماء مدينتهم التى هى مدينة افسوس أو قيل طرسوس ، فتشاوروا فى أمرهم واتفقوا على أن يأخذ كل منهم أمواله وما يلزم له من الطعام والشراب مدة طويلة وينطلقوا الى كهف قريب من المدينة يقال له بتجلوس ففعلوا ما فعلوا وآووا الى الكهف الى آخر ما قاله المفسرون فى ذلك مما يدل على أنهم يريدون أن يجعلوا قوم أهل الكهف وملوكهم المسيحيين قد خرجوا من هذه الديانة المسيحية وعبدوا الأصنام وأنهم كانوا يعذبون ويقتلون كل من بقى على دين المسيح عليه السلام .

ولكننى أفهم فى قوم أهل الكهف وملوكهم غير هذا وهو أن هؤلاء القوم وملوكهم كانوا من صميم المسيحيين وان ملوكهم كانوا من حماة الايمان المسيحى الذين يجبرون الناس على اعتناق العقيدة التى أحدثتها مجامع القس وهى (عقيدة التثليث وأن المسيح بن الله) أى أحد الأقانيم الثلاثة التى هى الآب والابن والروح القدس وكانت ملوك النصرانية استنادا على فتوى من السلطة الدينية الروحية تحكم على من يخالف هذه العقيدة بشتى العقوبات كالحرق والشنق والذبح والرجم الى غير

ذلك من أنواع العقوبات المعروفة فى تاريخ (محاكم التفتيش المسيحية) المليئة بالفظائع المشهورة فى التاريخ .

وكان من لوازم هذا الازهاق والتعسف أن فتية من الموحدين بالله تعالى ، المتمسكين بتعاليم المسيح الحقة القائلة (وَهٰذِهِ هِيَ ٱلْحَيَاةُ ٱلْأَبَدِيَّةُ أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ ٱلْإِلٰهَ ٱلْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ ٱلْمَسِيحَ ٱلَّذِي أَرْسَلْتَهُ) . أن يختفوا من وجه هؤلاء الظالمين الضالين الذين يعتقدون بالتثليث ويكلفون الناس بهذه العقيدة التى هى فوق عقولهم . وعليه فقد قرر هؤلاء الفتية أن يذهبوا الى الكهف ويأووا اليه مدة من الزمن .

والدليل على أن هذا هو الحق الواقع دون ما قاله المفسرون قوله تعالى قبيل هذه الآية (وَيُنْذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا) . فهذه الآية مرتبطة تمام الارتباط بآية الكهف التى بعدها مما يدل على أن قوم أهل الكهف أى الملك وجماعته انما كانوا من أقحاح المسيحيين الذين قالوا اتخذ الله ولدا ومن حماة الايمان المسيحى المشهور الذى هو جعل المسيح بن الله أو أحد الأقانيم الثلاثة التى مجموعها الله . وحينئذ فأهل الكهف انما هم نفر من المسيحيين الذين نقموا على هذه العقيدة المسيحية وعلى هـذا الايمان المسيحى الذى لحد الآن ملوك المسيحيين يجعلون أنفسهم حماة له وعليه فالأمر ليس كما قال المفسرون من أن قوم أهل الكهف أى الملك وجماعته كانوا من عبدة الأوثان والأصنام بل كانوا مسيحيين كمسيحى هذا الزمان سواء بسواء . ولكن هؤلاء الفتية هم الذين خرجوا من هذه المسيحية الفاسدة التى أساسها التثليث فوحدوا الله تعالى وآمنوا به وفروا من وجه المسيحيين .

وحيث أنك قد عرفت فيما سبق أن القرآن يفيد أن حادثة أهل الكهف ليست بالصفة التى يتناقلها الناس من أنهم كانوا فى الكهف نائمين نومة واحدة سنين عـديدة أراد الله أن يبين حقيقة هذه الحادثة بقوله (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا

عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا هٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ، وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا) أى أن حقيقة هذه الحادثة ليست كما يتناقلها الناس من أنها أمر عجيب وانما حقيقتها أن فتية من أحرار العقول ونيرى القلوب قد آمنوا بربهم ووحدوه ولم يقلدوا غيرهم فى اعتقاد أن المسيح هو الله أو ابن الله وأن الله قد اتخذ ولدا كما يقول المسيحيون فربطنا على قلوبهم أى قويناها وثبتناها ، اذ قاموا علنا وجهارا ولم يبالوا بسيطرة الملك المسيحى ولا بغلبة الأمم المسيحية وكثرتهم فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه الها كالمسيح وأن قومنا الذين اتخذوا المسيح الها أو اتخذوا من دون الله آلهة ثلاثة الآب والابن والروح القدس وقالوا ان الله ثالث ثلاثة ليس لهم سلطان على ذلك أى لا دليل ولا حجة لهم على ما يقولون ويعتقدون ، وحيث أنكم اعتزلتموهم وانفردتم عنهم فى الاعتقادات والعبادات وأصبحتم لا تجتمعون بهم لأداء الطقوس فى الكنائس والبيعات ولا تختلطون بهم فى المجالس والمجتمعات فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقا أى عونا لكم بدلا منهم . هذا ما أراه أقرب لمعنى هذه الآيات . خصوصا وان قوله تعالى (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) يدل دلالة واضحة على أن ما يحكى ويشاع بين الناس فى هذه الحادثة هو من الباطل .

ثم قال تعالى : (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ . مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا) .

قال بعض المفسرين ان الله تعالى كان يصرف الشمس ويميلها بيد قدرته عن باب الكهف خرقا للعادة كرامة لأهل الكهف . ولكننى أقول !

الأقرب للمعنى أن يقال ان الكهف الذى آووا اليه كان مظلما جدا بسبب عدم وصول الشمس اليه بحيث لا يمكن لأحد أن يبصرهم لو مد بصره اليهم ، وبحيث يخاف أن يدخله أحد عليهم لكثرة ظلمته ومخافة أن يفتكوا به . وهو لا يشعر ولا يرى ولا يبصر ، ولذلك كان هذا الكهف حصنا لهم بسبب شدة ظلمته لأن الشمس كانت اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين بسبب أن بابه كان شماليا ، واذا غـربت تقرضهم ذات الشمال فكانت الشمس لا تدخل هذا الكهف أبدا بل لا تصل الى بابه وهم فى فجوة منه أى جانب منه وكلبهم فى فنائه أو بابه وهذا أقرب للمعنى من قول المفسرين ان الله تعالى كان يصرف الشمس بيد قدرته ويميلها عن باب الكهف خرقا للعادة وكرامة لأهل الكهف . وعليه فاسم الاشارة فى قوله تعالى (ذلك من آيات الله) ليس راجعا لميل الشمس يمينا وشمالا كما يقول المفسرون لأن ذلك أمر عادى وانما هو راجع الى ايمان هؤلاء الفتية القليلين الذين لم يبالوا بالمجاهرة والقيام ضد الملك وضد الكثيرين من قومهم أى راجع الى جرأتهم بتضحيتهم بأملاكهم وأموالهم وترك أعمالهم واشغالهم ومشتهياتهم وملذاتهم بسكناهم فى هذا الكهف المظلم لأجل حفظ عقيدتهم والفرار بدينهم ولاشك أن مثل هـذا العمل من قبل هؤلاء الشباب انما هو آية من آيات الله .

والدليل على أن المراد من ذلك ما قلناه قوله تعالى عقبها (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) . لأن ذلك يدل على أن هذا الشىء الذى هو من آيات الله انما هو نوع من الهداية أى هداية هؤلاء الفتية بهذا الشكل الغريب لا ميل الشمس عنهم يمينا وشمالا .

ثم قال تعالى (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ، لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا) . قال المفسرون كانت أعينهم مفتوحة كأنهم ينظرون اليك وهم نيام فيحسبهم الناظر اليهم ايقاظا والحال أنهم نائمون وكان الله تعالى يقلبهم فى كل عام مرتين مرة الى اليمين ومرة الى الشمال

وقيل مرة واحدة فى كل عام . فى يوم عاشوراء ، وقيل كل تسع سنين مرة وهذا التقليب انما كان لحفظ أجسامهم من البلى وقالوا انه بالنظر لكون شعورهم وأظفارهم قد طالت كثيرا فكنت لو اطلعت عليهم وهم بهذه الحالة لوليت منهم فرارا ، وامتلأت منهم رعبا وخوفا . هذا ما قاله المفسرون .

أقول انه يرد على ذلك أن الذى يمتلىء خوفا ورعبا ، ويولى فرارا من رؤية فتح الأعين ، وطول الشعر والأظفار انما هم الأولاد الصغار أو ضعيفو العقول والأحلام ولكن هذا الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وللعقلاء من الناس.خصوصا وان الناس كثيرا مايرون الميت فضلا عن النائم مفتوح العينين فلا يولون فرارا منه ، ولا يمتلئون منه رعبا . وأما تقليب أجسامهم خوفا من البلى فهو بعيد لأن من حفظ أجسامهم ثلاثماية سنة وتسع سنين بالتقليب لا يصعب عليه حفظهم بلا تقليب أيضا .

واننى أرى فى معنى هذه الآيات أن قوله تعالى (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ) . أى أنهم حينما كانوا ينامون لا ينامون نوم استغراق بل نوم حذر وخوف من اكتشاف اعدائهم لهم أو الفتك بهم ، فكنت تحسبهم وهم رقود ايقاظا من شدة تنبههم ، وكثرة حذرهم ، وكانوا يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال من كثرة الفكر والخوف وعدم التمكن من الاستغراق فى النوم شأن كل خائف متفكر ، أو يتقلبون بمعنى يتجولون حينما يفوقون من نومهم عن يمين الكهف وشماله فى بعض حوائجهم أو دفع السآمة عنهم ، ولكن بحيث لا يعرفهم أحد . وكنت لو اطلعت عليهم فى أى حال من أحوالهم سواء فى حال تقلبهم وهم نائمون فى الكهف أو حال تقلبهم عن يمين الكهف وشماله عند الخروج منه تمتلىء منهم رعبا وفزعا وتولى منهم فرارا وخوفا على نفسك منهم لكثرة ما تشاهده معهم من أنواع السلاح الذى كانوا يحملونه محافظة على أنفسهم ولشدة ما ترى من الفروسية والشجاعة والجراءة وما تبصر فى وجوههم من الوحشية والضراوة والحذر وهذا أمر يخافه العقلاء قبل غيرهم .

ثم قال تعالى : (وَكَذٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ، قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا) .

قال المفسرون أى كما زدناهم هدى وربطنا على قلوبهم فضربنا على آذانهم وأنمناهم وأبقيناهم أحياء لا يأكلون ولا يشربون ونقلبهم فكذلك بعثناهم أى أحييناهم من تلك النومة الطويلة التى تشبه الموت ليتساءلوا بينهم تساءل تنازع واختلاف فى مدة لبثهم فقال قائل منهم كم لبثتم فى نومكم فى هذا الكهف قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم لأنهم دخلوا الكهف غدوة وبعثهم الله فى آخر النهار فلذلك قالوا لبثنا يوما فلما رأوا الشمس باقية قالوا أو بعض يوم ثم قال رئيسهم يمليخا (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ) الى آخر ما قاله المفسرون فى ذلك .

ولكننى أقول ان معنى هذه الآيات اننا بعثناهم من رقدتهم وعزلتهم هذه بعد فراغ طعامهم وشرابهم الذى كانوا قد استحضروه معهم أى نبهنا أفكارهم لنتائج عزلتهم وانكماشهم وتوحشهم هذا ولما يترتب على عدم اختلاطهم بالناس وعدم تبادل المنافع معهم ليتساءلوا بينهم ويتباحثوا فى ذلك . قال قائل منهم كم لبثتم فى حالتكم هذه فقال الذين لا يهمهم المتاعب والمشقات فى سبيل الفرار بدينهم ، ولا تزعجهم المصائب والمدلهمات فى سبيل المحافظة على عقائدهم لبثنا يوما أو بعض يوم أى أن كل ما لاقيناه فى هذا السبيل مهما اشتد وقعه فينا وطال زمنه علينا فانما هو يوم أو بعض يوم بالنسبة لصلاح حالنا وصحة عقيدتنا واخلاص عبادتنا لله تعالى . وقال آخرون منهم أى الذين حالتهم فى تحمل المصائب ، والتمسك بالدين أقل من حالة الأولين (ربكم أعلم بما لبثتم فالأولون أرادوا التصريح بما فى نفوسهم من التحمل وعدم

المبالاة بكل ما حصل لهم والآخرون أرادوا الابهام وعدم البحث فى هذا الشأن وقالوا ابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه حيث ان طعامنا الأول قد فرغ وسئمنا نوعه لأنه من الأطعمة الناشفة الجافة المخزونة فنفوسنا الآن تطلب طعاما طريا زكيا شهيا ، ويجب على من يريد الذهاب الى المدينة أن يتلطف ولا يشعرن بكم أحدا لأنهم ان ظهروا عليكم وعرفوا موضعكم يأتوا اليكم ويقتلوكم رجما أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا اذن أبـدا اذ لا يمكنكم بعد ذلك أن تختفوا فيما اختفيتم فيه الآن ولا أن تتحملوا فيما بعـد مثل ما تحملتم الآن .

ثم قال تعالى : (وَكَذٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ٱبْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ . قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً) .

قال المفسرون ان سبب الاعثار عليهم ومعرفتهم هو ما كان فى وجه رسولهم الذى أرسلوه الى المدينـة من التجعد والآثار وطول الشعر والأظفار التى تدل على أنهم أناس قدماء ، وقال بعضهم ان الذى ذهب ليشترى الطعام من السوق أخرج الدراهم التى معه فوجدوها قديمة جدا غير متداولة الآن فقال له انك قد وجدت كنزا فحملوه الى الملك فقال له من أين وجدت هذه الدراهم فقال بعت بها أمس شيئا من الثمر وخرجنا فرارا من الملك دقيانوس فقال له ان الملك دقيـانوس كان فى قديم الزمان وقد جاء بعده مئات من الأعوام فقص عليهم الأمر فقالوا ان هؤلاء قد بعثهم الله بعد موتهم . فذهب الملك وجماعته اليهم فرأوهم جالسين مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فتكلموا معهم وأخبروهم بما لقوا من دقيانوس ثم قالوا للملك وجماعته نستودعكم الله ودعوا اليهم ورجعوا الى مضاجعهم فتوفاهم الله تعالى ، وبعد أن ماتوا تنازعوا فى أمرهم فمن قائل ابنوا عليهم بنيانا ومن قائل نتخذ عليهم مسجدا وهناك حكايات

كثيرة للمفسرين من هذا القبيل ليس لهم على واحد منها أدنى دليل الا قال وقيل .

وقال المفسرون أيضا فى معنى قوله تعالى (ليعلموا أن وعد الله حق وان الساعة آتية لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم أمرهم) . أى انما أعثرنا عليهم الناس الذين كانوا موجودين فى ذلك الزمن ليعلم هؤلاء الناس أن وعد الله حق فى البعث والحشر والنشور والخروج من القبور لأنهم كانوا فى ذلك الوقت ينكرون البعث بالمرة وقيل كانوا ينكرون أنه بالجسد والروح معا فأثبت الله لهم بهذه الحادثة أن البعث حاصل وانه بالجسد والروح معا كما بعث أصحاب الكهف بالجسد والروح معا .

أقول وانت ترى أنه على تفسيرهم هذا اما أن يكون فى هذه الآيات تناقض لأن الآيات الأولى تفيد أن أصحاب الكهف كانوا نائمين وهذه الآيات على تفسيرهم تفيد أنهم كانوا ميتين فأحياهم الله ليثبت لهؤلاء الناس صحة البعث بالجسد والروح . واما أن يكون الله تعالى قد استدل على الشىء بمالا يصح أن يكون دليلا عليه حيث استدل على البعث بعد الموت بالبعث بعد النوم وهذا لا يصح أن يكون دليلا . وأيضا لو فسرنا الوعد والساعة بوعد الآخرة وساعة القيامة كما يقول المفسرون لا يكون هناك معنى للتعليل بقوله (اذ يتنازعون بينهم أمرهم) لأن المعنى يكون حينئذ (وكذلك أعثرنا عليهم الناس) ليعلم الناس أن وعد الله بالآخرة وساعتها لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم الخ . وهذا كلام لا محصل له لأن العلة لا تناسب المعلول ، ولذلك فانى أفهم فى هذه الآيات غير ما فهمه المفسرون فأقول :

ان معنى قوله تعالى (ليعلموا الخ) أى ليعلم أصحاب الكهف لأنهم هم المتحدث عنهم لا الناس غيرهم . أى ليعلموا بأعثارنا الناس عليهم ، وارادتهم لقتلهم ان وعد الله بالموت حق وان ساعة هلاك الانسان وفنائه فى الدنيا لا ريب فيها ، وان هروبهم الى الكهف لا يغنى عنهم من ذلك شيئا (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) فضلا

عن الكهوف . أى أن أحد الأمرين اللذين كانوا قد تخوفوا منهما قد حصل وهو القتل ، حيث اعثرنا عليهم أعدائهم فتنازعوا فى أمرهم وفيما يصنعون بهم فكان من جملة الآراء أن يبنوا باب الكهف ويسدوهم عليهم وهم أحياء ليموتوا فيه (صبرا) أى يموتوا فيه جوعا وعطشا وخنقا، أو يخرجوا منه بعد البناء عليهم بأعجوبة ان كانت لهم حياة . أى لا بد من مجازاتهم على خروجهم عن عقائدنا وديننا ببناء باب الكهف عليهم فقط ولا لزوم لقتلهم الآن فعلا بأيدينا لأن ربهم أعلم بهم وأفصل فيهم فان كانوا يستحقون الموت والهلاك أهلكهم الله فى هذا الكهف وأماتهم فيه ، والا أخرجهم منه بطريق من الطرق . أما نحن فلا مبرر لنا على قتلهم فعلا بالرجم أو الذبح أو غير ذلك وكان هذا الرأى هو المقبول من بين الآراء والمعمول به ، ولذلك ذكره الله تعالى دون غيره اشارة الى أنه هو الذى حصل فعلا . ثم ان الذين قد غلبوا على أمرهم واعتقدوا فيهم وفى حسن سلوكهم وصحة ايمانهم قالوا لنتخذن عليهم مسجدا لأنهم كانوا مؤمنين صالحين .

الى هنا انتهى قصص الله الحق فى أصحاب الكهف وفى نبأ هؤلاء الفتية ثم بدأ يذكر تعالى ما يقوله الناس فيهم بقوله (سيقولون ثلاثة الخ) أقول أنت ترى أن هذا القصص الحق الذى قال عنه تعالى (نحن نقص عليك نبأهم بالحق الخ) لا يوجد فيه ما يدل على أن أصحاب الكهف كانوا نائمين مرة واحدة فى كهفهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين كما يقول الناس، واذا كان هذا المعنى لم يوجد ضمن قصص الله الحق فى هذه المسألة فبأى طريقة يمكننا القول بصحته واعتباره .

ثم قال تعالى : (سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِّالْغَيْبِ ، وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَّثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا ، وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِّنْهُمْ أَحَدًا) . أقول أى أن الناس قد تقولوا كثيرا فى أمر هؤلاء الفتية وفى عددهم ولكن كل أقوالهم انما هى ظنون اذ لا يعلم حقيقة أمرهم وعددهم

الا الله ونفر قليل ممن شاهدوهم ، وحينئذ فلا تجادل هؤلاء المتقولين الا مجادلة ظاهرة واضحة مقنعة لأننا قد قصصنا عليك نبأهم بالحق ، ولا تستفت فيهم منهم أحدا لأنهم لا يعرفون الحق ومن لا يعرف الحق لا يستفتى .

ما قاله المفسرون فى معنى قوله تعالى

(ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله)

وما أفهمه فى معنى ذلك خلافاً لهم

ثم قال تعالى : (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا .)

اختلف المفسرون فى معنى هذه الآية فقال بعضهم أن القوم لما سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن حادثة الكهف قال لهم أجيبكم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس عنه الوحى خمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما فشق ذلك عليه فنزلت تلك الآيات ونزلت هذه الآية تعليما له أن لا يقول عن شىء انى فاعله غدا الا اذا قال ان شاء الله تعالى وقد تعقب الفخر الرازى هذا القول بما يطول شرحه . وقال بعضهم انمعناها أنك لا تقل عن شىء انى فاعله غدا الا اذا شاء الله أى أذن لك أن تقوله . ولا يخفى بعد هذا القول أيضا .

وقال بعضهم أى لا تقل أبدا انى فاعل ذلك غدا لأن حصول كل شىء متوقف على مشيئة الله تعالى ومشيئته غير معلومة لأحد فلا يجوز لأحد أبدا أن يقول انى فاعل ذلك غدا لجهله بمشيئة الله فى هذا الفعل . ولا يخفى ما فى هذا القول من الحجر والتضييق على الناس فى بيان أغراضهم ومقاصدهم اذ قد يضطر الانسان أن يقول هذا القول لبعض الأغراض والمقاصد .

وأنا أقول يحتمل أن يكون معناها انك لا تقل عن شىء انى فاعله غدا الا أن يشاء الله لك فعله بأن تتحصل لك أسبابه وموجباته وتتوفر عندك مقدماته ومقتضياته وتزول عنك موانعه وعثراته . فاذا وجدت الأسباب

المقتضية ، وحصلت لك الظروف الملائمة وتيسر الأمر ، وتسهل العمل فقد عرفت مشيئة الله تعالى فيه وحينئذ فاذا قال الانسان هذا القول فى مثل هذه الحالة فانما يكون قد قاله بناء على مشيئة الله تعالى التى ظهرت له بوادرها وحصلت له علاماتها . أما اذا قال هذا القول فى غير هذه الحالة فانه يكون متعديا على مشيئة الله تعالى لأنه لم يحصل له أى علامة على حصولها ولا أى اشارة لوجودها ولذلك قال تعالى عقب هـذه الآية (واذكر ربك اذا نسيت) أى تذكر الله تعالى عندما تصمم وتؤكد عمل الشىء بقولك (انى فاعل ذلك غدا) فانك اذا تذكرته عند هـذا التصميم والتأكيد تخجل من نفسك لأنك تعلم أنه الفاعل المختار مقلب القلـوب والأبصار الذى لا يمكن لأحد أن يعمل عملا بغير (ارادته ومشيئته رغم تصممك وتأكيدك ، فاذا لم يشأ الله لك هذا الفعل فأين يذهب تصميمك هذا . فكان من الواجب عليك بدل أن تقول (انى فاعل ذلك غدا) أن تقول كما علمك الله فى الآية بعدها بقوله (وقـل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا) أى عسى أن يهدينى ويهيىء لى عملا أحسن من هذا العمل الذى صممت عليه ، وأقرب منه الى الرشاد والتقوى كما قال تعالى (وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) .

والدليل على صحة ما أقول من أن المراد من قوله (الا أن يشاء الله) ظهور وتبين أسباب وعلامات مشيئته تعالى حسبما بينا ، وانه ليس المراد أن يقول لفظ (ان شاء الله) قـولا فقط . ان الآية جعلت المستثنى هو نفس المشيئة حيث قالت (الا أن يشاء الله) ولم تجعل المستثنى قول هذه العبارة والتلفظ بها حيث لم تقل الآية (الا أن تقول ان شاء الله) وهذا يشعر بأن القول ليس مرادا ، وانما المراد حصول علامات المشيئة فعلا .

هذا ما أراه أقرب لمعنى هـذه الآية وهو لا ينافى أصلا أن يقول الانسان (ان شاء الله) عند كل عمل يريد أن يعمله فى المستقبل كما هو مفهوم من الحديث والسنة وان كان ذلك ليس مرادا للآية هنا .

ووجه ارتباط وعطف قوله تعالى (ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك

غدا الا أن يشاء الله) على قوله (ولا تستفت فيهم منهم أحدا) على مقتضى تفسيرنا ان الله تعالى لما نهى النبى (ص) عن استفتاء أى واحد منهم فى مسألة الكهف لأنهم لا يعلمونها نهاه أيضا عن أن يقول لهم حينما سألوه عنها (أجيبكم غدا) كما هو وارد فى أسباب نزول هذه الآية لأنه لا يعلم أيضا العلامات التى تدل على أن الله سينزل عليه غدا وحيا ببيانها ولم تتوفر لديه الوسائل والأسباب التى يتحقق بها انزال الجواب غدا حتى يحدده بذلك . ولهذا ولأجل استعجاله وافتياته على الله بتحديد الغد أخر الله عنه الوحى فى ذلك خمسة عشر يوما كما يقولون فى أسباب النزول .

الأدلة على أن قوله (ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين إلخ) ليس من مقول الله تعالى

وإنما هو من مقول القوم الذين رد الله عليهم فيه

ثم قال تعالى : (وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِ أَحَدًا) .

أقول أن قوله (ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) انما هو حكاية عن المتقولين الذين يتناقلون هذه الحكاية رجما بالغيب وليس من مقول الله تعالى . والدليل على ذلك أمور : —

١ — ما عرفته سابقا من أن قصص الله الحق ونبأه عن هذه الفتية قد انتهى قبل قوله (سيقولون الخ) ولم يذكر الله تعالى فى ضمن هذا القصص الحق أن هؤلاء الفتية لبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنة وتسعا ، وحينئذ يكون ذلك تابعا لقوله (سيقولون ثلاثة الخ) ومن ضمنه .

٢ — انه يوجد فى مصحف عبد الله (وقالوا ولبثوا فى كهفهم الخ) فهذه القراءة صريحة فى أن قوله (ولبثوا) من مقول القوم لا من مقول الله تعالى .

٣ — ان اصرح دليل على ذلك قوله عقبها (قل الله أعلم بما لبثوا) لأن هذا رد صريح على ادعاء انهم (لبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وتسعا).

على أن لفظ (اللبث) لا يعنى النـــوم وانما يعنى المكث والاقامة التى تكون باليقظة والنوم معا حسب العادة وهذا لا مانع فى أن يكون ثلاثمائه سنة أو أكثر . بحسب ذراريهم وما توالد منهم .

وبالجملة فان قوله (ولبثوا الخ) انما هو من مقول القوم الذى صرح الله برده عليهم وانه لا يدل على النوم الدائم . وحينئذ فبأى طريقة يجوز للمسلمين أن يقولوا أن أصحاب الكهف قد ناموا نومة واحدة فى كهفهم وهم أحياء ثلاثمائة سنة وتسع سنين . ألم يقرأوا القرآن ويتدبروا معانيه ؟ ! أم أنهم يقدمون الحكايات المتناقلة على صريح القرآن ؟ ! ان هذا لشىء عجاب .

البحث العاشر

موسى وفتـــــاه

والحوت الذى اتخذ سبيله فى البحر عجبا

ما قاله المفسرون فى ذلك

قال تعالى فى سورة الكهف ٦٢ : (فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِما نَسِيَا حُوتَهُما فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَباً ، فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هٰذَا نَصَباً ، قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ، وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَباً) .

قال المفسرون فى معنى هذه الآية ما ملخصه : ان موسى عليه السلام لما طلب من ربه ان يريه الخضر عليه السلام فى مكان بمجمع البحرين ذهب هو وفتاه اليه حتى بلغا قريبا من هذا الموضع ، وأويا الى صخرة ليستريحا ، وكان معهما لأجل غدائهما حوت مملح وهو المسمى الآن فسيخا ، فانقلب هذا الحوت حيا بعد أن كان ميتا ، وسار الى البحر حتى وصله وغطس فى الماء واختفى عنهما فيه فلما جاوزا هذا المحل قال موسى لفتاه آتنا غداءنا وهو الحوت المملح ، قال الفتى اننا حينما كنا عند الصخرة فانى نسيت الحوت واتخذ سبيله فى البحر عجبا .

وقد اختلف المفسرون فى سبب انقلاب هذا الحوت الميت حيا فقال بعضهم ان الفتى الذى هو يوشع كان يغسل هذا الحوت فى البحر لأنه كان مملحا فلما أصابه ماء البحر انقلب حيا وطفر منه فى الماء . وقال بعضهم أن يوشع كان قد توضأ فى مكان قريب من الحوت فأصابه رشاش

ماء وضوئه فأحياه ووثب الى البحر . وقال بعضهم انه قد انفجر هناك عين ماء الجنة ووصلت قطرات من ماء تلك العين الى الحوت فأحيته وهرب الى البحر . وقال بعضهم ان الحوت كان فى المكتل ميتا فأحياه الله واتخذ سبيله فى البحر عجبا . قالوا ووجه العجب هو انقلابه حيا ، وسيره الى البحر وألقاء نفسه على غفلة منهما أى من موسى وفتاه .

أقول هذا حاصل ما قاله المفسرون فى معنى هذه الآية ولكنهم لم يأتوا بأى حديث عن الرسول ولا بأى دليل من القرآن أو التوراة أو الانجيل أو غيرها تدل على أن هذا الحوت كان ميتا ثم صار حيا وانما هى أفهام وأقوال لا مستند لها أصلا الا ما فهموه من التعبير بقوله عجبا فى آية (واتخذ سبيله فى البحر عجبا) وهذا لا يدل على أنه كان ميتا كما سيأتى بيانه .

ما أفهمه فى هذا الموضوع وأدلتى عليه

اننى أقول يحتمل احتمالا قريبا ان موسى وفتاه حينما أويا الى الصخرة عند مجمع البحرين ليستريحا قد اصطادا فى ذلك الوقت حوتا من البحر ووضعاه بجانبهما على الأرض أو وضعاه فى ماء باناء أو نقرة من الصخر ليبقى حيا حتى يأتى وقت الغداء فيشوياه مثلا ويتغديا به ولكنهما ما لبثا حتى نسيا هذا الحوت وغفلا عنه فقفز من موضعه وسار فى طريقه الى البحر حتى وصله وانغمس فيه واختفى . ووجه العجب فى ذلك ان هذا الحوت قد مشى يقفز مسافة فى البر على غير ماء وهو حى مدة ليس من المعتاد أن يقفز أو يعيش فيها مثله من الحيتان بدون ماء ، ولكن هذا الحوت قد عاش مدة قد تكون طويلة بلا ماء وسار مسافة قد تكون بعيدة فى البر حتى وصل الى البحر وانغمس فيه وهذا وجه التعبير بلفظ (عجبا) فى قوله تعالى (واتخذ سبيله فى البحر عجبا) . أى حيث اننى نسيت الحوت وغفلت عنه ولم أذكره ولم أراقبه فقد اتخذ سبيله فى البحر عجبا على نحو ما بيناه .

هذا وجه التعبير فى الآية بلفظ (عجبا) الذى فهم منه المفسرون ان

هذا الحوت قد كان ميتا ومملحا ثم صار حيا . واحتـاروا فى أسباب حياته بعد موته . هل كان ذلك بسبب اصابته برشاش ماء وضوء يوشع فأحياه ، أو بسبب اصابته بقطرات من ماء عين فى الجنة انفجرت هناك لهذا الغرض فأحيته . الى غير ذلك من الأقوال المتقدمة التى لا مستند لهم فى شىء منها . ومما يبعد قول المفسرين من أن الحوت قد كان ميتا مملحا ويؤيد قولنا من أنه كان حيا أمران مأخوذان من نفس هذه الآية :

١ — ان هذه الآية قد جعلت اتخاذ الحوت سبيله فى البحر سربا مبنيا على نسيانهما له ، وغفلتهما عنه ، وعدم مراقبتهما له ، وهذا يشعر بأن الحوت قد كان حيا ، والا فما هو وجه ترتب ذهابه الى البحر ، واتخاذ سبيله اليه على نسيانهما وغفلتهما عنه مع علمهما بأنه ميت مملح لا يذهب الى البحر ولو غفلا عنه ونسياه .

٢ — ان موسى والفتى بعد أن جاوزا الصخرة بمسافة وبعد أن حطا رحالهما فى موضع آخر وأراداأن يتغديا قال الفتى انى نسيت الحوت وغفلت عنه فاتخذ سبيله فى البحر عجبا . فهـذا القول من الفتى يدل بصراحة على أنه كان عالما بذهاب الحوت الى البحر وهو هناك قبل أن ينتقل من موضعه ، والا فكيف يقول لموسى أن الحوت قد ذهب الى البحر مع أنه لم يرجع بعد الى موضع الحوت حتى يعرف ماذا جرى له . هل هو باق فى موضعه ، أم ذهب الى البحر حتى يخبر موسى بذلك ، ولو كان الفتى عالما قبل مجاوزتهما ذلك الموضع بأن الحوت قد انقلب حيا كما يقول المفسرون لما تأخر الفتى عن أخبار موسى بهذا الأمر العجيب قبل قيامهما من ذلك الموضع ، أو على الأقل وهما مسافران فى الطريق معا لأن المسافرين يتحدثون فى الطريق حتى عن الأمور التافهة لتقطيع الطريق فضلا عن الأمور الغريبة المهمة كهذه الحادثة التى لو وقعت حقيقة لحدث الفتى بها موسى من وقت وقوعها لشدة غرابتها .

وعليه فعدم تحدثه عنها ، وعدم أخبار موسى بها دليل على أنها ليست من الأمور الخارقة للعادة أو المستغربة جدا التى تبقى فى الذاكرة لشدة

غرابتها ، بل هى من الأمور التى قد تحصل عادة وان كانت نادرة اذ أن قفز الحوت بعد اصطياده من موضعه الذى كان فيه ولو كان بعيدا عن البحر وان كان أمرا غريبا فى حد ذاته ، الا أنه ليس من الغرابة بحيث لا ينساه الانسان كحادثة انقلابه حيا وهو ميت مملح وذهابه الى البحر . على أن لفظ (عجبا) ليس من مقول الله بل الذى من مقوله هو قوله فى أول الآية (فاتخذ سبيله فى البحر سربا) أى تسرب الى البحر تسربا ولم يقل تسرب عجبا فالذى عبر بلفظ العجب انما هو الفتى وهذا بناء على تصوره ان ذلك عجيب وان كان قد لا يكون عجيبا فى ذاته .

وبالجملة فانى أرى أن أقرب ما تعطيه هذه الآية من المعنى أن موسى عليه السلام حينما طلب من الفتى الغداء وكان فى ظنه أن الحوت الذى كانا قد اصطاداه من البحر وهما عند الصخرة هو الغداء أو من جملة الغداء اعتذر له الفتى عن تقديم هذا الحوت وأخبره بأنه كان قد نسيه وغفل عنه بعد اصطياده ، وأنه اتخذ سبيله فى البحر عجبا حيث أنه ما كان يظن أن الحوت بعد اخراجه من البحر وابعاده عنه بمسافة كبيرة يمكنه أن يرجع اليه حيا .

وبتغييرنا هذا تكون الآية ظاهرة واضحة لا تحتاج الى تأويل أى كلمة فيها ولكن المفسرين بالنظر لكونهم صمموا على أن الحوت كان ميتا وانقلب حيا اضطروا الى أن يبينوا كيفية النسيان فى الآية بما نصه كما فى الفخر الرازى :

قال (والمراد من قوله نسيا حوتهما أنهما نسيا كيفية الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة على الوصـــول الى المطلوب . فان قيل أن انقلاب السمكة المالحة حية حالة عجيبة فلما جعل الله حصول هذه الحالة العجيبة دليلا على الوصول الى المطلوب فكيف يعقل حصول النسيان فى هذا المعنى . فأجاب العلماء عنه بأن يوشع كان قد شاهد المعجزات القاهرة من موسى كثيرا فلم يبق لهذه المعجزة عنده وقع عظيم فجاز حصول النسيان .

وعندى فيه جواب آخر وهو أن موسى لما استعظم علم نفسه أزال الله

عن قلب صاحب هذا العلم الضرورى تنبيها لموسى عليه السلام على أن هذا العلم لا يحصل الا بتعليم الله وحفظه على القلب والخاطر) انتهى كلام الرازى بالحرف .

ومن التأمل فى معنى هذه الآية يظهر لك ارتباك المفسرين وبعد تفسيرهم عن مجرى الآية الطبيعى ، كما يظهر لك بساطة تفسيرنا وقربه من معناها الحقيقى ومجراها الطبيعى والله أعلم بمراده .

البحث الحادى عشر

عيسى عليه السلام

وخلقه من الطين طيراً ، وإحياؤه الموتى ، وإبراؤه الأكمه والأبرص الوارد فى الإنجيل والقرآن

جواباً لسؤال من (رام الله) :

جاءنى سؤال ضمن تحرير بامضاء محمد عبد العزيز الحصاونة معلم مدرسة دار التربية والتعليم ببلدة كوير — رام الله — القدس . هذا نصه :

حضرة الفاضل الشيخ عبد الله القيشاوى المحترم .

وبعد فانى أبادرك بكتابى هذا على غير معرفة سابقة بيننا ، وأهنئك على ما أوتيت من علم وحكمة حتى صرت (كأنك علم فى رأسه نار) وأصبح من بحر علمك الزاخر يرتوى الظمآن ، واليك ينتهى أمر كل من هو فى حيرة ، وحاشا أن ترد الولهان . ولما كنت أثق بحلمكم وأجزم بفضلكم جئت طارقا بابكم وسائلا اياكم سؤالا ورد على فتلجلجت فى الجواب عليه ، ولى وطيد الأمل أن أدرك هدفى أو أصيب أمنيتى .

مولاى : تصفحت كتابكم المسمى (أفكار مؤمنين فى حقائق الدين) ثم قرأت شرحكم الوافى على موضوع (معنى احياء المسيح للموتى ص ٢٦) من كتابكم المذكور فبعد التتبع والامعان رسخ فى ذاكرتى ما جئت به من الأدلة والبراهين التى تبرهن حتما ويقينا ان أحياء الأموات عمل لا يقدر عليه الا الله ولا يمكن أن يتدخل فيه أحد من خلقه ، وأن وظيفة الأنبياء انما هى احياء نفوس الموتى بالكفر والضلال ، فيحيون نفوسهم وقلوبهم

بالايمان وصالح الأعمال . فالحق أقول والحق يقال ان شرحكم لم يدع فى قلب أحد ريبة من أن أحياء الأموات ليس من وظيفة الأنبياء . وقد أصبحت أعتقد كل ذلك وأبث تعاليمكم لكل الناس حتى اعترضنى أحد المسيحيين فوقع الجدل بيننا وأقمت الحجة عليه لولا استشهاده بالآية القرآنية القائلة فى سورة المائدة ١١٣ (وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِى) فتعذر على الجواب وعظم على الأمر لأنى استندت على كتابكم وأثبت لمن يزعم احياء المسيح للأموات ان ذلك غير ممكن ، ولكن ظاهر الآية المتقدمة تدل على أن المسيح كان يخلق من الطين طيورا باذن الله فاذا ثبت له ذلك ثبت احياؤه للأموات بالأولى فاذا كان لهذه الآية تفسير غير ذلك فيزول الاشكال . وعليه فأرجوك الجواب فتسدى لى جميلا لن أنساه وتعلمنى مما علمت رشدا انتهى نص مكتوب المعلم المذكور فأجبته بما نصه :

حضرة الأستاذ الفاضل السيد محمد عبد العزيز الحصاونة معلم مدرسة دار التربية والتعليم المحترم .

أخذت كتابكم وعليه أحييكم فأقول :

أقوال المفسرين فى ذلك وبيان ضعفها

ان المفسرين قد قالوا فى معنى هذه الآية ان عيسى عليه السلام كان يأخذ طينا ويصوره على صورة الخفاش ثم ينفخ فيه فيصير حيا ويطير بين السماء والأرض ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن أعينهم سقط ميتا الى آخر ماقالوه .

ولكنى أقول ان تفسير هذه الآيات بما قاله المفسرون بعيد جدا من وجوه :

١ — لأن الرواية التى رووها فى ذلك لم يكن لها سند صحيح لأنها لم تنقل عن كتاب مقدس ولا عن حديث صحيح ، وانما هى رواية عن وهب بن منبه فقط وليس كل رواية عن أى شخص تعتبر حقا وصدقا بحيث يفسر بها كتاب الله تعالى .

٢ — انه لا يعقل أن تدب الحياة الحقيقية رأسا فى جماد على غير السنن الطبيعية ثم تذهب حقيقة عندما يغيب عن أنظار الناس ثم ترجع اليه حقيقة وهكذا ، لأن هذه ملعبة فى الخلقة الالهية ، ومخادعة للناس لا تليق بمقام الله تعالى ولا بمقام أنبيائه الكرام .

٣ — اننا اذا أخذنا الكلام على ظاهره كما يقول المفسرون من أن ما يصوره عيسى على صورة الطير فينفخ فيه كان يصير طيرا فى السماء ثم يسقط على الأرض جمادا يصدق على ما اخترعه علماء هذا العصر من الطيارات المتنوعة التى صنعوها من المعادن والأخشاب وباقى الأجزاء المأخوذة من طين الأرض ثم ينفخون فيها من حرارة نار البنزين فتطير فى السماء باذن الله ، ثم تنزل الى الأرض جمادا وحينئذ فقد أصبح لا مزية لعيسى ولا هى معجزة له ، ولا دالة على نبـوته ، اذ لو كانت كذلك لأصبح مخترعوا هذه الطائرات الذين أتوا بهذه المعجزات هم أنبياء أيضا كعيسى سواء بسواء فى ذلك لأنه خلقوا من الطين كهيئة الطير باذن الله فنفخوا فيها فصارت طيرا وطارت فى السماء باذن الله .

٤ — ان لهذه الآية معنى آخر غير ما قاله المفسرون حسبما يدل عليه ما قبل هذه الآية وما بعدها .

ما أفهمه فى معنى خلق عيسى من الطين طيراً وأدلتى على ذلك

ان الخلق كما يطلق فى اللغة على ايجاد الماديات والأجرام يطلق أيضا على ايجاد المعنويات وكما يسند الخلق الى الله تعالى يسند الى غيره أيضا كما قال تعالى فى سورة المؤمنون ١٤ (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) ولكن خلق المادة لا يسند الا الى الله وحده ، وأما خلق الأمر المعنوى ، ونقل الشىء من حال الى حال ، ومن صفة الى أخرى فقد يسند الى غير الله تعالى كما يقال (فلان خلق أمة) أى أوجد فيها روحا معنوية فصارت أمة حية حياة معنوية بعد أن كانت موتا معنويا كما يشعر بذلك قوله تعالى: (هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) فجمع شمل الأمة بعد تمزيق أوصالها خلق جديد لهذه الأمة والخلق

الجديد فى هذه الآية هو بمعنى الولادة الجديدة أو الولادة الثانية الواردة فى الانجيل ، فكلاهما انما يعنى الانتقال من حال رديئة الى حالة أخرى حسنة . وهذا الانتقال يسمى خلقا حتى فى كلامنا العادى أيضا كما يقال فلان خلق فى فلان روح الحياة أو نفخ فيه روح النشاط أى تسبب فى أن يوجد فيه روحا جديدة أى أخلاقا وصفات جديدة عالية كالحمية والنهضة والنشاط والقوة أى غير أخلاقه وصفاته الأولى كالذل والخمول الى أخلاق أخرى عالية . ثم انه قد يعبر عن الانسان الجاهل الجامد البليد بالصخر أو بالحجر أو بالطين ويعبر عن تعليمه وتدريبه وتربيته وتزكيته وبث روح العلم فيه باحيائه واخراجه من هيئة الجماد الى هيئة الحيوان والانسان أى من صفات الجمادية الى صفات الحيوانية الانسانية كما يقال ان فلانا بحسن تعليمه وتربيته وحسن ارشاده وهدايته قد خلق من الصخر أو من الحجر أو من الطين انسانا عاقلا ، فهيما ذكيا طاهرا ، أى جعل الرجل الجامد الذى هو كالصخر أو الطين رجلا عاقلا ذكيا طاهرا أى نقله من طين الجهل ومنخفضاته الى طين العلم ومرتفعاته .

. ثم ان الانسان الذى خصه الله تعالى بالاقتدار على هذا العمل وتحويل الجماد الى انسان أى تحويل الجامد الى عاقل يعتبر عمله هذا آية من آيات الله لأنه ليس فى امكان أى انسان أن يفعل ذلك الا من اذن له الله تعالى به من الأنبياء أى أرسله لهذا الغرض كما ورد فى الأثر من أنه كان يأتى الى النبى صلى الله عليه وسلم الرجل البدوى الجلف الجاهل الغليظ الكبد القاسى القلب فيصبح بلقاء النبى أو مصاحبته أو متابعته رجلا عالما حكيما كريما ومصلحا كبيرا ومؤمنا تقيا طاهرا .

ومن هذا القبيل قوله تعالى (واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى) وكذا قوله تعالى فى سورة العمران ٤٩ حكاية عن المسيح عليه السلام ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ إلخ﴾.

أى قد جئتكم بآية تدل على أنى مرسل لكم من ربكم أى مرسل لهدايتكم وهى أنى أخلق لكم من الطين أى من الانسان الذى هو كالطين فى عدم الفهم والعقل ، وعدم العلم والمعرفة ، وعدم التقى والصلاح كهيئة الطير أى الطائر الى حضرة القدس من شدة الشوق فأنفخ فيه من نفث العلم الالهى ، ومن روح الحياة الحقيقية بتأثير التربية والتعليم ، والصحبة فيكون (طيرا) أى نفسا حية طائرة بجناح الشوق والهمة الى جناب الحق فى جو الكمال والعلم والحكمة ، هذا هو معنى هذه الآية وهذا هو ما يختص بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهذه هى مزيتهم على غيرهم .

والدليل على أن هذا هو المعنى المراد منها لا غيره قوله تعالى قبلها ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل ، ثم قال عقبها انى قد جئتكم بآية من ربكم انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا الى آخر الآية المتقدمة .

فتعليم الله له الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وجعله رسولا الى بنى اسرائيل لأجل تعليمهم ما تعلمه من الله تعالى هو خلق لهم خلقا جديدا ونفخ لهم من روح الله حتى صاروا طيورا محلقين فى سماء العلم والمعرفة والحكمة والطهارة والنقاوة والتزكية . انتهى نص مكتوبى للأستاذ المذكور .

ما أفهمه فى معنى إبراء عيسى للأكمه والأبرص

والآن أريد أن أتمم تفسير بقية هذه الآيات وأن أذكر بعض ما ذكرته فى كتابنا (أفكار مؤمنين فى حقائق الدين) الذى أشار اليه الأستاذ المذكور فأقول :

وأما قوله تعالى : (وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي) وكذا قوله على لسان عيسى : (وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ) فالمراد من الأكمه هنا أعمى البصيرة عماء أصليا كالبليد الجامد بطبعه الغليظ العقل بسليقته الغير قابل للتعليم من أصله المظلم قلبه من بدايته . والمراد من الأعمى من عرض

له عمى البصيرة والقلب بسبب تقليد غيره وتعلمه ممن سواه بدون تفكير فيما يأخذ ولا تعقل فيما يلقى عليه ، وان كان ذا بصيرة وعقل راجح وفكر قوى ولكنه بالنظر لكونه قد اعتمد على غيره فى أخذ المعلومات واستحوذت على أفكاره أنواع الخرافات فقد أصبح أعمى البصيرة ممن قال الله فى حقهم (وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) وقال فى حقهم أيضاً : (لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ، أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) . وقال أيضاً : (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ، وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ) وقال أيضاً : (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) وقال أيضا (فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) وقال أيضا (أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون) فالأكمه هو الأعمى الأصلى سواء كان حسيا أو معنويا ، والأعمى هو الذى عرض له العمى حسيا كان أو معنويا . كما فى قوله تعالى فى الآية السابقة (صم بكم عمى فهم لا يعقلون) . حيث عبر عن الذين لا يعقلون بالعمى كما عبر المسيح عن جهال اليهود بالعميان بقوله فى ١٧٠٢٣ (أيها الجهال والعميان) فانه لا يريد من العميان عميان البصر وانما يريد عميان البصيرة بالجهل أو غيره .

والمراد من الأبرص المريض بمرض الرذائل والشهوات والسقيم بارتكاب المعاصى والسيئات ، والمعاب بنقائص الصفات وأنواع الدناءة والسفالات . فعيسى عليه السلام بالنظر لكون الله تعالى قد علمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل كان يبرىء بتعليمه وحكمته وارشاده من كان أكمه من نشأته محجوبا عن نور الحق من بدايته ، وكان يبرىء أيضا بذلك من عرض له عمى القلب والبصيرة بسبب سوء تعليمه وتقليده غيره فى عقائده وخرافاته وكان أيضا يبرىء بذلك من مرضت نفسه بالرذائل والشهوات ومرض قلبه بتتابع وتكرار أنواع الدناءة والسفالات فكان يخلق من الصخر انسانا ومن الطين طيرا .

ما أفهمه فى معنى إحياء عيسى للموتى وأدلتى على ذلك

وأما احياء الموتى فى قوله تعالى (ويحيى الموتى باذن الله) وكذا قوله فى آية أخرى (واذ تخرج الموتى باذنى) فالمراد من الموتى هنا موتى النفوس بالجهل والكفر والضلال والمعاصى والآثام وموت القلوب بالذل والهوان وسوء الأخلاق والتنافر والتباغض والشقاق ، والمراد من احيائها احياؤها بالايمان وصالح الأعمال وبالمحبة والسلام والألفة والوئام والاتحاد والتضامن والاعتصام بحبل الله تعالى . والمراد من اذن الله له هو ارساله لهذا الغرض لأن من أرسل شخصا لتحصيل أمر فقد أذن له بتحصيله .

والاحياء بهذا المعنى هو وظيفة الأنبياء التى أرسلوا لأجلها وهو الذى يمكنهم وفى استطاعتهم أن يفعلوه باذن الله لهم فيه وأقداره لهم عليه .

وأما احياء أجساد الموتى فليس من شأنهم ولا هو فى استطاعتهم بل هو من خصائص الله تعالى كما يصرح بذلك قوله تعالى (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائهم من يفعل ذلك من شىء سبحانه وتعالى عما يشركون) وقوله (ربى الذى يحيى ويميت) فالحصر فى الآيتين صريح فى أن احياء الأجساد خاص بالله تعالى ولم يعطه لأحد من خلقه بدليل أنه تعالى قد أنكر فى الآية الأولى على من يزعم ذلك وعده اشراكا .

بطلان دعوى المفسرين بأن ذلك كان معجزة له وأدلتى على هذا البطلان

وأما ما قاله المفسرون من أن الله تعالى قد أعطاه وأذن به لبعض الأنبياء كعيسى ليكون معجزة له حيث أنه جائز عقلا فى ذاته وكل ما هو جائز عقلا وقام الدليل على ثبوته يجب اعتباره والاعتقاد به فهو قول بعيد من وجوه :

١ — لأن المعجزة كما تكون بالأحياء الجسمانى فانها تكون

بالاحياء الروحانى أيضا لأن الاحياء الروحانى لا يقدر عليه كل انسان بل هو مخصوص بالأنبياء كما سيأتى توضيحه .

٢ — لأن معنى المعجزة انما ينطق بالحقيقة على الاحياء الروحانى لا على الجسمانى لأنهم قد عرفوا المعجزة بأنها (أمر خارق للعادة) أى لما اعتاد عليه الناس ، وجروا عليه حيث أن العادة الجارية انما تكون وجودية لا عدمية ، وأن الخارق انما يخرق الوجودى لا العدمى وحينئذ فقد لزم أن تكون المعجزة خارقة لأمر وجودى والموت الحقيقى انما هو عدم محض فلا يصح أن يقال أن المعجزة تخرقه . ولكن الموت المعنوى بالنظر لكونه عبارة عن استعمال الذنوب والخطايا والمعاصى والآثام فهو أمر وجودى فيصح أن يقال عنه انه قد خرقته معجزة الأحياء المعنوى باستعمال الأعمال الصالحة بدل تلك الأعمال السيئة .

٣ — أن الاحياء الجسمانى وان كان جائزا عقلا الا أنه لم يثبت دليلا لأن هذه الآيات التى جعلوها دليلا عليه ومثبتة له قد عرفت مما سبق لك أنها تحتمل المعنيين وكل ما طرقه الاحتمال لا يثبت به الاستدلال فكيف حينئذ يثبت ويتعين الاحياء الجسمانى دون الروحانى ، وعليه فانه لا يوجد دليل صريح أبدا على أن عيسى عليه السلام قد أحيا أجساد الموتى وان قال به جميع المفسرين .

وأما ما ذكروه أيضا من أن عيسى قد أحيا (لعاذر) وغيره مما نقلوه عن النصارى وعن انجيلهم فهذا قد رددت عليه وبينت أن ليس المراد منه الاحياء الجسمانى قطعا بأدلة صريحة من نفس آيات الانجيل وبصورة مفصلة موضحة فى كتاب المناظرة التى حصلت بينى وبين القس الفريد نيلسن المسمى (أفكار مؤمنين فى حقائق الدين) المطبوع سنة ١٣٥٩ هـ الموافق سنة ١٩٣٩ م وسأذكر شيئا منه فيما بعد .

الأدلة من القرآن ومن التوراة والانجيل والعقل على ما أقوله فى المراد من احياء الموتى فى الكتب المقدسة ومن احياء عيسى لابنة ياريوس وابن الأرملة الوحيد ولعاذر الواردة فى الانجيل وبيان انه ليس احياء جسميا

(المعنى المراد من احياء الموتى فى الكتب السماوية . وبيان أنه ليس مخصوصا بعيسى بل كل رسول كان يحيى الموتى بهذا المعنى) .

أن ورود احياء الموتى فى الكتب السماوية ليس مخصوصا بعيسى فقط، فقد ورد فى حق غيره أيضا كحزقيال وهوشع وغيرهما من أنبياء بنى اسرائيل كما هو مصرح به فى التوراة والانجيل ، وقد ورد أيضا فى حق محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن الكريم حيث قال تعالى (يا أيها الذين آمنـوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) فمحمد وحزقيال وهوشع وغيرهم من سائر الأنبياء كانوا كلهم مثل عيسى يحيون الموتى بالمعنى الذى بيناه لا بمعنى احياء الأجساد وان كان التعبير عن ذلك فى الكتب المقدسة يختلف باختلاف الأزمان والعادات أو باختلاف أنواع المجاز والاستعارات . والأنبياء وحدهم دون غيرهم من سائر البشر هم الذين يقدرون على احياء الموتى بهذا المعنى لأنهم هم أرباب الشرائع الالهية التى نزلت عليهم من الله والتى أحيوا الناس بها باذن الله .

وأما من عداهم من العلماء والأولياء والصلحاء اذا أحيوا بعض الناس فانما كان ذلك بأخذهم عنهم واتباعهم لشرائعم وغرفهم من بحارهم ، وشربهم من كوثرهم ، وأكلهم من مائدتهم وتتبعهم لأعمالهم وسيرهم على آثار أقدامهم . فالأنبياء لا غيرهم هم الذين أحيوا الناس باذن الله من الكفر الى الايمان ومن الضلالة الى الهداية ، ومن الشقاء الى السعادة ، لا فرق بين نبى ونبى آخر الا بكثرة اتباعه وحسن احيائه .

وعلى هذا فلا خصوصية ، ولا مزية لعيسى على غيره من الأنبياء فى ذلك ، بل ان نسبة ذلك اليه والى حزقيال ويوشع ومحمد لا تدل على اختصاصهم به ، ولا على أن هذه النسبة حقيقية وان هذا الاطلاق حقيقى وان الاحياء احياء جسمى بل هو اطلاق مجازى معنوى كما سأبينه بالأدلة الصريحة من القرآن والتوراة والانجيل .

على أنه أى فائدة تعود من هؤلاء الأنبياء على العالم الانسانى لو أحيا بعضهم بعض أجساد الموتى ثم رجعت الى الموت بل أى فائدة تعود

على الموتى أنفسهم من احياء أجسادهم ثم رجوعها الى الموت فى الحال . وهل هذا يعد شيئا مذكورا بالنسبة لاحياءهم نفوس العالم من الكفر الى الايمان ، ومن الشقاء الى السعادة فى الدنيا والآخرة .

ستة أدلة من القرآن على ما نقول

١ — قوله تعالى فى الأنفال ٢٤ : (يٰا أيُّهـا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) فهذه الآية صريحة فى أن دعوة الرسول للناس الى الايمان وصالح الأعمال والى الاتحاد والاعتصام بحبل الله هى احياء لهم بها اذا استجابوا اليه .

٢ — ومنها قوله تعالى فى الرعد ٣٣ : (وَلَوْ أنَّ قُرآناً سُيِّرَتْ به ٱلْجِبَالُ ، أوْ قُطِّعَتْ به ٱلْأَرْضُ أوْ كُلِّمَ به ٱلْمَوْتَىٰ بل لِّلّٰهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعاً أفَلَمْ يَيْأَسِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا أن لَّوْ يَشَاءُ ٱللّٰهُ لَهَدىٰ ٱلنَّاسَ جَمِيعاً) فان هذه الآية تدل على أن المراد هم الكفرة الفسقة الغير مهتدين لا موتى الأجسام اذ لا يعقل أن تكلم الموتى بالقرآن أو غيره ما داموا أموات الأجسام .

٣ — وقوله تعالى فى الروم ٥٢ : (فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَمَا أنْتَ بِهَادِي ٱلْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ) فانها تدل على أن المراد من الموتى هم الموتى بالكفر والضلال لا موتى الأبدان والأجسام ، والا لما صح أن يصفهم بالتولى والأدبار كما أنها تدل على أن المراد من العمى عمى البصائر لا الأبصار .

٤ — وقوله تعالى: (وَأحْيَيْنَا به بَلْدَةً مَّيْتاً فَكَذٰلِكَ ٱلنُّشُورُ) فإنها تفيد أن انزال المطر أحياء للناس الموتى بالقحط . فالموت والاحياء فى هذه الآية معنويات .

٥ — وقوله تعالى فى البقرة ٢٤٣ : (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللّٰهُ مُوتُوا ثُمَّ أحْيَاهُمْ) أى ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم بسائق الخوف من عدوهم المهاجم لهم حذرا أن يموتوا لو بقوا فيها ودافعوا عن أنفسهم مع أنهم كانوا ألوفا

أى كثيرين فكان الواجب عليهم لكثرتهم أن لا يخافوا ولا يجبنوا ولا يخرجوا من ديارهم بل يبقوا فيها ويقفوا أمام العدو مدافعين بكل ثبات وجرأة ولكنهم لما خرجوا منهزمين مدبرين قال لهم الله موتوا أى موتا معنويا أدبيا اجتماعيا بتفرق شملكم فى البلاد وذهاب قوتكم وضياع عزكم وزوال استقلالكم ثم أحياهم الله تعالى بجمع شملهم وارجاعهم الى بلادهم واعادة استقلالهم ورجوع عزهم ومجدهم اليهم بسبب اتحادهم وتكاتفهم وتضامنهم فيما بعد . وحينئذ فليس المراد . من هذه الآية بيان اماتة أجساد ألوف من قوم مخصوصين ثم احياء أجساد هذه الألوف الكثيرة كما يقول بذلك أكثر المفسرين لأن ذلك لا يتناسب مع سياق هذه الآية ولا مع الغرض المقصود منها بل المراد من هذه الآية بيان اماتة كل أمة كان هذا شأنها من الجبن والخوف من الموت ، وبيان ان الله تعالى يحيى هذه الأمة بعد موتها اذا اتحدت وتكاتفت وتضامنت وحرصت على المصالح العامة ونبذت الشخصيات والأغراض ظهريا .

والدليل الصريح على ارادة هذا المعنى دون غيره قوله تعالى فى صدر هذه الآية (ألم تر) خطابا لمحمد أو لكل من يرى ويسمع فان هذا صريح فى أن الاماتة والاحياء المقصودين فى هذه الآية يكونان مرئيين ومشاهدين لكل انسان فى كل زمان . أما تلك الحادثة التى يقولها المفسرون فليست مرئية لأحد ما ممن نزل لأجلهم القرآن حتى يسألهم الله سؤالا تقريريا عما شاهدوه فيها ورأوه منها فعلا ليقوم حجة عليهم .

وهذه الآية تنطبق الآن تمام الانطباق على عرب فلسطين الذين خرجوا من ديارهم المقدسة وهم ألوف مؤلفة حذر الموت الذين داهمهم به اليهود بطائراتهم وقذائفهم ، ودباباتهم ومدافعهم ، فحيث أنهم لم يثبتوا فى ديارهم أمام هجمات اليهود ولم يدافعوا عن أوطانهم ولم يقوموا بواجبهم نحو بلادهم بل هربوا منها خوفا من الموت (قال لهم الله موتوا أى موتا معنويا أصبحوا به أذلاء فقراء لاجئين مهانين ينتظرون الاحسان والصدقة ، ويسكنون الخيام المهلهلة الممزقة تاركين وراءهم بيوتهم الشامخة وقصورهم العالية .

نرجو الله تعالى كما حقق فيهم صدر هذه الآية أن يحقق فيهم خاتمتها القائلة ثم أحياهم) بارجاعهم الى أوطانهم واعادتهم الى أراضيهم وأموالهم والى عزهم ومجدهم أنه على ما يشاء قدير .

٦ — وقوله تعالى فى البقرة ٢٨ : (وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثم يميتكم ثم يُحْيِيكم ثم إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) أى كنتم أمواتا بالكفر والجهل والضلال وبالتفرق والشقاق والاضمحلال قبل الاسلام فأحياكم الله بالايمان والاسلام وبالألفة والمحبة والاتحاد والوئام ، فأصبحتم بنعمة الاسلام اخواناً متحابين . قال تعالى (وَاعْتَصِمُوا بِحَبلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا) فاعتصام الناس بحبل الله واتحادهم بعد تفرقهم هى حياة لهم بعد موتهم . فالعرب كانوا قبل الاسلام أمواتا فأحياهم الله بعزة الاسلام ، وبقوة الاعتصام بحبل الله ثم يميتهم مرة ثانية بتركهم تعاليم الاسلام وبتفرقهم واضمحلالهم وذلهم واستعبادهم كما هو حاصل لهم الآن ثم يحييهم الله مرة ثانية برجوعهم فى المستقبل الى العمل بقواعد الاسلام بظهور المهدى فيهم والى الاتحاد والقوة والعزة . وهذه بشارة للمسلمين بأنهم مهما ضعفوا وذلوا واستعبدوا فلا بد من أن يقووا ويعزوا ويستقلوا . وهذه حياة لهم ثانية ثم اليه أى الى الله يرجعون أى اما بالفناء العام فى الدنيا والاضمحلال التام فيها شأن كل أمة من الأمم وقيام أمة أخرى بدلها ، واما أنهم يرجعون اليه فى الآخرة فيجازيهم على كل عمل عملوه فى الدنيا من خير وشر وموت وحياة . وما ذكرناه فى هذه الآية هو المراد من قوله تعالى فى آية أخرى (قالوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ) أى فهل من سبيل الى الخروج من موت ذنوبنا وخطيئاتنا الى الحياة وهناك آيات كثيرة غير هذه أيضا تفيد أن الموت والحياة كثيرا ما يراد منها الموت والحياة المعنويان .

وحينئذ فما هو المانع من أن يراد بها ذلك أيضا هنا فى قوله تعالى

(وأحيى الموتى) كما بيناه بالأدلة الصريحة خصوصا وان الاحياء الجسمانى هو من خصائص الله تعالى وأن الأنبياء انما أرسلوا لاحياء نفوس الناس وقلوبهم لا لاحياء أبدانهم وأجسادهم .

وتوضيح ذلك أن الانسان له شعور بلذات وآلام جسدية ، وشعور آخر بلذات وآلام روحية ، ولذلك كانت له حياة جسدية وحياة أخرى روحية امتاز بها الانسان عن سائر الحيوان . والأنبياء انما بعثوا للانسان لا للحيوان أى لأجل الحياة الروحية لا لأجل الحياة الجسدية الحيوانية . فيلزم على ذلك أن تفسر آيات الحياة والموت المتعلقة بهم بالحياة الروحية التى أرسلوا لأجلها لا بغيرها .

خمسة أدلة من التوراة على ما نقول

أما أدلة التوراة على أن المراد من الاحياء فى الكتب المقدسة الاحياء المعنوى الروحانى ، فأولها ما ورد فى سفر الأمثال ٤ — ١٤٠ (احفظ وَصَايَاىَ فَتَحْيَا) . وثانيها قوله فيه أيضاً ٩ — ٦ : (أُتْرُكُوا الْجَهَالاتِ فَتَحْيُوا وَسِيرُوا فى طَرِيقِ الْفَهْمِ) . وثالثها قوله فى حزقيال ٢٠ — ١١ : (وَأَعْطَيْتُهُم فَرَائِضِى وَعَرَّفْتُهم أَحكَامِى الَّتى إِنْ عَمِلَها إِنسانٌ يَحْيَا بِهَا) . ورابعها قوله فيه أيضاً ١٨ — ٢٧ : (وَإِذَا رَجَعَ الشِّرِّيرُ عَنْ شَرِّهِ الَّذِى فَعَلَ وَعَمِلَ حَقّاً وَعَدْلاً فَهُوَ يُحْيِى نَفْسَهُ) . وخامسها قوله فى حَبَقُّوق ٢ — ٤ : (الْبَارُّ بِإِيمَانِهِ يَحْيَا) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة الواردة فى التوراة بهذا المعنى .

خمسة أدلة من الإنجيل على ما نقول

أما أدلة الانجيل فأولها قول المسيح عليه السلام (لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ) فهذه الآية صريحة فى أن كل ما يخرج من فم الله على لسان رسله من الأوامر والنواهى وتشريع الشرائع يسمى احياء للأمم الميتة فعيسى عليه السلام قد أحيا كثيرا من الناس بكلمات الله التى نزلت عليه وأبصر بها عميانا كثيرين وأبرأ بها الكمه والبرص وكثيرا من الأمراض النفسية المشبهة بالأمراض الحسية .

وثانيها قوله عليه السلام لأحد تلاميذه حينما استأذنه ليدفن أباه (دَعِ ٱلْمَوْتَىٰ يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ) . فالمراد من لفظ الموتى المذكور أولا هو موتى النفوس ، لا موتى الأجسام ، والا فكيف يمكنهم دفن موتاهم وهم أموات بالجسم مثلهم .

وثالثها قوله عليه السلام لتلاميذه (إِذْهَبُوا إِلَى خِرَافَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ ٱلضَّالَّةِ وَفِيمَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ أَكْرِزُوا قَائِلِينَ قَدِ ٱقْتَرَبَ مَلَكُوتُ ٱلسَّمٰوَاتِ ٱشْفُوا مَرْضَىٰ طَهِّرُوا بُرْصًا ، أَقِيمُوا مَوْتَىٰ أَخْرِجُوا شَيَاطِينَ مَجَّانًا أَخَذْتُمْ مَجَّانًا إِعْطُوا) .

فهذه الآية صريحة فى أن الكرز والتعليم هو اقامة ، واحياء للموتى وشفاء للمرضى ، وتطهير للبرص ، فالشرائع هى احياء للنفوس الميتة وشفاء من الأمراض النفسية المتنوعة المشبهة بالكمه والبرص والعمى ونحوها . والدليل الصريح على ارادة هذا المعنى فى هذه الآية ان المسيح انما أمر تلاميذه أن يذهبوا الى الضالين من بنى اسرائيل لا الى موتى الأجسام منهم . فهو قد أمرهم أن يقيموا هؤلاء الضالين من موتهم وضلالهم ، ويشفوهم من مرضهم ، ويطهروهم من برصهم ، فقد بين عليه السلام أن ضلالهم يسمى موتا ومرضا وبرصا حسب تنوعهم فى الضلال ، وان هدايتهم من هذا الضلال يسمى اقامة واحياء لهم من هذا الموت وشفاء من هذا المرض ، وتطهيرا من هذا البرص ، ولا يصح أن يراد بذلك اقامتهم من الموت الجسمانى ، اذ لم يقل أحد بأن تلاميذ المسيح كانوا يقيمون أجساد الموتى ويحيونها ، وان المسيح خولهم هذه السلطة التى لا تكون الا لله وحده ، وانهم عملوا بها مرارا وأعطوها لغيرهم مجانا كما أخذوها مجانا مما يشعر بأن كثيرا من الناس أيضا غير المسيح ، وغير تلاميذه كانوا يحيون أجساد الموتى ، وهذا مما لا يعقل ولا يقبل به أحد .

نعم ان تلاميذ المسيح كانوا يهدون الناس من الضلالة الى الهدى مجانا كما أخذوا هذه الهداية من المسيح مجانا ، وهذا هو معنى احيائهم واقامتهم لغيرهم .

ورابعها قوله عليه السلام : (الحقّ الحقّ أقُولُ لَكم إنَّهُ مَنْ سَمِع كلامِي ، وَيُؤْمِنُ بالّذِي أرْسَانِي فَلَهُ حَيَاةٌ أبَدِيَّةٌ وَلا يأْتِي إلى دَيْنُونَةٍ بل قَدِ انْتقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إلى الحَيَاةِ . الْحَقّ الْحَقّ أقُولُ لَكم إنَّهُ تأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الْآنَ حِينَ يَسْمَعُ الْأَمْوَاتُ صَوْتَ ابْنِ الْإِنْسَانِ وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ) .

وخامسها قوله أيضاً : (إنَّكم تَمُوتُونَ فى خَطَايَاكم لِأَنَّكم إنْ لم تؤْمِنُو بأَنِّى أنَا هُوَ تَمُوتُونَ فى خَطَايَاكم) . وقوله أيضاً : (الحق الحق أقولُ لَكم إنْ كانَ أحَدٌ يَحْفَظُ كلامِي فَلَنْ يَرَى الْمَوْتَ إلى الْأَبَدْ) . وقوله أيضاً : (أنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الّذِي نَزَلَ مِنَ السَّماء إنْ أكلَ أحَدٌ مِنْ هذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إلى الْأَبَدِ) .

فهذه الآيات كلها من أصرح الصريح فى أن الموت والحياة انما هما معنويان فقط حيث تصرح بأن الايمان بالله تعالى واستماع كلام المسيح والأكل من خبز تعاليمه حياة ، وأن الخطاة أموات . والا فهل يعقل أن من آمن وسمع كلام المسيح وأكل من خبزه لن يرى الموت الحقيقى الجسمانى الى الأبد ! وأنه لن يذوق الموت الجسدى أبدا !

ان هذا مما لا يعقله عاقل لأنه مخالف للواقع والمشاهد .

وعليه فأنت ترى ان هذه الآيات من القرآن والتوراة والانجيل كلها صريحة فى أن المراد من احياء عيسى للموتى انما هو احياء نفوسهم بالهداية والتعليم ، لا احياء أجسادهم من القبور الحجرية أو غيرها كما يفهم كثير من المسلمين والمسيحيين .

رأى الأستاذ الإمام فى خلق عيسى للطير وإبرائه الأكمه والأبرص ، وإحيائه الموتى

وبيان ضعفه وبعده عن معنى الآيات الواردة فى ذلك

كنت أظن أن الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده قد يتوسع فى بيان معنى هذه الآيات بغير ما قاله المفسرون فيها ، ولكنى ما وجدته زاد عليهم شيئا الا ما نصه (يجب أن نقف عند حد لفظ الآية وغاية ما يفهم منها أن الله تعالى قد جعل فى عيسى عليه السلام هذا السر ولم يقل أنه خلق

بالفعل ولم يرد عن المعصوم أن شيئا من ذلك وقع ، وقد جرت سنة الله تعالى أن تجرى الآيات على أيدى الأنبياء عند طلب قومهم لها وجعل الايمان موقوفا عليها ، فان كانوا سألوه شيئا من ذلك فقد جاء به وكذلك يقال فى قوله (وابرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى باذن الله) فان قصارى ما تدل عليه العبارة أنه خص بذلك وأمر أن يحتج به . والحكمة فى أخبار النبى صلى الله عليه وسلم بذلك (اقامة الحجة على منكرى نبوته ، وأما وقوع ذلك كله أو بعضه بالفعل فهو يتوقف على نقل صحيح يحتج به فى مثل ذلك) انتهى .

أقول أن رأى الأستاذ الامام هذا وان كان فيه الوقف والتسليم فليس فيه البيان والتفسير خصوصا وأن الله تعالى قد أسند الخلق والأحياء بالفعل الى عيسى عليه السلام فى آية المائدة حيث قالت (واذ تخلق من الطين الخ واذ تبرىء الأكمه الخ ، واذ تخرج الموتى الخ) مما هو صريح فى حصول ذلك منه بالفعل ، وعليه فان كلام الاستاذ هنا بعيد جدا عن المقصود من هذه الآيات وان تفسيرنا لها بما قلناه أوفق بالحجة والبرهان ، وأقرب الى معانى التوراة والانجيل والقرآن لأنه على تفسيرنا يكون المسيح قد أحيا الناس فعلا ، وخلق من الطين طيرا بالفعل ، بالمعنى الذى قدمناه ، ويكون ذلك موافقا لمعنى الولادة الجديدة الواردة فى الانجيل ، فالخلق والولادة الجديدة كلاهما يراد به الانتقال من حال الى حال كما بيناه أتم بيان ، وأيدناه بالحجة والبرهان .

إحياء عيسى لابنة ياريوس وابن الأرملة الوحيد ولعاذر وبيان انه ليس أحياء جسمياً

بقى علينا أن نذكر ما وعدنا به سابقا من بيان معنى احياء المسيح لابنة ياريوس وابن الأرملة الوحيد ولعاذر الواردة فى الانجيل وذلك نقلا عن كتاب المناظرة بيننا وبين القس الفريد نيلسن الدنمركى فنقول .

ان الانجيل قد ذكر ثلاث حوادث تفيد بحسب ظاهرها أن المسيح قد أحيا ثلاثة أشخاص بعد موتهم وهم لعاذر وابن الأرملة الوحيد وابنة

ياريوس ويعتقد اخواننا المسيحيون بل كثير من المسلمين أيضا بأنه أحياهم بأجسادهم بعد موتهم حقيقة ، ومع أننى بينت لك سابقا بالبراهين العقلية وأدلة الكتب السماوية ما هو معنى احياء المسيح للموتى فاننى أرى الآن أن لا مندوحة لى من أن أبين ما هو معنى هذه الحوادث الثلاثة أيضا ، وأبين أنها لا تدل واحدة منها على أن احياءهم كان من موتهم بأجسادهم وانما تدل على أن احياءهم كان اما بالايمان من موتهم بالخطيئة والضلال، واما باقامتهم من نوم عميق واغماء كانوا يظنونه موتا حقيقيا ، وسأذكر لك كل حادثة بنصها الموجود فى الانجيل لتحقيق صحة ما أقول :

حادثة إحيائه لابنة ياريوس
وأدلتى فى الإنجيـــل على ما أقول فيهـا

الحادثة الأولى : اقامة ابنة ياريوس ، ونصها كما فى الاصحاح الخامس من انجيل مرقس ، وكما فى التاسع من انجيل لوقا (وبينما هو يَتكلَّمُ جاءوا من دار رئيس الْمَجْمَع قائلينَ ابنتُك ماتَتْ لماذا تُتعِبُ الْمُعَلِّمَ بعدُ فَسَمِعَ يَسوعُ لِوَقْتِه الكلمةَ التى قِيلَتْ فقال لرئيس الْمَجْمَعِ لا تَخَفْ آمِنْ فَقَطْ ولم يَدَعْ أحَداً يَتْبَعُه إلّا بُطرسَ ويعقوبَ ويوحنا أخا يعقوبَ فجاء إلى بيتِ رئيس المجمع ورأى ضَجيجاً يَبكُونَ وَيُوَلْوِلُون كثيراً فدخل وقال لهم لماذا تَضِجُّون وَتَبكون لم تَمُتِ الصَّبِيَّةُ لكنها نائمةٌ فَضَحكوا جَميعاً منه ، أمَّا هُوَ فأخرجَ الجميعَ وَأخَذَ أبَا الصَّبيةِ وأمَّها والذين معَه ودخَلَ حيثُ كانَتِ الصبيةُ مُضْطَجِعةً وأمسكَ بيد الصبيةِ وقال لها (طَلِيثَا قُومِى) الذى تفسيرُه يا صبيةُ أقولُ لَكِ قُومى وللوقتِ قامَتْ الصبيةُ وَمَشتْ لأنها كانتْ ابنةَ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ سَنَةً فبهتُوا بهتاً عظيما وَأوْصَاهُم كثيراً أنْ لا يَعلَمَ أحدٌ بذلك وقال أنْ تُعطى لِمَأْكُلَ) انتهى .

فأنت ترى أن المسيح نفسه قد قال (لم تمت الصبية لكنها نائمة) وان الذين قالوا انها ماتت هم الجماعة الذين يبكون ويولولون .

فياحضرة القسيس هل تريدون أن تكذبوا المسيح عليه السلام وتصدقوا هؤلاء الجماعة الجهلة ، وهل ترضون أن يكون ضحكهم على

المسيح فى محله ، وأنهم أعلم منه فى ذلك ، هل تقبلون كل هذا لأجل أن تثبتوا بلا دليل انه أحيا هذه الصبية بعد موتها مع أنه يصرح أنها لم تمت . ان هذا والله لشىء عجاب ، ولا يرضى به أحد من ذوى العقول والألباب .

٢ — ان هذه الحكاية من أولها الى آخرها لم يذكرها انجيل متى ولا انجيل يوحنا وهذا دليل واضح على أن هذه الحكاية لم تثبت عندهما ، والا لذكراها فهى غير واقعة ولا ثابتة حيث لم تتفق عليها الأناجيل وعلى فرض وتقدير ثبوتها فقد عرفت من صريح لفظ المسيح المعصوم عن الكذب والتمويه أن هذه الصبية لم تكن ميتة وانما كانت نائمة فقط نوما عميقا أشبه بالاغماء من شدة المرض فأيقظها المسيح من اغمائها ونومها كما صرح بذلك فهل بعد هذا يصح لعاقل أن يقول أن المسيح أحيا ابنة ياريوس من الموت .

حادثة إحيائه لابن الأرملة الوحيد
وأدلتى فى الإنجيل على ما أقول فيها

الحادثة الثانية : اقامة ابن الأرملة الوحيدة ، ونصها كما فى الاصحاح السابع من انجيل لوقا (فَلَمَّا اقْتَرَبَ إلى بابِ المدينةِ إذا مَيْتٌ مَحْمُولٌ ابنٌ وَحِيدٌ لأمِّه وهى أرْمَلةٌ ومعها جمعٌ كثيرٌ من المدينةِ فلما رآها الرَّبُّ تَحَنَّنَ عليها وقال لها لا تَبْكِى ثم تقدَّمَ ولَمَسَ النَّعْشَ فوقَفَ الحامِلون فقال أيها الشَّابُّ أقولُ لَكَ قُمْ فَجَلَسَ الْمَيْتُ يَتَكَلَّمُ فَدَفَعَهُ إلى أمِّهِ) انتهى .

أقول : ١ — ان هذه الحكاية لم يذكرها انجيل متى ولا مرقس ولا يوحنا ، ولم يشيروا اليها بشىء كأنها لم تكن ، فاغفال هذه الأناجيل الثلاثة لهذه الحكاية وعدم اعتبارهم لها دليل واضح على عدم ثبوتها وعلى بطلانها .

٢ — أنه على فرض ثبوتها فان المحمول على النعش ربما كان مغمى عليه اغماء شديدا فظنوه ميتا فحملوه على النعش كما يحصل ذلك كثيرا ، فالمسيح عليه السلام قد علم ذلك

بوحى من الله فأوقف النعش وأقام المحمول عليه من اغمائه مثل الحادثة الأولى تماما التى صرح المسيح فيها بأنها لم تكن موتا ولكن مؤلف هذا الانجيل لم يعثر من كلام المسيح فى هذه الحادثة على ما يدل على أنها كانت نوما كما عثر هو وغيره على ذلك فى الحادثة الأولى والرواية اذا وردت مجملة فى شىء لا مانع من حملها على مثلها من الروايات التى وردت مفصلة فى ذلك الشىء .

٣ — قد عرفت سابقا أن لفظ ميت ليس مخصوصا فى الكتب المقدسة بميت الجسم بل أكثر ما يراد به الموت المعنوى .

٤ — ان مما يؤيد أن المراد من الموت هنا فى هذه الحادثة هو الموت المعنوى قول المسيح عقب هذه الآية (إِنَّ الْعُمْىَ يُبْصِرُونَ ، وَالْعُرْجَ يَمْشُونَ ، وَالْبُرْصَ يُطَهَّرُونَ ، وَالصُّمَّ يَسْمَعُونَ ، وَالْمَوْتَىٰ يَقُومُونَ ، وَالْمَسَاكِينَ يُبَشَّرُونَ وَطُوبَىٰ لِمَن لَّا يَعْثُرُ فِيَّ) فإنها تشير إشارة واضحة بأن هذه الأشياء كلها بما فيها الموت الوارد فى هذه الحكاية انما المراد منها أمور معنوية وهى اهتداؤهم بالمسيح وبشارتهم به وعدم عثورهم فيه أى عدم زلة أقدامهم بمخالفته حتى يتبدل عمى قلوبهم ببصيرة ، وصمم أفئدتهم بسمع ، وموت نفوسهم بحياة . فالعثور المذكور فى هذه الآية لا يصح أن يراد به معناه الحقيقى أى اصطدام جسم بجسم آخر فكذلك باقى هذه الأشياء فى الآية نفسها لا يراد معناها الحقيقى أيضا لأنها كلها فى آية واحدة ، فتفسر على نسق واحد خصوصا وان أكثر كلمات المسيح عليه السلام انما هى أمثال وكنايات وتشبيهات واستعارات فالموت والعمى والبكم والبرص ونحوها الواردة فى هذه الآية وغيرها من آيات الانجيل.

انما المراد بها أمور معنوية مشتبهة بالأمور الحسية ، وقد عبر المسيح عن جهال اليهود بالعميان بقوله فى متى (٢٣ : ١٧) (أيها الجهال والعميان) فانه لا يريد من العميان عميان البصر وانما يريد عميان البصيرة بسبب الجهل أو غيره .

حادثة إحيائه لعاذر

وأدلتى فى الإنجيل على ما أقول فيها

الحادثة الثالثة : اقامة لعاذر كما فى الاصحاح الحادى عشر من انجيل يوحنا ونص ما هو متعلق بهذا الموضوع منها قوله (وَكَانَ إِنْسَانٌ مَرِيضاً وَهُوَ لِعَاذَرُ مِنْ بَيْتِ عَنْيَا مِنْ قَرْيَةِ مَرْيَمَ وَمَرْثَا أُخْتُهَا فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ قال : هٰذا الْمَرَضُ لَيْسَ لِلْمَوْتِ ، وبعد ذلك قال : حَبِيبُنَا لِعَاذَرُ قَدْ نَامَ . وَلٰكِنَّنِي أَذْهَبُ لِأُوقِظَهُ) فقال تلاميذه : يَا سَيِّدُ إِنْ كَانَ قَدْ نَامَ فَهُوَ يُشْفَى . وَكَانَ يَسُوعُ يَقُولُ عَنْ مَوْتِهِ وَهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُ يَقُولُ عَنْ رُقَادِ النَّوْمِ فقال لهم يَسُوعُ حينئذٍ علانيةً : لِعَاذَرُ قَدْ مَاتَ وَأَنَا أَفْرَحُ لِأَجْلِكُمْ إِنِّي لَمْ أَكُنْ هُنَاكَ لِتُؤْمِنُوا وَلٰكِنْ لِنَذْهَبَ إِلَيْهِ فقال توما الذى يُقال له التَّوْأَمَ للتلاميذ رفقائه لِنَذْهَبْ نَحْنُ أَيْضاً لِكَيْ نَمُوتَ مَعَهُ ، فَلَمَّا أَتَى يَسُوعُ وَجَدَ أَنَّهُ قَدْ صَارَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ فِي الْقَبْرِ فقالت مَرْثَا لِيَسُوعَ يَا سَيِّدُ لَوْ كُنْتَ هَاهُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي قال لها يسوعُ سَيَقُومُ أَخُوكِ ، قالت له مَرْثَا أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَقُومُ فِي الْقِيَامَةِ فِي الْيَوْمِ الآخِرِ ، قال لها يسوع أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ . وقال بعض منهم أَلَمْ يَقْدِرْ هذا الَّذِي فَتَحَ عَيْنَيِ الأَعْمَى أَنْ يَجْعَلَ هذا أيضاً لا يَمُوتُ فانزَعَجَ يسوعُ أيضاً فى نَفْسِهِ وَجَاءَ إِلَى الْقَبْرِ وَكَانَ مَغَارَةً وَقَدْ وُضِعَ عَلَيْهِ حَجَرٌ قال يسوعُ ارْفَعُوا الْحَجَرَ قالت مرثا أخت الميت يَا سَيِّدُ قَدْ أَنْتَنَ لِأَنَّ له أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ قال لها يسوعُ أَلَمْ أَقُلْ لَكِ إِنْ آمَنْتِ تَرَيْنَ مَجْدَ اللهِ ، فَرَفَعُوا الْحَجَرَ حَيْثُ كَانَ الْمَيْتُ مَوْضُوعاً وَرَفَعَ يسوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقُ وقال أَيُّهَا الرَّبُّ أَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي وَلٰكِنْ لِأَجْلِ هٰذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي ، ولما قال هذا صرخ

بصوتٍ عظيمٍ لِعَـاذَرُ هَلُمَّ خَارِجاً فَخَرَجَ الْمَيْتُ وَيَدَاهُ وَرِجْلاهُ مَرْبُوطَاتٌ بِأَقْمِصَةٍ وَوَجْهُهُ مَلْفُوفٌ بِمِنْدِيلٍ فقال له يسوعُ حُلُّوهُ وَدَعُوهُ يَذْهَبُ) انتهت .

أقول : ان هذه الحكاية أولا لم يذكرها الا انجيل يوحنا فقط أما انجيل متى ومرقس ولوقا فلم يذكروا عنها شيئا كأنها لم تكن فاغفالهم اياها وعدم ذكرها دليل واضح على عدم صحتها واعتبارها وعدم ثبوتها .

٢ — انه على فرض صحتها وثبوتها فانها تحتمل معينين كل واحد منهما أقرب الى العقل وأسهل تطبيقا على كلمات المسيح مما هو مشهور بين المسيحيين من اعتقاد احياء جسمه بعد موته .

المعنى الأول : أن يكون لعاذر قد أغمى عليه من شدة المرض وظنوه قد مات فدفنوه فى القبر كما يحصل ذلك كثيرا ، ولكن المسيح قد علم انه لم يمت بدليل قوله فى صدر هذه الآيات (هذا المرض ليس للموت) وهو صادق فى قوله اذ لا يمكن أن يكون للموت ويقـول عنه (ليس للموت) والا لزم أن يكون المسيح قد كذب فى قوله حاشاه الله من ذلك ومكث لعاذر أربعة أيام فى القبر الواسع الذى هو مغارة واسعة لا يؤثر فى حياته كما تقدم بيانه ، ويضا بدليل قوله (لعاذر حبيبنا قد نام ولكنى أذهب لأوقظه) .

المعنى الثانى : أن يكون المراد بموت لعاذر استعماله الخطيئة وادمانه عليها والمراد من القبر الموضع المعد لاستعمال الفواحش والخطايا لأنه قبر الفضائل ومحل الموت الأبدى بدليل قول المسيح لمرثا (سيقوم أخوك لأنى أنا القيامة والحياة من آمن بى ولو مات فسيحيا) اذ أن ذلك دليل على أن المراد من موت لعاذر وحياته انما هما معنويان : —

١ — لأن المسيح نفسه حينما سمع بمرض لعاذر قال (هذا المرض ليس للموت) فهذه الآية صريحة فى أن التعبير بموته فى بعض الآيات الأخرى ليس المـراد به الموت الحقيقى والا لكان المسيح عليه السلام فضلا عن كذبه متناقضا فى كلامه . حيث قال أولا أن هذا المرض ليس للموت . ثم قال انه مات أى بهـذا المرض مع أنه معصوم من الكذب

والتناقض . فياحضرة القسيس هل ترضون أن تنسبوا الى المسيح الكذب والتناقض فى الكلام لتثبتوا أنه أحيا لعاذر من الموت الجسمانى .

٢ — لأن المسيح نفسه قال (لعاذر حبيبنا قد نام لكنى أذهب لأوقظه) فهذه الآية صريحة أيضا فى أن المراد من موته الوارد فى الآيات الأخرى انما هو النوم العميق الشبيه بالاغماء ، وأما قوله (وكان يسوع يقول عن موته) فهذا من كلام مؤلف الانجيل ومن أفهامه أو من أفهام من نقل عنه وليس من كلام المسيح حتى يكون حجة لأن المسيح انما صرح بكونه نوما لا موتا والا لكان متناقضا فى كلامه .

وأما قوله (وهم — أى تلاميذه — ظنوا أنه يقول عن رقاد النوم) فاننى لا أشك فى أن ظن هؤلاء التلاميذ فى محله لما يأتى : —

ا — لأنهم أدرى بمقاصد المسيح وبمعانى كلماته .

ب — انما ظنوا ذلك بل اعتقدوه لئلا يناقض قوله سابقا (هذا المرض ليس للموت) فخروجا من هذا التناقض قال تلاميذه أنه يعنى رقاد النوم .

ج — لأنه صرح بأنه نوم فهل بعد التصريح من شك .

وعلى هذا فان قول مؤلف الانجيل (وكان يسوع يقول عن موته) انما هو فهم من عند نفسه والا لأصبح كلام المسيح وكلام تلاميذه مختلا اختلالا ظاهرا ومتناقضا تناقضا واضحا فنسبة الخطأ فى الفهم الى مؤلف الانجيل أو الى من نقل عنه هذا المؤلف ، أولى من نسبته للمسيح وتلاميذه .

وأما قوله فقال لهم يسوع حينئذ علانية (لعاذر مات) فهذا التعبير انما هو حسب تعابير المسيح الكثيرة التى يراد بها الموت المعنوى بدليل قوله عنها (وأنا أفرح لأجلكم انى لم أكن هناك لتؤمنوا) اذ أن معنى هذه العبارة أن المسيح لو كان هناك أى عند لعاذر لما تجاسر لعاذر مع وجود المسيح عنده أن يفعل الخطيئة المعبر عنها بالموت كما هو مفاد قول مرثا للمسيح (يا سيد لو كنت ها هنا لم يمت أخى) أى لم يجسر

على فعل الخطايا مع وجودك عنده . والتعبير عن الخطايا بالموت لا يكاد ينحصر فى كلام المسيح خصوصا واننا لو اعتبرنا قوله (لعاذر مات) على حقيقته لتناقضه مع قوله (هذا المرض ليس للموت) .

د — ان مما يؤيد هذا المعنى المناقشة التى جرت بين المسيح ومرثا حيث قال لها (سيقوم أخوك فقالت له أنا أعلم أنه سيقوم فى القيامة فى اليوم الآخر فقال لها أنا هو القيامة والحياة من آمن بى ولو مات فسيحيا) فهذا صريح فى أن التعبير بالموت والحياة فى هذه الحادثة انما المراد بهما الموت والحياة المعنويان أى الخطيئة والتوبة منها والايمان بالمسيح .

فأنت ترى أنه مهما حاول ناقلوا هذه الحكاية ومهما اجتهد مترجموها فى أن يودعوا فيها عقيدتهم من جعل موت لعاذر موتا جسمانيا وجعل احيائه احياء جسديا فانه بالرغم عن ذلك كله يظهر لك من سياق هذه الحكاية ومن ثنايا عباراتها ما يدلك دلالة واضحة على أن الموت والحياة فيها انما هما معنويان لا حقيقيان .

ويكفى فى الاستدلال على كون احياءه لعاذر ليس احياء جسديا أن متى ومرقس ولوقا لم يعتبروا هذه الحكاية بهذا الشكل قطعيا بل أغفلوها ولم يذكروها كليا لبعدها عن العقل وعدم ثبوتها من جهة النقل . على أنك قد عرفت ما يجب أن يفهم فى معناها على فرض صحتها ، وبالجملة فانه لا يوجد آية واحدة فى الانجيل تدل بصراحة على أن المسيح عليه السلام قد أحيا أجسادا بل تدل كلها على أنه أحيا نفوسا وأرواحا ، ولا شك أن احياء النفوس والأرواح أعظم وأنفع للعالم الانسانى من أحياء الأجساد لأن حياة النفوس حياة أبدية ، وحياة الأجسام حياة فانية ، ولأن الأنبياء انما بعثوا لأحياء النفوس ، لا لاحياء الأجساد فهذه هى وظيفتهم التى يفخرون بحسن أدائها ويتباهون بكثرة أتباعهم فيها ويجتهدون فى اعطائها لأصحابهم وتلاميذهم مجانا ليعطوها هؤلاء أيضا مجانا كما قال المسيح عليه السلام لتلاميذه (أقيموا موتى مجانا أخذتم مجانا أعطوا) .

وعليه فقد ثبت لك أن المسيح عليه السلام لم يحيى هو بجسمه بعد موته،وانه لم يحيى جسما ما بعدموته، وانما هو كسائر الأنبياء فى هذا المعنى وغيره لا خصوصية له عنهم فى شىء مابل هم جميعا سواء فى احياء الموتى ، وسواء فى كون كل واحد منهم هو المخلص الوحيد فى زمنه لأمته من الكفر والضلالة والشقاوة،وسواء فى كون كل واحد منهم فاديا لأمته بكل شىء حتى بحياته ، كما حصل ذلك لكثير من الأنبياء الذين قتلوا وذبحوا ، وحرقوا وماتوا فى سبيل هداية أمتهم ، وسواء فى كون كل واحد منهم هو ابن الله الوحيد فى زمنه ، أى بنوة معنوية روحية كما بيناه لك فى مكاتيبنا التى طبعت فى كتاب (كلمة سواء) . فابراهيم مثلا كان ابن الله الوحيد فى زمنه حيث كان أعرف الناس بالله تعالى فى زمنه ، وأعظمهم عنده فكان وحيدا وهكذا موسى وعيسى ومحمد وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فانه كما كان كل واحد منهم أعرف الناس بالله تعالى وأعظمهم عنده فى زمنه كان كل واحد منهم ابنا وحيدا لله فى ذلك الزمن .

وبالجملة فان أصل وحقيقة هذه الصفات وأمثالها متحققة فى كل نبى ورسول بلا استثناء غير أن بعضهم يفضل بعضا فيها بحسن أدائها ، وكثرة أفرادها ، فأكثرهم معـرفة بالله تعالى ، وأكثرهم احياء للناس وهداية لهم ، وأكثرهم تخليصا وافتـداء لأمته يكون أفضلهم عند الله تعالى ولذلك قال تعالى فى بعض آيات القرآن (لا نفرق بين أحد من رسله) أى لا نفرق بين الرسل فى الايمان بهم وبصفات النبوة والرسالة التى يلزم أن تكون ممنوحة لهم جميعا ، وقال فى آية أخرى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) أى بحسن أعمالهم وهدايتهم للناس وكثرة أتباعهم وبشدة تعلقهم واتصالهم بالله تعالى .

هذا ما أجبت به القس المذكور ردا على ادعائه بأن المسيح قد أحيا أجساد الموتى ليؤيد بذلك دعوى النصارى أن المسيح هو نفس الله الذى لا يحيى الموتى سواه فأردت أن أبين له الحقيقة فى هذا الموضوع كما وضحناه .

البحث الثانى عشر

تنبؤات محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن والحديث

عن كثير من المخترعات الحديثة التى وجدت فى هذا العصر

ان من أبرز الدلائل فى هذا الزمان على صدق نبوة محمد ورسالته عليه الصلاة والسلام تنبؤه عن كثير من المخترعات الحديثة التى وجدت فى هذا العصر حيث أخبر أنها سوف تحصل فى الآخرة أى فى آخر الزمان ، أو أنها تحصل فى الجنة أى فى أيام نعيم الأمم ورفاهيتها وراحتها ورقيها وسعادتها الحاصلة لها فى الدنيا وحيث أيضا بيّن هذه المخترعات ووصفها بصفاتها الموجودة عليها الآن كأنه حاضر معها فى هذا الزمان .

والقرآن الكريم مشحون بالتعبير عن نعيم الدنيا بالجنة وعن عذابها وسرورها ومصائبها بالجحيم أو النار أو جهنم ، كما أنه مشحون أيضا بالتعبير عن الآخرة بآخرة الفرد أو آخرة الأمة فى الدنيا أى فى آخر زمانهما ، قال تعالى فى حق فرعون وعذابه فى الدنيا بالغرق ونحوه (فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولى إِنَّ فى ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَّخْشَى) فإن هذه الآية تفيد أن الآخرة قد يراد بها آخرة الشخص فى دنياه كما حصل لفرعون من الغرق خصوصا وأن (العبرة) المذكورة فى هذه الآية وغيرها انما تحصل وتتحقق فى الأمور التى يشاهدها الناس فى حياتهم الدنيا حتى يمكنهم أن يعتبروا ويتعظوا بها فى دنياهم اذ لا معنى لعبرة الانسان بالشىء واتعاظه به بعد موته .

وعلى كل فلفظ الدنيا أو الأولى ولفظ الآخرة أو الأخرى كثيرا مايراد بهما فى القرآن أزمنة حصول الأمور والأحوال التى تكتنف الانسان فى

أول حياته أو فى آخرها قبل موته ، لأن لفظ الدنيا مأخوذ من الدنو أى القرب فيصح أن يراد به الزمن القريب الذى تحصل فيه هذه الأمور والأحوال للانسان . أو مأخوذ من الدنانة أى خسة الزمن الذى تحصل فيه الأمور والأحوال الدنيئة الخسيسة بالنسبة للأمور والأحوال العظيمة الحسنة التى تحصل له فى الزمن المتأخر ، كما يشير الى هذا المعنى قوله تعالى (وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى) فانها تشير الى الأمور العظيمة والأحوال الحسنة التى ستحصل للنبى (ص) فى آخر حياته فى الدنيا كتغلبه على أعدائه وكفتوحاته العظيمة ودخول الناس فى دينه أفواجا وغير ذلك مما حصل له فى الدنيا من العزة والعظمة والغنى كما يدل على ذلك ما قبل هذه الآية وما بعدها فى سورة (الضحى).

وهذا لا ينافى أن يراد بالدنيا ما قبل الموت بالآخرة ما بعده وهو يوم القيامة الذى يجازى فيه الانسان جزاء وافيا كاملا غير منقوص على كل عمل من أعماله الحسنة أو القبيحة . وقد أوضحت هذا المقام فى موضع آخر واستدللت عليه بكثير من الآيات القرآنيـة والأحاديث النبوية التى تفيد أن المراد من لفظ الآخرة فيها آخرة الفرد أو الأمة فى دنياهم .

ومما يشير الى أن ألفاظ جهنم والنار والحشر ونحوها قد يراد بها أمور فى الدنيا قوله تعالى فى سورة التوبة (٤٨) (ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى الا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين) أى ومنهم من يقول ائذن لى فى عدم الذهاب الى الجهاد ، فأجابه بأن جهنم محيطة بكم . وهذا يدل على أن جهنم تكون فى الدنيا كما تكون فى الآخرة .

وكذا قوله تعالى فى العمران (١٠ — ١٣) (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب ، قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد ، قد كان لكم آية من فئتين التقتا فئة مقاتل فى سبيل الله

وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار) وقوله فى سورة الحشر (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم) فان من يتأمل فى هذه الآيات يرى أنها تدل على أن جهنم والنار والحشر ونحوها قد يراد بها عذاب وعقاب وسرور وحروب وحشر فى الدنيا كما يشعر بذلك قوله فيها تمثيلا لمن هو وقود النار (كدأب آل فرعون الخ) وقوله (قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل الخ وقوله (والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار) فان كل ذلك حاصل فى الدنيا .

وبالجملة فان أنا طبقت بعض آيات القرآن المحتويه على ألفاظ جهنم أو النار أو الجحيم أو الحشر أو نحو ذلك على بعض المخترعات الحديثة النارية الحربية التى فيها عذاب وعقاب للناس فى الدنيا أو يحصل منها ضرر وضيق وشدة لهم فيها كالقنبلة الذرية والألغام والغازات السامة ونحوها . أو طبقت بعض الآيات المحتوية على ألفاظ الجنة أو النعيم أو نحو ذلك على المخترعات الحديثة التى فيها فائدة ومنفعة ورفاهية وراحة وسرور للناس فى الدنيا كالراديو والتليفون والتلفزيون والكهرباء والأتوموبيلات والطائرات المدنية المعدة للنقل ونحو ذلك فلا أكون بذلك قد أتيت شيئا نكرا فى معنى هذه الآيات التى تتنبأ عن هذه المخترعات حسب ما أفهمه فيها مما سيأتى تفصيله . خصوصا وأنه ورد فى بعض الأحاديث أن الجنة والنار موجودتان فى الدنيا كما توجدان فى الآخرة .

وعليه فلا ينبغى للمقلدين غير المفكرين أن ينكروا أو يكذبوا دلالة ما سأذكره فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على المخترعات التى حصلت الآن فى الدنيا أو التى ستحصل فيها مستقبلا بدعوى أن الأولين من الأئمة والمفسرين قد فسروا هذه الآيات والأحاديث بأمور وأحوال لا تحصل الا بعد الموت فى الآخرة فقط ، لئلا يكونوا بانكارهم

وتكذيبهم ممن يصدق عليهم قوله تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) خصوصا وانه قد أتى فى هذه الأيام تأويل بعض ما لم يحيطوا بعلمه بظهور هذه المخترعات التى تنطبق عليها هذه الآيات التى ما كانوا يعرفون معناها ومغزاها ولا تأويلها ومرماها ولم يروا فى زمانهم بأصدقائها وأفرادها وجزئياتها التى حصلت فى هذا الزمان . والتى هى من قسم المتشابهات التى يصدق عليها قوله تعالى (منه آيات محكمات هى أم الكتاب وأخر متشابهات) .

وسأذكر هنا كثيرا من المخترعات الحديثة التى ينطبق عليها كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية معتبرا أن فى ذلك قسما من التنبؤات التى تقوم فى هذه الأيام حجة على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام.

النوع الأول من التنبؤات

من القرآن الكريم

عن القنابل الذرية والإيدروجينية

وعن المدافع وسائر القنابل والمدمرات

الجوية والبحرية والبرية

وعن الألغام الأرضية وسائر المهلكات التى وجدت فى هذا العصر

اننى أريد أن أذكر هنا بوجه الاجمال الآيات القرآنية التى يصح أن تنطبق على القنابل الذرية والايدروجينية ونحوها من المخترعات الحديثة المهلكة وان كانت تنطبق على غير ذلك أيضا مما سيأتى بيانه عند بحث كل آية من هذه الآيات على انفرادها فى أبحاثنا الآتية لأن أنواع التعذيب والتدمير والهلاك والمعاقبة تختلف باختلاف الأزمان والأحوال . قال تعالى (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) .

وأهل هذا الزمان قد اختصهم الله بعذاب المدافع والقنابل الذرية والايدروجينية مما أشارت اليه الآيات القرآنيـة واننا سنذكر هذه الآيات حسب ترتيبها فى السور وان كان المتأخر منها قد يكون أصرح فى ذلك من المتقدم .

الآية الأولى فى الأنعام

(قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) فالعذاب من فوقهم ينطبق على القنابل الذرية والأيدروجينية وعلى غيرها من القنابل الأخرى التى تسقطها عليهم الطائرات الجوية . والعـذاب من تحت أرجلهم ينطبق على الألغام الأرضية ونحـوها سائر المتفجرات .

الآية الثانية (هود ١٠٦)

فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق .

ان هذه الآية كما يصح انطباقها على نار الآخرة يصح انطباقها أيضا على نار الدنيا الحاصلة فى الحروب الحديثة بالقنابل والمدافع والمفرقعـات النارية ونحو ذلك من أنواع عذاب الدنيا ونارها .

والزفير هو النفس الذى يدخل فى القلب عند حصول الهم أو الغم أو الحزن أو الخوف الشديد . والشهيق هو النفس الذى يخرج منه عند ذلك وقيل الزفير والشهيق هما زفير لهب النار وشهيقها . وقيل الزفير هو مطلق الصوت الشديد ، والشهيق هو ما ارتد من هذا الصوت .

وعلى كل فالزفير والشهيق يصدقان على ما يحصل بسبب القنابل الذرية ونحوها من الصوت الداوى واللهب الشديد ومن زفير الناس وشهيقهم عند وقوع المصائب والويلات التى تحل بهم حينما تنزل هذه القنابل عليهم وعلى بيوتهم ومساكنهم وتحرق أموالهم وأهليهم فى الدنيا .

ومما يدل على أن المراد من هذه الآية ما يحصل فى الدنيا من العذاب قوله قبل هذه الآية (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد) فان أخذ القرى بالألم والشدة حاصل فى الدنيا .

الآية الثالثة (الكهف ٤٧)

ويوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا . ان هـذه الآية تصدق على يوم تسيير الجبال وازالتها عن وجه الأرض بالقنابل الذرية والأيدروجينية ونحوها ، وعندها ترى الأرض بارزة أى ظاهرة مكشوفة بعد زوال الجبال عنها ونسفها نسفا بالقنابل والألغام ونحوها فى الحرب العامة التى يحشر الناس فيها جميعا بحيث لا يغادرها أحد . فهـذه الآية تفيد أن الحرب الآتية التى تستعمل فيها القنابل الذرية الأيـدروجينية ونحوها من المخترعات الفتاكة ستكون حربا عامة لا يفلت منها أحد . وتفسيرنا لهذه الآية بما سيحصل فى الدنيا ليكون ذلك معجزة للقرآن لا ينافى تفسير المفسرين لها بما سوف يحصل فى الآخرة يوم القيامة .

الآية الرابعة (طه ١٠٥)

ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا .

فان هذه الآية أكثر ما تنطبق على القنابل الذرية والأيدروجينية لأن هذه القنابل هى التى يمكنه بها نسف الجبال نسفا حتى تصير قاعا صفصفا أى منبسطا من الأرض ملساء لا تنبت لاحتراق تربتها بنار القنابل وعدم صلاحيتها للنبات وحتى تصير مستوية لا ارتفاع فيها ولا انخفاض .

الآية الخامسة (الأنبياء ٣٧)

(خلق الانسان من عجل سأريكم آياتى فلا تستعجلون ، ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ، لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجـوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون) أى سأريكم آيات العذاب فى الدنيا بدليل التعبير بنسبتى التقريب وبدليل التنديد على الانسان بحبه استعجال الأمور فى الحال ، وبدليل أنها تأتيهم بغتة فلا يستطيعون ردها

وأنهم لا ينظرون أى لا يمهلون . والنار التى لا يمكن أن يكفوها عن وجوههم ولا عن ظهورهم والتى تبهتهم أى تدهشهم وتجعلهم حيارى لايستطيعون حيلة فى ردها ولاهم يمهلون عن الاصطلاء بهاولاهم ينصرون فيها انما هى نار الحروب الحديثة بالقنابل الذرية والأيدروجينية ونحوها من القنابل الفتاكة وهى التى وعد الله الناس أن يريهم اياها وطلب منهم أن لا يستعجلوه فيها .

الآية السادسة (الأنبياء ١٠٠)

لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون . لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون . يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين . ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادى الصالحون .

ان هذه الآيات يمكن تطبيقها على الحروب الحديثة الحاضرة لأنها مفزعة فزعا أكبر من كل فزع مضى بسبب احتوائها على معدات حربية قوية كالقنابل الذرية والأيدروجينية ونحوها التى يمكن بها اهلاك أكثر الناس فى أيام قليلة وتدمير معظم الأرض فى ساعات معدودة ، وأكثر ما تنطبق هذه الآيات على الحرب المقبلة التى سوف تستعمل فيها هذه القنابل ونحوها كالغازات السامة بأوسع ما يمكن حتى يهلك الناس وتبدل الأرض والسماوات مصداقا لقوله تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات) ففى ذلك اليوم يكون الزفير والشهيق وعدم استماع الناس لبعضهم بعضا وعدم استجابة أحد منهم للآخر لما يلاقونه من الفزع الأكبر الذى يحل بالبلاد التى فيها الحرب .

أما الذين سبقت لهم من الله الحسنى فأبعدهم عن التدخل فى هذه الحرب الطاحنة أو كانت بلادهم بعيدة عن مواقع الحرب فهؤلاء لايسمعون حسيسها أى حسيس نار جهنم أى صوتها اذ أن الحسيس هو الصوت الذى

يحس أى لا يسمعون صوت هذه المدافع ولا دوى هذه القنابل لبعدها عنهم ، أو أنهم لا يحسون بآلامها وويلاتها ولا بآثارها وما نشأ عنها من الخراب والدمار لكون الله قد أحسن اليهم بابعاد ذلك عنهم وعن بلادهم (وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون) أى ماكثون مدة طويلة أو مدة حياتهم (لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة) أى ملائكة رحمة الله واحسانه وانعامه على من أراد انقاذهم من هذا الفزع الأكبر .

(هذا يومكم الذى كنتم توعدون يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين)السماء فى اللغة هو كل ما ارتفع وعلا علوا حسيا أو علوا معنويا كسماء الفضل وسماء العدل وسماء الحكمة وسماء العلم وسماء الرحمة ، وهكذا كل صفة عالية وخلق سام يسمى فى اللغة سماء لما فيه من معنى السمو أى العلو كما أن السماء مأخوذ من السمو أى العلو أيضا أى أنه فى اليوم الذى نطوى فيه الأخلاق العالية والصفات السامية كالعدل وسماء العلم والرحمة من بين الناس يكون الفزع الأكبر والحرب الأعظم الذى لاينجو منه الا من سبقت له الحسنى من الله تعالى وهذا هو يومكم الذى كنتم توعدون به ، وبذلك يكون الله قد أعاد الانسان كما بدأه أولا حيوانا وحشيا ضاريا يأكل القوى منه الضعيف ، ويهلك المسلح الأعزل من السلاح كما حصل فى هذه الحروب الحديثة بالقنابل الذرية وكما يحصل قريبا بالقنابل الأيدروجينية ونحوها التى ستهلك أكثر الخلق وتدمر معظم الأرض . ولكن الله تعالى قد بشرنا بأنه بعد هذه الحروب الطاغية الظالمة المهلكة لا بد وأن يورث الأرض لأناس صالحين من عباده حيث قال عقب آيات الزفير والفزع الأكبر (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادى الصالحون) أى الصالحون لاقامة العدل فى الأرض لأن العدل ان دام عمر والظلم ان دام دمر ، فلا تصلح الأرض الا بالعدل والمساواة بين الناس بحيث يكونون فى راحة وهناء ، وطمأنينة ورضاء بعد الفقر والعناء ، والحروب والشقاء ، التى تكون

بعد طى السماء حيث وعد الله أن لا بد وأن يورث الأرض لعباده الصلحاء ويهلك أهل البغى والظلم والفساد من الزعماء وأرباب الأغراض والأنانية والعظمة من السادة الكبراء ، وقد أشار الله الى ما تقدم من تبديل الحال الى حسن المآل بقوله (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) وبقوله (نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسوقين على أن نبدل أمثالكم وننشأكم فيما لا تعلمون) وبقوله (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) .

وعلى كل فان تأخير ذكر توريث الأرض للصالحين الحاصل فى الدنيا بعد ذكر الفزع الأكبر يدل على أن هذا الفزع حاصل فى الدنيا أيضا وأنه ليس المراد به ما سوف يحصل للناس يوم القيامة كما يدعى المفسرون اذ لو كان المراد به ذلك لما كان هناك معنى لتوريث الأرض بعد خرابها وبعد موت الناس وقيام القيامة وفزعهم من نارها .

ومما يدل أيضا على ما نقول قوله تعالى قبل هذه الآيات (واقترب الوعد الحق) فان هذه الآية تبين المراد من قوله (هذا يومكم الذى كنتم توعدون)حيث تفيد أن ما وعدوا به سيحصل لهم قريبا أى فى الدنيا ، وعليه فقد تبين أن هذه الآيات تنطبق على ما يحصل فى الدنيا من الحروب الحديثة الحاضرة أو المستقبلة كما بينا وبذلك تكون معجزة للقرآن ولمحمد عليه الصلاة والسلام حيث أخبرا بما حصل الآن فعلا وشوهد عيانا ، وهذا لا يمنع انطباقها على ما سوف يحصل يوم القيامة أيضا .

الآية السابعة الحج (١ ، ٢)

(يا أَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) .

ليس المراد من الساعة هنا يوم القيامة كما ذكر المفسرون لأن قوله

(تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها) يمنع من ذلك اذ لا حمل ولا ارضاع يوم القيامة ، وحينئذ فالمراد بها ما يحصل فى الدنيا كيوم تساقط القنابل الذرية ونحوها التى تذهل المرضعة عن رضيعها وتسقط الحامل حملها لشدة هولها وفزع الناس منها ولذلك تراهم سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله من هذه القنابل ونحوها شديد .

وتصدق هذه الآية أيضا على اضمحلال الأمم وتبددها وتشتتها فى البلاد لأسباب أخرى كما حصل للأمة الفلسطينية فى هذه الأيام فان كثيرا من المرضعات من ذهلت عن رضيعها ، وكثيرا من الحاملات من أسقطت حملها وكثيرا من الناس من تراهم سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله مما حل بهم من المصائب والويلات شديد .

الآية الثامنة الحج (١٩)

فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) أى أن النار تكون محيطة بهم كما يحيط الثوب وان الحميم أى النار الشديدة الحمم تصب من فوق رؤوسهم فتصهر أى تذيب أحشاءهم الباطنية كما تذيب جلودهم الظاهرية أى تحرقهم حرقا شاملا ، والمقامع التى من حديد هى القنابل الحديدية النارية التى تتساقط عليهم ، فهذه الآية الكريمة تمثل الحروب الحديثة تمام التمثيل .

الآية التاسعة الفرقان (١٠)

تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا . بل كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ، وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا

مَكاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنينَ دَعَوْا هُنالِكَ ثُبُوراً لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً) .

اسم الاشارة فى قوله (خيرا من ذلك) راجع الى ما ذكر فى الآيات قبلها مما تحدى به المشركون النبى (ص) وعيروه بفقره فى قولهم (أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها) وهذا استهزاء منهم بأنه ليس من أرباب الأموال ولا من أصحاب الجنات فقال له تعالى ردا على استهزائهم به وتعييرهم له (تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا) فهذه الآية بشارة للنبى ولأمته وأتباعه بأنه سيكون لهم قصور وجنات تجرى من تحتها الأنهار خيرا من الجنة الواحدة التى عيروه بعدم وجودها عنده ليأكل منها على الأقل . وحيث ان الكنز والجنة التى تحدوه بها واستهزأوا به لفقده لها هى من كنوز جنات الدنيا فلأجل اغاظتهم والرد على تحديهم واستهزائهم فقد أراهم الله بالفعل فى الدنيا ايضا عدة قصور وكنوز وجنات للنبى وأتباعه مما فتحوه من ذلك .

ثم قال تعالى (بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا) ان هذه الآيات يمكن أن تطبق على ساعة العقاب فى الدنيا التى تكون بحرب المدافع والقنابل والتى يسمع لها من مكان بعيد دوى كبير وتغيظ وزفير ، وأن الناس اذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين أى محصورين فى مكان ضيق بحيث لا يمكنهم الافلات (دعوا هنالك ثبورا) أى طلبوا هلاكا عاجلا حتى لا يروا العذاب مرة أخرى ولكنهم لا بد وأن يروا ثبورا كثيرا من أنواع العذاب ، الهلاك والموت وكثيرا من ضروب الاهانة والتعذيب والتنكيل.

وهذا كله قد يتحقق فى الحروب الحديثة الحاصلة فى الدنيا بالمدافع والقنابل ويكون ذلك معجزة للقرآن حيث تنبأ بما حصل فعلا وشوهد الآن وهذا لا ينافى أنه سوف يحصل يوم القيامة كما يقول المفسرون .

الآية العاشرة (العنكبوت ٥٥)

(يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ) .

ان هذه الآية مثل آية الأنعام السابقة فى أن كلا منهما ينطبق على القنابل الذرية والهدروجينية ونحوهما من القنابل الساقطة من الجو . وعلى الألغام المتفجرة فى الارض الا أن آية الألغام انما تفيد قدرة الله على ذلك وأما آية العنكبوت هذه فانها تفيد أن هذا حاصل ولا بد فى يوم مخصوص من الأيام .

الآية الحادية عشرة (يس ٥٠)

(وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ) .

أى العذاب الموعودون به يحصل لهم بصيحة واحدة وضربة لازبة لا يحتاجون معها الى ثانية أى أنه هذا العذاب يكون هائلا وشديدا جدا بحيث يفتك بالناس فتكا ذريعا ويأخذهم وهم يختصمون فى معاملاتهم وفى بيعهم وشرائهم وأخذهم وعطائهم أى حين يكونون منهمكين فى أشغالهم . ومتى حل بهم لا يستطيعون ، الرجوع الى أهلهم ولا يتمكنون من التوصية بهم لأنه يهلكهم بسرعة فائقة ويغنيهم بضربة واحدة . وهذا ينطبق تمام الانطباق على القنابل الذرية والأيدروجينية ونحوها من القنابل الفتاكة التى تستعمل فى الحروب الحديثة .

الآية الثانية عشرة (المؤمن ١٨)

(وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ) .

قال المفسرون المراد من الآزفة هو يوم القيامة وهو وان كان بعيدا الا أنه آت وكل آت قريب .

ولكنى أقول حيث أن الآزفة فى اللغة هى الأمر القريب فانى أفسرها بما هو أقرب من يوم القيامة وهو مايحل بالعالم من خراب وهلاك وفجيعة

بسبب القنابل الذرية والايدروجينية ونحوها مما يحصل فى الدنيا انذارا لهم بما هو أشد من ذلك فى يوم القيامة .

ويؤيد ذلك قوله فى الآية (اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين) .

لأن كظم الغيظ ممن يلقون هـذه القنابل على الناس حتى تصل قلوبهم الى حناجرهم من شدة غيظهم انما تناسب الامور التى تحصل فى الحياة الدنيا لا التى تحصل يوم القيامة .

الآية الثالثة عشرة ، والرابعة عشرة — الدخان (١٠و١٥)

(فارْتَقِبْ يَوْمَ تأْتى السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) وقوله بعدها [١٥] : (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ) أى أن جهة العلو التى تسمى سماء سوف تأتى بدخان يغشى الناس كما يفعلونه فى هذا الزمان من ارسال الدخان من الطائرات لأغراض حربية وكما يفعلونه من ارسال دخان القذائف السامة والمسيلة للدموع ودخان القنابل المحرقة الذى يغشى الناس لتعذيبهم وعقابهم ولذلك قال فى الآية الأخرى (يوم نبطش البطشة الكبرى) والبطشة الكبرى تناسب القنابل الذرية والايدروجينية ونحوها من المدمرات الشديدة أو الساحقة الموجودة الآن .

الآية الخامسة عشرة الاحقاف (٢٤)

(فَلَمَّا رَأَوْهُ عارِضا مُسْتَقْبَلَ أَوْدِيَتِهِمْ قالوا هٰذا عارِض مُمْطِرُنَا بل هُوَ ما اسْتَعْجَلْتُمْ به رِيحٌ فيها عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بأَمْرِ رَبِّهَا فأَصْبَحُوا لا يُرى إِلَّا مَساكِنُهُمْ كَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُجْرِمِينَ) ان هذه الآية وان كان بعض ما جاءت به قد حصل فيما مضى من العذاب الممطر الذى نزل على الناس من السماء أى من ناحية العلو الا أنها تصدق أيضا على كل عارض ممطر نازل من السماء مدمر لكل شىء بحيث لا ترى الا مساكنهم وذلك كالقنابل الذرية والايدروجينية النازلة من الطائرات

الجوية ومما يدل على أن ذلك داخل تحت هذه الآية قوله (كذلك نجزى المجرمين) أى بمثل ذلك نجزى المجرمين فى المستقبل بحيث نزل عليهم من جهة العلو عارضا يمطرهم ويدمر كل شيء لديهم بحيث لا ترى الا مساكنهم كما حصل فعلا فى هذه الأيام من هذه القنابل ونحوها .

الآية السادسة عشرة الطور (٧)

(إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَّا لَهُ مِنْ دَافِعٍ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا) أى أن العذاب واقع لا يدفعه عن الناس دافع وذلك يوم تمور السماء مورا أى تضطرب الأجواء اضطرابا عظيما من تموج القنابل فيها وسقوطها منها حتى تسير الجبال من أماكنها وتتحول عن مواضعها بسبب تفتتها وتناثرها من فعل وتأثير هذه القنابل الذرية والأيدروجينية ونحوها .

الآية السابعة عشرة النجم (٥٧)

(هٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ) .

ان هذه الآية تفيد أن نذرا أولى قد وقعت ، وأن نذرا أخرى أزفت أن تقع ، أما النذر الأولى فهى قسمان : —

قسم وقع فى الماضى القديم وقسم فى زمن محمد (ص) أما ما وقع فى الماضى القديم فهو ما ذكره الله قبيل هذه الآية بقوله (وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ، وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ، فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ) وأما ما وقع فى زمن محمد (ص) فهو ما أشار له بقوله (هذا نذير من النذر الأولى) والمراد به ما وقع لمشركى العرب فى زمنه من اهلاك كفار قريش على يده فى وقعة بدر وغيرها .

وأما النذر الأخرى التى عبر عنها فى قوله (أزفت الآزفة) فقد قال المفسرون ان المراد بها ما يحصل فى يوم القيامة فمعنى أزفت الآزفة

عندهم أى قربت الساعة وذلك مثل قوله تعالى (اقتربت الساعة) أى قرب يوم القيامة أى لأنه آت وكل آت قريب هكذا قالوا .

ولكنى أقول : ان عبارة (أزفت الآزفة) صريحة فى أن ذلك سيكون فى الدنيا قبل يوم القيامة بكثير ، خصوصا وأن النذر لا فائدة منها الا فى الدنيا ولا يكون لها معنى معقول يوم القيامة الذى لا ينفع فيه انذار ولا اعتذار ، فالنذر الأولى كانت فى الدنيا لبعض الأمم السابقة فكذلك النذر الأخرى تكون فى الدنيا أيضا لبعض الأمم اللاحقة وهذه النذر هى ما حصل لأمم هذه الأزمان من العذاب والخراب والدمار ومن الخوف والذعر من فعل القنابل الذرية والأيدروجينية ونحوها من المخترعات المدمرة ، هذا ما أراه أوفق وأقرب لمعنى هذه الآية . والآزفة حسبما قلنا من أنها حاصلة فى الدنيا هى التى يحسن أن يقال عنها (ليس لها من دون الله كاشفة) لما فى هذه العبارة من أمل فى كشفها من الله تعالى لا من دونه اذا ألهم الله الناس أن يحسنوا أعمالهم ويصلحوا من شئونهم بعد أن ذاقوا بأس هذه القنابل فيحولونها الى أشياء نافعة مفيدة ويستعملوا الطاقة الذرية فى المعامل والمصانع العامة . ولكن اذا فسرت (الآزفة) بما يحصل من العذاب يوم القيامة كما يقول المفسرون فهذا لا أمل فى كشفه لأن عذاب الآخرة انما هو جزاء وعقاب للناس على أعمالهم فى الدنيا لا محاباة فيه من الله تعالى .

الآية الثامنة عشرة الرحمن (٢١)

(يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَّنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ) .

يحتمل أن يكون المراد من الجن هنا هم الجواسيس الذين يحتفون عن الناس فى أعمالهم وأغراضهم ومقاصدهم ويفسدون بين الناس والناس لا يشعرون ويسلطون بعضهم على بعض وهم لا يفقهون كما يحصل الآن

من أعمال الدول مع بعضهم بعضا ومن أعمال الأفراد مع بعضهم أيضا والمراد من الانس هنا هم من كانت أعمالهم وأغراضهم ومقاصدهم سافرة ظاهرة لاخفاء فيها يعلمها النـاس ويأنسون بها لكونهم يظنون نفعها وفائدتها ولكنها فى الواقع مضرة بهم مفسدة لشأنهم كما يحصل الآن من زعماء هذا الزمان الذين يعملون الأعمال ظانين صلاحها وفائدتها ولكنهم لجهلهم بالحقائق وعدم تدقيقهم فى الأمور يقعون فيما لا مخرج لهم منه ولا منفذ لهم من الابتعاد عنه .

هؤلاء الصنفان من الناس أى أرباب المفاسد الخفية وأرباب الخطأ الناشىء من الجهل بالأمور السياسية يخاطبهم الله بقوله (يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض) أى فرارا من عاقبة أعمالكم ومن نتيجة جهلكم . وعـدم اخلاصكم (فانفذوا . لا تنفذون الا بسلطان أى الا بقـوة جبارة تتسلط عليكم فتبدل من أخلاقكم وتصلح من شؤونكم جبرا عنكم ، وهذه نعمة من الله اليكم وحينئذ (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى فبأى نعمة من نعمه تكذبان .

ولما كان قوله تعالى فى صدر هذه الآية (سنفرغ لكم أيها الثقلان) انما هو تهديد لهم ووعيد بعذاب شديد جديد غير العذاب المعهود لديهم قال تعالى فى بيان هذا العذاب الجديد الشديد (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) وشواظ النار أى اللهب الشديد مع النحاس ينطبق تمام الانطباق على القنابل المعروفة الآن المتكونة من نار انبارود والنحاس المرسلة تارة من البوارج والمدمـرات البحرية وأخرى من الطائرات الجوية . أى ومن يرسل عليه ذلك ولا يملك نظيره للمدافعة والمقاومة فلا ينتصر على عدوه .

الآية التاسعة عشرة الواقعة (١ — ٦)

(إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ، خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ، إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجّا ، وَّبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّا ، فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثّا) .

ان هـذه الآية تدل على القنابل الذرية والأيدروجينية لأن هذه

القنابل هى التى ترج الأرض رجا أى تهزها وتبسها بسا أى تفتتها حتى تجعلها هباء منبثا أى غبارا متفرقا فى الهواء . وتدل أيضا على أن هذه الواقعة لا بد من حصولها وانها تخفض أقواما وترفع آخرين شأن الحروب فى الدنيا وهذا كما حصل فى بعض بلاد اليابان من طرف الأمريكان وربما يحصل مرارا فى مستقبل الأزمان .

الآية العشرون الملك (١٦)

(ءَأَمِنتُم مَّن فى السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ أَمْ أَمِنتُم مَّن فى السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ) .

أى انكم لا تأمنون أن سوف يخسف الله بكم الأرض أو يرسل عليكم حاصبا . وخسف الأرض هو غورها أى نزول جزء منها فى باطنها وهذا قد يكون بفعل القنابل الذرية والأيدروجينية ونحوها المتساقطة عليها وعندها (تمور) الأرض أى ترتج وتضطرب منها ، وهذه القنابل هى (الحاصب) المرسل على النـاس حتى يحصبهم حصبا ويحصدهم حصدا لأن الحاصب فى اللغة هو الحجر المحمى فى النار وقيل هو الحطب المتقد نارا وعلى كل فانه ينطبق على القنبلة النارية لأنها كالحجر أو كالحطب المتقد نارا . وعنـد حصول ذلك للناس فسيعلمون كيف يكون انذار الله لهم .

الآية الحادية والعشرون الحاقة (١٣)

(فَإِذَا نُفِخَ فى الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ) أى سوف ينفخ فى صور الحرب نفخة واحدة أى تعلن الحـرب العامة فى جميع العالم بنفخة واحدة وصوت واحد ، وتدك الأرض والجبال دكة واحدة بفعل القنابل الذرية والأيدروجينية التى تتساقط على الأرض والجبال فى جميع أنحاء العالم حتى كأن الأرض قد حملت فدكت أى تفتتت . ويأتى الدك أيضا فى اللغة العربية بمعنى الضرب على المرتفع حتى

يساوى المنخفض أى أن الجبال تدك فى الأرض حتى تتساوى معها ولا تكون مرتفعة عنها كما قال تعالى فى آية أخرى (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) أى لا انخفاضا ولا ارتفاعا .

وهذا على تفسيرنا يكون بفعل القنابل الذرية والأيدروجينية ونحوها من المخترعات الحديثة المدمرة (فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهى يومئذ واهية) أى فى يوم استعمال هذه القنابل المهلكة تقع الواقعة بين جميع الأمم ويختل نظام العالم ويهلك معظمه ان لم يكن كله . وفى ذلك اليوم تشقق السماء أى تتمزق الأجواء المرتفعة بفعل هذه القنابل المحرقة كما قال تعالى فى آية أخرى (يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن) أى تكون أجواء السماء كالنار الحمراء المشتعلة وتكون جبال الأرض كالقطن المندوف . ولفظ (واهية) مأخوذ من (وهى السقاء اذا تخرق) فالأجواء فى ذلك اليوم تكون واهية مخترقة من فعل هذه القنابل النارية . ومما يدل على أن المراد من ذلك ما يحصل فى الدنيا قوله تعالى فى أول السورة قبيل هذه الآيات (الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ، فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ، وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ)

فان هذه الآيات تبين أن الحاقة والقارعة والطاغية أمور قد حصلت فى الدنيا لعاد وثمود وحينئذ قوله تعالى عقبها (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة الخ) يكون المراد منه أمور فى الدنيا أيضا أى أنه كما حصل ذاك العذاب فى الدنيا لعاد وثمود من الأمم الماضية كذلك سيحصل فى الدنيا للأمم المستقبلة الآتية ما قدره الله لهم من عذاب القنابل الذرية ونحوها مما هو حاصل الآن .

الآية الثانية والعشرون المعارج (٨)

(يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً) فانه فى يوم استعمال القنابل الذرية والأيدروجينية ونحوها تكون

أجواء السماء كالمهل أى مشتعلة كالنار الحمراء وتكون الجبال كالعهن أى متفتتة منحلة كانحلال القطن أو الصوف من تأثير ضربة هذه القنابل وفى ذلك اليوم لا يسأل حميم حميمه أى صديقه عما حل به لانشغال كل بنفسه وبما حصل له من ذلك أيضا . ويصدق على هذه القنابل أيضا قوله تعالى عقب هذه الآية (إِنَّهَا لَظَىٰ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ) لأن هذه القنابل تتلظى أى تلتهب ولأنها تنزع الشوى أى الجلد واللحم الذى ينشوى عن العظم ولأنها تدعو اليها من أدبر عنها وتولى لتلتهمه أى أنها لا تدع أحدا من شرها ولظاها حتى المدبر الهارب منها ، كما أنها تلتهم ما كان قد جمعه الانسان ووعاه فى حياته من مال وأثاث ونحو ذلك مما يملكه فى الدنيا .

الآية الثالثة والعشرون المزمل (١٤)

(يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا) الكثيب الرمل المجتمع والمهيل الرخو اللين الذى اذا وطئته القدم زل من تحتها، وهذا يصدق على الأرض والجبال حينما تتساقط عليهما القنابل الذرية والأيدروجينية حتى تجعلها رخوة لينة كالرمل المتجمع يهيل تحت الأقدام.

الآية الرابعة والعشرون المرسلات (٧)

(إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ) أى تطمس النجوم عن الناس فلا يرونها لامتلاء الأجواء بأنواع المعدات الحربية الجوية وبدخانها المنبعث منها . وتفرج أجواء السماء بالقنابل النارية فتنسف بها جبال الأرض .

وهذا العمل مؤجل الى اليوم الذى يريد الله أن يهلك فيه الآخرين كما أهلك الأولين حسب الآيات التى بعد هذه الآية .

الآية الخامسة والعشرون النبأ (١٨)

(يَوْمَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا) .

أى يوم ينفخ فى صور الحرب فتأتون اليه أفواجا أى جماعات وفرق كما هو الشأن فى الحروب وفتحت أجواء السماء بالقنابل وكانت أبوابا متعددة . متنوعة حسب تعدد الطائرات والقاذفات الجوية والصواريخ النارية وسيرت الجبال أى نقلت عن مواضعها بالتفتت حتى صارت فى مواضع أخرى من الأرض فأصبحت هذه الجبال سرابا أى كأنها لم تكن .

الآية السادسة والعشرون النازعات (٦)

(يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ) أى أن القلوب تكون واجفة أى خائفة مضطربة مذعورة من شدة الهول والفزع فى اليوم الذى ترجف فيه الراجفة وتتبعها الرادفة .

والراجفة هى الشىء الذى يوجب الفزع والخوف والاضطراب خصوصا اذا تبع بعضه بعضا وتكرر وترادف وتلاحق كما يحصل عند تساقط القنابل على الناس بعضها أثر بعض .

الآية السابعة والعشرون النازعات (٣٤)

(فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَاسَعَى وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى) ان الطامة الكبرى على الانسان تصدق على القنابل الذرية والأيدروجينية وفى ذلك اليوم يتذكر الانسان نتيجة ما سعى اليه وفجيعة ما اجتهد على ابرازه من الخفاء الى الوجود كما سعى علماء الذرة فى هذه الأيام على اخراج هذه القنابل الذرية الى عالم الوجود التى بها تحصل الطامة الكبرى وبها يبرز الحميم لمن يرى .

الآية الثامنة والعشرون الأعمى (٣٣)

(فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) . الصاخة هى الداهية العظيمة التى يصيخ الناس بآذانهم الى استماعها لغرابتها وهولها فتصخ الآذان صخا وتصمها صما ، وهذه تصدق على القنابل الذرية والأيدروجينية ، وفى يوم استعمالها ووقت القائها على الناس يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لأن لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه .

الآية التاسعة والعشرون التكوير (٣)

(وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) .

تسيير الجبال يكون بنقلها عن مواضعها بالتفتت الى مواضع أخرى من الأرض . وتعطل العشار أى الدواب صاحبة العشار أى الحمل يكون بالاستغناء عنها بالركوب فى السكك الحديدية والسيارات والأتوموبيلات والطائرات ونحوها كما هو حاصل الآن فى هذا الزمان ويكون تعطيل هذه العشار أيضا بالاستغناء عنها بآلات الحراثة الميكانيكية الحديثة التى يستغنى بها عن دواب الحراثة والحصاد والنقل وحشر الوحوش فى أماكنها وعدم تحولها يكون بسبب خوفها وذعرها من القطارات المارة والأتوموبيلات والدبابات السائرة التى تدوس وتفتك بأى حيوان صادفته فى طريقها وبسبب خوفها أيضا من القنابل المتساقطة على الأرض ونحو ذلك مما يزعج هذه الوحوش .

وتسجير البحار يكون باتقادها بنيران الألغام والقنابل الجوية وبامتلائها بالسفن والبواخر الحربية والغواصات البحرية .

الآية الثلاثون الانشقاق (١ — ٥)

(إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ) أى اذا انشقت أجواء السماء بالقذائف والقنابل الذرية والصواريخ وباقى المفرقعات الجوية (واذنت لربها) أى سمعت له واطاعته فى ذلك (وحقت) أى حق لها أن تمتثل لمجىء وقت العقاب واستحقاق الناس له (واذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت) أى مدت بالسوائل والمعادن ونحوها وألقت ما فى جوفها من ذلك وتحلت عنه ليعمل فيه الناس ما يلزم لهم فى الدفاع عن أنفسهم من تعدى بعضهم على بعض .

الآية الحادية والثلاثون الفجر (٢١)

(كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) أى دكت دكا شديدا متعددا متعاقبا وذلك بفعل القنابل الذرية والأيدروجينية ونحوها كلما اشتعلت نار الحرب بين الأمم .

الآية الثانية والثلاثون الزلزال (١ — ٨)

(إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَالَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) .

قال المفسرون بما فيهم الأستاذ الامام : المراد من زلزلة الأرض هو اهتزازها وتشققها ودكها وخرابها يوم القيامة . واخراج أثقالها هو اخراج ما فى جوفها من الأموات والكنوز والدفائن فيمتلىء وجه الأرض ذهبا ولا يلتفت اليه أحد لانشغال الناس الذين قاموا من قبورهم برؤية أعمالهم من خير وشر .

ولكنى أقول الأقرب والأوفق أن يفسر الزلزال واخراج الأثقال بما هو حاصل فى الدنيا من اخراج ما فى باطن الأرض من أنواع المعادن الكثيرة والسوائل المتنوعة كالبترول والبنزين ونحوه كالحديد والفولاذ والأورانيوم والراديوم وباقى المعادن الأرضية واستثمار ذلك فى المصالح العامة .

ويومئذ يصدر الناس فى استثمار ذلك أشتاتا فيخترعون شتى المخترعات ويحدثون شتى الأمور وشتى الأشغال والأعمال فمنها ما هو خير نافع مفيد ، ومنها ما هو شر مضر مبيد ، فمن الأول السكك الحديدية والأتومبيلات والطائرات والدراجات والفوتوغراف والتلغراف والتليفون

والراديو والكهرباء ونحو ذلك من الأمور النافعة . ومن الثانى القذائف النارية والقنابل الذرية والأيدروجينية وسائر المدمرات الجوية ، والبوارج والغواصات البحرية والألغام الأرضية والغازات السامة ونحو ذلك من الأمور المضرة (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) أى يرى ثواب عمله وثمرة سعيه وفائدة اختراعه ويشاهد شكر الناس له ومدحهم وثنائهم عليه (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) أى يرى جزاءه وعقابه ونتيجة سعيه ومضرة اختراعه ويشاهد ذم الناس لأعماله واختراعاته الفتاكة المضرة .

الآية الثالثة والثلاثون القارعة (١ — ١١)

(الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ، فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ) .

أى أن القارعة التى سوف تفنى العالم تتحقق يوم يكون الناس كالفراش المبثوث فى الأرض المتراكم بعضه على بعض لكثرة قتلاهم من القنابل المحرقة كالقنابل الذرية والأيدروجينية ونحوها أى أن هذه القنابل تحرق الناس حرقا كما تحرق نار المصباح الفراش الذى حولها ، وفى ذلك اليوم تكون الجبال كالعهن المنفوش أى القطن المندوف أو الصوف المفرق من فعل هذه القنابل ونحوها من المدمرات .

وعلى هذا التفسير يكون معنى قوله تعالى (فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية) أى من ثقلت وضخمت معداته الحربية فكانت أعظم من غيرها كالقنابل الذرية والأيدروجينية فرجحت بذلك موازينه أى موازين اعتباره على غيره واقتداره على عدوه فهؤلاء يكونون فى عيشة راضية لأنهم هم الغالبون المنتصرون الذين يتمتعون بثمرة غلبتهم وبغنائمهم العظيمة ومنافعهم الوفيرة ونعمهم الجزيلة .

ويكون معنى قوله (وأمامن خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهيه نار حامية) .

أى أن من ضعفت معداته الحربية فكانت أقل من غيرها فخفت موازين اعتباره واقتداره بالنسبة لغيره فهؤلاء تكون أمهم الهاوية التى هى النار الحامية . وانما عبر عن الهاوية بالأم لأن الأم هى مفزع الولد وملجؤه ومأواه عند خوفه . وهـذا تهكم من الله تعالى بمن خفت موازينهم وضعفت قواتهم ومعداتهم الحربية وخالفوا قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) فهؤلاء قد شبههم الله بالأولاد الذين يفـزعون الى أمهاتهم ويلجأون اليهن عند المهمات ولا يفزعون الى قواهم الطبيعية ومعداتهم الحربية التى أمرهم الله باعدادها فقرعتهم القارعـة لاهمالهم أنفسهم وحقت عليهم كلمة العذاب لغفلتهم عما يلزمهم وحينئذ فهذه القارعة انما تكون فى الدنيا كالقارعة التى حقت على عاد وثمود التى ذكرها الله تعالى فى قوله (الحاقة ما الحاقة ، وما أدراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فأهلكوا بالطاغيـة وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية الخ) .

الآية الرابعة والثلاثون الهمزة (٥)

(كَلاَّ لَيُنْبَـذَنَّ فى ٱلْحُطَمَـةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلْحُطَمَـةُ نَارُ ٱللهِ ٱلْمُوقَدَةُ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْئِدَةِ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُؤْصَدَةٌ فى عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ) ان العمد الممددة التى فيها النار الموصدة تنطبق تمام الانطاق على المدافع التى اخترعت فى هذا العصر لأنها تشبه العمد ، (والمؤصدة) فى اللغة معناها المغلقة أى النار التى تكون مغلقة أى مضغوطا عليها فى هذه العمد لأجل أن تندفع بقوة شديدة عند اطلاقها ، ويطلق أيضا لفظ (المؤصدة) على المطبقة أى أن النار التى فى العمد أى المدافع تكون مطبقة عليهم ومحيطة بهم لأن المدافع توجه على الأعداء من جميع جهاتهم حتى لا ينفلتوا منها ومعنى قوله (تطلع على الأفئدة) أى تعلو على الأفئدة والقلوب فتهلعها من شدة الذعر والخوف عند اطلاقها .

الآية الخامسة والثلاثون فصلت (٥١)

وهى تجمع ما فى كل الآيات السابقة ولذلك أخرناها (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ به مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فى شِقَاقٍ بَعِيدٍ . سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فى الْآفَاقِ وَفى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) .

اختلف المفسرون فى المراد من آيات الآفاق التى سيريها الله لمن أنكر أن القرآن من عند الله ثم كفر به على قولين .

القول الأول — أن المراد بآيات الآفاق الآيات الفلكية والكوكبية وآيات الليل والنهار وآيات الأضواء والظلمات وآيات العناصر الأربعة وآيات المواليد الثلاثة وأن المراد من آيات (أنفسهم) الدلائل المأخوذة من كيفية تكون الأجنة فى ظلمات الأرحام وحدوث الأعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة أقول ولكن هذا القول بعيد لوجهين : —

أولا — لأنه يفيد أن الله ما أطلعهم على تلك الأشياء لحد الآن وأنه سيطلعهم عليها بعد ذلك مع أن هذه الأشياء التى ذكرها المفسرون موجودة من القديم ومعلومة للناس أجمعين ومرئية ومشاهدة دائما .

ثانيا — لأنه لايوجد مناسبة ولا علاقة بين من أنكر أن القرآن من عند الله ثم كفر به وبين معرفة هذه الأشياء المذكورة وارائتها لهم . ولكن يوجد علامة ومناسبة بين هذه الأشياء وبين قدرة الله ، وهذا ليس هو موضوع الكلام فى هذه الآية . القول الثانى — ان المراد بآيات الآفاق فتح البلاد المحيطة بمكة وبآيات أنفسهم فتح نفس مكة أقول وهذا القول بعيد لوجهين أيضا : —

أولا — لأن فتح بعض البلاد لا يدل على أن الفاتح على حق لأننا نرى الكفار قد فتحوا بعض بلاد الاسلام واستولوا على أملاكهم .

ثانيا — لأنه لا يوجد مناسبة ولا علاقة بين فتح البلاد وبين من أنكر أن القرآن من عند الله . ولذلك فانى أفهم فهما آخر غير ما قاله المفسرون فى هذه الآيات .

ما أفهمه فى هذه الآيات

وأنا أقول أن المراد من آيات الآفاق والأنفس التى سيريها الله لمن أنكر أن القرآن من عند الله هى آيات سرعة انتشار الاسلام وفضائله فى آفاق الأرض وسرعة تغلغل تعاليم القرآن ومحاسنه فى نفوس الناس حتى تبين لهم انه الحق من ربهم . وفى هـذا المعنى تحقق المناسبة بين المنـكرين للقرآن الكافرين به وبين هذه الآيات المستوجبة للايمان به التى سيريها الله لهؤلاء المنكرين ليتبين لهم أنه الحق .

ويحتمل أن يراد بهذه الآيات آيات العذاب الغليظ الموعود به من كفر بالقرآن المذكور فى قوله تعالى قبيل هـذه الآية (فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَـذابٍ غَلِيظٍ) وهذا العذاب الغليظ يصدق على القنابل الذرية والأيدروجينية وعلى المدمرات الجوية والأرضية والبحرية والبرية ونحوها من مخترعات الدمار الحديثة التى تنبأ القرآن عنها فى الآيات الكثيرة والتى سيريها الله للناس ليبين لهم أن هذا القرآن حق حيث تنبأ بهذه الأمور التى حصلت طبق ما تنبأ بها . فتنبؤ القرآن بها قبل حدوثها بمئات السنين دليل واضح على أن هذا القرآن انما هو من عند الله اذ لا يعلم الغيب سواه . ولذلك عبر فى صدر هذه الآية بلفظ (فلننبئن) الدال على أن تنبؤ القرآن بهذه المخترعات سيكون حافزا على الايمان به عند وجود هذه المخترعات بالفعل حيث يكون ذلك دالا على صدقه وكونه من عند الله وحينئذ يكون معنى الآية سنريهم مصداق آيات القرآن فى آفاق العالم وفى نفوس الأمم عند ما يروا الحوادث والوقائع والأمور والمخترعات التى تنطبق عليها هذه الآيات أو تشير اليها كالقنابل الذرية والأيدروجينية ونحوها من مخترعات الدمار الحديثة التى ستكون فى الدنيا عذابا غليظا على من أنكر القرآن وكفر به أو على من لم يعمل بموجبه ولم يتمش على تعاليمه وأوامره التى تحفظ نظام العالم والتى فيها سلامة الأمم .

هذه خمسة وثلاثون آية كلها تنطبق على القنابل الذرية والأيدروجينية

ونحوها من المدمرات الشديدة . ولست أقصد من تفسير هذه الآيات بما رأيت أن هـذه الآيات لا تحتمل غير ما ذكرناه فيها بل أقصد أنها تحتمله وتحتمل غيره أيضا مما ذكره المفسرون وان كان الذى ذكرناه هو الأوفق الآن والأقرب لما اخترع فى هذا الزمان مما لا مانع من تطبيق هذه الآيات عليه ومما يدل دلالة واضحة على عظمة القرآن وانه معجزة ظاهرة فى كل زمن من الأزمان الى آخر الدوران ، وانه تنزيل من علام الغيوب الذى لا يعزب عنه (مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ فِى السَّمٰوٰتِ وَلا فِى ٱلْأَرْضِ) والذى (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَـا) ومما يدل أيضا دلالة واضحة على عظم معجزات محمد صلى عليه وسلم حيث تنبأ فى القرآن عن كثير من المخترعات الحديثة التى وقعت فى هذا الزمان طبقا لما تنبأ به عن ربه .

هذا هو النوع الأول من التنبؤت المذكورة فيما تقدم من الآيات .

النوع الثانى من هذه التنبؤات

تنبؤه عن الطائرات التى اخترعت فى هذا العصر

وهى مذكورة فى الأحاديث النبوية

أخرج الطبرانى والبيهقى بسند جيـد عن عبد الرحمن بن ساعدة قال : (كنت أحب الخيل فقلت يا رسول الله هل فى الجنة خيل قال : ان أحببت ذلك أوتيت بفـرس من ياقوت لها جناحان لا تبول ولا تروث تطير بك حيث شئت) وأخرج الترمذى والبيهقى عن بريدة (ان رجلا قال : يا رسول الله هل فى الجنة خيل قال : ان أدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تركب على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك حيث شئت الا ركبت) .

وفى حديث ثالث (اذا دخلت الجنة أوتيت بفـرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه ثم طار بك حيث شئت) .

وفى حديث رابع (اذا دخل أهل الجنة الجنة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لها أجنحة لا تبول ولا تروث فقعدوا عليها ثم طارت بهم فى الجنة حيث شاءوا) .

فهـل الخيل التى لا تبول ولا تروث والتى هى من ياقوتة والتى لها جناحان والتى تطير بمن قعد عليها سوى الطائرة الموجودة الآن . وانما عبر عنها فى الحديث بالفرس أو الخيول لأن أسرع شىء كان عند العرب هى الخيول والأفراس فالتعبير لهم عنها بذلك انما هو تعبير بما يعرفونه فى ذلك الوقت وبما يفهمونه ، كما أن التعبير عنها بأنها فى الجنة لا يمنع أن تكون فى الدنيا لأن اطلاق لفظ الجنة على جنة الدنيا ونعيمها ورفاهها ورقيها مشحون به القرآن والحديث كما تقدم . واذا حصل ذلك فى جنة الدنيا فبالأولى يكون فى جنة الآخرة . كما أنه لا مانع من أن تكون طائرة جنة الآخرة من نفس مادة الياقوت وان كانت طائرة جنة الدنيا من مادة غيرها كالمعادن مثلا .

النوع الثالث

تنبؤه عن الأتومبيل والترام والقطار

وسائر السيارات السريعة

ان الأحاديث وآيات القرآن التى تنبىء عن هذه السيارات السريعة كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم (والذى نفسى بيده ان فى الجنة لخيلا وابلا هتافة تزق بين خلال ورق الجنة يتزاورون عليها حيث شاءوا). وقوله (ان من نعم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب وأنهم يؤتون بخيل مسرجة ملجمة لا تبول ولا تروث فيركبونها حتى ينتهوا الى حيث شاء الله عز وجل فتأتيهم مثل السحاب) . وقوله (اذا استقر أهل الجنة فى الجنة واشتاق الأخوان بعضهم الى بعض يسير سرير هذا الى سرير هذا وسرير هذا الى سرير هذا حتى يلتقيا ويجتمعا جميعا) وقوله (ان الناس فى الجنة لا مشقة عليهم فى التلاقى والتخاطب اذا أرادوا القرب يسير السرير من تحتهم فيرى بعضهم بعضا ويسمع كلامه) . وقوله بما معناه (سوف تسير فى بقاع الأرض طارة كطارة الغـربال لا يعارضها حجر ولا مدر ولا بناء ولا شجر ولا يقف فى طريقها أحد) وقوله (سوف تطوى الأرض طيا المسائر بها يقطعها كالسحاب) .

فهل الخيل والابل التى لا تبول ولا تروث والتى تهتف وتزق أى تنادى وتزأر بصوتها والتى هى سرير يركبه الانسان ويسير به كالسحاب والتى بها ما يشبه طارة الغربال وهى العجلة المعروفة تطوى بها الأرض طيا سوى السيارات الحديثة كالاتومبيل والدراجات والترام والقطارات التى لها عجلات والتى تصفر بصفارتها وتزمر بزامورها لتحذر الناس وتنبههم الى مرورها .

ويجمع كل هذه الأشياء قوله تعالى فى سورة النحل (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ) أى يخلق للركوب والزينة مالا تعلمون وهى السيارات السريعة التى وجدت فى هذا العصر المعدة للركوب والزينة أيضا ، فهذه الآية القرآنية قد جمعت ما ذكرته الأحاديث النبوية عن التنبؤ بما سيكون مركوب الانسان فى آخر الزمان .

وتشبيه هذه الأشياء فى الحديث بالخيل لأنها هى المعروفة فى ذلك الزمن بالسرعة الكثيرة وتشبيهها بالابل لأن عربات قطار السكة الحديدية تكون مقطورة بعضها ببعض كالابل المقطور بعضها ببعض .

النوع الرابع

تنبؤه عن الكهرباء المزدوجة

من سالب وموجب

قال تعالى فى سورة يس : (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ) فان قوله (ومما لا يعلمون) يفيد أن هناك أزواجا من غير جنس ما تنبته الأرض ومن غير جنس الحيوان ما كان الناس يعلمونها الى وقت نزول القرآن . وقد ظهر من هذه الأزواج فى هذا الزمن (الكهرباء) فانها لا تتولد الا من زوجين موجب وسالب أى فاعل ومنفعل كما قال تعالى فى آية أخرى (ومن كل خلقنا زوجين) .

النوع الخامس

تنبؤه عن الراديو والتلفزيون

وعن التلغراف والتليفون

ورد فى الحديث الشريف (ترفع عن الناس الستور يوم القيامة فينظر بعضهم بعضا عن بعد ويسمع بعضهم خطاب بعض عن بعد) فهذا الحديث صريح فى الراديو والتلفزيون وفى التلغراف والتليفون ورفع الستور أكثر صراحة فى (التلفزيون) لأن الناس يرون فيه بعضهم بعضا كأنه لا ستار بينهم .

ومما يشير أيضا الى الراديو والى اذاعاته فى أثناء الحروب وغيرها ما ورد فى الحديث (تعرض أعمال الخلائق يوم الحشر فلا يخفى على أحد من الناس ما يعمل الآخر من خير أو شر) اذ أن يوم الحشر يطلق على يوم الحرب الذى تحشر فيه الناس لقتال بعضهم بعضا كما يفيد ذلك قوله تعالى : (هُوَ ٱلَّذِى أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ) .

فهذه الآية تفيد أن يوم الحرب يسمى حشرا والحديث يفيد أن فى يوم الحشر تعرض وتذاع كل الأعمال بحيث يعرفها كل الناس وذلك بواسطة الراديو الذى يذيع اخبار الحرب وأعمال المحاربين وغيرها فى ذلك اليوم وغيره من الأيام .

النوع السادس

تنبؤه عن الفوتوغراف أى صندوق الغناء

ورد فى الحديث ما معناه (لا يخلو مكان فى الجنة الا وفيه موضع غناء بأصوات حسنة يسمعها كل من يريد استماعها) وهـذا يدل على المذياع أى الراديـو وعلى الحاكى أى صندوق الغناء اللذين يوجدان فى جميع المنـازل الآن كما أنه يدل على حفـلات الغناء فى الأعراس والمراسح ودور التمثيل الشائقة فى جميع البلدان .

النوع السابع

تنبؤه عن الأسانسير أى المصعد

روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال فى قوله تعالى (فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ) أى سرر مرتفعة ما لم يجىء أهلها فاذا أراد أهلها الجلوس عليها تواضعت لهم حتى يجلسوا عليها ثم ترتفع الى مواضعها) وهذا ينطبق على المصعد الكهربائى (الأسانسير) المعروف اليوم الذى يصل به الناس الى الطابق العلوى من العمارات المرتفعة .

النوع الثامن

تنبؤه عن الفوتوغراف أى التصوير

قال تعالى فى سورة الفرقان : (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً) فان هذه الآية تدل على التصوير وجعل ظل الصورة ساكنا أى ثابتا فى القراطيس كما هو حاصل الآن فى التصوير أى أخذ ظل الصورة بالفوتوغراف وهذا يكون بواسطة الشمس التى هى دليل عليه .

النوع التاسع

تنبؤه عن الجرائد والمجلات

والصحف الإخبارية والمصورة

قال تعالى فى سورة التكوير : (وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ) . وقال فى سورة المدثر : (يُؤْتَىٰ صُحُفاً مُّنَشَّرَةً) وقد تحقق ذلك فى هذا العصر وانطبق على الجرائد والمجلات والصحف التى ينشر فيها أخبار الناس وأقوالهم وأعمالهم من حسن أو قبيح وينشر فيها أيضا صورهم وأشكالهم وتذاع فيها أحوالهم وخصالهم طيبة أو حسنة .

وقد وضح ذلك الحديث الشريف بقوله (يحشر الناس حفاة عراة فلا ينظر بعضهم الى عورة بعض لما يشغلهم من نشر الصحائف التى فيها جميع أعمالهم وأحوالهم حتى مثقال الذرة والخردلة) .

فالآيات القرآنية والأحاديث النبوية تشعر اشعارا ظاهرا بما هو موجود الآن من الجرائد والصحف والمجلات والراديات التى تنشر أخبار الناس وحوادثهم وأعمالهم وأقوالهم وأحوالهم وصورهم وغير ذلك حتى كأنهم عراة لا يسترهم سائر ولا يخفى شيء من أعمالهم على بعضهم ولا ينظر أى لا يلتفت بعضهم الى عورة بعض أى الى نقائصهم ومعايبهم وفضائحهم وفظائعهم لشدة ظهورها وتعودهم على رؤيتها وعلى كثرة استماعها فى الراديو والجرائد والمجلات كما هو حاصل فى هذا العصر . ويحتمل أن يراد بهذا الحديث ما تفعله بعض الأمم الآن من عدم ستر أجسامهم وبقائهم حفاة عراة كيوم ولدتهم أمهاتهم بدعوى أن بقاء الجسد معرضا للشمس والهواء أحسن للصحة وأصلح للبدن وأقوى له على تحمل المؤثرات الخارجية وقد كثر الناس الذين يفعلون ذلك فى هذه الأيام .

وعليه فهذا الحديث يكون أنباء وأخبارا عما سوف يحصل فى آخر الزمان ويكون معنى قوله (فلا ينظر بعضهم الى عورة بعض) أى لتعودهم على العرى وعلى نظر بعضهم الى عورة بعض من وقت ولادتهم مع عدم حدوث شيء جديد بالنسبة اليهم بلغت أنظار بعضهم الى عورة بعض .

النوع العاشر

تنبؤه عن نشر صور النساء والرجال وبيعها فى الأسواق وتعليقها على الجدران

ورد فى الحديث الشريف أن النبى (ص) قال (ان فى الجنة سوقا ما يباع فيها ولا يشترى الا الصور من النساء والرجال من أحب صورة دخل فيها) أى دخل فى هذه السوق وفى رواية أخرى (دخل بها) أى

تزوج بمن أحب من هذه الصور وهذا الحديث قد تحقق مضمونه فى هذا العصر أى عصر الرفة والنعيم الذى قد يسمى جنة كما تقدم . خصوصا وأن البيع والشراء فى الأسواق انما يناسب جنة الدنيا لا جنة الآخرة لأن يوم الآخرة (لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) بنص القرآن .

النوع الحادى عشر

تنبؤه عن السينما

التى يعرض فيها للناس كثير من الأشياء

ورد فى بعض الأحاديث ما معناه (ان كثيرا من الناس فى الآخرة ترى فى عدة أماكن فى وقت واحد بأشخاصهم وأعمالهم ، وقد يكون هؤلاء ما يسميهم أهل التصوف (بالأبدال) ولكن هذا يتحقق فى السينما التى يرى فيها أشخاص الناس وأعمالهم وحركاتهم وسكناتهم وأكلهم وشربهم وكلامهم وضحكهم وبكاؤهم وفرحهم وحزنهم وركضهم ورقصهم وكل حالة من أحوالهم وذلك فى عدة أماكن وعدة بلدان فى وقت واحد كما يذكر ذلك عن (الأبدال) فان ما يسمونه (الفيلم) قد يعرض فى عدة بلدان فى وقت واحد كذلك .

وهذا الحديث يدل على التلفزيون أيضا فانه تظهر فيه تلك الأمور المتقدمة فى بلدان متعددة فى وقت واحد كما تظهر فيه أيضا صورة كل من المتخاطبين للآخر بحيث يخاطبه ويراه فى آن واحد كأنه واقف أمامه فعلا .

النوع الثانى عشر

تنبؤه عن التقاط الأصوات ونغمات الأغانى

السابحة فى الأجواء كالتقاط نغمات صوت داود عليه السلام

ورد فى الحديث الشريف (أن الناس فى الآخرة يسمعون صوت داود ويتلذذون بنغمات صلواته وتمجيده لله تعالى) وقد قال الشيخ

محيى الدين بن العربى فى الباب السادس والعشرين من الفتوحات المكية ما نصه (أن جميع الأصوات والكلمات اللفظية تتشكل فى الهواء اذا خرجت من الفم ولذلك تصل الى السمع على صورة ما نطق بها المتكلم . ولا يزال الهواء يمسك عليها شكلها ولا تـزال هى سابحة فى الهواء لا تنعـدم) انتهى .

وهذا ينطبق على الراديو وعلى الاختراع المقبل الذى حدثت عنه الجرائد والمجلات من أن بعض المخترعين يتشبثون الآن باستجـلاب أصوات القدماء السابحة فى الفضاء التى منها صوت داود عليه السلام هذه اثنا عشر نوعا من أنـواع المخترعات الحـديثة التى تنبأ بهـا محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن والحديث وهذه المخترعات منها ما هو شر على الناس مضر بهم ومنها ما هو خير نافع لهم . أما المضر فهو كالقنابل الذرية والأيدروجينية وسائر المدمرات الجوية والبحرية والبرية والألغام الأرضية ونحوها من كل اختراع يكون سببا فى تدمير البلاد واهلاك أهلها وهذه لا شك أنها الآن من أشد أنواع عذاب جهنم ومن أفظع ضروب العقاب فى جحيم الدنيا ونارها .

وأما المخترعات النافعة فهى كالطائرات والأتومبيـلات والقطارات والراديات والتليفونات وغيرها من المخترعات المفيدة التى هى الآن من أجل نعم الله على الانسان حيث سهلت له كل صعب وقـربت اليه كل بعيد وجعلته فى راحة وهناء وجنات النعيم . ومما يدل أيضا على هذا ما ورد عن سهل بن سعد رضى الله عنه حيث قال (شهدت من النبى (ص) مجلسا وصف فيه الجنة فى الآخـرة حتى انتهى ثم قال فى آخر حديثه (وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) فهـذا الحديث يصدق على هذه المخترعات الحديثة المفيدة النافعة الموجودة الآن فانها لم تكن رأتها عين ولا سمعتها أذن ولا خطرت على قلب بشر . وحصول ذلك فى جنة الآخرة لا ينافى حصوله أيضا فى جنة الدنيا فى آخر الزمان .

وهناك أحاديث كثيرة غير ما قدمنا تدل على مخترعات حديثة أخرى مفيدة أو مضرة ولو كان لى كثير اطلاع على الأحاديث النبوية لأمكننى الآن تطبيق كثير منها أيضا على مثل هذه المخترعات وغيرها ولعلى بما فعلت الآن أكون قد فتحت الباب لغيرى ممن يريد أن يفعل مثل ذلك أيضا حيث أعتقد جزما أن هناك أحاديث كثيرة غير ما ذكرت تدل على مخترعات أخرى سوف تحدث فى مستقبل الزمان وينطبق عليها كثير من الأحاديث وآيات القرآن التى ما كان الناس يفهمون المقصود منها لعدم وجود ما يمكن أن تنطبق عليه فى زمانهم أو عدم امكان تحقق مضامينها وما صدقاتها أى ما تصدق عليه فى أيامهم حتى يمكنهم تطبيقها عليها . وقد يكذب بعض الملحدين من الناس بعض هذه الآيات أو الأحاديث لكونهم لم يفهموا معناها ولم يدركوا مغزاها ومرماها أو لكونهم يستبعدون حصول مضامينها فعلا ولا يصدقون بامكان تحقق ما صدقاتها خارجا أو لكون عقولهم لا تحوم حول ادراك ما يمكن أن تنطبق عليه وما تؤول اليه ولا تحيط علما بمآلها وتأويلها قبل مجىء أوان هذا المآل والتأويل كما قال تعالى عنهم (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ) وحينئذ فلا يجوز للانسان أن يكذب شيئا قبل أن يأتى ما يصدق عليه ذلك الشىء فيكون بذلك قد كذب بما لم يحط به علما بل يجب عليه أن ينتظر ذلك اليوم الذى يأتى فيه تأويل ذلك الشىء أى حصول مآله فى الخارج وما صدقاته أى أفراده فى المستقبل كما قال تعالى فى آية ثانية (وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِى نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ) . أى لأنه ثبت فعلا وتحقق خارجا ما بينه هذا الكتاب وفصله مما لم نكن نعلم تأويله الا الآن .

وهذا ما يشير اليه أيضا قوله تعالى فى آية ثالثة (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا) أى أن آيات

القرآن المتشابهة كالآيات التى قدمنا أنها تنطبق على المخترعات المستقبلة بالنظر لكون مضامينها وما صدقاتها لم تكن موجودة وقت نزول القرآن ولم يكن أحد يعرفها أو يعرف أن القرآن يعنيها وأنها سوف تكون مصداقا لكثير من آيات القرآن فقد أصبح مما لا شك فيه أن تأويلها لا يعلمه الا الله الذى سوف يوجد بنفسه ما صدقات هذه الآيات ويحقق مضامنيها فى الخارج ولكن الراسخون فى علم الكون العارفون بأن الله يعلم الانسان ما لم يعلم وانه يتدرج به فى العلم والاختراع والابداع من طور الى ما هو أرقى وأتقن واحكم يقولون آمن بكل من الآيات المحكمات التى عرفنا معناها والآيات المتشابهات التى لم نعرف لحد الآن مرماها ومغزاها لأن كلا من هذه وتلك من عند ربنا فيجب علينا أن نؤمن بها كلها وان لم نفهم الآن بعضا منها حيث أن الزمان سوف يفسرها ويبينها فيما بعد . وهذا مصداق قوله تعالى رابعا (ثم ان علينا بيانه) أى القرآن عند ما تحدث فى الخارج على مدى العصور بتنبؤاته وعندما تتحقق الحوادث التى أخبر عنها وأشار ورمز اليها ففى ذلك الوقت يحصل هذا البيان وتظهر معانى آيات القرآن التى كانت مغلقة فيما مضى من الزمان .

وعليه فان أنا فسرت بعض هذه الآيات المغلقة أو المتشابهة بما حدث فى الدنيا من الأمور المخترعة الآن لا أكون بذلك مخالفا للقرآن ولا منكرا لشىء من أحوال الآخرة كما يتوهم بعض الجامدين ، واننى لأعذر المفسرين الأولين فى تأجيلهم حصول مضامنين هذه الآيات التى قدمناها الى يوم القيامة حيث أن هذه المخترعات لم تكن موجودة فى زمانهم حتى يمكنهم أن يفسروها بها أو يفكروا فى تطبيق شىء من الأحاديث عليها واننى أعتقد أن الزمان الآتى سوف يفسر أحاديث وآيات أخرى أيضا من آيات هذا القرآن الذى هو معجزة الدهر الى آخر الدوران .

البحث الثالث عشر

تنبؤات محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن والحديث

عن الوقائع الغيبية والحوادث المستقبلة فى الدنيا

بصورة لم تحصل من نبى قبله

آيات القرآن التى ورد فيها ذلك مرتبة حسب ترتيب السور
وإن كان المتأخر منها قد يكون أصرح فى ذلك من المتقدم .

الآية الأولى العمران (١٢)

(قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِى فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِى سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِى الْأَبْصَارِ) .

ان فى هذه الآية تنبؤا عن المستقبل فى الدنيا حيث اخبرت ان الكافرين بدين الاسلام لابد وأن يغلبوا فى الدنيا وينكسروا فى حروبهم مع المسلمين ويحشروا الى نار الحرب وجهنم الانخذال والعذاب وبئس المهاد والدليل على أن المقصود من ذلك ما سيحصل فى الدنيا لا فى الآخرة قوله تعالى فى هذه الآيات (قد كان لكم آية فى فئتين التقتا ، فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة الخ) فانها صريحة فى ذلك فى الدنيا وان الفئة الغالبة هى الفئة الاسلامية التى تقاتل فى سبيل الله ، وان المغلوبة هى الفئة الكافرة .

ومما يدل أيضا على أن هذا التنبؤ ليس المقصود منه الا ما سيحصل

فى الدنيا ، قوله تعالى قبيل هذه الآية على وجه المثال (كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ) .

فان هذه الآية صريحة من أن المراد هو ما حصل لآل فرعون فى الدنيا من القحط والجراد والقمل والضفادع والغرق فى البحر الى غير ذلك من أنواع العقاب فى الدنيا .

وقد حصل فعلا مصداق الآية الأولى الممثل لها وتحقق تنبؤها عن الأمة الاسلامية من غلبتها على الأمم الكافرة بدين الاسلام كما هو معروف فى التاريخ .

الآية الثانية العمران (١١٢)

(ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ) .

ان الاستثناء فى هذه الآية بقولها (الا بحبل من الله وحبل من الناس) يدل على أن اليهود الذين ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا قد تزول عنهم هذه الذلة ولو قليلا من الزمان كما حصل لهم الآن فانهم بدخلوهم فلسطين وتأسيس مملكة لهم فيها قد زالت عنهم ذلتهم ورجع اليهم عزهم ومجدهم حيث تمسكوا بهذين الحبلين الذين ذكرهما الله تعالى فى هذه الآية ، فان حبل الله هو الاتحاد وعدم التفرق بنص قوله تعالى (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا) واليهود فى هذه الأيام قد اعتصموا بهذا الحبل أى حبل اتحادهم مع بعضهم واعتصموا أيضا بحبل من الناس وهو اتفاقهم مع الانجليز والامريكان وكثير من الأمم والدول الغربية على لزوم مساعدتهم ومعاونتهم حتى استصدروا وعد (بلفور) بوطن قومى لهم فى فلسطين . وقد اتفقت على ذلك بضع وخمسون دولة من دول الغرب على تنفيذ هذا الوعد بل على جعل فلسطين مملكة مستقلة لليهود داخلة فى هيئة الأمم المتحدة . وكفى ذلك أن يكون حبلا لهم من الناس . فالحبلان اللذان أشار القرآن بأن بهما تزول ذلة اليهود عنهم قد حصلا لهم الآن فعلا وأصبحوا فى عزة ومجد وملك وسلطان ما داموا متمسكين

بهذين الحبلين . وعليه فالاستثناء فى هذه الآية انما هو تنبؤ من القرآن الكريم عما حصل لليهود فى القرن العشرين من زوال ذلتهم وحصول دولة لهم فى فلسطين ولكننا قد بينا ووضحنا بكثير من الأدلة فى البحث التاسع عشر الآتى (معاد اليهود الى فلسطين) ان اليهود وان حصل لهم الآن ملك ومجد فعلا الا أن ذلك لا يدوم لهم طويلا فراجعه ان شئت .

الآية الثالثة العمران (١٤٤)

(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) .

ان فى هذه الآية تنبؤا عما حصل فعلا بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم فى انقلاب أهل الردة على أعقابهم فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه فان كثيرا من المسلمين المخاطبين بهذه الآية قد ارتدوا عن الاسلام وانقلبوا على أعقابهم بعد موت النبى عليه السلام ولكنهم ما ضروا الله فى دينه شيئا بل زاد الاسلام بذلك قوة والايمان بالله ثباتا ، وجزى الله الشاكرين لنعمة الايمان جزاء عظيما وأعطاهم خيرا كثيرا بما فتحوه من البلاد وبما غنموه من الأموال وورثوه من القصور والجنات ، وحينئذ فهذه الآية تكون أنباء عن المستقبل ودليلا على صدق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام

الآية الرابعة المائدة (٧٠)

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)

أى لا تخف على حياتك من الناس الذين يهددونك بسبب تبليغ ما أنزل اليك لأن الله عاصمك وحافظك منهم ، وبالفعل فان الله تعالى قد عصم محمدا وحفظ حياته ممن تآمروا على قتله فعلا فلم يتمكنوا من ذلك ولم يمت الا فى فراشه . فتنبؤه عن ذلك مع تحقق ما تنبأ به بالفعل دليل على صدق نبوته .

الآية الخامسة الأنعام (١٢٧)

(لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ) . وفى يونس (٢٥) : — (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ) ان دار السلام كما تنطبق على الجنة فى الآخرة يصح أن تنطبق أيضا على بغداد (دار السلام) التى هى عاصمة الاسلام فى الدنيا التى أنشأتها الخلافة الاسلامية العظمى والتى فيها من العز والسؤدد والكرامة والعظمة للمسلمين ومن النعيم والرفاهية والسرور والراحة لهم ما يشبه نعيم الجنة فى الآخرة ، وقد يشير الى ذلك شىء مما قبل هذه الآيات وما بعدها وعليه فهذه الآية يكون فيها تنبؤ عما حصل للمسلمين فى دار السلام التى فى الدنيا

الآية السادسة الأنعام (١٣٥)

(قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ) .

ان هذه الآية قد تنبأت عما حصل فعلا فى المستقبل وهو ان عاقبة الدار فى الدنيا تكون لمحمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه دون المشركين فان المشركين قد هلكوا جميعا وأصبحت عاقبة هذه الدار للمسلمين .

والدليل على ان المراد من الدار هنا قوله تعالى قبيل هذه الآية المرتبط بها (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) فانه صريح فى أن ذلك حاصل فى الدنيا وأن المراد من الدار هنا هى الدار الدنيا وان ما وعدوا به حاصل فى الدنيا أيضا لا محالة كما حصل ذلك وتحقق .

الآية السابعة الرعد (٤٠)

(وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ) .

أى سيعلم الذين كفروا بالله وبمحمد رسوله الذى ناوؤه وعاكسوه وحاربوه لمن عقبى الدار ، أى الدار التى هم ساكنون فيها والتى يناضلون عنها وهى مكة وما حولها بل الديار العربية كلها بل وغير ذلك من الديار الأخرى .

والتعبير بسين التقريب فى قوله (وسيعلم الذين كفروا) والتعبير بقوله (وهو سريع الحساب) يدلان على أن المراد من الدار هنا دار الدنيا لا دار الآخرة خصوصا وانه قال فى صدر هذه الآية (أو لم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) فهذا الاستفهام التقريرى ورؤية انقاض الأرض من أطرافها بفتوحات الاسلام واستيلاء المسلمين على أرض الكافرين يدل ذلك كله على أن المراد من هذه الآية هو ما حصل فى الدنيا للمسلمين من امتلاك ديار الكافرين التى أرى الله النبى بعضها وتوفاه قبل أن يريه باقيها مما حصل بعده على أيدى خلفائه . فتنبؤ القرآن الكريم عن ذلك وحصول ما تنبأ به بالفعل دليل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

الآية الثامنة ابراهيم (٢)

(كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) .

ان مضمون هذه الآية قد حصل فعلا بعد نزولها حيث أن النبى (ص) قد أخرج الناس بهذا الكتاب من ظلمات الجهل والكفر ، والفقر والضعف والذل ، والحصر فى أرض الصحراء الجرداء ، الى نور العلم والايمان والعزة والثروة والغنى والانسياح الى الأرض الخصبة والجنة الغناء ، ما دام المسلمون عاملين بموجب هذا الكتاب . ولكنهم حينما هجروه هجرهم العز ولزمهم الاضمحلال والذل . وحينئذ فهذه الآية قد تنبأت عما سيحصل للمسلمين فى الدنيا من نور بعد ظلمات . ولوحت لهم بما سوف يحصل فيهم من ظلمات بعد هذا النور .

الآية التاسعة ابراهيم (٤٧)

(فَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ، يَوْمَ

تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمٰوٰتُ وَبَرَزُوا لِلّٰهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِى الْأَصْفَادِ ، سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ) .

أى لا تحسبن أن الله يخلف وعده لرسله بالانتقام ممن كذبهم وخالف تعاليمهم وذلك يوم تبدل الأرض غير الأرض بانتقالها من أيدى الكفرة الظلمة البغاة المجرمين ألى أيدى المؤمنين المصلحين فى الأرض العادلين فيها وهم المسلمون الذين يؤمنون بك ويتبعون تعاليمك وارشاداتك . فهذه الآيات تنبىء وتخبر عن مصير المشركين المجرمين ومصير المؤمنين المصلحين من أمة الرسول فى الدنيا بل تخبر عن كل أمم الأرض بانتقالها من حال الى حال عند مجىء الرسل اليهم وهذا هو معنى تبدل الأرض غير الأرض أى انتقالها من حال الى حال وكذا تبدل السموات يكون بانتقالها من حال الى حال لا كما يقول بعض المفسرين من تبدل ذواتها من معدن الى معدن كما قالوا بذلك فى تبدل الأرض أيضا .

وأما معنى كون المجرمين مقرنين فى الأصفاد وكون سرابيلهم من قطران وغشيان وجوهم النار فهو كناية عما يحصل لهم من الضيق والشدة والتألم والابتلاء والعذاب ولباس السرابيل من قطران الذل والجوع والهوان ، وغشيان الوجوه بنار العار والخزى والخذلان فى الدنيا بسبب اجرامهم وسوء أعمالهم ، قال تعالى (وَضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّٰهِ فَأَذَاقَهَا اللّٰهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) .

ومما يدل أيضا على أن تبدل الأرض غير الأرض حاصل فى الدنيا بالكيفية التى ذكرناها قوله تعالى قبيل آية هذا التبدل (وَسَكَنْتُمْ فِى مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ) أى أنه سيحصل لكم فى الدنيا مثل ما حصل للظالمين من قبلكم فيها ، وقوله أيضا بعدها (ان الله سريع الحساب) اذ أن السرعة فى الحساب تقتضى أن يكون هذا الحساب فى الدنيا وبالجملة فان هذه

الآيات وما قبلها وبعدها انما هى أنباء وأخبار عما سيحصل للكافرين المفسدين على أيدى المؤمنين المصلحين فى الدنيا خلافا لما قاله المفسرون فى أن ذلك أخبار عما سوف يحصل لهم يوم القيامة مما يرد عليه كثير من الاشكالات عند المتأمل فى هذه الآيات ولكن هذه الاشكالات لا تمنع أن يكون ذلك يوم القيامة أيضا .

الآية العاشرة الحجر (٩)

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) فان الذكر أى القرآن محفوظ لحد الآن لم يحصل فيه أدنى تغيير كما حصل لكثير من كتب الأنبياء السابقين فصدق هذه النبوة الى الآن دليل على صدق محمد عليه الصلاة والسلام .

الآية الحادية عشرة الاسراء (٨٨)

(قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) أى لا يأتون بمثله فى حسن هدايته وقوة تأثيره وفى اشتماله على ما ينفع الناس فى دنياهم وأخراهم فى احكام المعاملات والعبادات وفى حسن أسلوبه وفصاحته وبلاغته الى غير ذلك من الامور التى امتاز بها عن غيره من سائر الكتب السماوية فعجز الناس بالفعل الى الآن عن الاتيان بمثل هذا القرآن دليل على صدق تنبئه .

الآية الثانية عشرة الكهف (٣٠)

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً) .

ان هذه الصفات المذكورة فى هذه الآية يصح أن تنطبق على أهل النعيم فى الدنيا وهم المؤمنون بالله حقا الذين يعملون الأعمال النافعة للمجتمع الانسانى الصالحة لخير الناس الموافقة لمصالحهم العامة كما

ورد فى الحديث (خير الناس أنفعهم للناس) فهؤلاء لا يضيع الله أجر من أحسن عملا منهم وهم بأعمالهم هذه يكونون فى جنات عدن أى نعيم مقيم فى الدنيا لأن لفظ (عدن) معناه الاقامة والاستقرار ، كما أن لفظ (الجنة) كثيرا ما يطلق فى القرآن على مكان النعيم الذى تجرى من تحته الأنهار فى الدنيا . ثم أن أهل النعيم والرفاهية الآن محلون بأساور من ذهب أو فضة رجالا ونساء أى بأساور الساعات التى يجعلونها فى أيديهم لسهولة معرفة الأوقات فان فى معظم معاصم الرجال والنساء الآن ساعة ضمن أسورة ذهبية أو فضية .

(ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق) أى من حرير لماع براق ، والثياب الخضر هى شعار الدولة العباسية الذين كانوا فى أعظم مظاهر النعيم ، والاتكاء على الأرائك أى السرر المرتفعة مستعمل الى الآن وحينئذ فهذه الآيات هى بشارة للمسلمين بما سيحصل لهم فى عصورهم الذهبية ، ومعجزة للنبى (ص) حيث أخبر بما وقع فعلا فى الدنيا .

الآية الثالثة عشرة الحج (٢٣)

(إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ) فهذه الآيات مثل التى قبلها وتشير زيادة على ذلك الى أن الهداية الى القول الطيب والهداية الى صراط الحميد هى من دخول الجنة ، كما أن قوله تعالى قبيل هذه الآية (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) يشير الى أن الغم والحزن دخول فى النار أيضا .

الآية الرابعة عشرة النور (٥٥)

(وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا)

وقد حصل كل ذلك للمسلمين بالفعل فى الدنيا فقد استخلفهم الله فى الأرض أى جعلهم خلفاءها وملوكها وحكامها بعد أن كانوا ضعفاءها وفقرائها ومكن لهم دينهم الذى ارتضاه لهم (ليظهره على الدين كله) أى على الأديان فى الأرض .

الآية الخامسة عشرة النمل (٨٨)

(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ)

ان هذه الآية قد دلت على أمر غيبى كان خافيا على جميع الناس قبل نزول القرآن وهو سير الأرض ودورانها على نفسها فان الناس كانوا يعتقدون أن الشمس هى التى تدور وأن الأرض ساكنة جامدة ثابتة ولكن العلم الحديث قد أظهر واكتشف أن الأرض أيضا تسير وتدور على نفسها ومن هذا الدوران يتكون الليل والنهار وأن الشمس تسير وتدور أيضا ومن هذا الدوران تتكون الفصول الأربعة ولم يدر أهل العلم الحديث وأرباب هذا الاكتشاف من الغربيين أن القرآن قد سبقهم بمئات السنين فى اظهار هذه الحقيقة ، وحينئذ ففى هذه الآية تنبؤ عن الغيب الذى لم يكن معروفا من قبل .

الآية السادسة عشرة الروم (١)

(الم غُلِبَتِ الرُّومُ فى أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فى بضع سِنِينَ لِلهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) .

وحاصل هذه الحادثة ان الذين غلبوا فى أدنى الأرض أى فى قرب الأماكن الى مكة كانوا نصارى يعبدون الله تعالى وأن الفرس الغالبين كانوا مجوسا يعبدون النار فورد الى مكة خبر غلبة الفرس على الروم ففرح المشركون بذلك وقالوا للمسلمين أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس لا كتاب لنا وقد أظهر الله اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن أيضا عليكم فنزلت هذه الآيات ، فقال أبو بكر الصديق للمشركين

لا يقرن الله أعينكم فوالله لتظهرن الروم على الفرس فى بضع سنين كما نزل بذلك القرآن الكريم فقال أبى بن خلف كبير المشركين كذبت يا أبابكر (اجعل بيننا وبينك رهنا الى أجل) فراهنه أبو بكر على عشر قلاص من الابل يدفعها أحدهما للآخر الذى سيظهر الله صدقه وجعلا الأجل بينهما ثلاث سنين ثم أخبر أبو بكر رسول الله (ص) فقال الرسول البضع من ثلاث الى تسع فاجعل الأجل الى أكثر من ثلاث فزايده أبو بكر فى الأبل ومادة فى الأجل فجعلها مائة قلوص الى تسع سنين فظهرت الروم على فارس فى السنة السابعة من مغلوبيتهم فأخذ أبو بكر القلاص من أبى ابن خلف بمقتضى الرهن الذى حصل بينهما ، فقال النبى (ص) لأبى بكر تصدق بها ولا تأخذ منها شيئا ففعل .

الآية السابعة عشرة فاطر (٣٣)

(جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ) .

ان هذه الآيات مثل الآيات السابقة فى سورة الكهف والحج من أن أهل الجنة أى أهل النعيم والرفاهية يحلون بأساور من ذهب ويحلون اللؤلؤ ويلبسون الحرير وتزيد عنها بأنها تشير الى أن ذهاب الحزن والهم هو من الجنة وان (عدن) هى دار المقامة التى لا يمس الناس فيها نصب أى تعب ولا يمسهم فيها لغوب أى اعياء ومرض لشدة المحافظة على الصحة العامة بكثرة الأطباء والمستشفيات . فهذه الآيات بشارة أيضا ومعجزة للنبى (ص) حيث أخبر عما سيحصل للناس من المتاع والنعيم فى الدنيا .

الآية الثامنة عشرة الصافات (٤٥)

(فى جَنَّاتِ النَّعِيمِ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ) إلى أن قال (وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِيْنٌ الخ) وهذا كله قد حصل

للمسلمين فعلا فى جنـات نعيم الدنيا التى وصلوا اليها فى عصورهم الذهبية فكانوا يجلسون على سرر متقـابلين ويطاف عليهم بكأس من معين ، وكان عندهم كثير من الحـور العين التى غنموها من الفرس والروم فى فتوحاتهم .

الآية التاسعة عشرة الزمر (٧١)

(وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا الخ — وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ)

الآيات المتعلقة بجهنم هى انذار للكافرين بعذاب سيحصل لهم فى الدنيا بسبب عدم اسلامهم . كما أن الآيات المتعلقة بالجنة هى بشارة للمسلمين بما سيكون لهم فى الدنيا أيضا من العز والعظمة والرفاهية والنعيم والتمكن فى الأرض . وهـذه معجزة للنبى (ص) ببيان ما سيحصل للكافرين وللمسلمين فى الدنيا قبل الآخرة .

والدليل على أن المراد حصول ذلك فى الدنيا أمور : —

١ — قوله تعالى فى هذه الآية (وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء) أى أورثنا الأرض نتبوأ من جنتها واذن فالمراد من الجنة هنا هى جنة الدنيا التى فى الأرض والتى أورثها الله للمسلمين فى بلاد الكافرين بواسطة الفتوحات الاسلامية .

٢ — قوله تعالى فى هذه الآية (وقالوا الحمد لله صدقنا وعده وأورثنا الأرض) فان هذا مصداق لقوله فى آية أخرى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم) ومصداق لقوله أيضا (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) فان ما فى هاتين الآيتين هو بنفسه المقصود من قوله (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء) أى نتبوأ من جنـة الدنيا التى فى

الأرض ، وحينئذ فالآيات الثلاث هى على معنى واحد وهو تبشير المسلمين بما سيحصل لهم فى الدنيا من استخلافهم فى الأرض وتوريثهم لها بفتوحاتهم وجعلهم أئمة فيها .

٣ — قوله تعالى فى هذه الآية (وقضى بينهم بالحق) حيث أن الخصومات التى تحتاج الى القضاء بينهم بالحق والعدل انما تكون فى الدنيا أما الآخرة فليس فيها خصومات تحتاج الى القضاء .

وحينئذ فمعنى قوله (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) أى سيق تقاة المسلمين ومجاهدوهم زمرا أى جماعات وكتائب الى فتح بلاد الكفار والاستيلاء على جناتهم وقصورهم وأموالهم والتنعم بالغنائم والسرارى والعبيد التى اكتسبت منهم . حتى اذا جاؤوا تلك البلاد وجنائنها وفتحت لهم أبوابها وخزائنها قال لهم خزنة تلك البلاد أى أصحابها والقائمون عليها (سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) أى أدخلوها بأمان وطيب نفس واطمئنان مخلدين فيها أى مقيمين فيها طول حياتكم أو طول بقاء المسلمين مسلمين حقا ، اذ الخلود تارة يراد منه مدى حياة الشخص ، وأخرى مدى حياة الأمة ، وأخرى مدى حياة الدنيا ، وأخرى يراد منه الخلود الأبدى الذى لا نهاية له ، فلفظ الخلود الوارد فى القرآن يفسر فى كل موضع بحسب ما يقتضيه المقام ويدل عليه الكلام ويشعر به سياق الحال .

(وترى الملائكة حافين من حول العرش) أى وترى ملائكة الرحمن أى حملة شريعته والقائمين على دينه وهم رؤساء المؤمنين وكبراء الموحدين المخلصين (حافين من حول العرش) أى محافظين على عرش هذا الدين ومطيعين لأحكام هذه الشريعة يقضون بين الناس بالحق والعدل (وقيل الحمد لله رب العالمين) على هذه النعمة العظيمة والفضل الكبير .

ومما يدل على أن المراد من الجنة هى جنة الدنيا فى الأرض التى ورثها المسلمون من الكافرين ما ورد من أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه حينما دخل دمشق الشام بعد فتحها ورأى ما فيها من الأنهار

والأشجار والأثمار والأزهار والرياض والخمائل المنبثة فى جميع أنحاء تلك البلاد قرأ قوله تعالى (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين) فان هذا يدل على أن عمر قد اعتبر دمشق الشام بجناتها ورياضها من جملة الجنات التى أورثها الله المسلمين مما يشير الى أن قوله تعالى هنا (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء لا مانع من أن يراد به جنة الأرض فى الدنيا .

وعلى نمط هذا التفسير يكون معنى قوله (وسيق الذين كفروا) أى وسيق الكافرون المحاربون الذين لم يقبلوا الاسلام بعد دعوتهم الى الدخول فيه ، أى سيقوا جماعات وكتائب الى جهنم الحرب والانكسار ونار القهر والدمار وعذاب الذل والاضمحلال والخراب والزوال (حتى اذا جاؤوها) أى جاؤوا الى جهنم الحرب وعذابها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها أى خزنة المعدات الحربية النارية من أنواع المهلكات والمدمرات والأسلحة الحربية ، وخزنتها هم القواد وأركان الحرب وغيرهم .

(أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ) أى ألم يأتكم رجال كنا أرسلناهم لكم من أقوامكم (يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ) التى نزلت فى القرآن ويدعونكم الى الدخول فى الاسلام (وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا) ان لم تؤمنوا بآيات هذا القرآن ولم تقبلوا هذا الاسلام (قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ) أى حق عذاب الدمار والانكسار والذل والهوان على الكافرين بدين الاسلام (قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) أى ادخلوا أبواب جهنم العذاب ونار القتال والحرب والأسر والذل والمغلوبية خالدين فيها ما دمتم أحياء أو مادمتم كافرين بالاسلام فبئس مثوى المتكبرين عن الدخول فى هذا الدين .

الآية العشرون الشورى (٢٩)

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) .

ان هذه الآية الكريمة تنبؤ عن أمر غيبى مستقبل لا يتصوره أحد فيما مضى ولا يصدق أحد بحصوله فى الدنيا فى مستقبل الزمان ولكن الاكتشافات الحديثة تفيد أنه سيحصل ويقع فى هذا الزمان وهذا الأمر هو جمع الدواب التى بثت فى الأرض أى التى خلقت وانتشرت فيها مع الدواب التى بثت فى السموات أى خلقت وانتشرت فيها والدواب فى اللغة هى المخلوقات التى تدب دبيبا أى تمشى مشياغير سريع وتسيروتدرج شيئا فشيئا ، واذن فلفظ الدواب انما يصدق على الماديات الجسمانية لا على الملائكة الروحانية التى فى السموات .

وحينئذ فهذه الآية تفيد أن فى السموات أيضا دوابا جسمانية كما فى الأرض وأن الله تعالى سوف يجمع دواب الأرض بدواب السموات متى شاء اجتماعهم ببعضهم فى صعيد واحد وتفاهمهم مع بعضهم كأنهم فى صعيد واحد وهذا ما تحاول دواب الأرض الحصول عليه فى هذا الزمان من طرفهم كما تحاول دواب السموات الحصول عليه من طرفهم أيضا . فان كثيرا من علماء الأرض يتشبثون الآن بأن يصلوا الى بعض الأفلاك السماوية المأهـولة بالسكان كما هو معروف كما أن دواب السموات يتشبثون بأن يصلوا الى سكان الأرض أيضا .

ويدل على ذلك ما نشر فى بعض الجرائد فى هذه السنة أى سنة ١٩٥٠ (من أن قزما كبير الرأس ليس من أهل الأرض سقط من المريخ حسبما يعتقدون فى المنطقة الجبلية من المكسيك وكان فى اسطوانة مصنوعة من مادة معدنية غير معروفة ولكنها تشبه الألومنيوم وأن طولها يبلغ (١٥ مترا) مزودة بمحركين وأن قائدها يبلغ طوله (٧٥ سنتيمترا) وأنه وجد مقتولا فى هذه الاسطوانة على أثر سقوطها على الأرض . وقد حنطت السلطات المكسيكية جثته لتجرى عليها بعض الأبحاث) .

فهـذه الحادثة التى وقعت سنة ١٩٥٠ قد أيدت ما كنت فهمته من هذه الآية وكتبته سنة ١٩١٤ فى كتابى (تفسير الآيات المعضلة من القرآن) مما قدمته لكم الآن وعلى كل فان هذه الآية قد أخبرت قبل مئات السنين

عن حادثة من الحوادث المستقبلة الغـريبة التى سوف تحصل فى الدنيا والتى سوف تكون من معجزات القرآن الكريم التى تدل على أنه من لدن عليم خبير .

الآية الواحدة والعشرون الفتح (٢٧)

(لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ) .

وهذا قد حصل فعلا بفتح مكة .

الآية الثانية والعشرون الطور (١٩)

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ — وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ — وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لهم كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ) .

ان هذه الجنات وهـذا النعيم والاتكاء على السرر المصفوفة وأكل اللحوم والفواكه والزواج بالحـور العين وطواف الغلمان الذين هم كاللؤلؤ المكنون كل هذا قد حصل فعلا للمسلمين فى الدنيا أيام عصورهم الذهبية بسبب كثرة فتوحاتهم للبـلاد التى فيها النعيم والحور العين والغلمان الجميلة التى أصبحت خدما للمسلمين يطوفون عليهم لقضاء حوائجهـم .

الآية الثالثة والعشرون الواقعة (١٥)

(عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَـابِلِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ — لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنْزِفُونَ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَـالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ) ، إلى أن قال : — (وَظِلٍ مَمْدُودٍ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لا مَقْطُوعَةٍ ولا مَمْنُوعَةٍ وفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ الخ) .

وهذه الآيات مثل التى قبلها يصح أن تحمل على ما حصل للمسلمين فى الدنيا وأن تكون بشارة لهم ومصداقا لما تنبأ به نبيهم صلى الله عليه

وسلم ، والظل الممدود أى المستطيل بسبب القصور الشاهقة والأشجار الباسقة ، والماء المسكوب أى المنحدر من الجبال بقوة وكثرة حتى تكونت منه الأنهار ازدهرت به الجنات ، والفاكهة التى ليست مقطوعة ولا ممنوعة أى لسهولة التقليات خصوصا فى هذه الأيام ، فالفاكهة المقطوعة من بلد فى وقت من الأوقات تنقل اليها بسرعة من بلد أخرى موجودة فيه فى ذلك الوقت فتستمر الفاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة كما هو حاصل كل ذلك الآن فى كثير من البلاد التى كثرت فيها الأنهار والفواكه والخيرات ، والتى يصلح أن تسمى فى اللغة بالجنات والتى استولى عليها المسلمون وسكنوا فيها بعد تلك الصحارى الجافة المحدبة ، وحينئذ تكون هذه النبوة قد حصلت للمسلمين فى الدنيا لثلة من الأولين ولقليل من الآخرين حسب نص الآية وحسب ما وقع فعلا ، وهذا لا ينافى أنه سوف يحصل للمسلمين ما هو أعظم من ذلك فى الآخرة أيضا .

الرابعة والعشرون الدهر (١٢)

(ودَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً) إلى أن قال : (ويَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثوراً ، وإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعيماً ومُلْكا كبيراً الخ) ، وكذا قوله فى سورة الغاشية :— (فِيهَا سُرُرٌ مَرْفوعَةٌ وأَكْوابٌ مَوْضُوعَةٌ ونَمَارِقُ مَصْفوفَةٌ وزَرَابِيُّ مَبْثوثَةٌ) فإن هذه الآية وبقية آيات هذه السورة من أولها الى آخرها انما هى بشارة للمسلمين بما سيغدق الله عليهم من النعيم والرفاة والمال والجاه والخير الجزيل والملك الكبير فى الدنيا .

وقد حصل لهم ذلك بالفعل أيام عصورهم الذهبية فى عهد الدولة العباسية فى الشرق والدولة الأموية فى الغرب وغيرها من عصور الاسلام الذهبية . والدليل على ذلك أمور : —

١ — قوله تعالى : (وإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعيماً ومُلْكاً كبيراً) حيث أن ملك الانسان انما يكون فى الدنيا فقط ، أما الآخرة فالملك لله وحده بنص الآيات الكثيرة الواردة فى ذلك ، وحينئذ يكون المراد من الملك

الكبير فى هذه الآية الملك الذى أورثه الله تعالى للمسلمين بعد أن كانوا ضعفاء مستذلين .

٢ — ان هذه الآية تكون على مقتضى تفسيرنا مصداقا لقوله تعالى (ونُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفوا فى الْأَرْضِ ونَجْعلهُمْ أَئِمَّةً ونَجْعلهُمُ الْوَارِثِينَ) ومصداقا لقوله تعالى (ووعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم) . والآيات القرآنية يفسر بعضها بعضا .

٣ — قوله تعالى : (عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وإِسْتَبْرَقٌ) حيث أن اللباس الأخضر والاستبرق كان الشعار الرسمى للدولة العباسية .

٤ — قوله تعالى : (وسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً) ، وذلك كشراب العنب ومنقوع الزبيب والتمر قبل التخمر وشراب الرمان والتفاح والتوت والورد والليمون ونحو ذلك من الأشربة الطاهرة التى كان يستعملها خلفاء المسلمين أيام الرفه والنعيم ووصفها بالطهور يرد على ما يشيعه أعداء الخلفاء من أنهم كانوا يستعملون الخمر .

٥ — قوله تعالى : (إِنَّ هٰذا كانَ لَكم جَزَاءً وكانَ سَعْيُكم مَّشْكُوراً) أى أن هذا الملك الجسيم والنعيم العظيم الذى حصل لكم كان نتيجة جهادكم وثمرة غلبتكم على الأمم ، وجزاء سعيكم المشكور ، وهذه نتيجة طبيعية وجزاء محتم بمقتضى السنة الالهية .

٦ — قوله تعالى فى أول السورة (يُوفونَ بالنَّذْرِ ويَخَافونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ويُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً ويَتِيماً وأَسِيراً) الى آخر الآيات حيث أن الوفاء بالنذر واطعام الطعام انما يكون فى الدنيا . واليوم الذى كان شره مستطيرا هو يوم الحرب بين الاسلام وأهل الكفر حيث تطاير شره فى المشركين والكافرين وكان يؤما عبوسا عليهم وقد وقى الله المسلمين شر ذلك اليوم ، ولقاهم نضرة وسرورا لغلبتهم على المشركين والكافرين واستيلائهم على جميع بلادهم وعلى جميع أموالهم وخيراتهم وبساتينهم وجناتهم . فالله تعالى قد من على المسلمين فى أيام

الدولة العباسية فى الشرق والأموية فى الغرب وغيرها من دول الاسلام الأخرى منا كثيرا وجزاهم جنة وحـريرا وملكا كبيرا وكانوا يتكئون على الأرائك والسرر فى غرف تلك الجنات لايرون فيها شمسا ولازمهريرا، وكانت ظلال النعيم وارفة عليهم ودانية اليهم ، وذللت لهم قطوفها تذليلا ، وكان يطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب قدروها تقديرا ، وكان يطوف عليهم فى بيوتهم ويخدمهم فى جناتهم ولدان مخلدون مما غنموه من سبى الفرس والروم الذين كانوا لجمالهم وصفاء ألوانهم واشراق وجوههم بدورا ، فكنت اذا رأتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ، واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا .

فأنت ترى أن هـذه الآيات منطبقة تمام الانطباق على المسلمين فى عصرهم الذهبى فحملها على ذلك فى الدنيا أقرب من حملها على الآخرة خصوصا وان حملها على الدنيا يكون معجزة حقيقة للقرآن وللنبى عليه الصلاة والسلام حيث تكون ظاهرة مرئية للناس فى حياتهم . وتكون سببا داعيا للايمان ولدخول الناس فى دين الاسلام . أما حملها على الآخرة فلكونها غير مشاهدة للناس فلايترتب عليه ذلك ترتبا ظاهرا ، لأن الآخرة لم تأت بعد ولم تشاهد لهذا الوقت فحملها على شىء مشاهد مرئى يترتب عليه فائدة الدخول فى الاسلام خير من حملها على شىء مؤجل لما بعد الفناء العام ومجهول غير مشاهد للناس عموما حتى الآن ، خصوصا وأن القرآن انما نزل ليكون حجة ظاهرة مقنعة للناس بصحة الاسلام فى كل دور من الأدوار ليصدقوه ويدخلوا فيه فى الدنيا لا ليدخلوا فيه فى الآخرة ، لأن دخولهم فيه فى الآخرة وتصديقهم له فيها بعد انتقالهم من الدنيا لا تفيدهم شيئا لأنها ليست موطن عمل وايمان ، وانما هى موئل حساب وجزاء بالانتقام أو الاحسان .

الآية الخامسة والعشرون عيسى (٣٤)

(يَوْمَ يفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وأُمِّهِ وأَبِيهِ وصَاحِبَتِهِ وبَنِيهِ لِكلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) ان هذه الآية تنطبق على ما هو حاصل فى هذه

الأزمان من تقاطع الأرحام وتفكك الأوصال من الأهل والعيال وعدم اهتمام المرء بذوى قرابته وفراره من أهله وعصبته كما فى هذه الآية وكما فى قوله تعالى (فلا أنساب بينهم ولا يتساءلون) أى لا يسأل أحد منهم الآخر عما حل به ، فهاتان الآيتان قد تنبئنا عن الحالة الحاضرة وانطباقنا عليها ، وهذا لا ينافى أنهما ينطبقان أيضا على الحالة التى سوف تحصل يوم القيامة أيضا .

الآية السادسة والعشرون الضحى (٢ — ٥)

(مَا ودَّعكَ رَبُّكَ ومَا قَلى ، وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولى ، ولَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) أى ولآخرتك فى الدنيا خير لك من أولاها ولسوف يعطيك ربك فترضى بما أعطاك . وقد حصل ذلك فعلا فى الدنيا فان الله تعالى قد أعطاه فى آخرة دنياه ما أرضاه من انتصاره على اعداه ، ودخول الناس أفواجا فى دينه وفى اسعاد قومه واعلاء كلمته وغلبته .

ومما يدل على أن المراد من الآخرة هنا هى آخرة النبى (ص) فى دنياه قول الآية الكريمة (ما ودعك ربك وما قلى) لأن نفى توديعه وقلاه أى نفى تركه وبغضه من طرف الله قد حصل فى الدنيا فما يترتب عليه وهو اعطاؤه وارضاؤه يكون فى الدنيا أيضا . ويدل على ذلك أيضا استفهام التقرير فى قول الآية (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى ووَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى ووَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى) فإن هذه الأمور انما هى بيان لبعض ما أعطاه الله له فى الدنيا واستدلال بذلك على انه لا يزال يعطيه منها تدريجا حسب الظروف حتى يرضيه أو لأن من أعطاه سابقا لا يبخل أن يعطيه لاحقا . وبالجملة فان فى هذه الآيات أخبار عن أمور مستقبلة غيبية وقد تحققت فعلا فى الدنيا كما أخبرت . وهذا لا ينافى أن الله تعالى سوف يعطيه أيضا فى الآخرة ويوم القيامة أمورا كثيرة جدا حتى يرضيه فى الآخرة كما أرضاه فى الدنيا .

الآية السابعة والعشرون النصر (١)

(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ والْفَتْح ورَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فى دِينِ اللهِ أَفواجاً

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الخ) فانه قد جاء نصر الله والفتح ودخل الناس أفواجا فى دين الله كما أخبر بذلك .

هذه سبع وعشرون آية من القرآن فيها كثير من التنبؤات عن الأمور الغيبية والحوادث المستقبلة التى حصلت فعلا فى الدنيا حسبما أخبرت تلك الآيات تماما وهى معجزات ظاهرة ودلائل واضحة على صدق رسالة محمد (ص) وهناك آيات كثيرة من هذا القبيل أيضا أى يصح انطباقها على ما فى الدنيا كما يصح انطباقها على ما فى الآخرة لم نذكرها هنا خوفا من التطويل .

الأحاديث الشريفة التى وردت فيها التنبؤات

عن الوقائع الغيبية والحوادث المستقبلة فى الدنيا

أريد الآن أن أذكر هنا شيئا قليلا من هـذه الأحاديث على وجه الاجمال وبدون نقل للفظ الحديث وسنده الا فى القليل منها لأن ذلك مما يطول شرحه ، فأقول .

١ — أخباره صلى الله عليه وسلم بأنه (أعطى مفاتيح خزائن الأرض) وهذا يعنى الفتوحات والغنائم الكثيرة التى نالها المسلمون فى الأرض .

٢ — أخباره عن كثير من الحوادث والفتن والملاحم التى وقعت بين المسلمين من ابتداء خلافة عثمان الى انتهاء ذلك بين الأمويين والعباسيين بالتفضيل كأنه حاضر معهم كما هو مذكور فى الصحيحين وغيرهما .

٣ — أخباره بأن الحسن بن على سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين .

٤ — أخباره بأن هذه الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا ولكنها تظهر بعده .

٥ — أخباره باستفاضة المال وكثرته بين المسلمين كما حصل ذلك فى زمن العباسيين وغيرهم من ممالك المسلمين حتى كان الفقير أو الشاعر مثلا يعطى ألف دينار فيسخطها لقلتها فى نظره وحتى كانت الفرس تشترى بوزنها مالا وغير ذلك من أنواع البذل الغريبة العجيبة التى تدل على كثرة استفاضة المال بين المسلمين مما يطول شرحه وبيانه .

٦ — أخباره بفتح اليمن والعراق وبيت المقدس والشام ومصر وفارس والروم وغير ذلك من الأقطار الأخرى مع بيان كثير من الحوادث التى حصلت فيها بوجه التفصيل كما هو مسطر فى التاريخ .

٧ — أخباره بأن أصحابه يركبون ثبج البحر ملوكا على الأسرة يغزون فى سبيل الله . وثبج البحر متنه وظهره وقيل ظلامه ، والبحر المحيط الأطلنطى يسمى عند العرب (بحر الظلمات) وقد عبره المسلمون وركبوا ظهره ودخلوا فى ظلامه عند غزوهم الغربيين منه بعد ظهور الاسلام .

٨ — أخباره بأن المسلمين سيقتسمون كنوز ملك فارس وكنوز ملك الروم وأن بنات وولدان فارس والروم الذين هم كالحور العين وكاللؤلؤ المنثور يكونون خدما للمسلمين يطوفون عليهم كما حصل ذلك فى زمن خلافة العباسيين كما قال تعالى (ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا) .

٩ — ان عليا يفتح خيبر غداة يومه .

١٠ — ان عثمان يقتل وهو يقرأ فى المصحف .

١١ — ان عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية .

١٢ — ان أسرع أزواجه لحوقا به أطولهن يدا أى أكرمهن .

١٣ — ان عائشة ستخرج على على بن أبى طالب فتنبحها كلاب الحوأب .

١٤ — ان الزبير سيخرج على على وهو ظالم له .

١٥ — انه ستخرج نار من أرض الحجاز تضىء لها أعناق الابل ببصرى .

١٦ — ان فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعدها . أى لا فارس مجوسية بل تندغم فى الاسلام .

١٧ — ان الروم ذات قرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن ، أهل صخر وبحر الى آخر الدهر ، كما هو حاصل الى الآن .

١٨ — ان أمته ستفترق الى ثلاث وسبعين فرقة كما تفرق اليهود الى اثنى وسبعين فرقة كما حصل ذلك فعلا .

١٩ — أخباره بقتال التتر وغيرهم مع بيان أوصافهم وأحوالهم وكيفية قتالهم مما لو كلف من رأى ذلك بعينه لم يحسن وصفهم كما وصفهم .

٢٠ — أخباره عما تفعله أمته فى مستقبل الزمان بقوله (كيف بكم اذا طغى نساؤكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم ، قالوا وان ذلك كائن يا رسول الله، قال نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون ، قالوا وما أشد منه يا رسول الله ، قال كيف أنتم اذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر ، قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون ، قالوا وما أشد منه ، قال كيف أنتم اذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا ، قالوا وكائن ذلك يا رسول الله ، قال نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون ، قالوا وما أشد منه يا رسول الله ، قال كيف أنتم اذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ، قالوا وكائن ذلك يارسول الله ، قال نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون يقول الله تعالى بى حلفت لأتيحن عليهم فتنة منهم تدع الحكيم فيهم حيرانا) فان مضمون هذا الحديث قد فعلته الأمة الاسلامية حسب ترتيب الحديث تماما حتى أتاح الله عليهم بسبب سوء أعمالهم ، وقصر أنظارهم ، وعدم اهتمامهم بتعاليم دينهم ، وتركهم الجهاد والتضحية فى سبيل استبقاء مجدهم فتنة عظيمة تركت الحكيم منهم حيرانا لا يدرى ماذا يصنع وحتى جعلتهم هذه الفتنة سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وفتنة قاسية ، ولا يكون للمسلمين مخرج من هذا العذاب وهذه الفتنة الا باتباع تعاليم كتاب الله كما قال فى الحديث الشريف (انها ستكون فتنة ، قيل فما المخرج منها يا رسول الله ، قال كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله هو حبل الله المتين وهو النور المبين والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك

به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضى عجائبه ولا يخلف على كثرة الرد .

٢١ — أخباره عما يحصل لأمته فى مستقبل الزمان من طرف الأمم الأخرى بقوله (يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها فقال قائل أو من قلة نحن يومئذ قال بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور أعدائكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن قال قائل وما الوهن يا رسول الله ، قال (حب الدنيا وكراهية الموت) فان مضمون هذا الحديث الذى هو خطاب للأمة الاسلامية العربية قد حصل فعلا حيث أن أمم الأرض قد تداعت عليهم حقيقة وسلبت منهم بلادهم وحرياتهم واستعبدتهم واستعمرتهم وأذلتهم لضعفهم ووهنهم وحبهم للدنيا وكراهيتهم للموت .

٢٢ — ان مما يؤيد تلك الأحاديث التى أنبأت عن هـذه الأمور الغيبية والحوادث المستقبلة فى الدنيا والتى أنبأت عن المخترعات الحديثة المتقدمة والتى قد تنبىء عن مخترعات أخرى مقبلة أيضا ما رواه البخارى ومسلم عن حذيفة قال (قام رسول الله (ص) مقاما ما ترك شيئا يكون فى مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث به حفظه من حفظه ، ونسبه من نسبه ، قد علمه أصحابى هؤلاء وانه ليكون منه الشىء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم ان رآه عرفه) .

وما رواه أيضا مسلم عن عمرو بن أخطب قال (صلى بنا رسول الله (ص) الفجر ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غابت الشمس . قال وأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأحفظنا أعلمنا) انتهى الى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التى ذكرت تفصيل كثير من الحوادث والمخترعات التى حدثت بعده . وهـذا من أكبر أنواع المعجزات التى تدل على صدق نبوته وصحة رسالته .

البحث الرابع عشر

نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ورياسته للعالم بعد المسيح وختمه للرسل، بمقتضى آيات الإنجيل

تطبيق كثير من الإنجيل على القرآن الكريم فى قوله تعالى (الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل)

رداً على ما يزعمه القس ألفريد نيلسن الدنمركي فى هذه الأمور :

كتاب أول من القس المذكور يزعم فيه أنه لايوجد فى الإنجيل مايدل على وجود نبى بعد المسيح ورد على زعمه ، جاءني كتاب مؤرخ فى ٨ / ١٠ / ١٩٣٦ من القس المذكور هذا نصه بعد التحية :

(ان المسيحيين لا يمكنهم عند مطالعة كتبهم أن يجدوا مكانا لنبى بعد المسيح ولا لنبوات عن غيره من الأنبياء أصلا ولا مكانا لقول القرآن (الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) .

فرددت عليه فى كتابى المؤرخ فى ٢٩/١٠/١٩٣٦ ، المحتوى على سؤالين موجهين اليه السؤال الأول (اذا كنتم لا تجدون فى كتبكم مكانا لنبى بعد المسيح ولا لنبوات عن غيره من الأنبياء أصلا ولا مكانا لقول القرآن الكريم (الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) كما تزعمون فحينئذ ما معنى قول انجيل يوحنا فى الاصحاح الأول آية ١٩ عن يوحنا المعمدان (هذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت فاعترف ولم ينكر وأقر اننى لست أنا المسيح . فسألوه اذن . ايليا أنت . فقال لست أنا

أألنبى أنت . فأجاب لا . قالوا له . من أنت لنعطى جوابا للذين أرسلونا . ماذا تقول عن نفسك . قال أنا صوت صارخ فى البرية قوموا طريق الرب فسألوه وقالوا له فما بالك تعمد ان كنت لست المسيح ولا ايليا ولا النبى أجابهم يوحنا قائلا أنا أعمد بماء ولكن فى وسطكم قائم الذى لستم تعرفونه هو الذى يأتى بعدى) .

فهذه الآيات هى أصرح من الصريح فى انه لا بد من وجود نبى غير المسيح وغير ايليا وانهم ينتظرون هؤلاء الثلاثة الأول ايليا الذى هو يحيى كما هو صريح قول المسيح فى متى (١١ : ١٤) فى حق يحيى (وان أردتم أن تقبلوا فهذا هو ايليا المزمع أن يأتى) وقوله فى متى ١٧ : ٢١ (وسأله تلاميذه قائلين فلماذا يقول الكتبة أن ايليا ينبغى أن يأتى أولا فأجاب يسوع وقال لهم ان ايليا يأتى أولا ويرد كل شيىء ولكن أقول لكم ان ايليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كلما أرادوا وكذلك ابن الانسان أيضا سوف يتألم منهم . حينئذ فهم التلاميذ انه قال لهم عن يوحنا المعمدان) وقوله (وينتقدم أمامه بروح ايليا وقوته لرد قلوب الآباء الى الأبناء والعصاة الى فكر الابرار)

فهذه الآيات تفيد أن ايليا الذى هو يحيى يأتى أولا قبل المسيح ثم يأتى المسيح بعده كما هو صريح قول يوحنا السابق عن المسيح (هذا الذى يأتى بعدى) فاذن قد بقى وجود الثالث بعد المسيح الذى هو النبى كما يصرح بذلك انجيل يوحنا حيث يقول أيضا فى (٧ : ٤٠) (فكثيرون ممن سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هو النبى وآخرون قالوا هذا هو المسيح) فهذه الآية تدل على انهم ينتظرون بعد ايليا شخصين هما المسيح والنبى كما ان الآية السابقة تدل على ان هذا النبى لا بد وان يكون بعد المسيح وعليه فكيف تقول يا حضرة القسيس (ان المسيحيين لا يمكنهم عند مطالعة كتبهم أن يجدوا مكانا لنبى بعد المسيح ولا مكانا لقول القرآن (الرسول الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) فهذا الذى نقلته لكم عن الانجيل بالحرف الواحد الذى يدل صراحة على وجود نبى بعد المسيح وعلى صدق آية القرآن هل هو عندكم من كتب المسيحيين أم لا .

السؤال الثانى الموجه للقس

هو (ما دمتم تعتقدون بأنه لايوجد بعد المسيح نبى أبدا ، وان التوراة والانجيل لا تدل على ذلك أصلا فاذن ما معنى قول المسيح فى انجيل يوحنا (١٤ : ١٧) (وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم الى الأبد) وقوله فى آية ٢٩ منه (وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون لا أتكلم أيضا معكم كثيرا لأن رئيس هذا العالم يأتى) وقوله فى يوحنا أيضا (١٥ : ٢٦) (ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا اليكم من الأب روح الحق الذى من عند الأب ينبثق فهو يشهد لى وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معى من الابتداء) . وقوله فى يوحنا أيضا (١٦ : ٨) (لكى أقول لكم الحق انه خير لكم أن انطلق لأنه ان لم انطلق لا يأتيكم المعزى . ولكن ان ذهبت أرسله اليكم ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطيئة وعلى بر وعلى دنيوية ، أما على خطيئة فلأنهم لا يؤمنون بى وأما على بر فلأننى ذاهب الى أبى ولا تروننى أيضا ، وأما على دنيوية فلأن رئيس هذا العالم قد دين ان لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل بكل مايسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم .

وعليه فأرجو أن تجيبونى عمن هو هذا المعزى الآخر الذى أعطاه الله للناس بعد المسيح ليمكث معهم الى الأبد والذى سيأتى رئيسا للعالم ، والذى متى جاء يشهد للمسيح ، والذى خير للعالم أن ينطلق المسيح ويمضى حتى يمكن أن يأتى هذا المعزى رئيس العالم الذى سيرسله الأب والذى متى جاء يبكت العالم على عدم ايمانهم بالمسيح وعلى ادانتهم له بصفة كونه رئيسا للعالم فى زمنهم والذى متى جاء يرشد الناس الى جميع الحق ويخبرهم بأمور آتية وبمجد المسيح ، الى غير ذلك من الصفات المذكورة فى هذه الآيات التى تدل بصراحة على وجود نبى بعد المسيح ، وعلى وجود رئيسين ، رئيس قد دين وعذب وأهين من طرف اليهود وهو

المسيح ، ورئيس آخر بعد المسيح يمجد المسيح ويشهد له ويبكت الناس على خطيئتهم معه واهانتهم له وعدم ايمانهم به ، وهذا ليس الا النبى العربى ، فالرئيس الأول مفهوم من قول المسيح (لأن رئيس هذا العالم قد دين) والرئيس الثانى مفهوم من قوله فى الآية الأخرى (لا أتكلم معكم كثيرا لأن رئيس هذا العالم يأتى) أى يأتى من بعدى .

ومعنى قوله فى الآية السابقة (لأنه يأخذ مما لى ويخبركم) أى لأن القرآن قد جاء مصدقا لكثير مما جاء فى الانجيل كما قال تعالى (مصدقا لما بين يديه) بل جاء مصدقا لكثير مما فى الصحف الأولى كما قال تعالى (ان هذا لفى الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى)

فيا حضرة القس كيف يمكنكم بعد ما قدمناه لكم من الآيات الانجيلية أن تقولوا ان كتبكم المسيحية لا يوجد فيها ما يدل على وجود نبى بعد المسيح ، وان قول القرآن (النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) غير صحيح .

أجيبونى عن ذلك حتى يمكننى أن أوفق بين كلامكم وبين ما تصرح به هذه الآيات من انه لا بد من مجىء نبى بعد المسيح . يكون رئيسا للعالم بعده .

كتاب ثانى من القس يزعم فيه أن عبارة (رئيس العالم) الواردة فى الإنجيل لا تعنى (محمداً) كما أقول ، بل تعنى (الشيطان) ، وردى على زعمه .

بتاريخ ١٩٣٦/١١/١٥ جاءنى منه كتاب ثانى هذا نصه بعد التحية: قبل تقدمى الى الموضوع نفسه سأصلح لكم شيئا غلطا فى ذكركم الآيات اذ خلطتم المعزى الموعود به برئيس هذا العالم كأنهما شخص واحد مع انه يظهر بوضوح من كلام الكتاب المقدس انهما شخصان فقيل عن رئيس هذا العالم انه قد دين أو فى غير مكان (صح ١٢ ع ٣١) يطرح رئيس هذا العالم خارجا) فلا يصح لكم استعمال هذه العبارة (صح ١٦ ع ١١) عن نبى منتظر اذ هو فى العهد الجديد عبارة عن الشيطان ، وسأجيبكم

فى فرصة أخرى عما ذكرتموه لنا من آيات الانجيل التى تقولون انها تدل على نبيكم .

فرددت عليه فى كتابى الثانى اليه بقولى (اننى قد استغربت جدا من كلامكم هذا الذى يدل على أنكم لا تمعنون النظر فى آيات الانجيل بل تأخذونها مقطوعة عما قبلها وما بعدها وبـدون نظر ولا بحث فى موضوعها وما سيقت لأجله مما يؤسفنى أن أقول لكم أن الغلط فى ذكر آيات الانجيل والخلط انما هو واقع منكم وليس منى .

ان استعمال عبـارة (رئيس هذا العالم) عن الشيطان كما تقولون ليس له أساس أصلا فى الانجيل وليس له أى معنى أبدا فى الآيات التى ذكرتها لكم فى مكتوبى السابق ولا فى الآيات التى تذكرونها أنتم الآن بل المراد من جميع آيات الانجيل من عبارة (رئيس هذا العالم) انما هو الرئيس الالهى الروحانى لا الشيطان .

فرئيس العالم فى زمن المسيح انما هو المسيح ورئيس العالم فى زمن موسى هو موسى ورئيس العالم فى زمن محمد هو محمد وهكذا كل نبى من الأنبياء هو رئيس العالم الذى كان موجودا فيه بدليل الاشارة بلفظ (هذا العالم) التى تشعر بأن المراد من العالم انما هو العالم الموجود وقت التكلم المشار اليه بلفظ (هذا) لا كل العالم من أوله الى آخره فمثلا اذا قلت (ان فلانا هو كبير هذا العالم أو وجيه هذا العالم أو نحو ذلك) فلا يفهم منه الا أنه كبير أو وجيه العالم الموجود الآن وقت التكلم المشار اليه بهذه الاشارة ولا يمكن أن يفهم من ذلك أنه وجيه أو كبير أو رئيس العالم الماضى والمستقبل منذ بدأ الله الخلق الى يوم القيامة لأن الزمن الماضى قد وجد له عدة رؤساء قبل خلق هذا الرئيس الحالى فلا يمكن أن يكون هذا الرئيس الحالى رئيسا لمن سبقه من العوالم لأن ذلك غير معقول وغير واقع أيضا فيكون ادعاء باطلا وكذبا صراحا ، وأما الزمن المستقبل فهو مجهول لا يعلم رئيسه الا الله وحده . فيجب حينئذ أن يكون المراد منه رئيس العالم الموجود فى زمنه . وعليه فعبارة (رئيس هذا العالم) انما يراد منها ما يناسب الموضوع الذى ذكرت فيه .

ثم أننا اذا بحثنا فى الآيات التى نحن بصددها لا نجد فيها أدنى اشارة الى أن المراد من رئيس العالم هذا هو الشيطان كما تزعمون بل المراد منه فى بعضها المسيح وفى بعضها الآخر النبى الذى يأتى بعد المسيح حسب دلالة الموضوع الذى سيقت الآية لأجله . فالمراد من الآية التى تقول (الآن يطرح رئيس هـذا العالم خارجا) ومن الآية التى تقول (ولأن رئيس هـذا العالم قد دين) انمـا هو المسيح لأن اليهـود بأعمالهم المعروفة معه وانكارهم له قد طرحوه خارجا عنهم وعن دائرة دينهم وطقوسهم وأدانوه بأعمالهم معه فأدانهم الله بسبب هذه الأعمال . فالمسيح قد دين من طرف اليهود والعالم اليهودى الذى صنع معه تلك الأعمال قد دين أيضا من طرف الله تعالى .

وأعظم دليل على أن المراد انما هو ذلك لا الشيطان كما تقول أن المحدث عنه فى جميع هذه الآيات انما هو المسيح لا الشيطان حيث يقول المسيح عن نفسه فى هذه الآيات (الآن اضطربت نفسى وماذا أقول أيها الأب نجنى من هذه الساعة ولكن لأجل هذا أتيت الى هذه الساعة ، الآن دينونة هذا العالم الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجا) الى آخر هذه الآيات فأنت ترى بأم عينيك ان هذه الآيات وما بعدها صريحة فى أن الذى اضطربت نفسه وطلب من الأب أن ينجيه فى هذه الساعة وانه لأجل هـذا قد أتى وانه طرح خارجا انما هو المسيح لاغيره ، وانه هو الذى قد دين من طرف العالم اليهودى فأدين هذا العالم اليهودى لأجله . فمن أين أتيت يا حضرة القسيس بالشيطان فى هذا الموضوع . انى والله لأعجب منكم أيها المسيحيون ، ومن أفهامكم التى ما أنزل الله بها من سلطان لا فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى القرآن بـل ولا فى العقل والوجدان .

ومما يدل أيضا بصراحة على أن المراد من الذى يطرح خارجا انما هو المسيح وأتباعه لا الشيطان قول المسيح نفسه فى هذا الموضوع (قد كلمتكم بهذا لكى لا تعثروا سيخرجونكم من المجامع) وقول الانجيل

عن المسيح (غير أنهم بسبب الفريسيين لم يعترفوا به لئلا يصيروا خارج المجمع) .

فان هاتين الآتيين الموجودتين فى نفس هذا الاصحاح من هذا الانجيل صريحتان فى أن المراد من الطرح خارجا هو الاخراج من المجامع ومن دائرة اليهودية كما حصل ذلك فعلا مع المسيح ومع أتباعه ومع كل من اعترف وآمن به .

وحينئذ فأى علاقة بين أمثال هؤلاء العظماء والمؤمنين وبين الشياطين . أتريد يا حضرة القسيس أن تحل الشيطان محل المسيح وأتباعه ومن يعترف ويؤمن به لأجل أن تتمكن من الرد على . ان هذا والله لشىء عجاب . وعليه فقد ظهر أن الغلط الصراح فى ذكر آيات الانجيل والخلط الواضح فى فهمها انما هو منك لا منى كما تدعى .

رئيس العالم بعد المسيح هو النبى الذى يأتى بعده

وأما الآية التى يفهم منها أن المراد من رئيس هذا العالم هو النبى الذى يأتى بعد المسيح فهى قول المسيح السابق فى يوحنا (١٤ : ٢٩) .

(لا أتكلم أيضا معكم كثيرا لأن رئيس هـذا العالم يأتى) فانها صريحة فى أن هذا الرئيس انما هو الرئيس الذى يأتى بعد المسيح فلا يصح أن يكون هو المسيح كما لا يصح أن يكون هو الشيطان أيضا لأن هذا الرئيس كما يصرح الانجيل فى نفس الآية هو روح الحق المرسل من الأب والذى يشهد للمسيح ويمجده وهل هذا سوى النبى العربى الذى جاء بعد المسيح وشهد له ومجده فى القرآن الكريم .

انتهى ردى على ما زعمه القس فى كتابه الثانى وبعد هذا الرد سكت القس طويلا ولم يجب بشىء أبدا ولكن بعد ثلاثة أشهر رجع الى الكلام فجاءنى منه كتاب ثالث قال فيه ما نصه (ان عبارة رئيس هذا العالم) قد وردت فى انجيل يوحنا ثلاث مرات فأنت تريد أن تفسر عبارتين منها عن السيد المسيح وعبارة واحدة عن النبى العربى وهذه أول صعوبة فى تفسيرك .

ثانيا — اذا فسرت العبارة فى يوحنا (١٤ : ٢٩ و ٣١) عن النبى العربى لا يكون أى معنى لقوله فيها (وليس له فى شىء) .

ثالثا — اذا فسرت العبارة فى يوحنا (١٢ : ٣١) عن المسيح نفسه فكيف يتكلم المسيح عن نفسه بصيغة الغائب ثم فى نفس اللحظة بصيغة المتكلم وهكذا فى ١٦ : ١١ بمقابلة ١٦ : ١٠ : ١٦ : ١٣ ان التفسير المسيحى عن رئيس العالم كشيطان لا يأتى بأية صعوبة بل بالعكس انه مناسب كل المناسبة فلذلك أرفض تفسيرك متمسكا بما هو أعقل وأثبت عندى انتهى كلامه .

فرددت عليه فى كتابى الثالث اليه بما نصه . (ان تأييدك لكلامك السابق فى عبارة رئيس هذا العالم المذكورة فى آيات انجيل يوحنا الثلاثة من أنه ليس المراد بها المسيح ولا النبى العربى بل المراد بها الشيطان انما هو خطأ محض وخلط واضح وبعيد عن الحقيقة بعد السماء عن الأرض بل لا يجوز أن يقوله مسيحى قط لأن الآية ٣١ صح ١٢ من يوحنا القائلة (الآن دينونة هذا العالم . الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجا وأنا ان ارتفعت عن الأرض أجذب الى الجميع . قال هذا مشيرا الى أى ميتة مزمعا أن يموت) أصرح من الصريح فى أن المراد من كلمة رئيس هذا العالم هنا هو المسيح لا الشيطان كما هو ظاهر واضح لكل من يتأمل فى معنى هذه الآية أدنى تأمل لأن معناها الظاهر الصريح هو أنه بالنظر لكون هذا العالم لم يؤمن برئيسه بل طرحه خارجا فانه لا بد وأن يدان على هذا العمل الذى عمله مع رئيسه وان هذا الرئيس اذا ارتفع عن الأرض بسبب طرح هذا العالم له فانه يجذب اليه الجميع . هذا هو كلام المسيح ثم قال مؤلف هذا الانجيل من عند نفسه ان المسيح (قال هذا مشيرا الى أى ميتة مزمعا أن يموت) أى مشيرا بطرحه ثم رفعه الى أى ميتة يموتها . أى أن المراد من رفعه عن الأرض موته فها أنت ترى أن موضوع الكلام كله فى المسيح وليس للشيطان هنا موضع ولا ذكر البتة . فمن أين أتيت بالشيطان هنا يا حضرة القسيس فاذا كان الذى دعاك الى الاتيان بالشيطان

هنا وتفسير رئيس العالم به هو التعبير بصيغة الغائب ثم بصيغة المتكلم كما تقول فهذا خطأ فوق خطأ اذ أن تعبير المتكلم عن نفسه بصيغة الغائب أمر معهود ومستعمل فى كل لغات العالم خصوصا اذا كان يريد المتكلم أن يعبر عن نفسه بصفة من الصفات التى تسترعى نظر السامعين كان يقول صاحب سلطان أو رياسة مثلا (أمر السلطان أو الوالى أو المندوب السامى بكذا وقال الرئيس كذا كذا) ثم يقول بعد ذلك (أنا آمر أو نحن نقول) فالتعبير الثانى بصيغة المتكلم لا يمنع أن يكون المراد من لفظ السلطان أو الرئيس المذكور هو المتكلم بعينه وانه انما عبر عن نفسه أولا بهذه الصفة على وجه الغيبة اشارة لما فى هذه الصفة من معنى مراد له كما هنا .

فان تعبير المسيح أولا عن نفسه برئيس العالم فى مقام طرح الناس له خارجا اشارة الى عظم هذا الجرم واستحقاق فاعليه للدينونة العظيمة حيث أنهم انما طرحوا رئيسا لا شخصا عاديا فاذا عبر المسيح عن نفسه بعد ذلك بصيغة المتكلم فان ذلك لا يمنع أن يكون هو المراد من رئيس العالم المذكور أولا بل ان ذكر العبارة الثانية بصيغة المتكلم انما كان بقصد بيان المراد من العبارة الأولى .

ومثل هذا الكلام يقال أيضا فيما أشرتم اليه بقصد تحقيق كلامكم من مقابلة آية ١٠ مع آية ١٢ و آية ١٣ من الاصحاح السادس عشر من يوحنا ، فان هذه الآيات تقول هكذا (ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطيئة وعلى بر وعلى دينونة أما على خطيئة فلأنهم لا يؤمنون بى ، وأما على بر فلأنى ذاهب الى أبى ولا ترونى أيضا ، وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين ان لى أمورا كثيرة لأقول لكم ولكن متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق الخ) فان تعبير المسيح عن نفسه هنا أيضا برئيس العالم فى مقام بيان من سوف يجىء ليبكت العالم ويدينهم على أعمالهم معه انما هو بقصد بيان أن تبكيتهم وادانة الله لهم فيما بعد انما تكون بسبب انهم أدانوا وعذبوا رئيسا للعالم

لا شخصا عاديا فيكون جرمهم كبيرا وعذابهم أليما وهذا لا يمنع منه كونه عبر عن نفسه فى بعض هذه الآيات بصيغة المتكلم كقوله (فلأنى ذاهب) وقوله (ان لى أمورا كثيرة) خصوصا اذا كان موضوع الكلام فى شخص واحد كما هنا . والالتفات من التكلم الى الغيبة وبالعكس أو من الخطاب الى الغيبة وبالعكس انما هو نـوع من أنواع البلاغة يستعمل فى كل اللغات خصوصا فى الكتب المقدسة .

وأى مسيحى عاقل يمكنه أن يقول أن المراد من رئيس العالم فى هذه الآيات هو الشيطان الا اذا اعتقـد أن الله تعالى سيبكت العالم ويوبخهم ويدينهم لكونهم أدانوا الشيطان وعذبوه وعاكسوه . فهل الله يغضب على الناس لأجل معاكستهم للشيطان أم يغضب لأجل معاكستهم للمسيح . ان هذا والله لأمر عجاب . وأعجب منه قولك فى مكتوبك هذا (ان التعبير المسيحى عن رئيس العالم كشيطان لا يأتى بأية صعوبة بل بالعكس أنه مناسب فلذلك أرفض تفسيرك متمسكا بما هو أعقل وأثبت عندى) .

أقول اذا كان الأعقل والأثبت عندك ان روح الحق الذى يرشد الناس الى جميع الحق والذى يمجد المسيح هو الشيطان فأنت وشأنك وعقلك واعتقادك لا يضرنا ولا يضر الناس ولا يضر الحقيقة من أمرك شيء ما دامت عقليتك قد وصلت الى هذه الدرجة من الاعوجاج .

هذا ما كان من أمر الآية القائلة (فلأن رئيس هذا العالم قد دين) ومن أمر الآية القائلة (الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجا) التى عرفت أنهما لا يصح انطباقهما الا على المسيح لا على الشيطان كما ظهر من الأدلة الصريحة التى كنت ذكرتها لك فى مكتـوبى السابق والتى ذكرتها فى مكتوبى هذا وأما ما كان من أمر الآيـة الثالثة التى قال فيها المسيح (لا أتكلم أيضا معكم كثيرا لأن رئيس هذا العالم يأتى) فانها لا يصح أن يراد بها المسيح لأنه هو المتكلم بها عن غيره ولأنه قد أتى فعلا وحينئذ فلا بد وأن يكون المراد بها شخصا آخر غيره يأتى بعده لا جائز أن يكون

هذا الغير هو الشيطان كما تدعى لأن الشيطان لا شغل له هنا أبدا ، ولا موضع له أصلا حيث ان هذا الرئيس هو الذى قال عنه المسيح بأنه سيأتى بعده ليتكلم عنه وليمجده وليرشد الناس الى جميع الحق ، وليبكتهم على عدم ايمانهم به ، وعلى ادانتهم له . وحينئذ فالرئيس الذى تكون هذه صفاته لا يصح أن يكون شيطانا قطعيا بل لا بد وأن يكون رئيسا سماويا . فهل ترضى ياحضرة القسيس أن يكون المتكلم عن المسيح والمتمم لرغائبه والممجد له شيطانا رجيما أم يجب أن يكون نبيا كريما .

وحيث أنه لم يأت بعد المسيح من أدى هذه الوظيفة بأكمل معانيها الا النبى العربى فقد وجب أن يكون هو المراد من رئيس العالم فى هذه الآية .

وأما ما ذكرتم من استبعاد واستصعاب أن يراد بكلمة رئيس العالم تارة المسيح وتارة أخرى غيره فهو استبعاد واستصعاب فى غير محله اذ كثيرا ما يراد بالكلمة الواحدة عدة معان فى مواضع مختلفة فتفسر فى كل موضوع بما يناسبه ويقتضيه كما هنا .

وأما قولك (ان تفسير كلمة رئيس العالم بالنبى العربى يمنع منه قول المسيح بعدها (وليس له فى شىء) أى ولذلك يجب أن تفسر بالشيطان حيث ان الشيطان ليس له فى المسيح شىء .

فأقول لك أن موضوع الآية انما هو فى بيان من يأتى بعد المسيح ليتمم كلامه ورغائبه ولذلك أمرهم بالايمان به وهذا يستلزم أن يكون نبيا لا شيطانا لأن المسيح لا يأمر الناس بأن يؤمنوا بالشيطان وحينئذ فيجب أن يكون معنى قوله (وليس له فى شىء) أى أن هذا النبى الذى يأتى بعدى رئيسا للعالم (ليس له فى شىء) أى من الاعتراضات . أى لا يعترض على فى شىء بل يمجدنى لأننى قد وفيت بواجبى نحوكم بقدر استطاعتكم ولكن متى جاء ذاك فهو الذى يرشد الناس الى جميع الحق هذا هو معنى الآية بحسب بساطتها وظاهرها وحينئذ فعبارة (وليس

له فى شىء) لا تدل على أن المراد برئيس العالم شيطان كما تقول . واننى لأعجب منكم أيها المسيحيون فى التزامكم تقليد من قبلكم فى فهم المسائل الدينية ولو كان خطأهم فيها ظاهـرا . وأنا ان لمت المسيحيين لا ألوم الا أمثالكم من القسيسين العقلاء الذين يجب عليهم أن يستعملوا عقولهم فى فهم آيات الكتب المقدسة بدلا من اتكالهم على افهام من قبلهم الذين يحتمل خطأهم فيها ولو احتمالا فقط فما بالك بمـن كان خطأهم فيها ظاهرا واضحا صريحا كما هنا . وبالجملة فاننى ما أحببت منك وأنت قسيس عاقل أن تفسر آيات الانجيل بمثل هذه التفاسير التى لا معنى لها والتى لا تساعد عليها ألفاظ الكتاب اتكالا على أفهام الغير مما يدل على العجز فى الحجة وعلى الحيرة والارتباك فى الرأى .

ختم محمد للرسل حسب الإنجيل

وأما ختم محمد (ص) للرسل فهو ما يفهم من قـول الانجيل فى الآية السابقة عن المعزى الذى يأتى بعـد المسيح (وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم الى الأبد) وحيث ان الشخص الحادث الفانى لا يمكن أن يمكث مع الناس الى الأبد بشخصه بل لابد وأن يموت ويفنى فقد وجب حينئذ تفسير قول المسيح فى هذا المعزى (ليمكث معكم الى الأبد) أى ليمكث بشريعته ودينه الى الأبد أى لا يحتاج العالم الى رسالة أخرى بعده . وحينئذ يتبين لكم مما تقدم أن هذا المعزى هو محمد فقد ثبت بذلك أن محمدا هو خاتم الرسل الذى لا يحتاج العالم بعده الى رسول آخر .

وهذا مفهوم أيضا من قول الانجيل فى الآيات الأخرى (وأما متى جاء ذاك روح الحق فهـو يرشد الى جميع الحق) من قوله (فهو يعلمكم كل شىء) ونحو ذلك من آيات الانجيل الواردة فى هذا المعنى فانها تدل على أن المعزى والفارقليط الذى يأتى بعد المسيح سوف يعلم الناس كل شىء مما يتعلق بالدين والشريعة بحيث لا يحتاج الناس بعده الى مصلح ومرشد آخر .

وهذا صريح فى أنه سوف يكون خاتم الرسل .

ومما يدل صراحة على أن الرسول الذى يأتى بعد المسيح هو خاتم الرسل ما ورد فى انجيل برنابا (٤٢ : ١٢) من قول المسيح (رسول الله الذى يأتى بعدى بكلام الحق لا يكون لدينه نهاية) .

ويؤيد ذلك من الوجهة النظرية العقلية ان تربية الأمم فى أجيالها كتربية الأفراد فى أعمارها فكما أن الأفراد لا تحتاج الى تربية بعد بلوغها العقل والرشد فكذلك الأمم لا تحتاج الى تشريع بعد أن يبين لها كل الحق وبعد أن ترشد اليه كما صرح بذلك المسيح عن المعزى الذى يأتى بعده .

وقد أيده فى ذلك القرآن حيث قال (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) وقال (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) وقال (ما كان محمدا أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) وعليه فقد توافق الانجيل والعقل والقرآن الكريم على أن محمدا هو خاتم النبيين المشرعين .

هذا وانتى أنتظر جوابكم عن باقى الآيات الانجيلية التى تصرح بوجود نبى بعد المسيح تلك الآيات التى كنت قد قدمتها لكم ولم تجيبونى عليها للآن بل وعدتم بالاجابة عنها فى فرصة أخرى .

انتهى ردى على ما زعمه القس فى كتابه الثالث . وقد سكت بعد هذا الكتاب ولم يتكلم فى هذا الموضوع بشىء أبدا .

وهذا هو نموذج من مناظراتى معه المتعلقة بمحمد صلى الله عليه وسلم تلك المناظرات التى أسكتته فى كل بحث من تلك الابحاث ، ومن أراد أن يرى العجب العجاب فى انخذال هذا القسيس فى هذا الموضوع وفى غيره من المواضيع الأخرى التى حصلت فيها المناظرة بينى وبينه فليراجع كتبنا الستة المطبوعة المحتوية على ذلك . وسأذكر فى الأجزاء التالية من كتابى هذا الذى بدأت الآن فى طبعه كثيرا من المواضيع الهامة التى جرى فيها البحث بينى وبين القس المذكور .

كلمة صاحب جريدة الصراط المستقيم

التى نشرها فى جريدته حينما اطلع على بعض كتبنا المطبوعة

فى مناظرتنا مع القس المذكور

لما اطلع صاحب الجريدة المذكورة على الجزء الأول من ذلك الكتاب الذى طبع سنة ١٩٣٨ قال فى جريدته ما نصه : قد أطلعنا على نسخة من مناظرات الأستاذ القيشاوى مع القس نيلسن فى موضوع (لماذا اتبع دينى دون غيره) وقد ذكر كل منهما وجوه اختياره لدينه دون سواه. فأما القيشاوى فقد ذكر عشرة وجوه فى هذا الجزء وسيذكر وجوها أخرى فى الجزء الثانى الذى وعد بطبعه وقد فصل كل وجه بالشواهد الكثيرة من الكتاب والحديث والوقائع وقد أجاد فى ذلك وأحسن التفصيل فيه . وأما القس فوالله لا يحملنا تعصب على أن نقول أنه لم يوفق فى بيان اختياره للمسيحية دينا وقد دخل وخرج وذهب وأتى ، وبدأ وعاد ، ودار وحام ، ولكنه لم يرد ، ولم ينقع غلة ، ولم يشف علة ، وكان قصارى ما أتى به شرح عقيدته فى التثليث وتأويل بنوة عيسى للآب ، تعالى الله عن ذلك علوا كثيرا ، ولم يكن متحمسا جازما كالأستاذ القيشاوى بل كان والحق يقال كدأب الحكيم الذى نضج علمه واستوى عقله فرأى اليقين عزيز المنال ، ولا تعد هذه الخيبة لنقص فى القسيس فهو على ما يظهر فاضل ولكن موضوعه لم يسعفه .

ولو أن قومى أنطقتنى رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت

انتهى كلام صاحب جريدة الصراط .

كتاب من سعادة منصور فهمى باشا

المدير العام لدار الكتب المصرية الذى يطلب فيه نسخا من مؤلفاتنا ومناظراتنا مع المبشرين ليحتفظ بها فى الدار المذكورة .

على أثر نشر ما تقدم جاءنى مكتوب مؤرخ ١٩٤٠/١١/٢٠ من

حضرة صاحب السعادة منصور فهمى باشا المدير العام لدار الكتب المصرية هذا نصه :

حضرة المحترم الشيخ عبد الله القيشاوى .

تحية واحتراما وبعد فيسر دار الكتب المصرية التى تحرص كل الحرص على الاحتفاظ بالتراث الفكرى أن تكون مؤلفاتكم بين مقتنياتها حتى تؤدى رسالتها على خير وجه وتقوم بواجب الثقافة نحو طلاب العلم والأدب فنرجو أن تتفضلوا مشكورين باهداء الدار نسختين أو أكثر من كل مؤلف وستذكر الدار لحضرتكم هذه الهدية العلمية مشفوعة بجميل التقدير وجليل الاحترام .

فأرسلت له أربعة كتب من مؤلفاتى التى كانت مطبوعة فى ذلك الوقت وهى كتاب (كلمة سواء) والجزء الأول من كتاب (لماذا أتبع دينى دون غيره) وكتاب تطبيق الانجيل على نص القرآن الكريم فى قوله تعالى (وما قتلوه وما صلبوه) وهذه الكتب الثلاثة هى من كتب المناظرة الستة التى جرت بينى وبين القس الفريد نيلسن المذكور . وأما الكتاب الرابع فهو (انشقاق القمر) بالمعنى المفهوم من قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) فلما وصلت هذه الكتب الأربعة الى سعادة منصور فهمى باشا جاءنى منه تحرير آخر فى ١٩٤١/٢/٩ م هذا نصه :

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ المحترم الشيخ عبد الله القيشاوى وصلت الينا الكتب التى تفضلتم باهدائها الى دار الكتب المصرية وقد سررت من كيفية مناظرتكم للقس وانى أشكركم على هديتكم وأقدم لحضرتكم جميل التحية والسلام (انتهى) .

أقول وهذا دليل على أن مناظراتى مع القس كانت موفقة والحمد لله .

وقد جاءتنى تحارير كثيرة ممن اطلعوا على مؤلفاتى المطبوعة تمدح هذه المؤلفات ، ومن جملة هذه التحارير ما ورد لى فى ٧ رمضان سنة ١٣٦٤ هـ من رئيس جمعية الاعتصام بفلسطين هذا نصه .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد الله القيشاوى

الغزى المحترم، وبعد . فان جمعية الاعتصام بفلسطين قد اطلعت على بعض مؤلفاتكم القيمة فوجدت فيها كنوزا ثمينة الى جميع الشباب المتعطشين لمبادىء الاسلام الحقيقية ولذلك فان جمعية الاعتصام تقدم لكم شكرها الجزيل وثناءها الجميل على ما اسديتموه للاسلام والمسلمين سائلة الله تعالى أن يوفقكم فى أعمالكم وأن يجزيكم خير الجزاء على مجهوداتكم وسلامنا جميعا عليكم .

٧ رمضان سنة ١٣٦٤ هـ

رئيس جمعية الاعتصام
بفلسطين

البحث الخامس عشر

سليمان والطير والجن والنملة والهدهد وبلقيس وعرشها

ما قاله المفسرون فى ذلك وما أقوله فيه خلافاً لهم

جواباً لسؤال ورد لى من الشيخ توفيق البزرة من علماء دمشق الشام :

بتاريخ ١٣ المحرم سنة ١٣٥٥ هـ

قال تعالى فى سورة النمل ١٦ — ٤٤ : (وورِثَ سُلَيْمانُ داودَ وقالَ يا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وأُوتِينا مِنْ كلِّ شَيْءٍ . إنَّ هٰذا لَهُوَ الفَضْلُ الْمُبِينُ ، وحُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ والْإِنْسِ والطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) ، إلى قوله : (وتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقالَ مَا لِيَ لا أَرى الْهُدْهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الْغائِبِينَ) ، إلى قوله : (إنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ، وأُوتِيَتْ مِنْ كلِّ شَيْءٍ ، ولَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) الى آخر الآيات .

قال بعض المفسرين ان معنى قوله (علمنا منطق الطير) أن سليمان عليه السلام قد علمه الله معنى أصوات الطيور التى يتفاهم بها بعضها مع بعض ، وكان يفهم من الطيور غرضها ومقصدها وان كانت هى لا تفهم غرضه ومقصده . وقال بعضهم ان الله تعالى قد علم الطيور أن تكلم سليمان فتفهم غرضه ومقصده مهما كان دقيقا ، معجزة له ، كما علم سليمان أن يفهم منها غرضها ومقصدها كذلك على نحو ما وقع له مع الهدهد من السؤال والجواب والمناقشة فى القصة الآتية .

ما أقوله فى معرفة سليمان منطق الطير

أقول أن تفاهم الانسان مع الحيوان مطلقا قد أصبح الآن صنعة تعليمية ، لا معجزة خصوصية ، كما يحصل الآن بين كثير من الناس مع كثير من الحيوانات التى يلاعبونها ويستخدمونها فى كثير من الأمور بحيث يفهم كل طرف من الطرفين غرض الآخر ومقصده وذلك كالقرود وحمام الزاجل والخيول والكلاب خصوصا كلاب الأثر مما لا يتسع هذا المقام لتفصيله ومما يصرح به قوله تعالى (وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم) وقوله تعالى هنا (قالت نملة يا أيها النمل الخ) .

وانى الآن أذكر هنا حكاية عن الخيول رأيتها فى احدى المجلات . وهى أن رجلا أمريكيا اسمه (لويس) قد لازم الخيل وعاش معها وآكلها ست سنوات منذ العاشرة من عمره حتى صارت رائحته كرائحتها ، وأحلامه كأحلامها وكان يكلمها ويحادثها ويستمتع برائحتها وأصواتها ومنظرها ومداعبتها . وكان يذهب الى معارض سباق الخيول وكان كلما مر به حصان نظر اليه نظرة المتسائل فيلتفت اليه الحصان ويتلع عنقه ، ويرد اليه نظرة ثم يهمهم له فيفهم منه أنه قوى سيسبق ، أو ضعيف سيتأخر ، وكان يخبر بذلك الحاضرين فيظهر صدقه بعد نهاية السباق . وفى بعض المسابقات كانت خيول الشوط ثمانية فكلم لويس ستة منهم وهم راكضون فردوا عليه بجمجمتهم فسأله بعض الحاضرين عما قاله هؤلاء الخيول . فقال ان الجواد رقم واحد يقول أنه يتلهف على السبق الا أن راكبه لا يحسن الركوب ، والجواد رقم (٢) يقول انه لا يمكن أن يربح لمرض فى رجله ، والجواد رقم (٣) يقول : انه ثائر كالنار المشتعلة وانه مستعد أن يسبق كل الجياد ، والجواد رقم (٤) يقول انه لا يهمه أن يفوز أو يخسر ، والجواد رقم (٥) يقول ان ظهره يؤلمه أشد الألم ، والجواد رقم (٦) يقول انه يشعر أنه فى حالة جيدة ، غير أنه يعلم آسفا أن الجواد رقم (٣) سيتغلب عليه . وبالفعل لقد فاز على الجميع الجواد

رقم (٣) بمسافة طويلة ، أما الجـواد رقم (٢) فقد نكص وما وصل النهاية الا وهو يعرج ، وأما الجـواد رقم (٥) فتخاذل وضعف حتى تأخر) انتهى .

وقد ذكر صاحب المجلة حوادث أخرى من هذا القبيل عن لويس هذا لا حاجة لذكرها هنا .

وبالجملة فان مكالمة الحيوانات والطيور ليست من المعجزات وانما هى بالتعليم كما يصرح بذلك قـوله تعالى (علمنا منطق الطير) أى تعلمناه تعلما .

ثم انه لا يبعد أن يكون للحيوانات نفوس ناطقة تفهم دقائق الأمور كما يظهر ذلك فى كلاب الأثر والنحل والنمل ، كما يدل على ذلك أعمالهم الغريبة وكما يشعر بذلك القرآن والحديث وان كانت مداركهم أقل من مدارك الانسان .

ولكن المحققين على أنه ليس للحيوانات نفوسا ناطقة بحيث تقدر على الاستدلال والاستنتاج وفهم دقائق الأمور التى تتعلق بالانسان حتى يمكنها أن تتناظر معه وتناقشه وتسأله وتجيب كما فى ظاهر حكاية الهدهد مع سليمان . وسيأتى أنى أفسر آيات الهدهد بغير ما يقوله المفسرون .

ويحتمل أن يكون قوله (علمنا منطق الطير) كناية عن كثرة العلم والحكمة وفصاحة المنطق كما يقال فلان يناغى الطيـور أى يعلم دقائق الأمور حتى ما تنطق به الطيور ، ولذلك عطف الله عليها عطف تفسير قوله (وأوتينا من كل شىء) فتكون هذه الآية الثانية مفسرة للأولى ، مبينة المراد منها .

ما قاله المفسرون . وما أقوله فى معنى حشر الجنود لسليمان من الجن والإنس والطير

ثم قال تعالى (وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون) . قال المفسرون : كان يـوضع لسليمان ثلاثمائة ألف كرسى فيجلس مؤمنى الانس مما يليه ومؤمنى الجن من وراءهم ثم يأمر الطير

فتظله ، ثم يأمر الريح فتحمله فيمرون على السنبلة فلا يحركونها ، وكان معسكره مائة فرسخ خمسة وعشرون للانس ، وخمسة وعشرون للجن ، وخمسة وعشرون للوحش ، وخمسة وعشرون للطير وكان له بساط من ذهب ، وابريسم فرسخا فى فرسخ ، ومنبره فى وسطه من ذهب فيصعدعليه وحوله ألف كرسى من ذهب وفضة فتقعد الأنبياء على كراسى الذهب ، والعلماء على كراسى الفضة ، وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر الى غير ذلك من الأقاويل التى ليس لها أى مستند من الأسانيد لا من القرآن ولا من غيرها الا القال والقيل مما لا يليق أن يفسر به القرآن الحكيم .

وأنا أقول أن لفظ الأنس جزء وقسم من لفظ الانسان ، فكذلك معناه يحتمل أن يكون قسما من معنى الانسان أيضا ، والقسم الآخر منه هو الجن ، فالمراد من الانس كما فى كتب اللغة هو ما يؤنس به ، ويسكن اليه القلب ولا ينفر منه بحيث يكون أمر باطنه كظاهره مرئيا معروفا مبصرا ، ومن هذا المعنى قوله تعالى (انى آنست نارا) أى رأيت وأبصرت نارا ، وأما الجن فهو فى اللغة ما اختفى أمرهم واستتر كأصحاب الجاسوسية وذوى الأعمال الدقيقة الخفية لأنه مأخوذ من (جن) اذا اختفى واستتر ، ومنه (الجنين) لأنه مختفى فى بطن أمه ، ومنه المجنون لأن عقله اختفى ، ومنه (الجنة) لأن أرضها استترت بالأزهار والأشجار والزرع . وبالجملة فان الانس صنف من الانسان وهم أهل الانس وذووا الأعمال الظاهرة ، والجن صنف آخر منه وهم أهل الخفاء وذوا الأعمال المستورة الدقيقة . ولا أعنى بذلك أن الجن لا يكونون الا من الانسان ولكنى أعنى أنهم قد يكونون من الانسان كما هنا ، وقد يكونون من غيره كما فى آيات أخرى . والطير هو ما يطير على جناح السرعة والمراد به هنا أصحاب البريد وأرباب المراسلات السريعة التى تلزم للجيش .

والمعنى أنه حشر لسليمان جميع أصناف جنوده اللازمة فى الحرب من انس محاربين ومن جن يعملون الأعمال الجاسوسية الخفية ونحوها من سائر الأعمال الدقيقة اللازمة للحرب وغيرها . كما قال تعالى فى سورة سبأ (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات) وكما يعمل بعض الحذاق من العمال لبعض الدول العظام من المخترعات الحربية الحديثة وغيرها بصورة سرية خفية فى نفق وسراديب فى جوف الأرض لئلا يعلم بها باقى الدول الأخرى فيعملون مثلها .

وحشر لسليمان الطير أى الذين يسرعون جدا كالطير فى ايصال المراسلات السريعة الى أربابها أى ولو كانوا طيورا حقيقية كالحمام الزاجل الذى يستخدمه كثير من الدول الآن فى ايصال الرسائل فلا مانع أن الهدهد كان واسطة فى ايصال الرسائل بين سليمان وبلقيس أو بينه وبين سفيره أو جاسوسه فى مملكة سبأ كما سيأتى .

وقوله (فهم يوزعون) أى أن كل صنف منهم قد أصبح يهتم ويدير الأمر الذى نيط به كما هو فى القاموس وغيره من كتب اللغة من أن (وزع) كما أنه يأتى بمعنى منع وحبس فانه يأتى أيضا بمعنى (دبر أمر الجيش) .

ما قاله المفسرون فى أمر النملة مع سليمان وجنوده وما أقوله فى ذلك

ثم قال تعالى : (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِى النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا) قال المفسرون ان النملة قد عرفت سليمان وكلمته كلاما حقيقيا بصوت مرتفع حتى سمعه سليمان وكانت المسافة بينه وبينها ثلاثة أميال . وقالوا أيضا انه طلبها وتحادث معها ووعظته بعظات كثيرة لا حاجة لذكرها هنا مما يستبعد حصولها حقيقة كل عاقل اذ النملة وغيرها من سائر الحيوانات ليس لها قوة عقلية ناطقة يمكنها أن تفهم

مقاصد الانسان وأغراضه وأعماله وأقواله حتى تتحدث معه فيها وتجيبه عليها لأن ادراكها قاصر على ما يلزم لها فى مقومات حياتها ، فأين مداركها من مدارك الانسان حتى تتكلم معه حقيقة وتناقشه ، وتسأله ، وتجيبه ، وتعظه ، بل تعظ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

ولذلك فانى أقول يحتمل أن يكون معنى هذه الآية ان النمل كان سائرا ومتجها فى الجهة التى فيها جيش سليمان ، فلما رأى النمل هذا الجيش الكثير الذى اذا مر عليه داسه وحطمه فقد رجع الى مساكنه وهذا أمر مشاهد من كل حيوان سواء كان نملا أو غيره ، فان الله تعالى قد أعطى كل حيوان ادراكا يتقى به ما يضره ويتحذر به من كل ما يؤذيه . فلما رأى سليمان أن النمل حينما شاهد الجيش متجها نحوه رجع الى مساكنه تبسم ضاحكا من لسان حال رئيسة النمل القائلة لباقى النمل حسب ما يتفاهمون مع بعضهم بعضا (ارجعوا الى مساكنكم) فتبسم سليمان انما كان من رؤية عمل هذا النمل الذى يدل على شدة حذرهم وكثرة حرصهم ، واتقاءهم للشر قبل أن يقع مما لا يقدر عليه كثير من الحيوانات الأخرى . واطلاق القول على غير الكلام اللفظى كثير فى القرآن كقوله تعالى (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ) اذ أن الشيطان انما يوسوس وسوسة ولا يقول كلاما لفظيا .

ويحتمل أن تكون هذه الآية جازية مجرى العظة والتمثيل من اجراء الكلام على لسان الحيوانات أو الطيور ليتعظ بها الانسان الذى يجب أن يكون احذر منها بسبب ما رزقه الله من العقل الكامل بالنسبة اليها ، وأن يكون ذلك تنبيها لسليمان فى سفره هذا بأن يتجنب فيه طرق المهالك ، وأن يتحذر فيه من المخاطر كما تجنب وتحذر منها هذا النمل الذى وجده فى طريقه ، فتكون عظة النمل لسليمان انما هى عظة بلسان الحال . ومما يدل على أن ما قلته فى هذين التفسيرين هو المراد من هذه الآية قول سليمان بعدها (وقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ) أى بتنبيهك اياى وتحذيرى من المخاطر بالهامك هذا النمل فى طريقى

أن يعمل هذا العمل لأتذكر به ما يجب آن أتحذر منه وليدلنى أن جيشى سيكون ظافرا ، وأن من يعارضه يكون كهذا النمل مدبرا . ومما يدل على ذلك أيضا قوله بعدها (وأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) فإن هاتين الآيتين يكون لهما موقع حسن على تفسيرنا ولكن على تفسير المفسرين لا يكون لهما أى مناسبة لما قبلهما ولذلك تحير المفسرون فى ربط هذه الآيات بعضها مع بعض .

ما قاله المفسرون فى شأن الطير والهدهد مع سليمان

وما أقوله فى ذلك

ثم قال تعالى : (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ). قال المفسرون أن سليمان تفقد الطير ليظله من حر الشمس فى سفره وبحث عن الهدهد لأنه يرى الماء فى باطن الأرض فينفعه فى هذا السفر . أقول ولكن يبعد هذا أن الهدهد لا يرى الفخ المدفون له فى ظاهر الأرض ، فكيف يرى ما فى باطنها العميق ؟ وان الملك العظيم كسليمان لا يعجزه أن يعمل مظلة له من الشمس بدلا من الطير ، وقالوا فى معنى (لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه) أى لأعذبنه بنتف ريشه وقيل بحبسه فى القفص وقيل بالتفريق بينه وبين الفه ، وقيل بجمعه مع غير جنسه وقيل بخدمته أقرانه أو لأعدمنه الحياة بالمرة بذبحه ، وقالوا فى معنى (أو ليأتينى بسلطان مبين) أى ببرهان وحجة تبين عذره فى غيابه بحيث أقتنع بها .

أقول أن كلام المفسرين هذا انما يقال لو كان الهدهد عاقلا مكلفا حتى يستحق العذاب عند الغياب أو الذبح عند المخالفة وحتى يمكنه أن يقيم الحجة ويبين البرهان ويقنع الخصم . ولكن ماذا نقول فى حيوان أعجم لا يفهم هذا ولا يقدر عليه وليس مكلفا عند الله بشىء منه ، فهل يجوز لنا أن نقول أن سليمان كان ظالما حتى يعاقب الحيوان الأعجم ، أو هل كان سليمان ساذجا بهذه الدرجة حتى يهدد حيوانا بمثل هذه

التهديدات ويتوعده بمثل هذه الوعود . ان هـذا الأمر اذا أخذ على ظاهره كما يقول المفسرون لغريب جدا فى بابه .

ولذلك فانى أفهم فى هذه الآيات احتمالا آخر غير ما قاله المفسرون وهو أن المراد من الهدهد انما هو انسان له فى الجيش وظيفة استحضار الأخبار وتبليغها ، ولما كانت هذه وظيفته فقد أراد أن يعمـل حسب ما تقتضيه هذه الوظيفة ، ولكنه ذهب الى ذلك بدون علم من سليمان فتفقده سليمان لأجل هذا العمل ، فلم يجده فتهدده وتوعده بالعذاب أو باعدامه الحياة بالمرة أو ليأتينه بحجة وبرهان تبين عـذره فى غيابه ويقتنع بها سليمان . وانما سمى صاحب هذه الوظيفة بالهدهد تشبيها له به لما فى الهدهد من الخصائص والصفات التى تناسب هذه الوظيفة ، حيث أن الهدهد كما هو مذكور فى كتاب (حياة الحيوان) له خاصية الحفظ والوفاء والود والطاعة التامة ، وانه مكنى بأبى الأخبار ، وأن من وضع لسانه تحت لسان نفسه قضيت حاجته ، وأن من حمل ريشه غلب خصمه وظفر منه بما يريد وهكذا من الخواص والصفات التى أوجبت تسمية صاحب وظيفة استحضار الأخبار بالهدهد وتشبيهه به .

ويحتمل أن تكون مكالمة سليمان مع الهـدهد تمثيلا أى من باب ضرب المثل فى مكالمة الطيور ، والكتب المقدسة كلها طافحـة بضرب الأمثال فى ذلك ونحـوه قال تعالى (ان الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) وقال أيضا (ولقد صرفنا فى هذا القرآن من كل مثل) وقال (وقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) وقال (ويضرب الله الأمثال للناس) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة التى تفيـد أن القرآن كثيرا ما يتكلم بالأشياء ويريد منها أن تكون مثلا لا حقيقة .

ثم قال تعـالى : (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَـبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ) . قال المفسرون ان الهدهد قد أحاط حقيقة علما ومعرفة بما لم يحط به سليمان وقالوا أن فى ذلك تنبيها لسليمان بأن الله تعالى قد أوجد فى أدنى خلقه من أحاط علما بما لم يحط به سليمان

مع فضل نبوته وكثرة علومه وحكمته حتى لا يعجب سليمان بنفسه ولا ينكر على غيره ، فيكون ذلك لطفا من الله بسليمان عليه السلام .

أقول يا للعجب من هؤلاء المفسرين ، كيف جاز لهم أن يجعلوا الحيوان الأعجم أعلم من سليمان الذى هو ملك من الملوك ونبى من الأنبياء فى أمور تتعلق بأحوال الملك ككون سبأ تملكها امرأة ، وأن لها عرشا عظيما وبأمور تتعلق بصفات النبوة ككون عبادة الله الذى يخرج الخبيئة فى السموات والأرض أولى من عبادة الشمس التى زينها الشيطان للناس الى غير ذلك من الأشياء المذكورة فى هذه الآية ، والتى لا يمكن أن يدركها ويفهمها الا عقلاء الناس وفضلاءهم فضلا عن عامتهم وبسطائهم ، فضلا عن الحيوانات العجمى . وكيف يمكن أن يقال أن الهدهد قد علم ذلك كله وان سليمان الملك النبى ما كان يعلمه مع قرب مملكته لمملكة بلقيس ، وكيف أن هذا الحيوان قد فهم هذه الأمور كلها ، وكيف أداها لسليمان ، وبأى صورة بلغها اليه ، وقد اتبع المفسرون فى ذلك حرفية الألفاظ ومشوا على ظاهرها وتركوا الحقائق والمعانى العالية والمقاصد والمرامى البعيدة التى يشير اليها القرآن الحكيم ، ولو طالعت ما قالوه فى هذا الباب ، لرأيت العجاب ، وما يحير الألباب .

ما قاله المفسرون فى عرش بلقيس وفى أقوال الهدهد وما أقوله فى ذلك

ثم قال تعالى حكاية عن الهدهد (إِنِّى وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ ولَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) قال المفسرون ان هذا العرش سرير من ذهب وقوائمه من جوهر ولؤلؤ ، وصفحتاه مرصعتان بالياقوت والزبرجد ، حسن الصنعة ، غالى الثمن ، وانه كان ثلاثين ذراعا فى ثلاثين ، وكان طوله فى السماء ثلاثين ذراعا ، وقيل كان طوله ثمانين وارتفاعه ثمانين ، وكان فيه سبعة بيوت كل بيت له باب مغلق الى آخر ما قالوه فى وصف هذا السرير وكبره وحسن صنعه .

وأنا أقول يحتمل أن المراد من العرش هنا هو عرش المملكة أى

نفس المملكة لأنها تسمى عرشا كما يقال (اعتلى فلان على عرش المملكة) أى صار ملكا عليها ، وان لم يجلس على سرير . والمراد من عرش المملكة كل ما عليه هذه المملكة من سائر الأحوال الشامل لدين هذه المملكة وعبادتها كما سيأتى بيانه مع بيان ان الآيات القرآنية الواردة فى هذا الموضوع انما تنطبق على العرش بهذا المعنى الذى ذكرناه لا على العرش الذى ذكره المفسرون .

ثم قال تعالى حكاية عن الهدهد (وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللهُ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) .

أقول ان الهدهد بمعناه الحقيقى الذى يقول به المفسرون هل يمكن أن يفهم دين مملكة سبأ كما هو صريح هذه الآية ودين قومها ، وأنهم يسجدون للشمس من دون الله ، وان ذلك انما كان بتزيين الشيطان لهم أعمالهم وأنه صدهم عن السبيل ، وانهم لا يهتدون ، وهل يعرف معنى التوبيخ ، ويقدر على اقامة الحجة والبرهان ، بأن العبادة يجب أن تكون لمن يخرج الخبىء فى السموات والأرض ولمن يعلم السر والاعلان ، لا للشمس ولا للشيطان ، وهل الهدهد أكثر علما وأعظم تفكيرا من كثير من الناس الذين يعبدون غير الله حتى الآن . فاذا كان هذا الهدهد كذلك فهو اذن انسان عاقل ورجل كامل فاضل ، وحينئذ فما هو المانع ان يراد به هنا انسان مؤمن موظف للمراسلات السريعة من طرف سليمان ، مشبه بالهدهد فى صفاته وخصاله ، كما قدمنا . وعليه فان هذه الآية تشير الى شيئين .

١ — ان المراد من الهدهد انسان مشبه بالهدهد .

٢ — ان المراد من العرش فى قوله (ولها عرش عظيم) انما هو عرش المملكة الشامل لدينها واعتقادها وعبادتها وسائر أحوالها ، لا العرش بمعنى السرير كما يدل على ذلك قوله فى نفس هذه الآية (الله لا اله الا هو

رب العرش العظيم) . اذ أن عرش الله ليس سريرا ، وانما هو عرش الملك العام الشامل لجميع العالم . فبلقيس لها عرش عظيم ، وسليمان له عرش عظيم ، وكذلك باقى الملوك لهم عروش عظيمة . ولكن الله تعالى له العرش العظيم الشامل لجميع هذه العروش ولذلك ذكر عرش بلقيس فى هذه الآية بصيغة النكرة الدالة على عرش واحد مفرد . وذكر عرش الله محلى (بأل) الدالة على الاستغراق وحينئذ فالمراد من عرش بلقيس المذكور فى الآية الأولى هو ما يكون من جنس العرش المذكور فى الآية الثانية ، والعرش فى الآية الثانية ليس سريرا ، بل ملكا ، فكذلك عرش بلقيس ليس المراد به السرير بل الملك .

كتاب سليمان إلى بلقيس مع الهدهد

وما قاله المفسرون وما أقوله فى ذلك

ثم قال تعالى حكاية عن سليمان مخاطبا للهدهد (قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الكَاذِبِينَ ، اذْهَبْ بِكِتَابِي هٰذا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ، فانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ، قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ، إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ، أَلَا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) .

قال المفسرون ان الهدهد حمل الكتاب وذهب به الى سبأ فوجد بلقيس نائمة فى قصرها ، وكانت اذا رقدت غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وقيل بين ثدييها ، وقيل نقرها فانتبهت فزعة ، وقيل أتاها والقادة والجنود حولها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها ، فألقى الكتاب فى حجرها . وقيل كانت فى البيت كوة تقع الشمس فيها كل يوم ، اذا نظرت اليها سجدت ، فجاء الهدهد فسدها بجناحيه فرأت ذلك وقامت اليه فألقى الكتاب . الى غير ذلك من الأقاويل التى وان كانت ممكنة فى حد ذاتها كما تفعله الدول الآن من ارسال الرسائل بواسطة الحمام الزاجل . الا أن هذا التفسير بعيد من حيث مخاطبة سليمان للهدهد بقوله (سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين) الذى يدل على أن المراد

من الهدهد انما هو انسان يصلح ان يوصف بالصدق والكذب ، ويصلح ان يكون كلامه موضعا للنظر والتفكر فيه ، وقابلا للتعقيب والتنقيب عن صحته وفساده ، وأما قوله (إِذْهَبْ بِكِتَابِي هٰذا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ) فإن التعبير فيه بالالقاء لا يدل على أن حامل الكتاب كان طيرا حقيقيا لاحتمال أن يكون ذلك لأجل كونه من أعلى وهو سليمان الى أقل منه وهى بلقيس كما يقال ألقى السلطان الى الوالى كذا وكذا ، وقوله (ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ) دليل أيضا على أن حامل الكتاب انما هو انسان يمكن ان يتعلم الآداب ويمكن أن ينظر ويفهم ماذا يصنعون عند أخذهم الكتاب .

والحاصل أن هناك احتمالين : الأول أن يكون المراد من الهدهد انسانا فيه صفات الهدهد وان ذلك تمثيل كما مر . والثانى ان يكون هدهدا حقيقيا ولكن ليس هو المتكلم حقيقة بما ذكر عنه بل المتكلم به هو الكتاب الذى يحمله أى ان سفيرا مثلا لسليمان كان فى مملكة سبأ ، وكان قد أرسل له كتابا فيه كل ما مر ذكره ولكنه نسب الى الهدهد لأنه هو الحامل لهذا الكتاب الآتى من انسان عاقل كسفير أو جاسوس لسليمان هناك . كما أرسل سليمان كتابا مع هذا الهدهد الى بلقيس .

وقوله : (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) . قال المفسرون ، المعنى أن الكتاب مصدر بلفظ (بسم الله الرحمن الرحيم) . وأنا أقول ان كلام المفسرين هنا منقوض بما لا حاجة للاطالة فى بيانه ولذلك فانى أفهم فى هذه الآية فهما آخر وهو أن المعنى ان هذا الكتاب مرسل من سليمان ومرسل باسم الله أى على اسم الله حيث يدعونا فيه سليمان الى الايمان بالله وتوحيده والسجود اليه وأن نترك السجود للشمس وهذا كما يقال أن الوالى فعل كذا باسم السلطان وبأمره ، وتفسير الآية بهذا المعنى أعظم وأجسم وأوفق بمعنى الآية من تفسيرها بكون الكتاب كان مصدرا (بالبسملة) كما يقول المفسرون ، وقوله

(قالت ياأيها الملأ أفتونى فى أمرى) الى قوله تعالى (ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) هو كلام ظاهر لا يحتاج الى بيان .

عرش بلقيس وإحضاره إلى سليمان بواسطة الجن

قبل أن يقوم من مقامه أو قبل أن يرتد إليه طرفه

وما قاله المفسرون وما أقوله فى ذلك

ثم قال تعالى : (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ، قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ، فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ، قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) .

قال المفسرون ان بلقيس لما علمت أن لا طاقة لها بقتال سليمان لأنه نبى ورسول جهزت نفسها للمسير اليه وجعلت عرشها أى سريرها فى آخر سبعة بيوت بعضها فى جوف بعض فى آخر قصر من قصورها ، وغلقت الأبواب ووكلت به حراسا يحفظونه ، وتوجهت الى سليمان فى أقيالها وأتباعهم ، وأرسلت الى سليمان أنى قادمة عليك بملوك قومى حتى أنظر ما أمرك ، وما تدعو اليه من دينك ، فلما كانت على فرسخ من سليمان قال سليمان أيكم يأتينى بعرشها من مكانه قبل أن يأتونى مسلمين أى منقادين خاضعين . واختلف فى عرض سليمان من احضار ذلك العرش فقيل ليظهر لها قدرة الله الدالة على صدق نبوته ، وقيل لأجل أن يختبر قوة عقلها هل تعرف سريرها بعد تنكيره أم لا ، وقيل لأجل أن يستحوذ عليه لعظم قيمته قبل اسلامها حيث لا يحل له امتلاكه بعد اسلامها . وقالوا أن العفريت من الجن هو الخبيث المارد من الجان واسمه صخر ، وقيل ذكوان وانه قال (أنا آتيك به قبل أن تقوم (حقيقة) من مجلسك هذا . وقالوا ان الكتاب فى قوله (وقال الذى عنده علم من

الكتاب) هو اللوح المحفوظ أو كتاب الأنبياء ، وان القائل العالم بالكتاب هو آصف ابن برخيا وانه أتى به قبل أن يرتد (حقيقة) اليه طرفه أى بصره الى آخر ما قاله المفسرون من كلام لا يكاد أن يكون معقولا أصلا مما لا حاجة للاطالة فى بيان ضعفه .

وأنا أقول ان قوله تعالى (إِرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ) صريح تمام الصراحة فى أن سليمان هو الذى قد ذهب اليهم بجنود لا قبل لهم بها وانه أخرجهم من ديارهم بعد وصوله اليها وهذا عكس ما قاله المفسرون من أن بلقيس هى التى ذهبت الى سليمان . فياليت شعرى من أين فهموا عكس ما تدل عليه هذه الآية ، فان كانوا قد فهموه من قوله تعالى (أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) فهذا لا يدل على أنه لم يذهب اليهم لاحتمال انه قال ذلك الكلام بعد وصوله الى ديارهم ، وقبل ان يأتوه مسلمين منقادين على أن قوله (قبل أن يأتونى مسلمين) متأخر فى الذكر عن قوله (فلنأتينهم الخ) فهل كانت الآية الثانية ناسخة للأولى أو مناقضة لها ، وهل هناك سبب يدعوهم الى القول بعكس ما يدل عليه القرآن الا القيل والقال عن وهب ابن منبه وعن عبد الله بن شداد ، وعبد الله ابن سلام .ونحوهم وهل يجوز لهم أن يجعلوا الكلام الذى لا سند له ولا دليل عليه مقدما على صريح القرآن الحكيم . ان هذا والله لشىء عجاب .

وأقول أيضا أن العفريت من الجن يحتمل أن يراد به الرجل المقتدر على الأعمال العجيبة بأسباب دقيقة خفية ، وان الكتاب فى قوله (علم من الكتاب) المراد به كتاب الوجود ولوح الكون وما جريات الأمور وسنن الله فى الخلق أى كتاب الحقيقة وليس المراد به اللوح المحفوظ أو كتاب من كتب الأنبياء كما يقول المفسرون . ولو كان آصف ابن برخيا يعلم ذلك لكان سليمان أولى منه بهذا العلم لأنه نبى . وان قوله (قبل ان تقوم من مقامك) كناية عن شدة السرعة وأن قوله (قبل

أن يرتد اليك طرفك) كناية عن ما هو أسرع من الأول وليس المراد المعنى الحـر فى الحقيقى لذلك ، وتطيره فى القرآن قـوله تعالى النحل ٧٧ (وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقـرب) اذ أن الساعة ليست كلمح البصر حقيقة فالمراد فى الجميع كثرة السرعة والمعنى حينئذ ان سليمان بعد أن وصل بجنوده الى مملكة بلقيس وخيم حولها وبعد أن عرف ان بلقيس حينما شاهدت هـذه الجيوش لا بد وان تسلم هى وجنودها . وأن يأتوا اليه منقادين خاضعين بلا حرب ، قال للملأ من قومه (أيكم يأتينى بعرشها) أى ايكم يأخذ مملكتها منها بالحرب والقوة قبـل أن تسلم الينا حتى اكون صادقا فيما بلغته اليها حينما أرسلت لها الكتاب بأنى لا بد من أن اخرجهم من ديارهم أذلة وهم صاغرون . اذ لو أتوا الينا منقادين بلا حرب لا نكون قـد حققنا وعيدنا لهم من اخراجهم أذلة . ولأنه يوجد فرق كبير لنا بين حكم البلاد اذا أخذناها بالحرب وبين حكمها اذا أخذناها بالسلم . فقال عفريت من الجن أى قائد من قواده المقتدرين الذين يعملون الأعمال الحربية الغريبة ، أنا آتيك به ، أى أنا أحاربهم وأغلبهم وآخذ ملكهم واستلم عرشهم قبل ان تقوم من مقامك أى فى مدة يسيرة لا يظن أن أحدا غيرى يمكنه أن يفعل ذلك فقال الذى عنده علم من الكتاب أى احذق قائد من قـواده الذين لـه علم واختـبار بما جريات الحرب ودقائقه ، وله تجارب عديدة عرف بها كيف يتمكن من التغلب على الأعداء بغاية ما يمكن من السرعة . قال أنا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك أى فى مدة أقل جدا من المدة التى يمكن للقائد الأول أن يأتيك به فيها وبالفعل قـد حصل ذلك وأخذ بلادها بالحرب والقوة وحقق قـوله لهم على لسان رسوله (لنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) (فلما رآه مستقرا عنده) أى لما رأى مملكة بلقيس وعرشها قد أصبح فى حوزته وتحت تصرفه ، ومستقرا عنده قال (هذا من فضل ربى) فالتعبير عن ذلك بالاستقرار مبالغة فى شـدة التمكن من هـذه المملكة كأنها متاع وضع بين يديه لأنه أخذ بالقوة والحرب وما أخذ بالقوة يكون

أقوى فى الاستقرار مما أخذ بالسلم الذى قد يكون فيه نوع من الحيلة والمخادعة والذى يجعل للمغلوبين حق التدخل فى الادارة والأحكام.

ويحتمل أن يراد بعرشها هودجها التى ركبت فيه أثناء الحرب لأن العرش فى اللغة يطلق على هودج المرأة وعلى كل مسقف كالعريش كما هو صريح كتب اللغة، وحيث ان هذا العرش أى الهودج كان موجودا معها فى مكان الحرب القريب من مكان سليمان فلا غرابة من كون أحد حذاق القواد يأتى به بسرعة من هذا المكان القريب.

معنى تنكير العرش لبلقيس لمعرفة أتهتدى أم لا

وما قاله المفسرون وما أقوله فى ذلك

ثم قال تعالى (قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ) . قال المفسرون أى اجعلوا العرش أى السرير منكرا مغيرا لئلا تعرفه اذ لو بقى على حالته لعرفته، ولما أمكن امتحان قوة عقلها بذلك وكان غرض سليمان ان يعرف ثبات عقلها لأجل ان يتزوجها حيث أن الناس قد طعنوا فى عقلها وقالوا لسليمان أنها ناقصة العقل. انتهى ملخص كلام المفسرين.

وأنا أقول أن هذا الكلام بعيد جدا اذ على فرض صحة ذلك فان تنكير العرش لا يخلو اما أن يكون بتبديل قوائمه وبعض اجزاءه أو بتبديل شكله وهيئته. فان كان الأول فلا يكون هو نفسه عرش بلقيس، وان كان الثانى فلا يمكن ان تصل البلاهة والغفلة بملكة من الملوك ألا تعرف سريرها وهو بنفس اجزاءه اذا تغيرت هيئته وشكله فقط. وعلى كل حال فان كلاما كهذا لا يليق أن تفسر به آيات القرآن الحكيم.

ولهذا فانى أقول المراد من عرشها عرش المملكة ومعنى (نكروا لها عرشها) أى بينوا لها مناكره واظهروا لها معايبه اى افهموها ما يستنكر من هذا العرش القائم على عبادة الشمس لعلها تهتدى الى الله تعالى فالمراد من التنكير هنا تبيين منكرات الشىء أى بينوا لها الأمور المستنكرة

فى مملكتها كعبادة الشمس والسجود اليها وترك عبادة الله بحيث تجعلوه منكرا فى أعينها ببيان بطلانه بالاقناع والحجة (تنظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون) أى لننظر بعد ذلك البيان والاقناع هل تهتدى الى الايمان بالله تعالى وتوحيده وعبادته أم تكون من الذين لا يهتدون ببقاءها على حالتها الأولى وعدم اصغاءها للنصائح وعدم رجوعها عن تلك المناكر ، فالتنكير معناه هنا الاستنكار أى بيان أن هذا الشيء منكر .

ومما يؤيد تفسيرى هذا قوله تعالى فى الآية التى بعدها (وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ ، إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ) فإنها صريحة فيما نقول بعيدة كل البعد عما يقول المفسرون ، اذ أى مناسبة وأى علاقة بين كونها كافرة مصدودة عن الايمان بالله بسبب كونها تعبد غيره وبين تغير شكل سريرها ، ثم معرفتها له بعد تغييره أو عدم معرفته . اللهم ارزقنا هداية نفهم بها كلامك الحكيم . وأيضا على تفسيرنا يظهر معنى واضح لقوله تعالى (تنظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون) لأن معنى الهداية له مناسبة قوية بعبادة الله ، وعدم عبادة الشمس ولكن لا مناسبة قوية له بتعرفها على سرير أو عدم تعرفها عليه .

ثم قال تعالى : (فَلَمَّا جاءَتْ قِيلَ أَهٰكَذا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ) . أقول يحتمل ان يكون معنى قوله (أهكذا عرشك) أى ان عرشك ومملكتك هو كما وصفنا لك من الصفات والمناكر التى فيه أم لا . فقالت كأنه هو أى كأنه هو الموصوف وهذا مثل أن تصف لزيد انسانا بصفات يعرفها ثم تقول أهكذا هو فيقول لك كأنه هو أى كان الموصوف هو أو كأنه هو الموصوف .

وأول دليل على صحة تفسيرنا وبعد تفسير المفسرين قوله تعالى فى نفس هذه الآية : (وأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا ، وَكُنَّا مُسْلِمِينَ) ، إذ أى مناسبة وأى ارتباط بين كون سليمان يفتخر بأنه أوتى العلم من قبل بلقيس وانه كان مسلما مؤمنا ، وبين كون سريرها هكذا أو لم يكن هكذا ، ولكن هناك مناسبة كبيرة ، وارتباط قوى بين افتخار سليمان بكونه

أوتى العلم من قبلها وأنه كان مسلما وبين كون بلقيس ومملكتها تعبد الشمس وتسجد اليها من دون الله تعالى . ويحتمل أن يكون المراد أنه لما جاءت أتوا لها بخريطة مملكتها وقالوا لها أهكذا عرشك ومملكتك أى على هذه الصورة وطبق هذه الخريطة قالت كأنه كذلك وهذا الاحتمال يناسبه أيضا قول سليمان (وأوتينا العلم من قبلها) أى أوتينا علم مملكتها وصفتها ومقدارها وعدد بلدانها من قبل أن تأتى هى هنا فنعرف ذلك منها.

ثم قال تعالى : (وَصَدَّهَا ما كانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ إِنَّهَا كانَتْ مِنْ قَوْمٍ كافِرِينَ) أى صدها عن عبادة الله التى يدعوها اليها سليمان ومنعها من الاصغاء اليه ما كانت عليه من عبادة غير الله تعالى أى أن العادة التى ألفتها ودرجت عليها منعتها من التفكر فى الأمر فى عبادة الله حيث أنها كانت من قوم كافرين أى فظهر أنها من الذين لا يهتدون المذكور فى قوله تعالى قبلها (ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون) وحينئذ فالاهتداء فى الآية وعدمه متعلق بالايمان والكفر وبعبادة الله وعدمها لا بمعرفة أن هذا سريرها أم لا كما يقول المفسرون . فهذه الآية من جملة الأدلة على قرب تفسيرنا وبعد تفسيرهم كما قدمنا .

الصرح الممرد واللجة وكشف الساق

وما قاله المفسرون وما أقوله فى ذلك

ثم قال تعالى (قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها ، قال انه صرح ممرد من قوارير قالت ربى انى ظلمت نفسى واسلمت مع سليمان لله رب العالمين) .

قال المفسرون الصرح هو القصر وذلك ان سليمان عليه السلام أمر قبل قدومها أن يبنى له فى طريقها قصر من زجاج كالماء بياضا ثم أرسل الماء تحته وألقى فيه السمك وغيره ، ووضع سريره فى صدره فجلس عليه ، وعكف عليه الانس والجن والطير ، وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره وبالنظر لكون الجن قد كرهوا أن يتزوجها لئلا تفضى اليه بأسرارهم لأنها كانت بنت جنية ، وخافوا أيضا ان يولد له منها ولد

فتجمع فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك أشد ولذلك قالوا الى سليمان أن فى عقلها نقصا ، وانها شعراء الساقين ورجلها كحافر حمار . فاختبر سليمان عقلها بتنكير سريرها واتخذ الصرح ليعرف ساقها . ومعلوم من حال الزجاج الصافى أنه يكون كالماء فلما أبصرته ظنته ماء راكدا ، فكشفت عن ساقيها لتخوضه فاذا هى أحسن الناس ساقا وقدما ، وقيل انه وجدها شعراء فدعى الانس وقال لهم ما يذهب هذا قالوا له المواسى . فكره سليمان استعمال المواسى ثم دعا الجن فقالوا له مثل ذلك ثم دعى الشياطين فوضعوا له النورة أى الزرنيخ ليذهب الشعر وقالوا فى قوله تعالى (رب انى ظلمت نفسى) أى أنها عجبت مما رأته وقالت انى ظلمت نفسى بظنى السوء بسليمان حيث توهمت أنه يريد اغراقى فى اللجة . وقالوا فى قوله (وأسلمت لله رب العالمين) ان هذا تجديد لاسلامها على أتم وجه باعترافها بألوهيته تعالى لجميع العالمين . انتهى ملخص كلامهم .

أقول ان هذا الكلام لا يليق أولا أن يفسر به كتاب الله تعالى . (وثانيا) لا يليق بسليمان ان ينزل بعقله وملكه ونبوته الى ما فى هذه الحكاية من أمور طفيفة سخيفة . (ثالثا) ان هذه الآيات على تفسيرهم لا تكون متلائمة مع بعضها اذ لا مناسبة ولا ارتباط بين اسلام بلقيس لله تعالى وايمانها به وترك عبادة الشمس ، وبين حوادث هذه الحكاية التى لا يستوجب شىء فيها ترك دينها التى كانت عليه . وحينئذ فالأحسن أن تفسر هذه الآيات بأمور دينية وبراهين عقلية تستوجب اسلامها لله ، وعبادته دون عبادة الشمس .

ولذلك فانى أقول فى معنى قوله تعالى (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ) أى صرح الدين الالهى ، وانما سمى صرحا لأن الصرح فى اللغة هو البناء الشامخ العالى الواسع العظيم ولما كان دين الله كذلك فقد شبه بالصرح لتمام المشابهة بينهما فى ذلك . أى ادخلى فى دين الله تعالى الذى هو فى القوة والمتانة كالصرح وابحثى فيه بحثا دقيقا لتعلمى وتتحققى أنه حق

ام باطل ، فكشفت عن ساقيها أى شمرت عن ساقيها واجتهدت واستعدت لأجل البحث والنظر والمجادلة ، فكشف الساق والتشمير عنه المشعر بالاستعداد للجرى والقفز انما هو كناية عن الاستعداد الى البحث والنظر والقفز من حالة الى حالة أخرى . فلما رأته ونظرت فيه حسبته لجة أى بحرا خضما يستوجب كثرة المناظرة ، ويستلزم شدة الجدال .

قال لها سليمان : (إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ) ، أى إنه دين صافى ناعم ملس ، سهل ، لطيف ، واضح ، ظاهر ، نير ، كأنه زجاج ، لايحجب ما وراءه ولا يحتاج الى مناظرة وجدال ، ولا الى بحث ونضال ، ولا الى منازعة وشقاق ، ولا الى تشمير ساق . وحينما تحققت ذلك بالأدلة الظاهرة والبراهين النيرة . (قالت رب انى ظلمت نفسى) بما كنت عليه من عبادة غيرك (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) أى آمنت بك كما آمن سليمان حيث ظهر لى أنك رب العالمين جميعا بما فيهم الشمس وغيرها مما يعبد من دونك . فأنت وحدك الذى يستحق العبادة والخضوع والسجود . هذا ما أراه وأفهمه فى تفسير هذه الآيات ، وهذا التفسير أليق بكتاب الله تعالى وأحسن بكثير من تفسير المفسرين لوجوه : —

١ — لأن هذه الآيات على تفسيرنا تكون منسجمة المعنى متناسقة مربوطا بعضا ببعض من أول هذه القصة الى آخرها بخلافه على تفسير المفسرين فانك تجد أن معنى آية منها فى الشرق ، ومعنى الآية الأخرى فى الغرب كأنه لا ارتباط بينها فى المعنى ولا اتصال . ولذلك فان المفسرين لم يتكلموا قط فى بيان ارتباط هذه الآيات بعضها مع بعض لأنهم وجدوها على تفسيرهم غير قابلة للارتباط والتناسب .

٢ — لأن القرآن الكريم انما يقص القصص لأجل أن يعتبر الناس بها فى أمورهم ويتعظوا منها فى دينهم ، ويعملوا مثلها ، ولكن اذا كانت أحاجى والغازا وأمورا خارجة عن طور العقل ، فكيف يمكن الاتعاظ والاعتبار بها ، وجعلها مثلا ومبدأ للناس يمشون عليه فى اعتقاداتهم وأعمالهم ، وحينئذ فتفسير القصة بما هو معقول ومقبول يكون أوفى

بالغرض المقصود من القصة من تفسيرها بالأحاجى والالغاز والمعانى التى لا تكاد تفهم ولا تعقل .

٣ — لأن القرآن هو أبلغ كلام وأفصحه ، فلو عبر عن هذه القصة وغيرها بالألفاظ العادية التى لا استعارة فيها ولا كناية ، ولا تشبيه ولا تمثيل لا يكون فيها شىء من البلاغة والفصاحة ولا من الرونق والبهجة ولكن التعبير عنها بمثل هذه الألفاظ المجازية التى تستلفت النظر والفكر ، وتشغل العقل واللب يكون أوقع فى النفس وأشهى للتفكر والنظر ، وأوسع مجالا للعقل وأبلغ وأفصح فى الكلام ، وعلى كل حال فالله اعلم بمراده .

البحث السادس عشر

سليمان وهاروت وماروت والشياطين والسحر

ما قاله المفسرون فى ذلك وبيان ضعفه

قال تعالى فى سورة البقرة ١٠٠ : (أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ وَلَمَّا جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الذينَ أُوتُوا الْكِتابَ كِتابَ اللهِ وَراءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ واتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمانَ وما كَفَرَ سُلَيْمانُ وَلٰكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وماروتَ وما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلّا بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ ما يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَراهُ ما له فى الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ ما شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا واتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ) .

اختلف المفسرون فى معنى هذه الآيات فقال بعضهم فى معناها أى انه لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا للتوراة التى فيها ذكره ووصفه وعلاماته نبذ فريق من اليهود كتاب الله وهو التوراة وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ما فيه واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان أى ما كانت تتلوه فى عهده من السحر والأعمال الغريبة أى انه لما ظهر الرسول عارضوه بالتوراة فلما وجدوه مصدقا لها نبذوا التوراة وأخذوا بما كانت

تتلوه الشياطين على النـاس فى عهد سليمان من أقـوال السحر حتى يعارضوا بها ما جاءهم به محمـد صلى الله عليه وسلم . وانما نسبوا الأعمال الى سليمان لأن الله تعالى لما سخر اليه الجن ظنوا أن ملكه لم يقم الا بالسحر والأعمال الغريبة ولذلك كانوا ينكرون نبوته ويعتقدون انه ملك فقط وأنه عبد الأوثان اطاعة لبعض زوجاته الوثنيات فأراد الله تعالى ان يبرئه مما نسبه اليه اليهـود بقوله (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) .

وقـوله (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) عطف على السحر . وما أنزل عليهما هو ما يفرق بين المرء وزوجه وقيـل هو السحر بعينه فالمتعاطفان متحدان ذاتا وان تغايرا مفهوما . وانما انزل الله هذين الملكين وانزال عليهما السحر وما يفـرق بين المرء وزوجه ليعلما ذلك للناس لأسباب :

(أولا) لأجل أن يبتلى الله الناس ويمتحنهم بذلك فمن تعلمه وعمل به فقد كفر ومن تعلمه وابتعد عن العمل به فقد ثبت على الايمان ولله ان يمتحن عباده بما شاء كما امتحن قوم لوط بالنهر على ما قال (فمن شرب منه فليس منى) ومن لم يطعمه فانه منى .

(وثانيا) لأجل أن يعرف الناس الفرق بين السحر والمعجزة حيث كثر السحر فى ذلك الزمن واظهر السحرة أمورا غريبة وقع الشك معها فى النبوة فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلما الناس أبواب السحر حتى يزيلا الشبه ويميطا الأذى عن الطريق ولذلك فانهما كانا يحذران الناس كما قال تعالى (وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر) هذا ملخص ما اتفق عليه جمهور المفسرين فى معنى هذه الآيات .

ولا يخفى ما فى هذا التفسير من الأمـور التى لا تليق بالله تعالى ولا بملائكته وما فيه أيضا من البعد عن معنى هذه الآيات ومقاصدها مما لا يعسر ادراكه على المتأمل .

وقال بعضهم ان قوله تعالى (وما انزل على الملكين ببابل) عطف على

لفظ (ملك سليمان) أى اتبعوا ما تتلو الشياطين افتراء على ملك سليمان وافتراء على ما انزل على الملكين ببابل . ولكن هذا العطف بعيد جدا خصوصا وانه على هذا التفسير يكون معنى هذه الآية مناقضا لصريح قوله فيما بعد (فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) اذ كيف يكون افتراء عليهما وهما يعلمانه حقيقة كما هو صريح الآية .

وقال بعضهم ان لفظ (ما) فى قوله (وما انزل) نافية كما ان لفظ (ما) فى قوله (وما يعلمان من أحد) نافية أيضا أى وما كفر سليمان ولا انزل على الملكين السحر ولا علماه لأحد حتى انهما كانا يحذران الناس من انفسهما ويقولان لهم (انما نحن فتنة) أى امتحان للناس فلا تكفر . وهذا التفسير وان كان حسنا فى ذاته وفيه تنزيه للملائكة من تعليم الأمور المضرة الا انه مخالف لصريح قوله فيما بعد (ويتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) ولان نفى انزال السحر عليهما لا يسلزم نفى ما اثبته الله لهما من تعليم التفريق وهو من الأمور المضرة أيضا التى لا تليق بالملائكة .

وقال بعضهم انه توجد قراءة صحيحة ثابتة عن كثير من الصحابة كابن عباس وغيره بكسر اللام فى لفظ (الملكين) أى ان اللذين كان يتعلم الناس منهما ما يفرق بين المرء وزوجه انما هما ملكان من ملوك أرض بابل هما هاروت وماروت لا ملكين من ملائكة السماء وليس معنى الانزال عليهما انه وحى من الله تعالى لأن لفظ الانزال يستعمل بمعنى الالهام وغيره والالهام يكون للصالح والطالح وللخير والشر . وهذه القراءة وان كان ينحل بها الاشكال الا أنه يبقى الاشكال قائما على قراءة الجمهور المشهورة المتداولة بين العموم .

ما قاله الأستاذ الإمام فى ذلك

قال الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى تفسيره ما نصه (ثم ذكر تعالى ان الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم مجاحدة للنبى (ص) وحسدا له قد تبدلوا الكفر بالايمان واشتروا الضلالة بالهدى واتبعوا

ما تتلو الشياطين من الانس من قصصها وأساطيرها أو من الجن فى وسوستها أو منهما جميعا (على ملك سليمان) أى ما كانت تتلوه على عهده وفى أيام ملكه اذ زعموا ان ملكه قام على أساس السحر والطلسمات وانه ارتد فى آخر عمره وعبد الأصنام مرضاة لنسائه الوثنيات (وما كفر سليمان) وما سحر (ولكن الشيطان) الذين يسندون اليه ما انتحلوه من السحر وما تلبثوا به من الكفر هم الذين (كفروا يعلمون الناس السحر ليفتنوا به العامة ويضلوهم عن طلب الأشياء من أسبابها الظاهرة ومناهجها المشروعة .

هذه الأوهام والاكاذيب على نبى الله سليمان عليه السلام مما افتجره بعض الدجالين من بنى اسرائيل ووسوسوا به الى بعض المسلمين فصدقوهم فى بعض ما زعموه من حكايات السحر وكذبوهم فيما رموا به سليمان من الكفر .

وانك لترى دجاجلة المسلمين الى اليوم يتلون أقساما وعزائم ويخطون خطوطا وطلاسم ويسمون ذلك خاتم سليمان وعهوده ويزعمون انها تقى حاملها من اعتداء الجن ومس العفاريت وقد زعم اليهود ان سليمان سحر ودفن السحر تحت كرسيه وانه اضاع خاتمه الذى كان به ملكه فوقع فى يد آخر وجلس مجلسه للحكم الى آخر ما خلطوا فيه التاريخ بالدجل . وروى عنهم ان سليمان هو الذى جمع كتب السحر من الناس ودفنها تحت كرسيه ثم استخرجها الناس وتناقلوها . ولا شك أن ما قالوا على سليمان وملكه من خبر السحر والكفر مكذوب افتراه أهل الاهواء وقد قصه الله علينا لنعتبر بما افتراه هؤلاء على الأنبياء وبترجيح فريق من خلفهم الاشتغال بذلك على الاهتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم حتى انهم نبذوا كتابهم الذى بشر به وراء ظهورهم .

وفى قوله تعالى (يعلمون الناس السحر) وجهان (احدهما) انه متصل بقوله (ولكن الشياطين كفروا) أى ان الشياطين هم الذين يعلمون الناس السحر (والثانى) وهو الأظهر انه متصل بالكلام عن اليهود وان

الكلام فى الشياطين قد انتهى عنـد القول بكفرهم . وانتحال اليهود لتعليم السحر أمر كان مشهورا فى زمن التنزيل ولا يزالون ينتحلون ذلك الى اليوم . أى ان فريقا من اليهود نبـذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان . وها هنـا يقول القائل بماذا اتبعوا اولئك الشياطين الذين كذبوا على سليمان فى رميه بالكفر وزعمهم ان السحر استخرج من كتبه التى كانت تحت كرسيه فأجاب على طريق الاستئناف البيانى (يعلمون الناس السحر الخ) ونفى الكفر عن سليمان والصاقه بالشياطين الكاذبين ذكر بطريق الاعتراض فعلم أيضا انهم اتبعوا الشياطين بهذه الفرية أيضا .

ثم قال تعالى (وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) وفى لفظ (الملكين) قراءتان فتح اللام وكسرها فالأولى قراءة الجمهور والثانية قراءة ابن عباس والحسن وأبى الأسود والضحاك وحمل بعضهم قراءة الفتح على قراءة الكسر ويؤيده ما قيـل من أن المراد بهما داود وسليمان عليهما السلام وقيـل بل هما رجلان صاحبا وقار وسمت فشبها بالملائكة وكان يؤمهما الناس للحوائج الأهلية ويجلونهما أشد الاجلال فشبها بالملوك ولعـل الله تعالى سماهما ملكين (بفتح اللام) حكاية لاعتقاد الناس فيهما أو ان اطلاق لفظ الملكين عليهما مجاز .

ثم قال تعالى (وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر) أى ان ما عندنا هو أمر يبتلى به الله الناس ويختبرهم فـلا تتعلم ما هو كفر فان اصر علماه (فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) أى انهم كانوا يتعلمون منهم ما وضع لأجل التفريق بين الزوجين وهو نحو ما يسميه الدجاجلة الآن (كتاب البغضة) وليس فى العبارة ما يدل على ان ما يتعلمونه لهـذا الغرض هو مؤثر فيه بطبـعه أو بسبب خفى أو بخارقة لا تعقل لها علة ولا أنه غير مؤثر . وليس فيها بيان لما يتعلمونه هل هو كتابة تمائم أو تلاوة رقى وعزائم أو اساليب سعاية أو دسائس

تنفير ونكاية أو تأثير نفسانى أو وسواس شيطانى وأى شىء من ذلك ثبت علما كان تفصيلا لما اجمله القرآن .

(وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله) أى انهم ليس لهم قوة غيبية وراء الأسباب التى ربط الله بها المسببات فهم يفعلون بها ما يوهمون الناس انه فوق استعداد البشر وفوق ما منحوا من القوى والقدر فاذا اتفق أن أصيب أحد بضرر من اعمالهم فانما ذلك باذن الله أى يسبب من الأسباب التى جرت العادة بأن تحصل المسببات من ضرر ونفع عند حصولها باذن الله تعالى .

ثم قال تعالى بعد نفى القوة التى وراء الأسباب عنهم (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) ولقد صدق الله تعالى فاننا نرى منتحلى السحر وما فى معناه أفقر الناس واحقرهم ولو عقل السفهاء الذين يختلفون اليهم يلتمسون المنافع لأنفسهم والايقاع باعدائهم لعلموا أن الشقى فى نفسه لا يمكن أن يهدى السعادة لغيره لأن فاقد الشىء لا يعطيه . هذه حالهم فكيف يكونون فى الآخرة يوم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون لا جرم أنها تكون حالا سوأى واليهود يعلمون ذلك كما قال تعالى (ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) اى ان من اختار هذا واستبدله بما آتاه الله من أصول الدين والحق واحكام الشريعة العادلة الموصلين الى سعادة الدنيا والآخرة فليس له نصيب فى نعيم الآخرة وذلك ان التوراة قد حذرت عليهم تعليم السحر وجعلته كعبادة الأوثان وشددت العقوبة على فاعله وعلى اتباع الجن والشياطين والكهان (ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون) أى لو أنهم استبدلوا الايمان بما جاء به النبى عليه الصلاة والسلام بهذا السحر الخادع أو لو آمنوا بكتابهم ايمانا حقيقيا ومنه البشارة بالنبى والأمر باتباعه لكان خيرا لهم) انتهى ملخص تفسير الاستاذ الامام ، وهذا هو مجمل جميع ما قاله المفسرون فى معنى هذه الآيات .

ما أفهمه فى ذلك وأدلى عليه

أما أنا فأقـول : ان من يتأمل فى هـذه الآيات فى حد ذاتها بقطع النظر عما قاله المفسرون من التفاسير والروايات يظهر له فيها معنى واضح لا غبار عليه ولا اشكال فيه . وبيـان ذلك ان الله تعالى قد قابل فى هذه الآيات السحر بالايمان ونسب الكفر لمن يتعلم السحر أو يعلمه انظر قوله تعالى (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر)وقوله (وما يعلمان من أحـد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر) وقـوله فى آخر هذه الآيات عن اليهود الذين تعاطوا هذا السحر (ولو أنهم آمنـوا واتقوا لمثوبة من عند الله) وقوله فى أول هذه الآيات عنهم أيضا (بل أكثرهم لا يؤمنون) فهـذه الآيات كلها تشعر اشعارا ظاهرا بأن المراد من السحر هنا هو ما يقابل الايمان وانه هو الكفر بعينه لأن السحر فى اللغة يطلق على صرف الناس عن الحق وعن الايمان بصورة خفية كما هو صريح عدة آيات لا تحصى من القرآن .

وعليه فليس المراد من السحر هنا ما ذكره المفسرون بل المراد به الصرف عن الايمان الى الكفر بأسباب خفية عن القـوم كتأويل آيات الكتاب المقدس بغير معانيها المرادة وبيانها بغير مراميها المقصودة (ان من البيـان لسحرا) وكاضافة بعض الخرافات اليها وزيادة بعض العقائد الوثنـية عليها حتى اختلط الحق فيها بالباطل ولم يعرف الصحيح فيها من الفـاسد وهكذا مما حدث كله أو أكثره فى كثير من الأديان .

وعليه فقـد أصبح لهذه الآيات معنى آخر غير ما قاله المفسرون وهو ان الله تعالى يقول : ان أهـل الكتاب كلما عاهدوا عهدا بايمانهم بما تجىء به رسلهم نبذه فريق منهم بتغيير وتبديل معانى ما جاءت به تلك الرسل وبفهمها بغير حقيقتها وتصويرها بغير صورتها او ترك العمل بها كليا النـاشىء من عدم صحة الايمان بها حتى لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم المصدق لما معهم نبذ أيضا فريق منهم كتاب الله وهو القرآن وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون معانيـه ولا يفهمون ما فيه من العقائد

الحقة والتعاليم النافعة والعظات السامية واتبعوا العقائد الباطلة والأفكار الكاسدة والأفهام الفاسدة التى كانت تتلوها شياطين الانس منهم ويضيفها على الدين علماؤهم وحكامهم ومنقذوهم أيام قوتهم وسلطانهم وملكهم الذى كان فى عهد وملك سليمان . (وما كفر سليمان) حيث أنه لم يتبع هذه العقائد ولم يعتقد فى هذه الأوهام ، ولكن الشياطين كفروا فى اتباعها واعتقادها وتعليمها لغيرهم من باقى الناس حيث كانوا يعلمونهم هذا السحر أى الصرف عن معانى آيات الله وعن فهم حقائقها كما هى .

وكانوا يعلمونهم أيضا ما انزل على الملكين أى العالمين اللذين كانا من علماءهم ببابل المسميين بهاروت وما روت اللذين قلبا معالم دينهم وغيرا معانى كتبهم بسبب افكارهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة وأوهامهم الباطلة.

وانما سميا (ملكين) لكثرة اعتقاد الناس فيهما وشدة اتباعهم لأقوالهما وأعمالهما كأنهما من ملائكة السماء . وهذان العالمان المشبهان بالملكين ما كانا يعلمان من أحد من ضروب تعاليمهما وارائهما حتى يقولا أى بلسان حالهما انما نحن فتنة أى اختبار فلا تكفر . وانما كان ذلك بلسان الحال لأن الانسان خصوصا العالم الشبيه بالملك لا يعلم الناس الأشياء الا لاعتقاد انها حق وصدق وليست مستوجبة للكفر فلسان حاله هو الذى يقول ذلك لا لسان مقاله اذ لا يعقل ان المعلم يقول لمن يريد ان يتعلم منه (انا فتنة فلا تكفر) بسبب تعليمى لك هذه العلوم لان ذلك اشعار منه له بأن تعاليمه قد تستوجب الكفر أو تجر اليه وهذا ما لا يفعله عاقل لأن ذلك بمثابة تحذير من قبول تعاليمه التى يدأب من أجل قبولها وهذا هو عين التناقض ولكن حالة العالم الذى يبدى آراء من نفسه وأفكارا من عنده بالنظر لكونها قد تكون خطأ هى التى تعبر عنه وتقول انا فتنة واختبار فاختبر ما أقول لك فان وجدته حقا وايمانا صادقا فخذبه وان وجدته باطلا فاتركه لئلا تكفر به .

وعلى قراءة كسر اللام فى (الملكين) يكون المراد بهما ملكين من ملوك بابل الذين غيروا كثيرا من معالم دين اليهود وعوائدهم أيام ان كانوا سبيا وأسارى عندهم أى ان أكثر فساد اليهود فى دينهم كان أيام ممالك ثلاثة . مملكة سليمان بالقدس . ومملكتى هاروت وماروت ببابل. ولكن فسادهم أيام ملك سليمان قد سماه الله تعالى تلاوة على ملكه اشارة الى أنه ليس لسليمان يد فى ذلك بل اليد لشياطين اليهود . واما فسادهم أيام مملكتى هاروت وماروت فقد سماه الله انزالا عليهما والهاما لهما اشارة الى أنهما هما اللذان افتكرا ذلك وفعلاه بالهام نفوسهما بخلاف سليمان فانه تلاوة من غيره لا انزال عليه ولا الهام من نفسه .

وهذان الملكان بالكسر ما كانا يعلمان من أحد من ضروب الدهاء والدعاية والسياسة والخداع والنكاية حتى يقولا بلسان حالهما انما نحن فتنة فلا تكفر . وانما كان ذلك بلسان الحال لأنه لا يعقل أن الملوك تقول بلسان المقال نحن فتنة ولكن لسان حالهم فى دهائهم وسياستهم ودعايتهم هو الذى يقول ذلك لأن الدعاية والمخادعة تعبر عن نفسها بنفسها وتظهر لكثير من الناس .

وقوله (فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) أى يتعلمون منهما ما يضر الناس فى دينهم ودنياهم وما يفسد عليهم أمرهم ويفرق بينهم حتى بين المرء وزوجه اللذين هما أكثر الناس ارتباطا وأشدهم التصاقا فليس المقصود من ذلك خصوص ما يفرق بين الزوجة وزوجها كما يقول المفسرون بل هو كناية عن ما فيه ضرر كبير وفساد عظيم وتفريق بين الناس . (وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله) أى انه لا يتضرر من أعمالهم الفاسدة وأفكارهم الكاسدة وآرائهم الباطلة وأفهامهم العاطلة الا من اذن الله له بالضرر بسبب اتباعه لهم بدون تعقل واختبار وتقليده اياهم من غير تبصر واعتبار وهم بسبب هذا الاهمال والتقليد الأعمى بدون تفكر وامعان (يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق) أى لقد علموا بالضرورة ان من

يشترى ما يضره ولا ينفعه فليس له من خلاق فى آخرته وعاقبة أمره اذ لا بد وان يرى نتيجة ذلك ويحس بألم ما يترتب عليه .

والذين يشترون ما يضرهم ولا ينفعهم ويدفعون ثمنه غاليا كثيرون جدا فمثلا شارب الخمر والحشيش والأفيون والكوكايين والدخان ونحو ذلك يشترون ما يضرهم ولا ينفعهم بأثمان غالية ، والزناة ونحوهم من أرباب الفحش والفجور كذلك . والمقلدون لغيرهم فى العقائد الباطلة والآراء الفاسدة والمستبدلون الحق بالباطل والصحيح بالفاسد والعلم بالجهل والمعقول بالخرافات والحقائق بالخزعبلات والترهات والمتعلمون لأنواع الفساد والتفريق بدل الاصلاح والتوفيق هم كذلك من الذين يشترون ما يضرهم ولا ينفعهم وممن يعلمون أيضا انه يضرهم ولا ينفعهم ولكن شهواتهم وأغراضهم تغلب عقلهم وعلمهم (ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) حقيقة ما يترتب على ما يعملون وما ينجم لهم عما يعتقدون . هذا ما أفهمه فى معانى هذه الآيات والله أعلم بمراده .

البحث السابع عشر

سليمان ومنسأته

وتسخير الريح والجن له وإلقاء جسد على كرسيه

ما قاله المفسرون فى ذلك وبيان ضعفه

قال تعالى فى سورة سبأ : (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ، فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِى الْعَذَابِ الْمُهِينِ) ، وقال تعالى أيضاً فى سورة (ص) : (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَا يَنْبَغِى لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِى إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) .

قال المفسرون فى معنى قوله (ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر) أى سخرنا لسليمان الريح كله . وقيل ريح خاصة فكانت معه كالمملوك المختص بالمالك يأمرها بما يريد ويسير عليها حيثما أراد وكان جريها بالغداة مسير شهر وجريها بالعشى كذلك . وقالوا فى معنى (وأسلنا له عين القطر) أى النحاس المذاب وقيل الحديد وكان ينبع له ذلك من

عين فى الأرض كما ينبع الماء . وقيل معنى اسلنا أى أذبناه له بغير واسطة كما النا له الحديد بغير واسطة ولم يلن ولا ذاب لأحد قبله .

وقالوا فى معنى (ومن الجن من يعمل بين يديه الخ) أى ان بعض الجن كان يعمل بين يديه أى بأمره ما يشاء (من محاريب) أى قصور وأبنية شامخة (وتماثيل) أى صور حيوانات من نحاس وغيره . قيل انهم عملوا له اسدين من أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط الأسدان ذراعيهما واذا قعد اظله النسران بأجنحتهما . وقيل المراد من التماثيل صور الأنبياء والملائكة والصالحين فكانت تعمل فى المساجد من نحاس وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا الله كما كان يعبده هؤلاء وقيل المراد من التماثيل الطلسمات فكانت تعمل تمثالا للتمساح أو للذباب أو للبعوض فلا يتجاوزه الممثل به ما دام فى ذلك المكان . ومعنى (جفان كالجواب) أى يعملون قصاعا للطعام كبيرة واسعة كالجواب أى كحياض الماء (وقدور راسيات) أى قدور للطبخ ثابتات على الاثافى لا تنزل عنها لعظمها ، هذا ما كان يعمله الجن لسليمان وكان من يزغ منهم عن أمره يذق عذاب السعير ولذلك أمر الله داود وأمر آله ان يكونوا شاكرين لله تعالى على ما أولاهم من هذه النعم .

وقالوا فى معنى قوله تعالى (فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرتبينت الجن لن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين) أى لما حكمنا على سليمان بالموت كان واقفا لعبادة الله متكأ على منسأته أى عصاه وقد بقى واقفا متكأ عليها وهو ميت شهورا لا يعلم بموته أحد حتى قيض الله له دابة الأرض أى الأرضة وهى سوسة الخشب فمكثت تأكل منسأته حتى ضعفت عن حمله فانكسرت فخر على الأرض فلما خر تبينت الجن انهم لو كانوا يعلمون بموته من حينه لما لبثوا بعده حولا فى الأعمال الشاقة الى ان خر على الأرض .

أما قوله (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب)

فقد ذكر المفسرون فى معناها أقوالا كثيرة وقرروا بأن كثيرا منها خرافى غير لائق ثم قالوا وأصحها أقوال أربعة قد ذكرها المحققون (أولا) انه ولد لسليمان ولد فقالت الشياطين ان عاش صار مسلطا علينا مثل أبيه فسبيلنا أن نقتله فعلم سليمان ذلك فصار يربيه فى السحاب فبينما هو مشتغل بمهماته اذ ألقى ذلك الولد ميتا على كرسيه فتنبه على خطيئته فى انه لم يتوكل على الله فاستغفر ربه وأناب (ثانيها) ان سليمان قال (لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتى بفارس مجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا واحدة وجاءت بشق رجل فجىء به على كرسيه فوضع فى حجره (ثالثها) ان سليمان مرض مرضا شديدا فكان يلقى على كرسيه كأنه جسد لا روح فيه من شدة المرض (رابعها) انه ابتلى بخوف وتوقع بلاء فى بعض الجهات وصار بسبب ذلك كالجسد الضعيف الملقى على ذلك الكرسى ثم ان الله أزال عنه هذا البلاء والخوف واعاده لما كان عليه أولا من القوة والسيطرة . هذا محصل ما قاله المفسرون فى هذه الآيات .

ما افهمه فى ذلك وأدلتى عليه

أقول : يحتمل أن يكون معنى قوله تعالى (ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر) أى اننا كما آتينا داود القوى المادية التى هى كالجبال وكالحديد بواسطة انضمام عظماء القوم معه وغلبتهم وقهرهم لجالوت وقومه تلك القوى الحديدية التى أسس بها سلطانا عظيما لبنى اسرائيل كذلك أعطينا ابنه وخلفه سليمان الريح أى القوة الروحية قوة العلم وتنظيم الملك وتشييده وترتيبه حتى أصبحت هذه المملكة بواسطة سليمان تتقدم فى طريق العظمة وتنمو وتسرع فى العلو كسرعة الريح أى انها كانت تتقدم فى غداة أو روحة كما كانت تتقدم غيرها فى شهر كالريح التى غدوها شهر ورواحها شهر لأنه اوتى ملكا لا ينبغى لأحد من بعده . أو المراد من تسخير الريح لسليمان استخدامه لها فى النقليات كما هو

حاصل الآن من استخدام الطائرات الهوائية فيكون المعنى ان الله تعالى قد علم سليمان علم الطيران كما علمه لأهل هذا الزمان وكان غدوها شهرا أى سفرها فى غداة كسفر غيرها من دواب الأرض فى شهر ورواحها كذلك .

(وأسلنا له عين القطر) بان علمناه تذويب النحاس بالنار أو سهلنا له كل صعب فى الوصول الى عين الحق أو علمناه الحقيقة . (ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه) الجن يطلق على كل ما جن واختفى عنك ولو من الناس ولو اختفاء معنويا . والمراد من الجن هنا الشياطين المذكورة فى سورة (ص) فى قوله تعالى (والشياطين كل بناء وغواص) والمراد بهم اناس مخصوصون أقوياء أشداء مفكرون مدبرون يمكنهم أن يعملوا أعمالا عظيمة دقيقة تخفى على غيرهم كأنها من أعمال الجن . فهؤلاء كانوا يعملون بين يديه باذن ربه فى تشييد ملكه وتنظيم أمره وفى تعضيضه وخدمته (ومن يزغ منهم عن أمرنا) الذى أنزلناه عليه باصلاح شأن الناس وأمرناهم باتباعه (نذقه من عذاب السعير) .

(يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب) أى ان هؤلاء القوم العظماء والأقوياء المفكرون يعملون له من محاريب المقامات الشريفة وتماثيل الأعمال العظيمة وجفان الأرزاق المعنوية والأغذية الروحية الواسعة كالجوابى أى الحياض الواسعة فكانوا يهيئون لتقدم مملكته ورقيها ظروفا واسعة كالحياض التى تأتى اليها المياه من كل جانب وكانوا يهيئون له قدورا راسيات أى قواعد ثابتات ومبادىء وتعليمات وتأسيسات ثابتة يتمشون عليها وينقلون عنها ويغترفون منها كما يغترف من القدور فهو تشبيه ومحاكاة للأمور المعنوية بالأمور الحسية وايداع للحقائق فى الأمثلة الصورية وادراج للمدركات الكلية والواردات الغيبية فى الملابس اللفظية والهيئات الجزئية . ولذلك قال تعالى (اعملوا آل داود شكرا) أى بما سخرنا لكم وأفضنا عليكم من نعم الملك والعظمة والكمال والفضل والمال ولكن (قليل من عبادى

الشكور) ولذلك حل ببنى اسرائيل ما حل بغيرهم ممن لم يشكروا نعم الله تعالى عليهم ولم يقدروها قدرها ويحتفظوا عليها بحقها .

ولهـذا قال تعالى (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته) أى حيث ان آل داود لم يستديموا على شكر ربهم ولم يحافظوا على ملكهم قضينا عليهم بالذل والاضمحلال وعلى ملكهم بالذهاب والزوال .

فالمراد من موت سليمان القضاء على ملكه وملك آل داود الذى كان هو العصر الذهبى لبنى اسرائيل فالمراد من الموت هنا الموت المعنـوى لا الموت الجسمانى لأن الموت الجسمانى لكونه أمرا طبيعيا لا مفر لأحد منه فهو معلوم لا حاجة للكتب السماوية ان تبحث عنه وتعنيه دائما فى كل آية من آياتها بل له مواضع مخصوصة يفهم منها ليس هذا الموضع منها لأن عـدم شكر آل داود انما يسـتوجب زوال ملكهم وموتهم معنويا لا موت جسم ملكهم وشخص سلطانهم موتا طبيعيا . فالموت يفسر فى كل موضوع بحسب ما يفهم من سياقه ، أى فلما أراد الله القضاء على ملك سليمان الذى هـو ملك آل داود لعدم شكرهم وقضى بمـوته واضمحلاله ما دلهم على موته الا دابة الأرض أى ما تسبب فى اماتته وما دل الناس عليها الا دابة الأرض فهى التى دلتهم عليها بتسببها فى ذلك .

والمراد من دابة الأرض هنا هو بعض ما يدب عليها من الناس وهو أحد الجبابرة الشريرين المفسدين ممن تسبب فى ضياع ملكه كما هو صريح قوله تعالى فى سورة النمل (واذا وقع القـول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنـون) أى اذا استحقوا العذاب أخرجنا لهم رجلا شديدا جبارا يعاقبهم على أفعالهم ويكلمهم بلسان حاله بأنهم ما كانوا يوقنون بآيات الله ولذلك سلطه الله عليهم . فكل ما يدب على وجه الأرض يسمى دابة وانما نسب هذا الى الأرض لأنه مادى شرير سافل ارضى . وهـذا الرجل المفسد الجبار الذى بواسطته زال ملك سليمان هو الجسد الذى ألقى على كرسيه الوارد

فى قوله تعالى (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) أى جعلناه على كرسى ملكه مدة من الزمن ثم أناب سليمان الى الله فأرجعنا ملكه اليه كما هو موضح فى اسفار التوراة . وانما سمى جسدا لأنه كان ماديا صرفا ليس فيه روح الحكمة كما فى سليمان . وبالجملة فان هذا الجسد الذى هو دابة الأرض قد كان سببا فى اماتة سليمان موتا معنويا أى سببا فى ازالة ملكه بأكل منسأته .

والمنسأة فى اللغة — هى العصا التى تساق بها الابل والمراد منها هنا قوة سليمان الحسية والمعنوية التى كان يسوق الناس بها لطاعته وخدمة مملكته فهذا الجسد الجبار دابة الأرض هو الذى قد تغلب على هذه القوة وأكل هذه المنسأة . فأكل منسأته تفسير لمعنى موته أى ما تسبب فى موته الا دابة الأرض حيث أكل منسأته أى تغلب على قوته فلذلك قال تعالى (فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين) أى فلما خر واضمحل ملكه تبين للجن الذين كانوا يتحملون أنواع المشقة فى خدمته ويذوقون ألوان الشقاء بمخالفته وعذاب السعير من زيغهم عن أمره وظهر لهم أنهم لو كانوا يعلمون الغيب من ان ملكه سيضمحل هذا العلم الذى كان غائبا عن أفكارهم وبعيدا عن تصوراتهم لعظم مملكته وقوة سلطانه لو يعلمون ذلك ما لبثوا فى العذاب المهين ولا أقاموا فى عذاب السعير بل كانوا قد أعانوا من سعى فى اضمحلال ملكه وساعدوا من تسبب فى موته ليتخلصوا من حكمه وعذابه . فليس المراد من الضمائر الراجعة لسليمان فى هذه الآيات خصوص شخصه مجردا عن الصفة بل المراد منها من قام به ملك آل داود الذى كان يحمله سليمان فى ذلك الوقت . فالمراد من موته فناء ملكه القائم بشخصه وضياع سلطانه المتحقق بموته موتا معنويا لا حقيقيا ولذلك قال تعالى فى سورة (ص) (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى انك انت الوهاب) فانابته بعد ذلك الى الله تعالى وطلبه منه ملكا لا ينبغى لأحد

من بعده دليل واضح على انه لم يمت بجسمه بل كان موته بهذه الحادثة معنويا لا حقيقيا كما بيناه .

فهمان آخران لنا

فى معنى قوله تعالى

فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته

الفهم الأول : ان سليمان عليه السلام كان قد حنط جسمه كما تحنط أجسام العظماء من ملوك الفراعنة وغيرهم ولكنه لم يقبر فى الأرض بل بقى فى محله محنطا متوكئا على منسأته أى عصاه ثم جاءت دابة الأرض أى الأرضة فأكلت منسأته ، وعندها خر جسمه على الأرض . وعليه فيكون معنى قوله تعالى (فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين) أى ان الجن أى العمال الذين كان يستخدمهم سليمان فى الأمور الدقيقة الخفية المستعصية على غيرهم والتى كانوا يتحملون فى عملها أنواع المشقات والمتاعب والعذاب المهين بسبب ان سليمان كان يضطرهم الى عملها وقد يهينهم اذا توانوا أو تهاونوا فيها ، هؤلاء العمال الذين أخفى أرباب السلطة موت سليمان عنهم لما علموا بموته قالوا لو كنا نعلم ذلك من قبل لما لبثنا فى هذا العمل الشاق وفى هذا العذاب المهين .

الفهم الثانى : ان سليمان كان (قد صنع له تمثال مجسم متوكىء على منسأته أى عصاه كما يصنع الآن تماثيل مجسمة للملوك والعظماء والزعماء . وقد يشير الى ذلك قوله تعالى قبيل هذه الآية (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الخ) وحينئذ فلا مانع أن يكون تمثال سليمان بالكيفية التى ذكرناها هى من جملة التماثيل التى كانوا قد عملوها . ثم ان دابة الأرض أى الأرضة أكلت منسأة تمثال سليمان فخر هذا التمثال على الأرض ، فلما خر تبينت الجن ان عملهم لهذا التمثال الذى لبثوا فى عذاب صنعه واتقانه مدة طويلة قد ذهبت أتعابهم فيه

سدى ، ولو أنهم علموا الغيب من خرورة فى مدة وجيزة وتكسره بسرعة ما لبثوا فى عـذاب صنعه المهين أى الذى كان يضطرهم سليمان اليـه ويجبرهم على اتمام عملهم فيه .

وكان خرور تمثال سليمان على الأرض وسقوطه وتكسره بسبب اخلال فى صنعه وعدم تقويته بحيث يقاوم الأعاصير ونحوها هو نهاية لذكراه عندهم وموت أدبى له .

وهذان التفسيران وان كانا حسنين الا ان تفسيرنا الأول أحسن منهما.

البحث الثامن عشر

الروح والمعاد والبعث بعد الموت

وأدلتى من القرآن والتوراة والإنجيل والعقل

على ما أقوله فى ذلك

من المعلوم أن آيات القرآن متضافرة متوافرة ، على أن الانسان لا بد وأن يبعث فى الآخرة لينال جزاءه من الثواب والعقاب ، وأنه سوف يحيا فيها حياة أبدية خالدة لا يذوق فيها الموت .

ومن المعلوم أيضا ان الجسد الدنيوى بشخصه لا يصلح للحياة الأبدية الخالدة أصلا ؛ لأن شخصية هذا الجسد تتبدل وتتغير كثيرا كما نشاهد ونروى . كما أنه من المعلوم أن الانسان انما هو بروحه ، لا بجسده فالروح هى التى تدرك اللذة والسعادة ، أو التعاسة والشقاوة ، وان أجزاء الجسد ، انما هى مجرد آلة فقط للروح يمكن تبديلها بآلة أخرى ، أو تبديل بعض أجزائها بأجزاء أخرى قد تكون أصلح وأقوى وأبقى مع بقاء شخصية الروح فى الدنيا والآخرة معا .

واذا دققنا النظر فى آيات القرآن الكريم ، وفى آيات التوراة والانجيل وفى أدلة العقل أيضا ؛ نجدها كلها تفيد ان المعاد والبعث الأخروى شخصى من حيث الروح نوعى من حيث الجسد .

واننى الآن أريد أن اذكر شيئا من هذه الأدلة العقلية والنقلية واترك لك تمام الحرية فى اختيار ما تراه أقرب للعقل وللكتب السماوية .

أدلة القرآن الكريم على ما نقول

وهى اثنان وعشرون دليلا

الدليـــل الأول

قوله تعالى فى سورة الأعراف : (وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ ، حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ ، فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ . كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) .

فهذه الآية الكريمة تفيد أن اخراج أجساد الموتى من القبور واعادتها مرة أخرى ، انما يكون كاخراج واعادة الثمرات من الأرض فى كل سنة . والثمرات لا تعاد بعينها بل بنوعها . فالعنب والتين والتفاح والزيتون مثلا ، بالنظر لكونها تعاد وترجع بصفتها وشكلها وحجمها المخصوص ، وبلونها وطعمها ورائحتها المعينة يقال عنها انها رجعت وعادت مع أن ما كان منها فى السنة الماضية انما هو جسم آخر وأفراد أخرى من نوعها . فكذلك الانسان يعود فى الآخـرة بجسم آخر وان كانت الروح هى هى لأن الجسم بالنظر لكونه ماديا مركبا من أجزاء مخصوصة فانه بالموت ينحل الى تلك الأجزاء وتنعدم شخصيته تمام الانعـدام . فالجسم الفائت لا يرجع بعينه ، والشخص الميت لا يعود بشخصه ، ولكن روح الانسان بالنظر لكونها مجردة عن المادة وليست مركبة من أجزاء حتى تنحل الى تلك الأجزاء ، بل هى باقية خالدة لا تنعدم فترجع بعينها وذاتها ، ولكن فى جسم آخر يخلقه الله تعالى كما يشاء حسب ملائمة البيئة الآخرة التى سوف يوجد فيها ؛ لأن الجسم الذى كان فى الدنيا لا يصلح للخلود فى الآخرة فلا بد من جسم آخر صالح للخلود .

وعليه وبمقتضى هذه الآية فالانسان انما يعود ويرجع يوم القيامة بنوعه من حيث الجسم وبشخصه من حيث الروح .

وقد يكون المراد من هذه الآية ان اخراج أى جسم مات فى الأرض واعادته منها سواء كان جسم انسان أو جسم حيوان آخر وسواء كان ذلك فى الدنيا أو فى الآخرة انما يكون كاخراج النباتات والثمرات منها

أى بالطريقة والكيفية التى حلق بها كل منها أولا . وعلى كل فليس فى هذه الآية ما يدل على أن نفس الجسم الدنيوى يعود بشخصه وعينه فى الآخرة كما يفهم الناس .

الدليل الثانى

قوله تعالى فى هذه السورة أيضاً ٢٩ : (وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) أى تعودون مثل ما بدأكم أولا . أى بالطريقة والكيفية التى كان قد بدأ خلفكم بها وهى طريقة التوالد المعروفة عندكم . وقد يراد من هذه الآية أيضا ، انكم اذا أخلصتم فى دينكم فانكم تعودون للسعادة والحياة الحقيقية كما بدأتم .

الدليل الثالث

قوله تعالى فى سورة الروم ١٩ : (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ، وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، وَكَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ) ، فإنها خطاب للناس وبيان لكيفية اخراجهم فى المستقبل من قيودهم بعد موتهم أى أن احياء الناس مرة أخرى ، واخراجهم من قبورهم يكون كاحياء الأرض بالزرع بعد موتها أى بعد جعل زرعها هشيما ثم احيائها بزرع آخر . أى أنه احياء وارجاع نوعى لا شخصى كاحياء وارجاع . الزرع فى الأرض .

ويحتمل ان تكون هذه الآية بيانا لكيفية اخراجهم فى الدنيا أى النشئة الأولى من أنه اخراج حى وهو الانسان من ميت وهو التراب أو الطين كما قال تعالى (انا خلقناكم من تراب ثم من نطفة الخ) وكما قال (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين الخ).

وقد يراد أيضا من هذه الآية أن الله تعالى كثيرا ما يخرج الرجل الحى أى العالم السعيد من الرجل الميت أى الجاهل الشقى . فكذلك انتم ستخرجون من موتكم وجهالتكم وشقاءكم الى الحياة العلمية والسعادة الحقيقية .

الدليل الرابع

قوله تعالى فى سورة فاطر ٩ : (فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ) حيث جعل نشور الانسان كنشور النبات فى الأرض واحيائها به بعد موتها بانعدام نبتها ثم اعادته . أى فهكذا اعادة الانسان بعد موته تكون بجسم آخر كالنبات سواء بسواء .

الدليل الخامس

قوله تعالى فى سورة الزخرف ١١ : (وَالذى نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ) ، فانها خطاب للناس وبيان لكيفية نشرهم واخراجهم من الأرض أى انكم تخرجون من الأرض كما يخرج النبت وتنشرون منها كما ينشر الزرع أى اخراجا ونشرا نوعيا من حيث الجسم .

ويؤيد ذلك ما روى عن أبى رزين العقلى (قلت يا رسول الله كيف يعيد الله الخلق وما آية ذلك ، قال أما مررت بوادى قومك جدبا ثم مررت به يهتز خضرا ، قال نعم . قال فتلك آية الله فى خلقه ، كذلك يحيى الله الموتى) أى ان احياء الموتى واعادتهم بعد موتهم وخروجهم من الأرض يكون مثل اعادة حياة نبات هذا الوادى بعد ان كان جدبا أى ان اعادة حياته تكون بمثل ما كان عليه قبل جدبه ، وحينئذ فاحياء الموتى واخراجهم من الأرض يكون بمثل احيائهم واخراجهم منها أولا أى بالطريقة والكيفية الاولى بأن يكون منيا فعلقة فمضغة الخ ولا شك أن المنى انما يتكون من الأغذية النابتة فى الأرض .

فهذه الآية وهذا الحديث على معنى واحد فى بيان المراد من احياء الموتى واخراجهم من الأرض وان تنوعت طريقة الاخراج فالنبات يخرج من الأرض مباشرة والانسان يخرج منها تدريجا وبواسطة التوالد المعروف. أى ان الانسان لا ينعدم انعداما كليا فى فترة الانتقال من حياة الدنيا الى حياة الآخرة وان انعدمت شخصيات أفراده بل لا بد وان يبقى اتصال بين

هاتين الحياتين وان كانت حياة الآخرة أرقى بكثير من حياة الدنيا وأبقى، وأسعد منها وأعلى وأقوى.

وعلى كل فهذه الآية وهذا الحديث يدلان على ان رجوع الانسان من الأرض ونشره منها ليس رجوعا شخصيا بجسمه الأصلى بل هو رجوع نوعى بجسمه وان كان شخصيا بروحه الأصلية، كما ان النباتات والأثمار انما ترجع كل سنة بنوعها مع بقاء شكلها وحجمها ولونها ورائحتها وطعمها وباقى صفاتها الخصوصية ومع بقاء روحها النباتية الأصلية التى تحفظ لها هذه الصفات الخصوصية بحيث لا تختلف فيها سنة عن سنة.

الدليل السادس

قوله تعالى فى سورة ق ٩: (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ)، أى ان خروج الانسان من الأرض بدأ واعادة يكون كخروج الحبوب التى تحصد وكخروج النخل الباسقات وأنواع الجنات. وخروج هذه الأشياء واعادتها انما هو نوعى، لا شخصى. فكذلك خروج الانسان واعادته يكون نوعيا، لا شخصيا. أى بجسم آخر غير جسمه الأول، وان كانت الروح واحدة.

الدليل السابع

قوله تعالى فى سورة يس ٧٨ – ٨١: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ. بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ). فهذه الآية ترد على من انكر احياء العظام واعادة الأجسام بعد أن تصير رميما وترابا فانهم قد نسوا أنهم خلقوا أولا من تراب وان عظامهم وأجسادهم ستعود الى التراب فيخلقون منه ثانيا كما خلقوا منه أولا، فعظامهم وأجسامهم ستحيا مرة أخرى ولكن الله تعالى لم يقل انه يحييها بنفس أشخاصها الأولى. وها نحن نرى

ونشاهد ان أجساد الموتى تحيا فى النبات والشجر والحيوان بل وفى الانسان أيضا اذا أكل من النبات والشجر الذى امتص أجساد الموتى أو أكل من الحيوان الذى تغذى منها . اذ أن تراب ظاهر الأرض أكثره من أجساد الموتى ومن هذا التراب يحيا النبات والشجر والحيوان والانسان فالآية تخبرنا ان طريقة الخلقة الأصلية من نفس التراب ومن باقى العناصر الأخرى أى بامتزاج حصص مخصوصة من عناصر مخصوصة يتركب منها الانسان فحيث اجتمعت هذه الحصص من تلك العناصر بمقاديرها المعينة ونسبتها المخصوصة وتفاعلت وتمازجت بالطريقة التى أنشأ الله فيها الانسان وبدأه بها فان هذا الانسان يعود مرة أخرى بنفس هذه الطريقة والكيفية . فمثلا لو وجد بعد مليون سنة دهن وفتيل ومشكاة ونار ، ومن يوقدها أى وجد جميع ما يلزم للاضاءة . فلا شك ان هذا الضوء يرجع ويعود . ولكن هل هذا الضوء العائد هو عين ونفس الضوء الفائت . كلا ثم كلا . لأن الدهن والفتيل والمشكاة فى الضوء الأول غيرها فى الضوء الثانى بل الذى يعود انما هو مثله ونظيره وفرد من أفراد نوعه فكذلك الانسان . لأن جسم الانسان الميت قد امتصته النباتات أو أكلته الحيوانات فأصبح فى أجسام أخرى ولكن الله تعالى يخلق لنفس هذا الانسان ولروحه المخصوصة جسما آخر مثل الجسم الأول كما أشار الله تعالى لذلك فى آخر هذه الآية بقوله (أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم) فتعبيره بلفظ المثل دليل على ان المعاد انما هو مثل الأول لا عينه وشخصه من حيث الجسم وان كان عينه وشخصه من حيث الروح .

الدليل الثامن

قوله تعالى فى سورة العنكبوت ١٩ : (أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يَبْدَأُ اللهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ . قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) . فإن قوله (أو لم يروا) وقوله (فانظروا) يصرح بأن بدء الخلق أى بدء أفراده

واعادتها أمران مرئيان لكل راء ومنظوران لكل ناظر والا لما صح أن يسألهم الله عنهما سؤالا تقريريا يقيم به الحجة عليهم .

ومما لا شك فيه ان كل انسان يرى وينظر دائما كيف بدىء خلق الشيء من الأرض ثم أعيد منها كما نشاهد ذلك كل سنة فى خلق النبات والزرع ، والشجر والثمر والضرع ، ونحو ذلك من سائر المخلوقات التى نرى وننظر دائما كيفية بدايتها واعادتها فالله تعالى قد أحالنا فى معرفة النشأة الآخرة على ما نعرفه من النشأة الأولى وأقام الحجة علينا أتم قيام حيث صرح بأن النشأة الآخرة التى ننكرها هى مثل النشأة التى نراها ونعرفها ونقرها . فالاعتراف بالنشأة الأولى يلزم منها حتما الاعتراف بالنشأة الثانية لأنهما متماثلان والاعتراف بأحد المثلين اعتراف بالمثل الآخر.

وقد يدل أيضا قوله تعالى فى هذه الآية (قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة) على أنه قد يراد من بدء الخلق هنا بدء الأمم أيضا بدليل قوله (سيروا) أى سيروا فى أنحاء الأرض لكى تنظروا آثار الأمم البائدة وأحوال الأمم الحاضرة العائدة فتعرفوا كيف ينشىء الله النشأة الآخرة فى الأمم أيضا .

الدليل التاسع

قوله تعالى فى سورة الإسراء ٥١ : (فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) ، أى ان اعادتكم ستكون مثل بدايتكم فالذى قدر على البدء يكون على الاعادة اقدر وأنتم الآن عارفون كيف بدأتم وخلقتم ، ومقرون بوجود هذا البدء وهذه الخلقة فكذلك الاعادة يلزم أن تكون معروفة وان تقروا بأنها سوف تحصل لأنها مثلها وما جاز على أحد المثلين جاز على الآخر .

الدليل العاشر

قوله تعالى فى هذه السورة أيضاً ٩٨ : (وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا . أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لهم أَجَلاً لا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ

إِلَّا كُفُورًا) فتعبير هـذه الآية بقوله (مثلهم) وقوله (خلقا جديدا) دليل على ان المبعوث المعاد انما هـو مثـل لاعين أى ان الله تعـالى سيبعثهم خلقا جديدا بمثل أجسامهم الأولى التى جعل لها أجلا مخصوصا لا ريب فى نفاذه أى وحيث ان أجـل هذه الأجسام والعظام نافذ ومنتهى قطعا فمتى أردنا اعادتكم فانما نعيدكم بمثل أجسادكم لابها لأن أجلها قـد انتهى .

الدليل الحادى عشر

قوله تعـالى فى سورة الكهف ٤٥ : (وَاضْرِبْ لهم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ) . إلى أن قال : (لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) ، فإن هذه الآية تفيد ان حياة الانسان فى الدنيا هى مثـل حياة نبات الأرض الذى يصبح هشيما تذوره الرياح ثم يجيء ويخلق يوم القيامة كما خلق أول مرة أى يحيا بمثل جسمه لا به نفسه ، لأن شخص روحه لا يزال باقيا حيث ان الروح لا تتغير ولا تتبدل لتجردها عن المادة وعدم فناءها .

الدليل الثانى عشر

قوله تعالى فى سورة مريم ٦٦ (وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ، أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا) أى كيف ينكر الانسان اخراجه حيا بعد موته مع أنه يتذكر أننا خلقناه من قبل ولم يكن شيئا أى بالنسبة لما عليه الآن . كما يدل على ذلك قوله تعالى فى آية أخرى (لم يكن شيئا مذكورا) أى لم يكن شيئا يستحق الذكر بل كانت شخصيته العظيمة هذه معدومة أى فكذلك سنخرجه بعد موته بشخصية أخرى كانت معدومة من حيث الجسم وان كانت باقية من حيث الروح .

الدليل الثالث عشر

قوله تعـالى فى سورة طه : (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ ، وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ، وَمِنْهَا

نُخْرِجُكم تارَةً أُخْرَىٰ) ، فهذه الآية تفيد أن اخراجهم من الأرض بعد عودتهم فيها بالموت يكون بالحالة والطور الذى اخرجهم منها لأن التعبير بلفظ (تارة أخرى) التى معناها الطور والحالة الأخرى لا العين والشخص يشعر بأن الاعادة تكون بالمثل والحالة والصفة ، لا بالعين والشخص .

الدليل الرابع عشر

قوله تعالى فى سورة الأنبياء ١٠٤ : (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ) ، أى نعيد كل خلق أى مخلوق كما بدأناه أولا . وانما قلنا كل خلق لأن لفظ (خلق) فى الآية نكرة فيشمل كل مخلوق أى كما بدأنا كل مخلوق نعيده كذلك ، أى بالطريقة والكيفية التى خلق بها أولا .

الدليل الخامس عشر

قوله تعالى فى سورة الحج ٥ : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ، وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ، فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ، ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِى الْقُبُورِ) .

فان هذه الآيات تفيد أن احياء الموتى واعادتهم وبعثهم من قبورهم الذين هم فى ريب منه هو مثل بداية خلقهم من انه كان من تراب ثم من نطفة ثم من علقة الخ ، وان بعثهم من القبور هو مثل خلقهم من التراب أولا سواء بسواء فان كان هناك ريب فى خلقهم من التراب ثم من النطفة ثم من العلقة المشاهد ذلك لهم والمحقق عندهم فليكن ريب فى اعادتهم وبعثهم من القبور أى حيث ان ذلك لا ريب فيه لأنه مشاهد ومحقق فكذلك

احياؤهم بعد موتهم وبعثهم من قبورهم واعادتهم كبدايتهم يلزم أن يكون أمرا لا ريب فيه أبدا ، ولا شك فيه أصلا ، لأن الحاضر دليل الغائب ولأن المشكوك فيه يقاس على المحقق المشاهد وما جاز على أحد المثلين جاز على الآخر ، وهذا بالنسبة للجسد ، اما الروح فهى باقية خالدة بشخصها وعينها اذ لا تغيير ولا تبديل فيها لتجردها عن المادة وعدم فناءها .

الدليل السادس عشر

قوله تعالى فى سورة الروم ١١ (اللهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثم يُعِيدُهُ ثم إِلَيْهِ تُرجَعُونَ) أى يبدأ الخلق فى الدنيا ثم يعيده فى الأرض بموته فيها ثم ترجعون اليه يوم القيامة أى بمثل ما بدأكم به سابقا لأن لفظ الرجوع يشعر بذلك .

الدليل السابع عشر

قوله تعالى فى سورة حم السجدة ٣٩ : (فإِذَا أَنْزلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِى أَحْيَاهَا لَمُحْيِى الْمَوْتَى) أى ان الله تعالى سيحيي الموتى كما أحيا الأرض بعد موتها باخراج زرعها ونبتها ، واحياؤها بذلك نوعى فكذلك احياء الانسان نوعى أيضا .

الدليل الثامن عشر

قوله تعالى فى سورة سبأ ٧ : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكم عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكم إِذَا مُزِّقْتم كلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكم لَفى خَلْقٍ جَدِيدٍ) . فانها تفيد ان الانسان بعد أن يمزق كل ممزق ويغرق كل تغريق فانه يعود فى خلق جديد أى فى حالة وشكل وهيئة وجسم جديد أى غير جسمه الأول بل بمثله ونظيره لا بعينه وشخصه وأيضا بمثل ونظير حالته وهيئته الأولى لا بعينها .

ويحتمل ان يراد بذلك تمزيق الأمة وتلاشيها واضمحلالها ثم خلقها خلقا جديدا بتأليف قلوبها ولم شعثها ورجوعها الى حياتها ومجدها .

الدليل التاسع عشر

قوله تعالى فى سورة الواقعة ٦١ : (نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ) . فانها تفيد أن النشأة التى بعد الموت ستكون فى حالة وجسم وبيئة لا يعلمونها فاذن لا بد وان تكون غير الحالة والجسم والبيئة التى يعلمونها شخصيا فى الدنيا . كما انها تفيد أيضا الاحتجاج عليهم فى انكار النشأة الأخرى بما علموه من النشأة الأولى ومن تبديلهم بأمثالهم فيها .

الدليل العشرون

قوله تعالى فى سورة نوح ١٨ : (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا) ، فانها تفيد أن اخراجهم من الأرض بعد عودتهم فيها ستكون مثل انباتهم منها أولا .

الدليل الحادى والعشرون

قوله تعالى فى سورة القيامة ٣٦ : (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى . أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى) أى كيف يحسب ويظن الانسان ان نتركه بعد موته سدى مع أننا قادرون على احياء جميع الموتى بالطريقة التى يعرفها الانسان ويشاهدها دائما ولا يمكنه انكارها أبدا وهى خلقه من تراب ثم من منى يمنى ثم من علقة ثم جعله خلقا سويا منه الزوجان الذكر والأنثى فهل من فعل هذا أولا يعجز عنه ثانيا ؟ كلا ثم كلا .

الدليل الثانى والعشرون

قوله تعالى فى سورة عبس ١٨ : (قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاءَ

أَنْشَرَهُ) أى قتل الانسان ما أكثر كفرانه وانكاره للحقائق الظاهرة الواضحة حيث انه ينكر انشاره الذى هو مثل ما هو عليه ونظير ما هو مشاهد له ومعلوم لديه من خلقه من نطفة فتقديره ثم تيسيره للسبيل الخ أى فكيف ينكر علينا أن نفعل مثل ما كنا فعلنا . وهذا يشعر بأن الانشار سيكون للانسان بكيفيته وبمثل ما خلق أولا من نطفة فعلقة الخ أى بجسم جديد . والتعبير بكلمة (اذا) فى قوله (ثم اذا شاء أنشره) يفيد أن الله تعالى قد لا يشاء انشاره بعد اقباره مع ان الانشار فى الآخرة عام لكل انسان بلا استثناء حسبما هو مفهوم من الآيات الأخرى والأحاديث الكثيرة . وهذا يدل على أن المراد من الانشار فى هذه الآية الانشار فى الدنيا باحياء جسمه فى النبات والشجر وفى الحيوان والانسان على نحو ما بيناه سابقا ؛ لأن هذا الانشار هو الانشار الذى يحصل تارة اذا شاءه الله لبعض الأجسام ولا يحصل تارة أخرى اذا لم يشأه لبعض الأجسام الأخرى . وحيث ان الجسم المنشور فى الدنيا لا بد وان يتحول الى جسم آخر فيصبح غير الأول فكذلك المنشور فى الآخرة يكون غير الأول أيضا أى ان الانسان سوف ينشر بجسم آخر صالح للخلود وغيره من أحوال الآخرة ؛ لأن الجسم الأول لا يصلح لذلك بخلاف الروح فهى صالحة لكل شىء ولأية بيئة وأية حالة .

هذه هى اثنتان وعشرون آية من القرآن الكريم بعضها صريح وبعضها فيه الاشارة والتلويح بأن الانسان يرجع ويعود بمثل جسمه لا بعينه وشخصه وان كان من حيث الروح هو هو بعينه فى الدنيا والآخرة كما قدمنا وقد يكون هناك آيات أخرى من القرآن لم اعثر عليها تدل على ذلك أيضا .

أدلة التوراة والإنجيل على ما أقول

الدليل الثالث والعشرون

قول التوراة فى الاصحاح الحادى والأربعين من المزامير :(حَيْثُ اضْطَجَعَ الْإِنْسَانُ لا يَعُودُ يَقُومُ)، وقولها فى لاصحاح الرابع عشر من سفر

أيوب (والْإِنْسَانُ يَضْطَجِعُ ولا يَقُومُ) أى ان جسم الانسان متى اضطجع ومات فلا يعود هذا الجسم أبدا لأنه من التراب والى التراب يعود .

الدليل الرابع والعشرون

قولها فيه أيضاً : (إِنْ مَاتَ الرَّجُلُ أَفَيَحْيَا) وهذا استفهام انكارى أى لا يحيا بجسمه أبدا وان كانت روحه لا تفارقها الحياة أصلا . لأنها جوهر فرد مجرد عن المادة فلا تنحل ولا تنعدم أبدا . الى غير ذلك من آيات التوراة الكثيرة الدالة على ذلك .

الدليل الخامس والعشرون

من الانجيل هو ما كنا ذكرناه فى كتابنا (أفكار مؤمنين فى حقائق الدين) المطبوع سنة ١٩٣٩ ردا على القس الفريد نيلسن الدنمركى فى ادعاءه أن المسيح قد قام بجسده بعد موته فى الدنيا وهذا نصه : —

ومن آيات الانجيل الدالة على عدم قيامه المسيح بل وغيره أيضا بنفس جسده ما نص عليه الانجيل بقوله فى الاصحاح ١٥ من كورنثوس الأولى آية ٣٥ — ٤٤ (لكن يقولُ قَائلٌ كَيْفَ تُقَامُ الْأَمْوَاتُ وبأَيِّ جِسْمٍ يأْتُونَ . يَا غَبِيُّ . الَّذِى تَزرَعُه لَسْتَ تَزرَعُ الجِسْمَ الَّذِى سَوْفَ يَصِيرُ بَلْ حَبَّةً مُجَرَّدَةً رُبمَا مِنْ حِنطَةٍ أَوْ أَحَدِ الْبَوَاقِى ، ولكنَّ اللهَ يُعْطِيهَا جِسْماً كما أَرَادَ ، ولِكلِّ واحِدٍ مِنَ الْبُزُورِ جِسْمَهُ . لَيْسَ كلُّ جَسَدٍ جَسَداً واحِداً بَلْ لِلنَّاسِ جَسَدٌ واحِدٌ وللْبَهَائِمِ جَسَدٌ آخَرُ وللسَّمَكِ وللطَّيْرِ آخَرُ ، وأَجْسَامٌ سَمَاوِيةٌ وأَجْسَامٌ أَرضِيَّةٌ ، لكنَّ مَجْدَ السَّمَاوِيَّاتِ شَىْءٌ ومَجْدَ الْأَرضِيَّاتِ شَىْءٌ آخَرُ . مَجْدُ الشَّمْسِ شَىْءٌ ومَجْدُ القَمَرِ آخَرُ ومَجْدُ النُّجُومِ آخَرُ لأَنَّ نَجْماً يمْتَازُ عَنْ نَجْمٍ فى المجد ، هكذا أيضاً قيامة الأموات ، يُزرعُ فى فَسَادٍ ويُقامُ فى عَدَمِ فَسادٍ . يُزرعُ فى هَوَانٍ ويُقَام فى مَجْدٍ . يُزرعُ فى ضَعْفٍ ويقام فى قوةٍ . يُزرعُ جِسْماً حَيَوَانِيًّا ويقام جِسْماً روحانيًّا . يُوجَدُ جِسْمٌ حَيَوَانِيٌّ ويُوجَدُ جِسْمٌ روحَانِيٌّ . هكذا مكْتوبٌ أيضاً) ، فمن يتأمل فى آيات الانجيل هذه

تأملا دقيقا يرى أنها ترد تمام الرد على معتقدكم بأن جسد المسيح قد قام بعينه بعد موته لأن هذه الآية صريحة تمام الصراحة فى أمور :

١ — فى ان الذى يقوم بعد موته ليس هو الجسد الأصلى الذى مات بل هو جسد آخر كالجسد الذى ينبت من حبة الحنطة فانه غير جسد الحبة نفسها ، وكشجرة التفاح مثلا فانها غير جسد بزرة التفاح لأن جسم الشجرة انما كبر وعظم بأجزاء أخرى من التراب والماء .

٢ — هى صريحة أيضا فى ان الجسم الأرضى غير الجسم السماوى فما كان من الأرض كجسم المسيح لا يمكن أن يكون بعينه فى السماء ولا أن يرفع بذاته فيها لأن الجسم الذى يمكن ان يعيش فى السماء غير الجسم الذى يمكن ان يعيش فى الأرض .

٣ — هى صريحة أيضا فى أن القيامة ليس لها معنى مخصوص هى حياة الجسم بعد موته كما تدعون وكما تستدلون عليه دائما بكل آية فيها لفظ (قيامة) بل القيامة تطلق على القيامة المعنوية أيضا كما نقول به نحن وكما تصرح به هذه الآيات من أن الخروج من حالة الفساد الى حالة عدم الفساد قيامة أيضا . والخروج من الهوان الى المجد قيامة ومن الضعف الى القوة قيامة ومن الجسمانيات الى الروحانيات قيامة وهكذا كما هو نص نفس هذه الآيات المتقدمة وعليه فقيامة المسيح بالهداية والارشاد هى قيامة أيضا ، وقيامة الناس من شقاء الكفر والضلال والذنوب والآثام الى سعادة الايمان وصالح الأعمال قيامة أيضا ، وقيامتهم من الفقر والذل والاستعباد والهوان الى الحرية والعز والقوة والمجد قيامة أيضا وهكذا وحينئذ فلا يصح بمقتضى هذه الآيات الانجيلية أن تستدلوا بكل كلمة قيامة تجدونها فى الانجيل متعلقة بالمسيح على قيامة جسده بعد موته كما تفعلون .

٤ — هى صريحة أيضا فى ان قيامة الأموات انما هى قيامة الشىء بنوعه لا بشخصه حيث يقول فى هذه الآيات (لست تزرع الجسم الذى سوف يصير بل حبة مجردة ولكن الله يعطيها جسما كما أراد) .

فانها صريحة فى أن الجسم الذى سوف يصير للشىء ويعود به انما هو جسم آخر يعطيه الله تعالى له كما يريد حسب ملائمة البيئة التى سوف يعيش فيها كما قدمنا .

٥ — هى صريحة فى أن وجود أفراد فى المستقبل من نوع هى عودة للأفراد التى مضت منه حيث يقول (ولكل واحد من البذور جسمه ليس كل جسدجسدا واحدا بل للناس جسدا واحد وللبهائم جسد آخر وللسمك آخر وللطير آخر) فانها صريحة فى أن جسد أفراد كل نوع مخصوص من الأنواع هو جسد واحد فجسد أفراد الانسان واحد وجسد الطيور واحد وهكذا وحينئذ فوجود جسد جديد من نوع هو وجود للجسد القديم منه واحياء افراد من نوع الانسان هو رجوع الانسان بأفراد أخرى ورجوع شخص بصفات معينة هو رجوع للشخص الذى كان متصفا بنفس هذه الصفات ، وعليه فقد ثبت لك من هذه الآيات ما كنا قلناه من ان رجوع المسيح وقيامته تكون بقيامة شخص آخر مثله فى الصفات والأخلاق كرجوع ايليا فى شخص يحيي وبطل ما تقولونه من رجوع المسيح بذاته ومن قيامته بنفس جسده كما ثبت أيضا ان رجوع الأموات انما هو رجوع نوعى لا شخصى من حيث الجسم وان كان شخصيا من حيث الروح أى ان روح الانسان المخصوصة كما شكلت جسما انسانيا خاصا فى الدنيا فانها بعد موت هذا الجسم تتشكل فى الآخرة كذلك جسما انسانيا آخر خاصا فيكون رجوع الانسان وعودته فى الآخرة بوحدة الجسم النوعية لا بوحدته الشخصية وهذا ما يعنيه الانجيل بقوله (للناس جسد واحد وللسمك آخر وللطير آخر) أى ان كل نوع من الأنواع له جسم واحد خاص يرجع ويعود به أى لا يرجع مثلا بجسم الطير ولا الطير بجسم السمك ولا الانسان بجسم أى حيوان آخر غيره كما يزعم أرباب التقمص القائلين بجواز رجوع الانسان فى أى حيوان . فآية الانجيل هذه كما انها ترد على مذهب التقمص فانها تبين أيضا ان روح الانسان انما ترجع فى الآخرة بجسم انسانى آخر غير جسمه

الدنيوى وهذا لا يعد تقمصا لأن كلا الجسمين واحد بالنوع وان كان مختلفا بالشخص وعليه فالروح الانسانية لا تتقمص جسما غير انسانى أبدا وان رجع فى غير جسمه الأصلى انتهى .

هذا ما كنت ذكرته للقس المذكور فى مباحثاتنا المطبوعة فى الكتاب المذكور . ومن ذلك تعلم أن التوراة والانجيل يصرحان أيضا بما يصرح به القرآن الكريم من ان رجوع الأموات واعادتهم وبعثهم من قبورهم انما هو نوعى من حيث الجسم وان كان شخصيا من حيث الروح .

أدلة العقل على ما أقول

الدليل السادس والعشرون

من العقل أن الانسان متى مات انحل جسمه الى عناصره الأصلية التراب للتراب والماء للماء والهواء للهواء والحرارة للحرارة والحياة للحياة فلا يرجع جسم الانسان مرة أخرى الا كما خلق أولا بأن يتكون تكوينا حديثا ويخلق خلقا جديدا بالطريقة التى يخلق الله بها سائر الأجسام وهذه حقيقة راهنة وقضية ظاهرة واضحة لا يمكن للعقل انكارها .

الدليل السابع والعشرون

من العقل أيضا أن جسم الانسان بعد موته وانحلاله تنعدم شخصيته وتتفرق أجزاؤه فى أجسام أخرى فبعضها تمتصه النباتات والأشجار وبعضها تأكله الوحوش والطيور والأسماك ، وبعضها يحرق فيصير رمادا وحينئذ فكيف ترجع هذه الأجزاء بعينها وشخصها الى جسم هذا الانسان بعينه وشخصه .

الدليل الثامن والعشرون

ان زيدا مثلا قد يأكل الطير أو السمك الذى أكل جسم عمر مثلا أو يأكل النبات والزرع أو ثمر الشجر الذى امتص جسم بكر فيصبح جسم أحدهما آخذا أو مركبا من جسم الآخر وحينئذ فكيف يرجع الجسدان كاملين معا . وأيضا قد يأكل الانسان جسم انسان آخر مباشرة كما يحدث ذلك فى بعض البلاد المتوحشة فيتغذى جسم الآكل من جسم

المأكول حتى يصبح بعض المأكول جزءا من الآكل فلو أعيد هذان الشخصان بعينهما فتلك الأجزاء التى كانت للمأكول ثم صارت للآكل لا يخلو الحال فيها . اما ان تعاد فى كل واحد منهما وهو محال لاستحالة ان يكون جزء واحد بعينه فى آن واحد فى شخصين متباينين ، واما ان تعاد فى أحدهما دون الآخر فلا يكون جسم الآخر معاد بعينه وشخصه بل معاذا بنوعه كما قلنا .

فان قيل ان الأجزاء التى تعاد هى الأجزاء الأصلية الباقية من أول العمر الى آخره لا جميع الأجزاء . قلنا انه على فرض صحة بقاء الأجزاء الأصلية من أول العمر الى آخره فى جسم الانسان فانه يرد على هذا القول أيضا أن الأجزاء الأصلية للمأكول قد تصير منيا فى الآكل ويحصل منه مولود فتكون الأجزاء الأصلية من المأكول أجزاء أصلية لذلك المولود فبعود المحذور .

الدليل التاسع والعشرون

انأجزاء الأجسام كلها فى تحليل وتركيب مستمر وان كل جزء يتجدد بتوالى الأزمنة فينمو بالغذاء وينحل عنه البعض بالحركة أو الذبول أو غير ذلك حتى أنه بعد مضى عدد من السنين تكون الذرات التى كانت داخلة فى تركيب الجسم قد زالت كلها وتجدد مكانها ذرات جديدة . فجسم الانسان يتغير ويتبدل فى الدنيا عدة مرات . وقد قرر حذاق الأطباء أن الجسم يتبدل كله حتى العظم فى مدة سبع أو ثمان سنوات حيث أنه كلما تغذى الجسم بغذاء جديد فانه يدفع ويطرد من الأجزاء القديمة البالية ما يقاربها والا لكان جسم الشخص الواحد مقدار الجبل اذا لم يخرج منه ما يقارب ما يدخل فيه من الغذاء وما يتجدد فيه من الدم واللحم . ومع هذا التبدل الكلى فى الجسم فالانسان هو هو ولكن بروحه لا بجسمه واذا كان هذا الجسم يتبدل كله فى الدنيا عدة مرات وهو حى فكيف يعقل ان لا يتبدل بعد فنائه وتلاشى أجزاءه فى أجسام أخرى حتى يقال أنه يعود فى الآخرة بشخصه . وأيضا اننا نرى ان

جسم زيد مثلا وهو فى سن العشرة غيره فى المقدار والهيئة والشكل والصفة وهو فى سن العشرين وان جسمه فى سن العشرين غيره كذلك فى سن الثلاثين وهكذا ومع ذلك فزيد ذاك هو زيد هذا بعينه فتبدل الأجسام لا يغير شخص الانسان لأن الانسان انما هو انسان بروحه لا بجسمه وان الجسم انما هو آلة للروح وواسطة فى تنفيذ أعمالها وأغراضها . والآلة تتبدل وتتغير كلها أو بعضها كلما لزم لها أو لبعضها التبدل والتغير كآلة النجار مثلا كلما كلت أو تعطلت استبدلها كلها أو بعضها بآلة أخرى والنجار هو هو بذاته فكذلك الروح مع الجسد كلما تعطل من الجسد جزء استبدلته الروح بجزء آخر وهى هى بذاتها لأنها جوهر مجرد لا يعتريه التبدل والتغير .

أدلة الحديث على ما أقول

الدليل الثلاثون

ان جسم الانسان الدنيوى لا يصلح للبقاء والخلود وعدم الفساد كليا الذى هو من لوازم الجنة والنار اذ أن أهل الجنة خالدون فيها بلا موت وأهل النار كذلك كما فى الحديث وحينئذ فلا بد من جسم آخر صالح للخلود وملائم لبرزخ الآخرة ، وحيث ان حياة الآخرة أرقى جدا من حياة الدنيا فيلزمها جسم أرقى وأرفع وأدق ، وألطف وأنور وأرق ، وأبعد عن المادة من جسم الدنيا كما يشير لذلك بعض الأحاديث كحديث انتقال الأرواح بعد الموت الى طيور خضر أى الى أجسام تشبه الطيور فى الخفة واللطافة والرقة أى تنتقل الى أجسام لطيفة نورانية تلائم بيئة الآخرة وحالتها . وكحديث (أهل الجنة مرد جرد مكحولون ابناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طولهم سبعون زراعا فى سبعة أذرع) وكحديث (أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون) الى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة الصريحة فى ان جسم الانسان فى الآخرة هو غير جسمه فى الدنيا .

الدليل الحادى والثلاثون

اننا اذا قلنا أن الذى يعاد هو جسم الانسان فى الدنيا بعينه وشخصه

فلا يخلو الحال اما أن يراد منه شخص الجسم الذى مات عليه كما يقول كثير من العلماء فيلزم على ذلك أنه لو مات وهو مجذوع الأنف أو مقطوع اليدين والرجلين أو الأذن مثلا أو وهو هرم جدا أن يعاد على هذه الصورة والهيئة وهذا لم يرد به الشرع ولا يقبله الذوق والعقل وأما ان يراد منه شخصه فى دور من احدى أدوار حياته دون الدور الآخر منها أو فى حالة من حالاته دون الأخرى وهذا ترجيح بلا مرجح وأمر لا داعى للقول به ما دام ان الله تعالى قادر على ان يخلق لهذه الأرواح الباقية بشخصها جسما آخر لأتعابها فى تلك الحياة الأخرى .

اعتراض على ما أقول
وأجوبتى عليه

فان قيل ان الذى دعى العلماء الى القول بلزوم عودة الجسد بشخصه هو أن هذا الجسد هو الذى فعل الطاعة أو المعصية ، فيجب ان يعود بشخصه لينال جزاء ما فعل . أما لو قلنا انه يعود بنوعه لا بشخصه فانه يلزم على ذلك ان لا يعاقب الجسم المخطىء وان لا يثاب الجسم المطيع بل يعاقب الجسم الغير مخطىء . وثياب الجسم الغير مطيع وهذا لا يوافق عليه عقل ولا شرع . قلنا ان الذى يدرك الألم واللذة وتنسب اليه الطاعة والمعصية انما هو الروح فقط لا الجسد بدليل ان الجسد متى خرجت منه الروح ثم قطع أو أحرق فانه لا يشعر بشىء من ذلك أبدا .

فالجسم ليس الا آلة فقط غير مدركة فلا تنسب اليه معصية حتى يعاقب عليها ولا طاعة حتى يثاب عليها فهو أشبه بالقدوم أو المنشار فى يد النجار والبندقية أو المدفع فى يد القاتل فكما أن هذه الأشياء لا تستحق ثوابا ولا عقابا ولا يحكم عليها بشىء وانما يحكم على محركها فكذلك الجسم لا يستحق ثوابا ولا عقابا ولا يحكم عليه بشىء وانما يحكم على الروح التى تحركه .

ونظير ذلك ان يهدم شخص بيت شخص آخر فيريد أن ينتقم منه بالمثل ويأبى الا ان يصنع معه مثل ما صنع فلا يرضى بضربه ولا اهانته وانما

يرضيه أن يهدم بيته كما هدم هو بيته . فهـذا لا يحاول ايذاء البيت ولا يخطر بباله ان البيت يستحق عقـابا أو يلحقه أذى وانما يريد أن يعاقب من اعتدى عليه بجنس ما صنع معه حتى لو تعددت البيوت التى يسكنها ذلك المعتـدى لكان غرضه يتحقق بهدم البيت الذى يشغله حال ارادة الانتقام منـه لا الذى كان يشغله يوم تعديـه عليه وذلك أن غرضه الانتقـام من المعتدى بهدم بيته المنسوب اليه لا الانتقام من البيت نفسه .

على أننـا نرى فى الدنيا أنه قد يعاقب الجسم الغير فاعـل للذنب بعقـاب الفاعل له كمن أذنب وهو هـزيل مثلا ثم سمن ثم عـوقب بالضرب أو غيره فان الأجزاء الجديدة التى حدثت فى جسمه بعد فعل الذنب قـد عوقبت بذنب غيرها ، أو كمن أذنب وهو سمين ثم هزل ثم سمن ثم عوقب فبعض الأجزاء التى فعلت الذنب لم تعاقب ولكن عوقبت أجزاء أخرى لم تفعل الذنب وكذلك لو ضرب الظهر أو الوجه من الجسم بجرم كذب اللسان أو ضربت الأرجـل بجرم الأيدى وهكذا ، فانه قد عوقب من الجسم غير الفاعل للذنب . وماذا يجيب القائلون بلزوم رجوع أجزاء الجسم الفاعلة للطاعة أو الذنب بعينها وشخصها عما اذا قطعت يد كافر ثم أسلم فكيف تكون يده فى النـار وهو فى الجنة بلا يد أو قطعت يد مسلم ثم كفر فكيف يكون هو فى النار ويده فى الجنة وحدها واذا كانت كل أجزاء بدنه مع بعضها اما فى النار أو فى الجنة فكيف تكون الأجزاء المطيعة مثل الأجزاء العاصية فى الجنة أو النار .

وبالجملة فانك قـد عرفت من كل ما تقدم لك أن القرآن والحديث والتوراة والانجيل وكذا العقل والطب والبرهان والدليل كلها تنادى بأن الانسان بعد موته لا يعود بعين جسمه الأول وشخصه بل بجسم آخر يخلقه الله كما يشاء وهذا ما يصح ان يؤخذ من جوهرة التوحيد حيث تقول .

وقيل يعاد الجسم بالتحقيق عن عدم وقيل عن تفريق

حيث عبرت عن القول بجمع الأجزاء المتفرقة بلفظ (قيل) المشعر بضعفه وقدمت عليه القول باعادته من عدم أى بجسم آخر المشعر بقوته وهذا ما أفهم من كلام الجوهرة وان كان الناس لا يرضون ان يكون هذا مرادا لها .

عجب الذنب

ان ما قاله بعض العلماء فى (عجب الذنب) أى العصعص من أنه لا يغنى ولا يبلى أبدا وأن الحياة تبقى فيه كامنة كنواة النخلة وان الله تعالى ينزل من السماء ماء كمنى الرجال فينبت الناس من قبورهم كما ينبت البقل والزرع فهذا القول ليس له مستند قوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خصوصا وانه قد ينافى ما ورد فى القرآن من أن الأرض قبل يوم القيامة تكون هباء منبثا أى ذرات منبثة فى الهواء .

على ان المحققين من العلماء كالمزنى من أصحاب الشافعى وغيره قد حققوا أن عجب الذنب يفنى ويبلى أيضا كباقى أجزاء الجسم حيث قال صاحب الجوهرة : —

عجب الذنب كالروح لكن صححا المزنى للبلى ووضحا

وعليه فالجسم كله يبلى حتى عجب الذنب .

البحث التاسع عشر

الروح الإنسانية الناطقة

وما قد يفهم فى بقائها بعد الموت

وفى معنى قوله تعالى (رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ)

ان روح الانسان الناطقة هى باقية خالدة . وانها غير الجسم . أما كونها غير الجسم فلأننا نرى ان الجسم يضعف ويسمن ويمرض ويصح ويتعب ويستريح بل أحيانا تقطع اليد والرجل وتعمى العين وتصم الأذن ويبكم اللسان وتختل الأعضاء بمرض الفلج مثلا وينقص الجسد بالكلية والروح مع ذلك هى هى باقية على حالتها الأصلية لا يعتريها نقص ولا اختلال فى مداركها الروحانية ولا تمرض بمرض الجسد ولا تصح بصحته ولا يعتريها أى تغير عند تغير الجسد كما يقول البعض أو يعتريها شيء من التغير كما يقول البعض الآخر وعلى كلا القولين فلا يشك أحد فى انها غير الجسد .

وأيضا اننا نرى الروح لها تصرفات وأعمال بدون الجسد فهى فى حالة النوم تنظر بدون عين وتسمع بدون أذن وتتكلم بدون لسان وتمشى بدون قدم وتجوب الشرق والغرب والجسم نائم فى محل مخصوص فتراها تتنعم فى بساتين الشام مثلا وجسمها فى بيت صغير بمصر ، وتتألم بأنواع الآلام فى العراق وجسمها فى الحجاز وهكذا مما يدل على انها غير الجسم .

وأما كونها باقية خالدة فلأنه ثبت بالدليل العقلى انها جوهر مجرد عن المادة بسيطة لا تركيب فيها ولا تجزىء حتى تنحل الى تلك الأجزاء

وليست حالة فى جسم ما بل هى قائمة بنفسها متصلة بالجسم مجرد اتصال فقط متعلقة به تعلق العاشق بالمعشوق والجواهر البسيطة المجردة عن المادة لا تنحل ولا تنعدم شخصيتها بعد وجودها ، وها نحن نرى ان بعض العلوم الحديثة كعلم استحضار الأرواح تؤيد بقاء الروح الناطقة بذاتها وشخصها ، واذا كنا نرى ونشاهد الآن أن الصوت والكلام الذى هو أثر من الآثار يحدثه الحلق واللسان والشفتان ويخرج من الفم فى الهواء تبقى ذاتيته وتحفظ شخصيته فى الفونوغراف أجيالا طوالا وان العلماء يبحثون عن صوت داود ونغماته فى الهواء ، فما بالك بالروح التى هى المؤثرة فى كل أعمال الجسم التى من جملتها الصوت والكلام الذى بقيت ذاتيته وحفظت شخصيته وحينئذ فبقاء ذاتية الروح وحفظ شخصيتها أولى وأقرب للعقل .

وأيضا من المعلوم ان وجود الأثر يدل على وجود المؤثر كوجود ضوء النهار الدال على وجود الشمس ومتى انعدم المؤثر انعدم الأثر اذ لا ينشأ الأثر من العدم الصرف فوجود أثر فعال فى المجتمع لروح انسان بعد موته دليل على بقاء روحه فى المجتمع بعد الموت . وها نحن نرى مثلا ان آثار روح محمد صلى الله عليه وسلم وسلطته الروحية وتصرفها ونفوذها فى العالم حتى على الملوك لا تزال باقية ولن تزال الى أبد الآبدين ودهر الداهرين ، وهذا دليل على بقاء روحه وخلودها وهكذا روح ابراهيم مثلا وموسى وعيسى وروح كل ذى أثر نافع ، وهكذا أيضا روح كل ذى أثر مضر كل بحسبه ، ولكننا لا نرى لأى كائن من الكائنات سواء كان جمادا أو نباتا أو حيوانا أثرا وحكما باقيا بعد انحلال أعضائه وتلاشى أجزائه الا للحقيقة الانسانية والروح البشرى فانها تبقى وتستديم آثاره ويبقى نفوذه وتصرفه بعد انحلال التركيب وتفرق الأعضاء وتشتت الأجزاء وهذا دليل على بقاء روحه بعد موته دون غيره .

وبعضهم يفسر بقاء روح الانسان الناطقة ببقاء نفس الآثار الفعالة والأعمال الخالدة كالتعليم والتأليف والاختراعات حسنة كانت أو سيئة

كل بحسب عمله وأثره . ويقول بعضهم ان معنى بقاء نفس الروح وخلودها انما هو بقاء وخلود الروح الكلية العامة التى هى مع الأجساد كالشمس مع الأرض ينتشر شعاعها على المواضع فيأخذ كل موضع نصيبه على قدره فكذلك الروح العامة التى هى الجوهر المجرد القائم بنفسه فان كل جسم من أجسام الانسان يأخذ من شعاعها نصيبه على قدر استعداده وقبوله فأول ما تنفخ فيه الروح وهو فى بطن أمه يأخذ منها على قدره وكلما كبر جسمه كبرت روحه وكل ما كان صفاء عقله وقلبه أشد وأكثر كان حظه من هذه الروح الناطقة أوفى وأوفر ولكن لا ينقص من جوهر هذه الروح شيء كما لا ينقص من جوهر الشمس شيء بانبثاق أنوارها على الكائنات فهذه الروح الكلية العامة لا شك انها باقية خالدة لأنها جوهر مجرد عن المادة متصل بالانسان ومتعلق به مجرد اتصال وتعلق فقط .

وقال الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده ما نصه (قال بعض العلماء الباحثين فى الروح ان الروح انما تقوم بجسم لطيف أثيرى فى صورة هذا الجسم المركب الذى يكون عليه الانسان فى الدنيا . وبواسطة ذلك الجسم الأثيرى تجول الروح فى هذا الجسم المادى فاذا مات المرء وخرجت روحه فانما تخرج بالجسم الأثيرى وتبقى معه وهو جسم لا يتغير ولا يتبدل ولا يتحلل .

وأما هذا الجسم المحسوس فانه يتحلل ويتبدل فى بضع سنين . ويقرب هذا القول من قول الامام مالك رحمه الله حيث قال (ان الروح صورة كالجسد) أى لها صورة وما الصورة الا عرض وجوهر هذا العرض هو الذى سماه العلماء بالأثير . واذا كان من خواص الأثير النفوذ فى الأجسام اللطيفة والكثيفة كما يقولون حتى انه هو الذى ينقل النور من الشمس الى طبقة الهواء فلا مانع أن تتعلق به الروح المطلق فى الآخرة ثم يحل بها جسما آخر تنعم به وترزق سواء كان جسم طير كما يشير اليه الحديث أو غيره) انتهى كلام الأستاذ الامام .

ما أفهمه فى كيفية بقاء الروح الإنسانية بعد الموت

وبيان أن عالم الأرض يجتمع بعوالم السموات

أقول ان كثيرا من آيات القرآن الكريم تدل على ان الله تعالى خلق أفلاكا كثيرة سابحة فى الفضاء سائرة فى أجواء السماء مملوءة بعوالم كثيرة وبدواب تدب عليها كما تدب دواب الأرض على الأرض وتدل أيضا على انه تعالى يجمع دواب الأرض بدواب السماء متى شاء وذلك بنص قوله تعالى فى سورة الشورى : (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) .

وحينئذ فما المانع من أن يقال ان أرواحنا بعد موت هذه الأجسام الأرضية يرسلها الله تعالى الى احدى هذه العوالم الأخرى ويخلق لها جسما ملائما ومناسبا لبيئة الكوكب والعالم الذى يستحق الوجود فيه متنعمة أو متعذبة حسب أعمالها التى عملتها فى الأرض وحسب استحقاقها ودرجتها من ذلك العمل .

وهذه هى آخرة الانسان بعد موته كما يشير الى ذلك الحديث الشريف حيث يقول (من مات فقد قامت قيامته) وحينئذ فمعنى المعاد والبحث على فهمنا هذا هو انتقال روح الانسان الأثيرية فى حالة وبيئة الى حالة وبيئة أخرى ومن كوكب الى كوكب آخر أى من كوكب الأرض الى احدى الكواكب الأخرى التى خصه الله بها وأعطاه جسما ملائما وموافقا لها ، فان كانت أعمال الانسان فى الأرض طيبة حسنة فانه ينتقل الى بيئة وكوكب فيه السعادة والفرح والهناء ، والرقى والعظمة والرخاء وهو ما يسمى فى عرف الشرع بالجنة ، وان كانت أعماله فى الأرض سيئة قبيحة فانه ينتقل الى بيئة وكوكب فيه الشقاء والهم والتعب ، والكد والحزن والنصب وهو ما يسمى فى عرف الشرع بجهنم أو النار . وهذه البيئة وهذا الكوكب لا يمكن للانسان وهو فى الأرض أن يقف على كنهه وحقيقته ولا أن يفهم أو يعرف منه شيئا .

ومما يدل على رأينا هذا قوله تعالى : (نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ) حيث تفيد هذه الآية ان الانسان بعد موته ينشئه الله تعالى بجسم آخر فى عالم آخر لا يعلمه فى حياته الأرضية وان كان سيعلمه عند انتقاله اليه فصاحب الأعمال الحسنة ينتقل الى كوكب السعادة والترفية وعندها فقط يعلم بيئته ومقامه ونشأته الأخرى التى ما كان يعلمها فى نشأته الأولى . وذلك كالجنين الذى ما كان يعلم وهو فى بطن أمه شيئا من حياته فى الدنيا بعد ولادته . وصاحب الأعمال السيئة ينتقل الى كوكب الشقاء والتعاسة فيعلم حينئذ فقط بيئته ومقامه ونشأته الأخرى كما كان قد علم نشأته الأولى بعد ان كان جنينا لا يعلم منها شيئا . وليس هناك مانع عقلى أو شرعى يمنع من كون كوكب السعادة والنعيم قد عبر عنه فى لسان الشرع بالجنة وكوكب الشقاء والعذاب قد عبر عنه بجهنم أو النار أو الجحيم كما يقال مثلا بلد السعادة أو بلد الشقاء باعتبار ما فيها من النعيم أو العذاب وقد يقال أيضا ان الأرواح بعد موت أجسامها الأرضية تبقى فى أجسامها الأثيرية متنعمة أو معذبة وتجول فى محيطنا الأرضى أو فى محيط مجموعتنا الشمسية لا تخرج عن ذلك بحيث يمكن استحضارها كما يفعل علماء استحضار الأرواح وبحيث تزور ديارها وقبورها كما ورد فى بعض الآثار وجو نا الارضى أو جو مجموعتنا الشمسية لا يضيق بهذه الأرواح بأجسامها الأثيرية مهما تكاثرت وتجمعت من ابتداء خلقة الانسان الى النهاية لأنها جواهر مجردة أثيرية لا يضيق بها الجو كما لا يضيق دماغنا الصغير بالمعلومات مهما تكاثرت وكما لا يضيق الجو أيضا بالأصوات الغير محصورة التى يلتقط الراديو شيئا منها متى وجه الى موجة مخصوصة كموجة لندن أو مصر مثلا كما يتوجه الذهن الى شيىء مخصوص من المعلومات الكثيرة الموجودة فى الدماغ .

وعلى كل فان جميع هذه الأقوال انما هى أفهام واحتمالات فقط . أما الحقيقة فى أمر الروح بعد الموت وفى الآخرة فهى من الأمور الغيبية

التى لا يصل العقل البشرى الى معرفتها كما قال تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا) . هذا مايتعلق بالروح الانسانية الناطقة .

الروح الحيوانية والعناصر الكلية

أما الروح الحيوانيـة فى الانسان وغيره المسماة بالنفس الناميـة الحساسة فهى عنصر من عناصر الحيوان مطلقا ولكنها ألطف وأرق وأرقى كثيرا من عنصر الحرارة التى هى أرق وألطف من عنصر الهواء الذى هو أرق وألطف من عنصر الماء الذى هو أرق وألطف من عنصر التراب ، فالتراب أثقلها وأكثفها ، والروح الحيوانية أخفها وأفضلها ، وهذه العناصر الكلية العامة بما فيها الروح الحيوانية النامية يوجد خـلاف فى بقائها وخلودها أو عدم بقائها وخلودها . مما لا يتسع هذا المكان لبيانها .

اختلاف العلماء فى المراد من المعاد

ان الناس قديما وحديثا قد اختلفوا فيما هو المراد من (المعـاد) اختلافا كثيرا ويمكننى الآن أن ألخص أقوالهم وأنظمها فى آراء ثمانية « خمسة أخروية وثلاثة دنيوية أما الخمسة الأخروية فهى :

١ — معاد أخروى روحى فقط .

٢ — معاد أخروى جسمى فقط أى ان الروح جسم أيضا أى جسم أثيرى .

٣ — معاد أخروى روحى وجسمى شخصيين .

٤ — معاد أخروى روحى شخصى وجسمى نوعى .

٥ — لا معاد فى الآخرة أصلا لا روحيا ولا جسميا وان المراد من المعاد الوارد فى الشرائع انما هو عودة الجسم بالموت الى التراب كما كان أولا هذه هى الآراء الخمسة المتعلقة بالآخرة . وأما الثلاثة المتعلقة بالدنيا فهى:

١ — معاد دنيوى روحى شخصى وجسمى نوعى وهو مذهب التناسخ

٢ — معاد دنيوى روحى وجسمى نوعيين أى رجوع حصص من الروح الكلية العامة الى أجسام أخرى غير الأجسام الأولى بمعنى انه كلما خلق جسم جديد من أجسام الناس تحل فيه حصة جديدة من الروح الكلية العامة تقوم بتنظيم شؤونه .

٣ — معاد دنيوى ولكنه معنوى وهو ما يفهم من كلام بعض أهل الفلسفة الحديثة .

أما الرأى الأول الأخروى وهو أن المعاد روحى فقط فى الآخرة فهو ما يفهم من كلام الفلاسفة الالهيين القائلين بأن النفس الناطقة جوهر مجرد عن المادة بسيط لا تركيب فيه ولا تجزء ولا يقبل الانحلال ولا العدم بعد وجوده فهى باقية خالدة بعد الموت وهى وحدها تشعر فى الآخرة بملذات أعمالها الحسنة وبآلام أعمالها القبيحة بدون احتياجها فى ذلك الى جسم . وقد جرى على ذلك بعض فلاسفة الاسلام كابن سينا وابن رشد فعندهم ان الروح لا ترجع الى هذا الجسد بل ان معنى المعاد هو رجوع النفس الى حيث كانت أولا أى قبل أن تلبس هذا الجسد وقد أشار الى هذا المعنى الشهاب السهروردى بقوله :

خلعت هياكلها بجرعاء الحمى ... وصبت لمغناها القديم تشوقا
وتلفتت نحو الديار فشاقها ... ربع عفت اطلاله فتمزقا
وقفت تسائله فرد جوابها ... رجع الصدى ان لا سبيل الى اللقا
فكأنها برق تألق بالحمى ... ثم انطوى فكأنه ما أبرقا

وأما الرأى الثانى وهو انه معاد أخروى جسمى فقط فهو ما يفهم من كلام كثير من المتكلمين القائلين بأن النفس الناطقة انما هى جسم مادى داخل هذا الهيكل المخصوص وعلى صورته وهذا هو مذهب الامام مالك رضى الله عنه وقد أشار اليه صاحب الجوهرة بقوله :

لمالك هى صورة كالجسد ... فحسبك النص بهذا السند

ويؤيد هذا الرأى العلوم الروحية الحديثة المتعلقة باستحضار الأرواح حيث قرر أربابها أن الروح هى جسم أثيرى داخل الجسم الطبيعى وعلى شكله وهيئته وانها من مادة الأثير المكتشف حديثا والذى يقال انه مادة الكون الانشائية وان كانت أعيننا لا يمكن أن تراه .

وأما الرأى الثالث وهو أنه معاد أخروى روحى وجسمى شخصين فهو ما يفهم من كلام جمهور المسلمين القائلين بأن النفس الناطقة ليست مادة على صورة الجسد وانما هى جوهر مجرد عن المادة ولكنه لا يعمل عملا الا بواسطة المادة والجسم ولا تدرك ألما ولا لذة الا به وان جسمها الدنيوى سيعود بذاته وعينه وشخصه فى الآخرة كما تعود هى شخصها كذلك .

وأما الرأى الرابع وهو أنه معاد أخروى روحى شخصى وجسمى نوعى أى معاد بروح شخصية وبجسم نوعى فهو ما يفهم من كلام كثير من العقلاء المفكرين القائلين بأن شخص الجسم الدنيوى ينعدم وتتفرق أجزاؤه فى أجسام أخرى فلا يعود بعينه وشخصه ولكن الله تعالى يخلق لشخص هذه الروح الباقية جسما آخر يلائم بيئة الآخرة وقد عرفت مما ذكرناه لك سابقا ان هذا القول هو ما يفيده القرآن والحديث والتوراة والانجيل ، ويؤيده العقل والطب والبرهان والدليل وهو أيضا رأى وسط ليس فيه افراط المقلدين ولا تفريط المنكرين وخير الأمور الوسط .

وأما الرأى الخامس وهو انه لا معاد فى الآخرة أصلا لا روحيا ولا جسميا فهو ما يفهم من كلام الفلاسفة الماديين الأقدمين القائلين بأن النفس الناطقة ليست هى الا مزاجا خاصا بالجسم المخصوص فمتى مات وانحل هذا الجسم فلا يمكن اعادة هذا المزاج الخاص بعينه الذى هو الروح عندهم كما انه لا يمكن اعادة هذا الجسم المخصوص بشخصه بعد تفرقة وتلاشى أجزاءه فى أجزاء أخرى ، فمعنى المعاد على قول هؤلاء انما هو عودة الجسم بالموت الى التراب الذى خلق منه ورجوعه اليه ليتكون ويخلق منه شىء آخر نباتا أو غيره حسب ما يريد الله ، وهذا هو

معنى الرجوع الى الله تعالى أى رجوع الانسان اليه ليخلقه مرة أخرى كما يشأ . هذه هى الآراء الخمسة المتعلقة بالآخرة .

وأما الآراء الثلاثة المتعلقة بالدنيا فالرأى الأول منها وهو انه معاد دنيوى روحى شخصى وجسمى نوعى فهو مذهب أرباب التناسخ المعروف . وأما الرأى الثانى وهو انه معاد دنيوى روحى وجسمى نوعيان . فهو ما يفهم من كلام الذين يعتقدون ان المراد من الأولى والآخرة انما هى أولى الشخص وآخرته فى الدنيا وأولى الأمة وآخرتها كذلك وهؤلاء ينكرون الآخرة والثواب والعقاب ويقولون (ما هى الا أرحام تدفع وأرض تبلع وهكذا الى ما لا نهاية) .

وأما الرأى الثالث وهو انه معاد دنيوى ولكنه معنوى فهو ما يفهم من كلام بعض أهل الفلسفة الحديثة حيث يقولون ان معنى العودة والرجعة هى رجوع التجليات الروحانية والفيوضات الالهية والتعاليم السماوية فى المظاهر النبوية أى ان ظهور كل نبى من الأنبياء ورسول من الرسل لهداية الناس وارجاعهم الى معرفة الحق تعالى هو رجوع وعودة للناس الى الفطرة التى فطر الناس عليها من الاقرار بربوبيته والاسلام اليه وتجديد لهم بذلك وخلق لهم خلقا جديدا وولادة لهم ولادة روحانية جديدة أى انهم كانوا أمواتا بالجهل والرذائل والأخلاق الفاسدة والأعمال السيئة بل كانوا عدما بها فأصبحوا ببعثة الرسل فيهم أحياء موجودين بحياة جديدة هى حياة الرقى والسعادة وحياة العلم والأخلاق الفاضلة والصفات الكاملة والأعمال الصالحة ورجعوا بذلك الى الله تعالى وبعثوا بها بعثا جديدا ووجدوا بها من العدم الى الوجود ، فالبعث والرجعة تتحقق فى كل ظهور من الظهورات الالهية وفى كل دور من الأدوار النبوية فمعنى البعث عند هؤلاء هو بعث الأمة فى حياة جديدة سعيدة بظهور نبى فيهم وبعثه اليهم ومعنى معادها عودتها الى مجد سابق قديم بعودة المظاهر الالهية فيها . وقد يستدل على ذلك بقوله تعالى (وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَابِ ٱللَّهِ إِلَى يَوْمِ ٱلْبَعْثِ

فَهٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلٰكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) أى ان يوم ظهور النبى (ص) فيكم هو يوم بعثكم بعد ان كنتم قد لبثتم فى كتاب الله السابق مدة طويلة مهملين له غير عالمين بمجىء هذا اليوم . وهذا المعنى لا يمنع من أن الروح لا بد وان تكون بعد الموت اما فى نعيم أو عذاب حسب أعمالها وانها اما أن تترقى فى درجات الكمال واما أن تتردى فى دركات الهوان . وحينئذ فهؤلاء قد لا ينكرون الآخرة ولا نعيمها وعذابها وانما يفسرونها بغير ما يفهمه كثير من الناس ولا يسمونها معادا وبعثا لأن المعاد والبعث عندهم هو بعث الأمم وعودتها الى اتباع مظاهر الله وأنبيائه الكرام فيما يكون فيه سعادتهم الدنيوية والآخروية كما قدمنا .

وقد يؤيد ذلك بعض الآيات القرآنية الواردة فى البعث والخلق الجديد كقوله تعالى (ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ، فإن هذه الآية خطاب لليهود وامتنان من الله عليهم حيث بعثهم بعد موتهم أى أحياهم بارجاعهم الى بلادهم والى عزهم ومجدهم بعد سبيهم واذلالهم وقوله : (يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) ، أى يحييكم بالايمان والأعمال الصالحة . وقوله : (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ ٱللّٰهُ) أى يبعثهم باستجابتهم لله ورسوله والايمان بهما . وكقوله تعالى : (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ) ، أى فى خلق جديد باتحادكم واجتماعكم بعد تفرقكم وتمزقكم . وقوله (وَقَالُوا ءَإِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ ءَإِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ) ، أى فى خلق جديد من الايمان والهداية ولقاء الله بعد الكفر والضلالة والبعد عن الله ، الى غير ذلك من الآيات الأخرى التى تفيد أن المراد من الحياة والموت ومن البعث والخلق الجديد أمور حاصلة فى الدنيا . على ان تفسير هذه الآيات ونحوها بما هو فى الدنيا لا ينافى تفسيرها بما هو فى الآخرة أيضا .

الإماتة مرتين والإحياء مرتين

فى قوله تعالى ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين

قال تعالى فى سورة المؤمن : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ . قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ . ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ . هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ . فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) .

أجمع المفسرون على ان مناداة الكافرين بالمقت ، وقولهم (أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ، واعترافهم بذنوبهم ، وسؤالهم سبيلا الى الخروج انما هو حاصل يوم القيامة فى الآخرة لا فى الدنيا . وقال أكثرهم ان المراد بالاماتة الأولى هى خلقهم ميتين حال ما كانوا نطفة وعلقة) وبالثانية اماتتهم عند انقضاء آجالهم . وبالاحياءة الأولى احياءهم بنفخ الروح فيهم وهم فى الأرحام . وبالثانية احياءهم باعادة أرواحهم الى أبدانهم للبعث يوم القيامة .

واعترض على هذا التفسير بأن لفظ (الاماتة) معناه تصيير الشىء ميتا بعد ان كان حيا لأن صفة الافعال والتفعيل موضوعات للتعيير فلا بد فى تحقيق معنى الأماتة من سبق الحياة ولا سبق هنا .

وقال بعضهم المراد بالاماتة الأولى اماتتهم عند انقضاء آجالهم . وبالاحياءة الأولى احياءتهم فى القبر للسؤال . وبالاماتة الثانية اماتتهم بعد هذه الاحياءة الى قيام الساعة . والاحياءة الثانية احياءتهم للبعث .

واعترض عليه أيضا بأنه يلزم على هذا القول أن تكون الاحياءات ثلاثة والآية انما أثبتت احياءتين اثنتين . وعليه فتفاسير المفسرين هذه بعيدة عن معنى الآية ، خصوصا وأنهم لم يتمكنوا بوجه معقول من تطبيق بقية هذه الآيات على ما يقولون .

ما أفهمه فى معنى الإماتة والإحياء مرتين فى هذه الآية

أقول ان من يتأمل فى هذه الآيات يجد انها تتحدث عن حالة الكافرين فى زمن الاسلام من ان هؤلاء الكافرين ينادون فى الدنيا بأن مقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون .

فأجابوا على هذا النداء بقولهم (ربنا أمتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا) .

وعلى ذلك يكون المراد من الاماتة والاحياءة فى هذه الآية الاماتة والاحياءة المعنويين الروحانيين لا الجسمانيين ، أى ان الاماتة تكون بالكفر والجهل والضلال وفساد الأحوال وسوء المآل ونحو ذلك وان الاحياءة تكون بنقيض هذه الأمور .

واننى أفهم فى معنى هذه الاماتة والاحياءة فهمين ، الأول ان الاماتة الأولى هى الاماتة قبيل ظهور الاسلام حينما كان الناس فى فوضى وجهالة وضلالة وكفر واشراك بالله بعد ان كانوا أحياء بهداية الرسل السابقين قبل الاسلام . وعليه فيكون لفظ (الاماتة) على معناه الوضعى أى مسبوقا بالحياة . وان الاحياءة الثانية هى احياءتهم بالاسلام وان الاماتة الثانية هى اماتة الذين كفروا بعد ظهور الاسلام كما قال تعالى عنهم (اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) فدعاؤهم الى الايمان احياء ، وكفرهم اماتة . فهذه هى الاماتة مرتين والاحياءة مرتين .

وترتيبها هكذا (احياءة أولى) بهداية الرسل الأولين حينما كان الناس قبل ارسال الرسل فى موت الجهل والضلال وعدم معرفتهم بالله الواحد القهار (اماتة أولى) بترك الناس تعاليم الرسل الأولين وأرجعوهم الى جهلهم وضلالهم القديم (احياءة ثانية) بالاسلام وبظهور محمد عليه الصلاة والسلام الذى ناداهم الى الايمان ودعاهم الى صالح الأعمال (اماتة ثانية بكفر المشركين حينما دعوا الى توحيد الله كما قال تعالى فى هذه الآية (ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا)

وانما جعلنا حالة الناس مع الرسل الأولين كلهم ما عدا محمدا حالة واحدة باحياءة واماتة وجعلنا حالتهم مع محمد حالة أخرى باحياءة واماتة لأن محمدا لما كان خاتم الرسل وكانت شريعته خاتمة الشرائع فقد أصبحت الحالة فى زمنه مستقلة متميزة عن الحالة الأولى حيث ان الحالة الأولى كانت حالة بدائية بسيطة لم يكمل فيها النمو العقلى والرقى الروحى فجعلت حالة مستقلة وجعلت الحالة التى ترقى الناس فيها واستعدوا لقبول أى تفكير واصلاح حالة أخرى .

والفهم الثانى الذى فهمناه فى معنى الاماتة والاحياءة المذكورتين فى هذه الآية يختلف عن الفهم الأول فى ترتيب الاماتتين والاحياءتين وفى بعض معانيها وهى كما يلى (اماتة أولى) بترك تعاليم الرسل الأولين ورجوع الناس الى جهلهم وضلالهم القديم (احياءة أولى) بالاسلام وظهور محمد (ص) الذى أخرج الناس من الظلمات الى النور ومن الشقاوة والضلالة الى السعادة والهداية (اماتة ثانية) بترك الناس تعاليم الاسلام وانقيادهم الى أهوائهم وشهواتهم كما هو حاصل الآن (احياءة ثانية) بظهور المهدى المنتظر الذى يأخذ بأيدى الناس الى تعاليم الاسلام القويمة والذى يخرج المسلمين من ظلم الأقوياء المعتدين ويحررهم من استعباد الغربيين المستعمرين .

والدلائل التى تشير الى ما أقوله من ان الاماتة والاحياءة فى هذه الآية هما معنويتان روحانيتان لا جسمانيتان هى خمسة دلائل مأخوذة

من نفس هذه الآيات (الأول) : انها انما تتكلم عن الكفر والايمان الذين هما موت وحياة معنويات حيث قالت (اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) لا عن الموت والحياة الجسديين الماديين .

الثانى : انها قد فرعت على الاماتة والاحياء الاعتراف بالذنوب حيث قالت (فاعترفنا بذنوبنا) والاعتراف بالذنوب انما يناسب الموت والحياة الروحية ويتفرع عنها .

الثالث : انها جعلت الاماتة مرتين والاحياء مرتين سببا فى اعترافهم بذنوبهم أى انهم لما تكررت عليهم مضار الموت ومنافع الحياة بهذا المعنى مرتين اعترفوا بذنوبهم لأن الاتعاظ بالشيىء والاعتراف بضرره أو منفعته لا يحصل بمرة واحدة فقط وانما يحصل بتكراره مرة بعد أخرى ، وحينئذ فقد ظهر وجه كون الموت والحياة مرتين بهذا المعنى سببا فى الاعتراف بالذنوب والخطايا حيث بتكرار ذلك عليهم تحققوا ما ترتب على هذا الموت من المصائب والرزايا والبلايا وسوء الحال الناشئين من الجهل والضلال وتحققوا أيضا ما ترتب على هذه الحياة من السعادة والراحة والهناء ، ومن الحرية والاستقلال وسعة العيش والرخاء ، ولذلك طلبوا من الله تعالى وسألوه هل من سبيل الى الخروج مما هم فيه من الجهل والضلال ومن الاستعباد والاضمحلال ومما هم عليه من الذنوب والخطيآت التى اعترفوا بها حيث قالوا (فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل) فأجابهم الله بقوله (ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير) أى انكم تعودتم على انه اذا دعى الله وحده تكفرون به وان يشرك به تؤمنوا بهذا الاشراك فاذن الحكم فيكم لله العلى الكبير الذى لا بد وان يعاملكم حسب ما تفعلون بأنفسكم

أما على تفسير المفسرين من ان الموت والحياة هنا جسديان فلا يظهر وجه تفريع الاعتراف بالذنوب على الموت الجسدى مرتين وعلى الحياة الجسدية مرتين الا بتكليف وتمحل زائدين كما لا يظهر أيضا وجه جعل هاتين المرتين من الموتتين والحياتين سببا فى الاعتراف بالذنوب الا بتكلف وتمحل لا لزوم له .

الرابع : انها جعلت جواب سؤالهم من الله عن وجود سبيل للخروج مما هم فيه انهم اذا دعى الله وحده يكفرون به واذا دعى مع شركائهم يؤمنون بذلك وهذا يدل على ان الكلام فى هـذه الآيات انما هو فى الايمان بالله والكفر والاشراك به الذين هما الحياة والموت الروحانيان .

الخامس : انها تقول فى آخرها (هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) وهذا يفيد ان هذه الآيات من أولها الى آخرها انما تعنى بالأماتة الكفر بالله وبالاحياء الايمان الخالص له وان ما فى هذه الآيات من مناداة الكافرين بالمقت ومن قولهم (أمتنا اثنتين واحييتنا اثنتين) ومن اعترافهم بذنوبهم ومن سؤالهم سبيلا الى الخروج مما هم فيه انما هى حاصلة فى الدنيا لا أمور سوف تحصل فى الآخرة يوم القيامة كما يدعى المفسرون .

الآيات القرآنية التى تشير إلى المهدى

وأما الدلائل التى تشير الى ما قلناه من ان المراد من الاحياءة الثانية هى ظهور المهدى فهى أربعة أولها ان صدر هذه الآيات بقول (ان الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) حيث ان تعبير هذه الآية بصيغة المضارع فى (ينادون) وفى (تدعون) التى تدل على الاستقبال والتجدد يفيدان ان هذا النداء وهذه الدعوة يكونان فى المستقبل بعد محمد (ص) أى عند ظهور مهـدى الاسلام .

ثانيا : ان آخرها يقول (رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده) فان التعبير بصفة المضارع فى قوله (يلقى الروح) الدالة على الاستقبال والتجدد يفيد ان الله تعالى سوف يلقى الروح بعد محمد (ص) على بعض عباده وما ذاك الا المهدى المنتظر .

ولا يلزم من القاء الروح عليه أن يكون نبيا بل يصح أن يكون هـذا الالقاء على غير نبى قال تعالى (وأما ان كان من المقربين فروح وريحان

وجنة نعيم) وقال أيضا (ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) وقال أيضا (أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) فهذه الآيات تفيد ان الروح قد تكون على غير الأنبياء من المؤمنين المقربين .

ثالثا : قوله تعالى فى آية أخرى (واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج) فانه يفيد ان المنادى سوف يكون بعد محمد (ص) أى فى الدنيا وان ذلك هو يوم الخروج حسب قوله فى الآية السابقة (فهل الى خروج من سبيل) فهاتان الآيتان على معنى واحد يؤيد بعضهما بعضا فى المعنى المراد من النداء ومن الخروج الذين قد يكون المقصود منهما نداء وخروج المهدى المنتظر .

رابعا: قوله تعالى فى آية أخرى أيضا (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون) فان هذه الآية تفيد ان الموت الأول هو ما كان عليه الناس من الجهل والضلال والاضمحال قبل الاسلام . وان الاحياء الأول هو احياء الناس بالاسلام حيث أعزهم الله به ونصرهم وصيرهم سادة العالم وجعلهم خير أمة أخرجت للناس. وان الموت الثانى هو موتهم بتركهم تعاليم الاسلام وهداية القرآن وان حياتهم الثانية هى حياتهم بظهور مهدى الاسلام فى مستقبل الزمان. وقد يكون هناك آيات أخرى غير هذه تشير الى المهدى قد تظهر لمن يتتبع آيات القرآن . وما قلناه فى معنى الاماتة والاحياء هنا لا ينافى ما قاله المفسرون بل هما احتمالات فقط فى معنى هذه الآيات .

البحث العشرون

معـــاد اليهود إلى فلسطين

الوارد ذكره فى التوراة

ومزاعم الصهيونيين فى ذلك

ردودى فى هذا الموضوع على الدكتور (وايزمن) زعيم الصهيونية . وعلى الدكتور (أوشسكين) رئيس جمعية ألـكيرن كيمت اليهودية . وعلى الدكتور (هاركلفز) المسيحى رئيس المستشفى الإنـكليزى بغزة . وجوابى على سؤال وجه إلى :— « هل فى القرآن ما يدل على الدولة اليهودية التى وجدت فى فلسطين الآن أم لا ؟ . »

ان معاد اليهود الى فلسطين ورجوعهم اليها قد ورد فى عدة آيات من التوراة . وقد ورد أيضا فى بعض الأحاديث النبوية الشريفة ما يفيد ان فلسطين هى أرض المعاد . ولكن البسطاء قد فهموا من هذا الحديث ان أرض فلسطين ستكون فى الآخرة يوم القيامة أرض المعاد العام لجميع الأنام . واضطروا بسبب ذلك أن يقولوا ان الله تعالى سوف يمدد أرض فلسطين بحيث تتسع جميع المخلوقات من بدايتهم الى نهـايتهم فى آن واحد ، مع انه لا داعى لهذا الفهم ولا موجب لهذا التمديد ما دام يمكن حمل الحديث على ما هو مذكور فى التوراة ومعلوم للجميـع من ان فلسطين هى أرض معاد اليهود فى الدنيا .

ولكن اليهود أنفسهم قد غلطوا أيضا فى فهم آيات التوراة الدالة على ذلك وتصـوروا أنهم سوف يعودون كلهم اليها مرة أخـرى فى آخر الزمان أيضا بعد عودتهم الأولى من سبيهم . وها هم الآن يعدون العدة لهذه العودة الثانية بسبب وعد بلفور وزير خارجية انكلترا لهم بذلك

ولم يعلموا ان الله تعالى لا يجب عليه أن يوفى بوعد بلفور وانما يوفى بوعد نفسه الذى ذكره فى التوراة وقد وفى به بالفعل فيما مضى بعد سبيهم الى البلاد الأخرى .

وكان أوشسكين رئيس جمعية الكيرن كايمت الصهيونية قد كتب مقالا بالفرنسية ترجمته جريدة فلسطين مآله انه لا بد من رجوع الملك لليهود فى أرض فلسطين بمقتضى كلام التوراة وانه لا يمكن لأية قوة فى العالم أن تمنعهم من ذلك، وكنت رددت عليه فى العدد ١٤٠ من الجريدة المذكورة المؤرخ فى ٢٤ تشرين سنة ١٩٢٩ بردود من نفس هذه التوراة وكذلك زعم نفس هذا الزعم الدكتور وايزمن زعيم الصهيونية أمام لجنة التحقيق البريطانية الأميركية التى حضرت لفلسطين سنة ١٩٤٦ لبحث المشكلة الفلسطينية قائلا (ان اله اسرائيل قد وعد أن يعيده فى يوم من الأيام الى بلاده ومملكته فلسطين) وكنت رددت عليه برد أرسلته الى الهيئة العربية العليا فى ٢٦ آذار من السنة المذكورة لكى يلقى أمام لجنة التحقيق المذكورة ردا على الدكتور وايزمن فى دعواه المتقدمة .

وكذلك كان قد زعم نفس هذا الزعم الدكتور هاركلفز المسيحى رئيس المستشفى الانكليزى بغزة وكنت رددت عليه فى جريدة فلسطين . فى ٢٤ تشرين الثانى سنة ١٩٢٩ وحيث ان هذه الردود الثلاثة لها ارتباط وثيق ومناسبة قوية بمسألة ميعاد اليهود الى فلسطين المذكورة هنا فانى أريد أن أذكر ملخصا مجملا لما فيها من الفائدة القيمة فأقول :

ردودى على مزاعم اليهود
فى أنهم لا بد وأن يملكوا فلسطين

ان اليهود يدعون ان الله تعالى قد وعدهم فى التوراة أن يعودوا الى فلسطين وأن يمتلكوها وأن يصبحوا أرباب ملك وسلطان فيها كما يشير الى ذلك الدكتور وايزمن زعيم الصهيونية فى شهادته أمام لجنة التحقيق البريطانية الأميركية وكما يصرح بذلك الدكتور أوشسكين رئيس جمعية الكيرن كيمت اليهودية فى مقاله الذى ترجمته جريدة فلسطين عن الفرنسية

وكما يدعى الدكتور (هاريجريفز) رئيس المستشفى الانجليزى بغزة فى مناظرتنا معه وقد جعل اليهود ومن تابعهم هذا الوعد حجة لهم الآن على تمسك اليهود بمحاولة رجوعهم الى فلسطين وعلى اعتقادهم بوجوب حصول ذلك فعلا وعلى ان هذا حق من حقوقهم من الوجهة الدينية حسب نص التوراة .

ولكن الحقيقة ان التوراة ليس فيها أدنى دلالة على ما يقولون ، ولا أية حجة لما يزعمون ، وانى أذكر هنا ما استدل به هؤلاء الدكاترة الثلاثة على دعواهم مبينا غلطهم فى هذا الاستدلال ثم اذكر أدلتى على عكس ما يدعون بنفس آيات التوراة والانجيل مؤيدا ذلك بنص القرآن الكريم ليكون ذلك منارا لأرباب الأديان الثلاثة .

ثمانية أدلة من التوراة على ما يزعمون

وردودى على هذه الأدلة

دليلهم الأول على ما يزعمون : قول التوراة فى سفر التكوين ١٧ : ٨ خطابا من الله تعالى لابراهيم عليه السلام (وَأُعْطِى لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ كل أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكاً أَبَدِيّاً) قالوا ان هذه الآية صريحة فى ان الله تعالى قد وعد اليهود ان يعطيهم البلاد المقدسة ملكا أبديا لهم وحينئذ فلا بد من رجوعهم اليها بعد خروجهم منها ليتحقق مضمون هذه الآية من ملكهم لها ملكا أبديا .

وقد قلت فى الرد عليهم ان نسل ابراهيم الوارد فى هذه الآية كما يصدق على اليهود الذين هم من نسل ولده اسحق ، كذلك يصدق على العرب الذين هم من نسل ولده اسماعيل وحيث ان اليهود بعد ملكهم للبلاد المقدسة قد طردهم الله منها طردا أبديا كما سيأتى التصريح به فى نفس التوراة فقد لزم حينئذ ان يبقى مضمون هذه الآية صادقا على العرب الذين هم ملاكها الآن وان تبقى فى أيديهم الى الأبد بمقتضى هذه الآية لأنهم من نسل ابراهيم أيضا .

وبهذا تكون آيات اعطاء البلاد المقدسة الأبدى لنسل ابراهيم باقية

على صدقها وغير مناقضة لآيات طرد اليهود الأبدى منها ولكنهما يتناقضان لو أردنا من نسل ابراهيم خصوص اليهود كما يدعون لأن اليهود بسبب انفصالهم عن البلاد المقدسة من نحو ألفى سنة لا يصح أن يقال عنهم انهم ملكوها ملكا أبديا أما العرب فبالنظر لكونهم لم ينفصلوا عنها بعد ملكهم لها ولم يرد فيهم تصريح بطردهم منها طردا أبديا كما ورد ذلك فى اليهود فقد أصبح لزاما أن يراد من نسل ابراهيم الذين يملكون البلاد المقدسة ملكا أبديا هم نسله العرب الذين ملكوها بعد طرد اليهود منها طردا أبديا والا كانت آيات التوراة هذه اما كاذبة أو متناقضة .

دليلهم الثانى على ما يزعمون قول التوراة فى أرميا ٣٠ : ٣ : ـ (لأَنَّهُ هَا أَيَّامٌ تَأْتِى ، يَقُولُ الرَّبُّ وَأَرُدُّ سَبْيَ شَعْبِى إِسْرائِيلَ وَيَهُوذَا ، يَقُولُ الرَّبُّ وَأُرْجِعُهُم إِلَى الْأَرْضِ التى أَعطَيْتُ آبَاءَهُمْ إِيَّاهَا فَيَمْتَلِكُونَهَا) ، ولكن هذه الآية انما تفيد ان وعدهم برجوعهم الى الأرض المقدسة انما يكون بردهم اليها من سبيهم فيمتلكونها فى تلك الأيام عقب السبى كما حصل فيما مضى لا أنهم يمتلكونها الآن بعد طردهم الأبدى .

دليلهم الثالث قولها فى أرميا ٣١ : ١٥ : (هكذا قال الرَّبُّ صَوْتٌ سُمِعَ من الرَّامةِ نَوْحٌ وَبُكَاءٌ مُرٌّ . راحِيلُ تَبكى على أَوْلادِها وَتأْبَى أَن تَتعزَّى عن أَولادِها لِأَنَّهم لَيْسُوا بِمَوْجُودِين ، هكذا قال الرَّبُّ اُمْنَعِى صَوْتَكِ عن البُكاء وَعَيْنَيْكِ عن الدُّموع لِأَنه يُوجَدُ جَزَاءٌ لِعَمَلِكِ ، يَقُولُ الرَّبُّ فَيَرْجِعُون من أَرضِ العدوِّ ، ويُوجَدُ رَجاءٌ لِآخِرَتِكِ ، يقولُ الرَّبُّ فَيَرْجِعُ الْأَبْنَاءُ إِلى تخْمِهِم) ولكن هذه الآيات انما تفيد ان رجوع الأبناء الى تخمهم الموعود به يكون برجوعهم من أرض عدوهم حتى تنطبق الآية عليهم لا من أرض صديقهم الانكليز وأميركا . والمراد من عدوهم هنا اما فرعون مصر لأن هذه الآية تخاطب راحيل بقولها (ويوجد رجاء لآخرتك) أى آخرة راحيل وأبناؤها قد رجعوا فعلا فيما مضى من مصر أرض عدوهم فرعون ، واما أن يراد من عدوهم هنا ملك بابل الذى سباهم بالسيف والجوع حسب الآيات التى بعدها . وعلى كل حال

فليس المراد من رجوعهم فى هذه الآيات رجوعهم فى هذه الأيام كما يدعى اليهود .

دليلهم الرابع قولها فى أرميا ٣٢ : ٣٦ (هكذا قالَ الرّبُّ إلٰهُ إسرائيلَ عن هذه المدينة التى تَقولُ أَنَّها قَد دُفِعَتْ لِيَدِ مَلِكِ بَابِلَ بالسَّيْفِ وَالْجُوعِ وَالْوَبَاءِ ، هَا أَنَا ذَا أَجْمعُهم مِن كلِّ الأَرضِ التى طَرَدْتُهم إليها بِغَضَبى وَغَيْظِى وَبِسَخَطٍ عَظِيمٍ ، وَأَرُدُّهم إلى هذا الموضع وَأُسْكِنُهم آمنين) ، ولكن هذه الآية انما تفيد ان الذين يريد الله أن يجمعهم من كل الأرض التى طردوهم اليها بغضبه وسخطه ويريد أن يردهم الى مواضعهم آمنين هم الذين دفعهم ليد ملك بابل بالسيف والجوع والوباء وقد حصل هذا فيما مضى فلا يصح أن يفسر بالحالة الحاضرة كما يدعون .

دليلهم الخامس قولها فى أرميا ٣٢ : ٤٣ : (لِأَنَّه هكذا قال الرَّبُّ كما جَلَبْتُ على هذا الشَّعْبِ كلّ هذا الشَّرِ الْعَظِيمِ هكذا أَجْلِبُ أَنَا عليهم كلّ الْخَيْرِ الذى تكلَّمْتُ به إليهم . فتُشْترى الحقولُ فى هذه الأَرضِ التى تَقولون إنها خَرِبَةٌ بِلا إنسانٍ وَبلا حيوانٍ وَقد دُفِعَتْ لِيَدِ الكلدانيين . يَشْتَرون الحقولَ بِفِضَّةٍ وَيكتُبون ذلك فى صُكوكٍ وَيَختِمون وَيُشْهِدُون شُهوداً فى أَرضِ بَنْيامينَ ، وَحوالَى أُورشَليم ، وَفى مُدُنِ يَهوذا ، وَمدن الْجَبَلِ وَمدن السَّهل ، وَمدن الْجَنوبِ لأني أَرُدُّ سَبيَهم يقول الرب) ، ولكن هذه الآيات صريحة فى ان ما أخبرت قد حصل وتحقق فعلا فيما مضى أيام رجوعهم من سبى بابل لأنها تقول (لأنى أرد سبيهم) خصوصا وان فلسطين الآن ليست فى يد الكلدانيين بل فى يد العرب ، وليست خربة بلا انسان ولا حيوان ولكنها كانت كذلك أيام سبى بابل ، وحينئذ فليس فى هذه الآيات أدنى دلالة على رجوعهم الآن وشرائهم لها بالفضة وكتابة ذلك فى صكوك الخ كما يدعون الآن لأن مضمون هذه الآيات كان فى حادثة مضت وانقضت .

دليلهم السادس قول التوراة فى حزقيال ٣٦ : ١٦ (إن بيتَ إسرائيلَ لَمَّا سَكَنُوا أرضَهم نَجَّسُوها بطريقهم وَأفعالِهم ، كانتْ طريقُهم أمامى كَنَجاسةِ الطَّامثِ فَسَكَبْتُ غَضَبى عَليهم لِاجل الدَّم الذى سَفكوه على الْأَرض . وَبأصْنامِهم نَجَّسوها . فَبَدَّدْتُهم فى الْأُمَم فتَذَرَّوْا فى الْأَراضى ، كطريقِهم وَكأفعالِهم دِنْتُهُمْ ، فَلَمَّا جاءوا إلى الْأُمَم حَيثُ جاءوا ، نَجَّسوا اسْمِى الْقُدُّوسَ إذْ قالوا لهم هؤلاء شَعبُ الربِّ ، وقد خَرَجوا من أرضِه ، فتَحَشْتُ على اسمى القدوسِ الذى نَجَّسَهُ بَيتُ إسرائيلَ فى الْأُمَم حَيثُ جاءوا ، لذلك . فَقُلْ لِبَيْتِ إسرائيلَ هكذا قال السيد الربُّ ليس لِأَجْلِكم أنا صَانِعٌ يا بَيْتَ إسرائيلَ ، بل لأجل اسمى القدوسِ الذى نَجَّسْتُموه فى الْأُمم ، حيثُ جِئتم فأُقدِّسُ اسمى العظيمَ الْمُنَجَّسَ فى الْأُمم الذى نَجَّستُموه فى وسْطِهم ، فتَعْلَمُ الْأُمم أنى أنا الربُّ ، يقولُ السيدُ الربُّ ، حينَ أتَقَدَّسُ فِيكم قُدَّامَ أعْيُنِهم ، وآخذكم من بين الْأُمم ، وأَجْمَعُكم من جميع الْأَراضى ، وآتى بكم إلى أرضِكم) ، ولكن هذه الآيات انما هى واردة فى حق السابقين الأولين من اليهود الذين حينما سكنوا أرضهم نجسوها بطريقهم وأفعالهم فبددهم الله فى الأمم فتذروا فى الأراضى ونجسوا اسمه القدوس فيها كلها فخوفا من بقاء هذه النجاسة فى الأراضى وفى الأمم الأخرى التى سكنوا بينهم أراد الله تعالى أن يجمعهم فى أرضهم ليحصر نجاستهم فيهم وفسادهم وبغيهم بينهم فلا يتعدى ذلك الى أحد من الأمم الأخرى وحتى لا يلام الله على ابقاء نجاستهم ومفاسدهم منشورة بين الناس ولكن لما كثرت نجاستهم حتى فى أرضهم وعظمت مفاسدهم حتى فيما بينهم فرقهم الله عن بعضهم حتى لا يؤذى بعضهم بعضا ومزقهم شر ممزق ولكن فى العالم كله لا فى الشرق فقط كما فعل الله معهم أولا لأجل أن يتذروا فى عموم الأرض ولا يبقى لهم كيان مطلقا ،ثم ضرب عليهم الذلة والمسكنة والخزى والعار حتى لا يقدروا ان يؤثروا على غيرهم وحتى لا يرضى أحد بالاقتراب منهم

والانتساب اليهم فكان هذا جزاءهم بعد كثرة احسان الله لهم . وحينئذ فهل يعقل بعد ذلك أن يعطيهم القوة والنفوذ حتى يرجعوا الى ايذاء الناس الذين يعيشون بينهم وان يجمعهم الله فى أرض أصبحت ملكا لغيرهم ومسكنا لسراهم خصوصا بعد ان صرح تعالى فى كتبه الثلاثة المقدسة بأنه لا يعود ينظر اليهم الى الأبد والى النهاية والى يوم القيامة كما سيأتى توضيح ذلك .

دليلهم السابع قول التوراة فى عاموس ٩ : ١٤ : (وَأَرُدُّ سَبِي شَعْبِي إسرائيلَ فَيَبْنُونَ مُدُناً خَرِبَةً وَيَسْكُنُونَهَا وَيَغْرِسُونَ كُرومًا وَيشْرَبُونَ خَمْرَهَا وَيَصْنَعُونَ جَنَاتٍ وَيأْكلون أَثْمَارَهَا وَأَغْرِسُهُم فى أَرْضِهِم وَلَن يُقلَعُوا بَعْدُ من أَرْضِهِم التى أَعْطَيتُهَا لهم) ، ولكن هذه الآية تقول (وارد سبى شعبى اسرائيل) وقد رد سبيهم بالفعل فيما مضى واما قولها (وأغرسهم فى أرضهم ولن يقلعوا بعد من أرضهم) فهذا حاصل لحد الآن فان بنى اسرائيل لم يقلعوا كليا من فلسطين بل هم باقون فيها الى الآن ولكن بصفة أفراد وهيئات لا بصفة ملك وسلطان فالآية قد صدقت فيما تقول ولكنها لا تدل أبدا على ملك ومجد وسلطان كما يزعمون الآن .

دليلهم الثامن : قول التوراة فى زكريا ١٣ : ٨ (وَتكونُ فى كلِّ ٱلْأَرضِ يقولُ ٱلربُّ أَنَّ ثُلُثَين منها يُقْطعانِ وَيَمُوتان ، وَٱلثُّلُثُ يَبْقى فيها ، وَأُدْخِلُ ٱلثُّلُثَ فى ٱلنارِ ، وَأُمَحِّصُهم كَمَحْصِ ٱلفِضَّةِ ، وَأَمْتَحِنُهم ٱمْتِحانَ ٱلذَّهَبِ ، هُوَ يَدْعُو باسمى ، وَأَنَا أُجِيبُه ، أَقولُ هوَ شَعْبى ، وَهُوَ يَقولُ ٱلربُّ إلهى) ، ولكن هذه الآية لا تنطبق أيضا على الحالة الحاضرة الآن وانما هى فى السبى بدليل قوله بعدها ويخرج نصف المدينة الى السبى وبقية الشعب لا يقطع من المدينة والذى لم يقطع من المدينة هم الذين كانوا قد آمنوا بالمسيح عليه السلام أيام السبى الأخير لأن هؤلاء هم الذين محصهم الله كمحص الفضة وامتحنهم امتحان الذهب فآمنوا وقالوا الرب الهنا وهم الذين بقوا فى المدينة كما تصرح بذلك الآية وليسوا هم الذين يأتون من الخارج

كما هى الحال الآن وعلى كل فليس فى هذه الآية ما يدل على رجوعهم فى هذه الأيام . كما يدعون .

هذه هى أصرح الآيات الواردة فى التوراة على ما يزعمون وقد عرفت انه لا يوجد آية منها تدل على انهم يرجعون الى فلسطين الآن ويملكونها وبهذا سقطت دعواهم من الوجهة الدينية التى يتبجحون بها ويستندون عليها الآن فى مزاعمهم .

ثمان آيات من التوراة

تدل على عكس ما يزعمون

وعلى أن اليهود قد انتهى عهدهم وأنه لن يعود إليهم مجدهم

أما الآيات التى تدل على عكس ما يدعون بل تصرح بأن اليهود قد انتهى عهدهم أمام الله وانهم طردوا من البلاد المقدسة طردا أبديا وانهم لا يعودون الى مجدهم وملكهم وانهم شطبوا من سفر الأحياء كأمة لا كأفراد فمنها أولا قول التوراة فى المزمور ٦٩ : ٢٨ عن اليهود (لِيُمْحَوْا مِن سِفْرِ ٱلْأَحياءِ) فالله سبحانه وتعالى قد أمر فى هذه الآية وقرر فيها محو اليهود من سفر الأحياء أى قرر وأمر انهم لا يكونون أحياء كأمة صاحبة ملك ومجد وسلطان ، وليس المراد حياة الأفراد لأنهم بهذا المعنى لا يزالون أحيـاء .

ومنها ثانيا قولها فى المزمور أيضا ٨٣ : ١٥ (لِيَخْزَوْا . وَيَرْتَاعُوا إلى ٱلْأَبَدِ وَلْيَخْجَلُوا وَيَبِيدُوا) فهذه الآية تفيد ان خزيهم وارتياعهم أبدى لا نهاية له فكيف حينئذ يرجعون الآن الى طمأنينتهم ومجدهم وملكهم وتفيد أيضا ان الله أمر وقرر ان يبيدوا من على وجه الأرض أى أن يبيدوا كأمة لا كأفراد والابادة كأمة هى الابادة الحقيقية التى تصلح أن تكون جزاء وعقابا . اما ابادة الأفراد فهى طبيعية لا تصلح للجزاء لأن كل فرد لا شك بائد وهالك .

ومنها ثالثا قولها فى أرميا ١٧ : ٤ (لِأَنَّكُم قَدْ أَضْرَمْتُمْ نَاراً بِغَضَبِى تَتَّقِدُ إِلَى ٱلْأَبَدِ) فهذه الآية تفيد ان نار غضب الله لا تزال متقدة عليهم الى الأبد وحينئذ فلن يرجعوا الى مجدهم الى الأبد .

ومنها رابعا قولها فى أرميا أيضا ٢٣ : ٣٩ (لذلك ها أنا ذا أنساكم نِسْياناً ، وَأَرْفُضُكم مِن أمام وَجْهى أَنتُم ، وَٱلْمَدِينَةُ التى أَعْطَيتكم ، وَآبَاءَكم إِيَّاها ، وَأَجْعَلُ عَلَيْكم عاراً أَبَدِيًّا وَخِزْياً لا يُنسى) فهذه الآية تفيد ان الله تعالى قد رفضهم رفضا باتا الى الأبد وجعل عارهم أبديا وخزيهم ليس منسيا وهذا أصرح من الصريح فى عدم امكان رجوعهم الى مجدهم وملكهم .

ومنها خامسا قولها فى هوشع ٩ : ١٥ (مِن أَجلِ سوءِ أَفْعالِهِم أَطْرُدهم من بَيتِى لا أَعودُ أُحِبُّهم) فهذه الآية تفيد ان الله تعالى يطردهم من بيته وهى البلاد المقدسة وانه لا يعود يحبهم أى بارجاعهم الى هذا البيت لأن الارجاع هو المقابل لمعنى الطرد فيفسر عدم الحب هنا بعدم الارجاع طبعا وهذا يفيد ان طردهم منه أبدى حيث قال (لا أعود أحبهم) أى لا أعود ارجعهم .

ومنها سادسا قولها فى عاموس ٥ : ٢ (سَقَطَتْ عَذراءُ إِسرائيلَ لا تعودُ تقومُ ٱنْطَرَحَتْ عَلَى أَرضِها لَيس مَنْ يُقيمُها) فهذه الآية تفيد ان بنى اسرائيل قد سقطوا سقوطا أبديا لا يمكن أن يقوموا منه بأنفسهم ولا أن يقيم منه غيرهم أيضا أى لا يقدرون على عودتهم الى مجدهم وملكهم بأنفسهم ولا يقدر أحد أن يعيدهم الى ذلك ولو ساعدتهم ملوك الأرض .

ومنها سابعا قولها فى عاموس أيضا ٨ : ٢ (فقال لى الرب قد أَتَتْ النهاية على شَعبى إسرائيلَ لا أَعودُ أَصفحُ لهُ بَعْدُ) فما دام ان الرب اله اسرائيل قد صرح بأنه لا يصفح عنهم أبدا وصرح أيضا ان نهايتهم قد أتت فكيف يدعون حينئذ انهم سيعودون الى مجدهم وملكهم بعد هذين التصريحين الخطيرين .

ومنها ثامنا قولها فى عاموس ٨ : ٧ (قد أقسم الرب بفخر يعقوب أني لن أنسى إلى الأبد جميع أعمالهم ، أليس من أجل هذا ترتعد الأرض ويناح كل ساكن فيها) فاقسام الله تعالى بعدم نسيان أعمالهم الى الأبد صريح فى انه لا ينظر اليهم ولا يعيد لهم مجدهم وملكهم الى الأبد والا فيكون الله قد نسى . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

هذا قليل من كثير مما فى التوراة الذى يدل على ان الله تعالى قد نزع ثقته من اليهود وانه لا يريد أبدا أن يرجعهم الى بلادهم وملكهم الذى نزعه منهم .

ثلاث آيات من الإنجيل
تدل على عكس ما يزعمون أيضاً

واما الانجيل فانه يصرح بذلك فى عدة مواضع منها أولا : قوله عن اليهود ولكن قد أدركهم الغضب إلى النهاية) فاستمرار غضب الله عليهم الى النهاية صريح فى انه لا يعود اليهم مجدهم وملكهم فى يوم من الأيام .

ومنها ثانيا : قوله فى متى ٤٣ : ٢١ على لسان المسيح عليه السلام خطاباً لليهود (إن ملكوت الله سينزع منكم ويعطى لأمة أخرى تعمل أثماره) والأمة الأخرى التى أعطيت هذا الملكوت المنزوع من اليهود والتى عملت أثماره هى الأمة العربية كما هو مشاهد الى اليوم سواء أريد من الملكوت فى هذه الآية الملكوت المادى أى الملك والسلطان أو الملكوت الروحى أى النبوة لأن العرب قد أعطوا هذا الملكوت بمعنى النبوة أيضا بعد بنى اسرائيل . أما المسيح عليه السلام فليس مرادا هنا (أولا) لأنه من بنى اسرائيل لا من أمة أخرى والآية تقول (يعطى لأمة أخرى) . وثانيا : لأن المسيح نفسه بين ان هذا الملكوت انما سيأتى بعده حيث انه كان فى صلواته يطلب دائما مجيئه بقوله (ليأت ملكوتك) وحيث انه علم اتباعه من بعده أن يطلبوه أيضا فى صلواتهم . وبالجملة فان الأمة العربية قد أعطيت الملكوت المادى والروحانى الذى نزع من اليهود فى

البلاد المقدسة وحيث انه نزع منهم فيها وأعطى لأمة أخرى فلا معنى لادعائه الآن .

ومنها ثالثا ما قاله المسيح فى المثل الوارد فى متى ٢١ وفى مرقس ١٢ وفى لوقا ٢٠ وهو (إِنْسَانٌ غَرَسَ كَرْمًا ، وَسَلَّمَه إلى كَرَّامِين . وَسَافَرَ زَمَناً طَوِيلاً ، وَفى ٱلوقْتِ أَرْسَلَ إلى ٱلْكَرَّامِين عَبْداً لِكى يُعْطُوه مِن ثَمَرِ ٱلْكَرْم ، فَجَلَدَهُ ٱلْكَرَّامُون وَأَرْسَلُوه فَارِغاً ، فَعَادَ وَأَرسَلَ عَبْداً آخَرَ ، فَجَلَدُوا ذلك أَيْضًا وَأَهَانُوه وَأَرسَلوه فَارِغاً . ثم عَادَ فأَرسَلَ ثَالِثاً فَجَرَحُوا هذا أَيضاً وَأَخْرَجُوه ، فَقَالَ صاحبُ ٱلْكَرْم مَاذَا أَفْعَلُ أُرسِلُ (ٱبنى الحبيبَ) لَعَلَّهم إِذَا رَأَوْه يَهَابُون فلمَّا رَآه الكرامون تآمروا فِيمَا بيْنَهُمْ قَائِلين هذا هُو الوارِثُ هلمُّوا نَقْتُلْهُ لكى يَصير لنا الميراثُ فَأَخْرَجُوه خارجَ الكَرْم وقَتَلُوهُ . فماذا يَفعَلُ صاحبُ الكرم يأْتى وَيُهلِكُ هؤلاء الكرامين وَيُعطى الكرمَ لآخرين) . انتهى .

فهؤلاء الكرامون وهم بنو اسرائيل الذين سلمهم الله كرمه وهى البلاد المقدسة قد فعلوا فيها مع الأنبياء الذين أرسلهم الله اليهم قبل المسيح أفاعيل كثيرة فقد جلدوا بعضهم وجرحوا بعضهم ورجموا بعضهم الخ فأرسل الله لهم (ابنه الحبيب) وهو المسيح عليه السلام أى ابنه الروحى فتآمروا على قتله فلما فعلوا به ما فعلوا غضب عليهم صاحب الكرم وهو الله تعالى وأهلكهم وأعطى هذا الكرم أى البلاد المقدسة الى كرامين آخرين وهم العرب كما هو معروف فى التاريخ وكما هو مشاهد الى اليوم وحينئذ فكيف يدعون ملكية هذا الكرم أى البلد المقدس بعد ان نزعه الله منهم وأعطاه لغيرهم وبعد ان أهلكهم كأمة لا حول لها ولا سلطان . وهذا ما تفيده الآية بل تصرح به .

خمس آيات من القرآن

تدل أيضاً على عكس ما يزعمون

أما آيات القرآن التى تدل على عكس ما يزعمه اليهود فكثيرة منها (أولا) قوله تعالى : (ضُرِبَتْ عَلَيهِم ٱلذِّلَّةُ أَينما ثُقفوا) أى اينما وجدوا

سواء فى فلسطين أو غيرها وما دام ان الله تعالى قد ضرب عليهم الذلة فى أى مكان وجدوا فيه فكيف يمكن أن يكون لهم فى فلسطين ملك وسلطان فى يوم من الأيام كما يدعون .

ومنها ثانيا قوله تعالى (وَإِذْ تأَذَّن رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَليهم إلى يوم ٱلْقِيامة مَن يَسُومُهم سُوءَ ٱلْعذابِ) ، فاذا كان الله تعالى قد تأذن وأعلن للعالم انه لا بد وان يبعث ويسلط عليهم دائما الى يوم القيامة من يهينهم ويسومهم سوء العذاب فكيف مع هذا يكون لهم فى فلسطين عز ومجد وملك وسلطان كما يزعمون .

ومنها ثالثا قوله تعالى خطابا للمسيح عليه السلام (وجَاعِلُ ٱلذين ٱتَّبَعُوكَ فوقَ ٱلذين كفروا إلى يوم ٱلقيامةِ) . والذين اتبعوا المسيح وآمنوا به هم النصارى والمسلمون لأن المسلمين من المؤمنين بالمسيح لا من الكافرين به وانما الكافرون به هم اليهود فهذه الآية تصرح بأن النصارى والمسلمين لا بد وان يكونوا دائما فوق اليهود الى يوم القيامة فى فلسطين وغيرها وهذا عكس ما يزعمون وعكس ما يطلبون .

ومنها رابعا قوله تعالى :— (وَضربَتْ عليهم ٱلذِّلةُ وَٱلْمَسْكنةُ وَبَاءوا بِغَضَبٍ من ٱللهِ ذلك بأنهم كانُوا يكفرُون بآياتِ ٱللهِ وَيَقْتلُونَ ٱلنَّبيين بغيرِ ٱلحقِّ ذلك بما عَصَوْا وكانوا يَعتَدُون) ، فهذه الآية تفيد ان الله تعالى قد ضرب على اليهود الذلة والمسكنة وانه غضب عليهم بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء وعصيانهم واعتدائهم على الناس . واذا كان الله تعالى قد أذل قوما وغضب عليهم فكيف يدعون بعد ذلك العزة والمجد والملك والسلطان فى أى مكان كان كما يدعى هؤلاء اليهود فى فلسطين الآن .

ومنها خامسا : لعن الله اليهود فى كثير من الآيات القرآنية كقوله تعالى : (لُعن ٱلذين كفروا من بنى إسرائيل عَلَى لسانِ داودَ وَعيسى بنِ مريمَ ذلك بما عَصَوْا وكانوا يعتدون) . وقوله :— (كما لَعنَّا أَصحابَ ٱلسَّبْتِ) . وقوله :— (بَلْ لعنهم ٱللهُ بكُفرهم) . وقوله :— (فبما نَقْضهم ميثاقَهم لَعنَّاهم)

وقوله :— (ولُعِنُوا بِمـا قَالُوا) الى غير ذلك من الآيات التى تلعنهم بسبب نقضهم الميثاق وقتلهم الأنبياء (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) واللعن معناه الطرد من الرحمة وحينئذ فكيف يرجعون الى مجدهم وملكهم فى فلسطين وهو أعظم رحمة لهم مع انهم مطرودون من الرحمة الى غير ذلك من آيات القرآن الكثيرة التى تدل على غضب الله على اليهـود وعلى طردهم واذلالهم الى يوم القيامة .

وحينئذ فقد ظهر ان الكتب الالهية الثلاثة قد أجمعت على ان اليهود لا تقوم لهم قائمة فى زمن من الأزمان ولا مكان من الأمكنة (الى الأبد) حسب تعبير التوراة (والى النهاية) حسب تعبير الانجيل (والى يوم القيامة) حسب تعبير القرآن وانه لا حق لهم فى فلسطين من الوجهـة الدينية أبدا ، وعليه فمن أين يصح لليهود أن يدعوا هذا الحق الدينى ، وعلى أى أسـاس بنى زعيمهم وايزمن شـهادته على ذلك وبأى دليـل استدل رئيس جمعية الكيرن كايمت ومن على شاكلته على رضا الله عن اليهـود الآن وارجاعهم الى فلسـطين الذى يخالف به صريح التـوراة والقرآن والانجيل ، وبأى استناد وعلى أى اعتماد قال الرئيس المذكور (انه لا تستطيع أية معارضة ولا أية معركة فكرية ولا أية حرب مهمـا كان مصدرها ان تقف حاجزا أمام تحقيق النبوة التاريخية رجوع الأبناء الى تخمهم) ومن أين جاز لبريطانيا وأميركا وهما دولتان مسيحيتان أن يقوما بتدعيم وتثبيت هذا الحق المزعوم الباطل الذى ينكره المسيح والذى تناقضه جميع الكتب المقدسة خصوصا وانه لا يستغرب على من فعلوا مع نفس المسيح ما فعلوه أن يفعلوا ما يشابه ذلك فى مقدساته وفى بلده بل وفى قبره ومهده ، ممالا يصح أن يرضى به مسيحى على وجه الأرض ولا يجوز أن يقبله مسلم فى طولها والعرض .

مساعدة بريطانيا وأميركا لليهود
إنمـا هى ضد د ينهم المسيحية

واذا كانت بريطانيا وأميركا تريدان مساعدة اليهـود فى اسكانهم

فلسطين على أمل أن يعتنقوا الديانة المسيحية متى سكنوا فيها استنادا على آراء وأفهام بعض القسس وأن يندغموا فى المسيحيين ويتلاشوا فيهم ويكونوا جزء منهم ويتركوا دينهم وقوميتهم التى انما يشتغلون الآن لاقامتها وتقويتها فان هذا الأمل بعيد جدا اذا لم نقل انه مستحيل على اخلاق اليهود وأطوارهم المعلومة فانهم اذا لم يؤمنوا بالمسيح ولم يندغموا فى المسيحيين وهم أشلاء متفرقون لا حول لهم ولا قوة ولا قيمة لهم ولا قومية فكيف يرضون أن يعتنقوا دينهم وأن يندغموا فيهم بعد ان تقوى قوميتهم فى هذه البلاد المقدسة التى يعتقدون انها مهد دينهم وبعد ان يقوم سلطانهم فى البلاد التى يزعمون انها وطنهم وموضع ملكهم ان هذا الأمل من هؤلاء القسيسين ومن تابعهم انما هو وهم صرف وخيال محض واضغاث أحلام . وها هى علامات ودلائل ذلك ظاهرة للعيان فيما يفعله اليهود الآن مع البريطانيين من قتل ونسف وحرق وخسف . فاذا كان اليهود وهم ضعفاء الآن يفعلون ما يفعلون مع الحكومة البريطانية حامية الايمان المسيحى فكيف بهم اذا كانوا أرباب قوة وملك وسلطان .

وعلى كل حال فان مساعدة بريطانيا وأميركا لليهود فى فلسطين انما هى مساعدة لأعداء المسيح على المسيح فى بلده ، وتمكين لهم من مواطن مقدساته ومن قبره ومهده ، ومخالفة صريحة لنص انجيله ، وتقوية لهم على زيادة الكفر به ، وحينئذ فهل يصح فى عقل ودين ان هاتين الدولتين المسيحيتين تفعلان ذلك الا اذا قلنا انهما أصبحتا سياسيا دولتين يهوديتين لا مسيحيتين ، غاضين النظر عن الدين والعقل وعن الحق والعدل التى هى مقومات الدول وعناصر بقائها فى العالم . وأما حضرات الدكاترة الثلاثة المتقدم ذكرهم فانهم ما قالوا ما قالوه ولا كتبوا ما كتبوه ، ولا شهدوا بما شهدوه الا لأجل الدعاية وايهام الرأى العام الأوروبى بأنه حتى الكتب المقدسة ونبؤات الأنبياء تؤيد وعد بلفور . ولأجل أن يوهموا الرأى العام الاسلامى والمسيحى واليهودى بأنه حتى الأنبياء والمرسلون والكهنة والقديسون موافقون ومبشرون بالوطن القومى اليهودى والمملكة

اليهودية فضلا عن وعد بلفور ومساعدة الانكليز والأميركان وموافقة عصبة الأمم ليقووا بذلك عزم من يساعدهم ، ويكسروا به شوكة من ينازعهم ، ويلقوا اليأس فى قلوب من يعارضهم .

ولكن يجب أن يسوء فألهم وأن يخيب ظنهم ، وأن ينقطع أملهم من الوجهة الدينية ، كما قدمناه لك من آيات التوراة والانجيل والآيات القرآنية ، وكذلك من الوجهة السياسية والطبيعية كما سيظهر فى المستقبل ان شاء الله تعالى (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) (ان ربك هو أعلم بالمعتدين) انتهى ملخص ردودى على الدكاترة الثلاثة التى نشرت فى الجرائد والتى كان آخرها سنة ١٩٤٦ .

تملك اليهود لفلسطين وزوال ذلهم فيها

إذا تمسكوا بحبل من الله وحبل من الناس بنص القرآن

و بيان أنه لا تناقض بين آيات القرآن فى هذا الموضوع

بعد كتابة ما تقدم وبعد أن أعلنت أميركا ان يكون فى فلسطين مملكة يهودية ، ثم تبعها فى ذلك باقى الدول الغربية ، وبعد أن أعلنوا جميعا أن تكون هذه الدولة مستقلة ذات سيادة ، وان تكون عضوا فى هيئة الأمم المتحدة ، وبعد ان استولت هذه الدولة على معظم بلاد فلسطين ، وأخرجت منها أهلها العرب الأصليين ، وأسكنت بدلهم شذاذ الآفاق من اليهود ، وملأت هذه البلاد المقدسة بالمعدات والقوى والعساكر والجنود ، حتى استتب لها الأمر ، وتم لها النصر ، بعد هذا كله شرع الناس يتساءلون . كيف حصل هذا لليهود وآيات التوراة والانجيل والقرآن تدل دلالة ظاهرة على انه لا يحصل لهم مجد ولا يتحقق لهم ملك ولا يكون لهم سلطان . وقد كان هذا السؤال كثيرا ما يجول بخاطرى عقب امتلاكهم لفلسطين كما ان كثيرا من الناس كانوا يسألوننى مثل هذا السؤال ، بعد حصول ما حصل مما هو واقع الآن .

وقد وفقنى الله لمعرفة الجواب من القرآن نفسه الذى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) حيث قال تعالى فى سورة آل عمران ١١٢

(ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) فقد استثنى الله من دوام الذلة عليهم حالة واحدة هى حالة تمسكهم بحبل الله وحبل من الناس . وحبل الله هو الاتحاد وعدم التفرق بنص قوله تعالى (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) واليهود فى هذه الأيام قد اعتصموا بهذا الحبل أى حبل اتحادهم مع بعضهم واعتصموا أيضا بحبل من الناس وهو اتفاقهم مع الانكليز والأميركان وكثير من الأمم والدول الغربية على لزوم مساعدتهم ومعاونتهم حتى استصدروا وعد بلفور بوطن قومى لهم فى فلسطين . وقد وافقت على ذلك بضع وخمسون دولة من دول الغرب على تنفيذ هذا الوعد بل على جعل فلسطين مملكة مستقلة لليهود داخلة فى هيئة الأمم المتحدة . وكفى بذلك أن يكون حبلا لهم من الناس . فالحبلان اللذان أشار القرآن بأن بهما تزول ذلة اليهود عنهم قد حصلا لهم الآن فعلا وأصبحوا الآن فى عزة ومجد وملك وسلطان ما داموا متمسكين بهذين الحبلين .

معاد اليهود إلى فلسطين وإن حصل فعلا إلا أنه لا يدوم طويلا

ان طباع اليهود وخصالهم التى فطروا عليها كشدة مكرهم وعنادهم ولؤمهم ، وكثرة غدرهم وعدوانهم وظلمهم ، وكغلظة أكبادهم وصلابة رقابهم وقسوة قلوبهم ، وكتخصيصهم المنفعة ببنى قومهم وكراهيتهم ان تصل أى منفعة منهم الى غيرهم ، وكأنانيتهم وكثرة حبهم لذاتهم شأنهم فى كل أدوار حياتهم لا تمكنهم طويلا من التمسك بهذين الحبلين بل لا بد وان يغضب العالم منهم وتتألب الأمم عليهم بسبب تمكن هذه الخصال القبيحة فيهم فينفلت منهم حبل الناس وحبل الله معا ويرجعون الى ما كانوا عليه لأن ما بالطبع لا يتغير والى هذا أشار القرآن الحكيم بقوله فى سورة

الأعراف (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ) أى انه وان كان قد يحصل لهم مجد وملك وسلطان ، فى بعض الأمكنة والأزمان ، الا انه بسبب ما هم عليه من الأخلاق والطباع ومن الانانية والمكر واللؤم والخداع لا بد وان يبعث الله عليهم آونة بعد أخرى وزمنا بعد زمن وعصرا بعد عصر من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب أى ان بعث الله عليهم من يسومهم سوء العذاب يتعاقب عليهم بتعاقب ما يستوجبه ويزول بزواله وهكذا الى يوم القيامة . ومعنى قوله (ان ربك لسريع العقاب) أى انه يعاقب على الشىء حالا وسريعا حتى يؤوبوا الى رشدهم وانهم ان عادوا الى ما كانوا عليه أعاد الله عليهم عقابه كما قال تعالى فى حقهم (وان عدتم عدنا) .

ومما يدل على انهم مفطورون على مثل هذه الأخلاق القبيحة والصفات الذميمة وانهم لا بد وان يعودوا الى مافطروا عليه وانهم لا بد وان ينفلتوا من هذين الحبلين قوله تعالى فى حقهم : (وَجَعَلْنَا مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ) وقوله فى آية أخرى (فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) فتحويل الله تعالى طباعهم وأخلاقهم من طباع وأخلاق الانسانية الى طباع وأخلاق القردة والخنازير يدل على انهم مهما تكلفوا الأخلاق الحسنة وتصنعوا فى تمسكهم بها لا بد وان تغلب عليهم طباع القردة والخنازير التى خلقها الله فيهم وكونها فى نفوسهم بقوله لهم (كونوا قردة خاسئين) فكانوا حسبما حكم وأمر ، وحسبما كون وفطر .

فالمراد من جعلهم قردة وخنازير انهم يكونون كالقردة والخنازير فى الطباع والأخلاق كسرعة التقلب من حال الى حال ، وعدم الثبات والاستقرار ، وعدم نفع التأديب ، بالزجر والتعذيب ، وكالخداع والمكر واللؤم والغدر ، وعدم الغيرة على الشرف والعرض ، ونحو ذلك من صفات الخنزير والقرد ، وليس المراد انهم انقلبوا قردة فعلا وصاروا خنازير حقيقة كما قال بذلك أكثر المفسرين لأن ذلك غير معقول ومخالف

لسنة الله فى الخلق . وبالجملة فان الأدلة قائمة على ان اليهود مهما حصل لهم من الملك والسلطان ، فانه لابد وان ينتزع منهم فى أقرب وقت وزمان وان ينفلت هذان الحبلان ، وان يرجعوا الى ما كانوا عليه من الذلة والهوان

السبب فى كثرة وجود الأنبياء فى بنى إسرائيل

ان التوراة قد أفاضت ببيان عدم استدامة اليهود على ما فيه عزهم ومجدهم واكثرت من ذكر الحوادث التى تدل على عدم استقرارهم على ما فيه خيرهم وصلاحهم مما استوجب أن يرسل الله اليهم أنبياء كثيرين تزجرهم وتهددهم حتى فاق عدد أنبياء اسرائيل الرقم القياسى بالنسبة للأمم الأخرى الذين لم يحتاجوا فى اصلاحهم الى معشار عشر ما احتاج اليه اليهود من الأنبياء والمصلحين مما يدل على أن استقامة أحوالهم واستدامة اصلاحهم واستبقاء عزهم ومجدهم وملكهم قد أعيت أنبياءهم المتعاقبة وأعجزت رسلهم المتتابعة مع ان الله تعالى لم يرسل لكل أمة الا رسولا واحدا كما قال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) وقال فى آية أخرى (ولكل أمة رسول) .

ولفظ رسول قديطلق على رسول الاصلاح فى الأمور المادية الدنيوية كرسل الاصلاح المادى ورسل الاختراع الدنيوى الموجودين فى الغرب . فكما ان الشرق هو منبت الرسل الروحيين الذين يسمون بالأنبياء فالغرب هو منبت الرسل الماديين الذين يسمون برسل الاصلاح المادى كمخترعى الكهرباء والراديو والتليفون والتلفزيون والتلغراف اللاسلكى والطاقة الذرية والطائرات والسيارات والسكك الحديدية وغير ذلك من الاختراعات الكثيرة النافعة لبنى الانسان والمفيدة لعموم البشر التى أتى بها رسل الاصلاح المادى فى الغرب . وعليه فرسل الاصلاح المطلق موجودون فى كل أمة من أمم الأرض كما يصرح بذلك القرآن الكريم الا ان الله تعالى

قد خص الشرق برسل الاصلاح الروحى الدينى وخص الغرب برسل الاصلاح المادى الدنيوى وكلاهما يعمل بالهام الله وأمره .

وبالجملة فان اليهود الذين هم من سكان الشرق مهبط الرسالة الروحية ما كثرت فيهم الأنبياء دون غيرهم ولا تعددت الرسل الروحانيون فيهم دون سواهم الا لكثرة انقلابهم على أعقابهم فى الأخلاق والأمور الروحية على عجل وفى أقرب وقت من اصلاحهم . وهذا ما امتلأت به اسفار التوراة فى اصحاحاتها المتعددة وأفاضت فيه بما لا يكاد يحصى مما يطول شرحه وبيانه .

كما ان القرآن الكريم قد أفاض أيضا فى بيان ذلك وفى ذكر قبيح أعمالهم مع أنبيائهم ورسلهم حيث قال تعالى ، بقرة ٨٧ خطابا لهم (أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ) . وقال فى آية أخرى عنهم ، مائدة ٧٣ : — (لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ) . وقال أيضاً : (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) . وقال أيضاً : — (وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ) الى غير ذلك من آيات القرآن الكثيرة التى تبين سوء أعمالهم مع جميع الناس حتى الذين يأمرون بالقسط والعدل مما يفيد عدم صلاحيتهم زمنا طويلا للأعمال التى تستلزم بقاء الملك والسلطان .

واذا كان الأنبياء والمرسلون قد عجزوا عن اصلاحهم واستبقاء الملك والسلطان فى أيديهم أفلا تعجز عن ذلك ملوك أوروبا الذين ما ساعدوهم الآن على ملكهم فى فلسطين بوعد بلفور وما تبعه من المساعدات الأخرى الا لمصالح خاصة وأغراض وغايات ذاتية تنقضى تلك المساعدات بانقضاء هذه المصالح والأغراض والغايات وعندها يرجعون الى ما كانوا عليه من

قبل من الذل والهوان وضياع الملك والسلطان فى قريب من الزمان . وعليه فلا بد وان تتلاشى وعود الدول الغربية أمام وعود الله فى كتبه السماوية لأن الوعود السياسية الأرضية لا تقوى على مقاومة الوعـود الالهية السماوية بل لا بد وان يخرج اليهود من فلسطين ولو بعد حين تحقيقا لوعيد الله بسومهم سوء العذاب الى يوم الدين .

عدم التنـــاقض بين آيات القرآن
فى موضوع عودة اليهود إلى فلسطين
جواباً لسؤال فى ذلك

وبما قدمناه من البينات يتضح أن لا تناقض بين آيات القرآن المتعلقة بهذا الشأن كما يظن بعض ذوى الأوهام ويتضح أيضا أن القرآن وحده هو الذى نزه الكتب السماوية عن شبهة التناقض أو مخالفة ما هو الآن واقع بسبب استثنائه تمسك اليهود بهذين الحبلين اللذين لا يمكن أن يدوما معهم طويلا حسبما بيناه ثم أن هذه الآية القرآنية وهى قوله تعالى (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس) وان كانت نازلة فى حق اليهود الا أنها تصدق على كل أمة ضرب عليها الذل كاليهود فى أى أمة من الأمم فانها اذا تمسكت بحبل الله وحبل الناس لا بد وان يزول عنها ذلها وهوانها وأن تصبح ذا عزة ومجد وملك وسلطان . وان كل أمة انفلتت من هذين الحبلين لا بد وأن تضرب عليها الذلة حسب سنة الله فى خلقه (ولن تجد لسنة الله تبديلا) وعليه فالآية القرآنية وان كانت قد نزلت فى حق اليهود الا أنها تعنى أمورا طبيعية عامة ، وسننا كونية جارية فى كل أمة من الأمم الماضية والحاضرة والآتية بلا تمييز بين أمة وأخرى ولا اختصاص بأمة دون سواها . وهذا يدل على أن القرآن هو الكتاب الوحيد من بين الكتب المقدسة الذى أنزل للناس كافة فى جميع الأزمنة وانه خاتم الكتب السماوية الذى يتكلم عن ماجريات الكون الى يوم القيامة كما تكلم فى هذه المسألة .

هذا ما أفهمه فى هذه الآيات القرآنية جوابا عن الأسئلة والاعتراضات التى أوردها الناس على الكتب المقدسة بمناسبة ما حصل لليهود من الملك والسلطان فى فلسطين هذه الأيام المناقض بحسب الظاهر لما تفيده الآيات الأخرى . وحينئذ فجميع آيات الكتب المقدسة الواردة فى حق اليهود هى صحيحة لا ريب فيها غير انه مستثنى منها حالة واحدة هى حالة تمسكهم بالحبلين المتقدمين اللذين انفرد بذكرهما القرآن واللذين بهما زال التناقض بين هذه الآيات واندفع بهما الاشكال .

ما قاله المفسرون فى معنى قوله تعالى

ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ

وبيان ضعف ما قالوه

ان المفسرين قالوا ان المعنى المراد من قوله تعالى (ضربت عليهم الذلة) هو أن يحاربوا ويقتلوا وتغنم أموالهم وتسبى ذراريهم وتملك أراضيهم وان المراد من قوله (الا بحبل من الله وحبل من الناس) أى الا بعهد وذمة وأمان من الله ومن المؤمنين ، فعند ذلك تزول هذه الأحكام ، فلا قتل ولا غنيمة ولا سبى ، وان المراد من قوله ، (وضربت عليهم المسكنة) أى الجزية وذلك لأنه تعالى قد أخرج (المسكنة) عن (الاستثناء) حيث ذكرها بعده وهذا يدل على انه لا استثناء فيها بل هى باقية عليهم والباقى عليهم ليس الا الجزية . انتهى

وقال الأستاذ الامام (الذلة ضرب مخصوص من الذل لأنها من الصيغ التى تدل على الهيئة) قيل المراد بها هنا الجزية ، وقيل ما يحدثه فى النفس فقد السلطة فالذلة حالة تعترى الشخص من سلب غيره لحقه وهو يتمناه فمنشؤها منه لا من غيره ، ومعنى الآية ان حالة اليهود معكم أن يكونوا أذلاء مهضومى الحقوق رغم أنوفهم الا بحبل من الله وهو ما قررته شريعته تعالى لهم اذا دخلوا فى حكمهم من المساواة فى الحقوق والقضاء وتحريم ايذائهم وهضم شىء من حقوقهم . وحبل من الناس وهو ما تقضيه

المشاركة فى المعيشة من احتياجكم اليهم واحتياجهم اليكم فى بعض الأمور أى فهذا القدر المستثنى من عموم الذلة لم يأتهم من أنفسهم وانما جاءهم من غيرهم فهم لا عزة لهم فى أنفسهم لأن السلطان والملك قد فقد منهم) انتهى .

وقال الأستاذ الشيخ رشيد رضا بعد نقله ما تقدم عن الأستاذ الامام (وأنت ترى ان الذى قاله الامام أظهر وأشد انطباقا على الواقع فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يحسن معاملتهم ، ويقترض منهم وكذلك كان الخلفاء الراشدون يفعلون) ثم قال بعد ذلك (وهل ترفع عنهم المسكنة فيكون لهم ملك وسلطان فى يوم من الأيام . الجواب على هذا يحتاج الى بسط .

فأما من الجهة الدينية فهم يقولون بأنهم مبشرون بذلك بظهور مسيح (مسيا) فيهم ومعناه ذو الملك والشريعة والنصارى يقولون ان هذا الموعود به هو عيسى بن مريم عليه السلام والمراد بالملك الذى يجىء به الملك الروحانى المعنوى . وفى انجيل برنابا عن المسيح ان ذلك الموعود به هو محمد صلى الله عليه وسلم فهو الذى جاء بالنبوة التى استتبعت الملك . وأما من الجهة الاجتماعية فيبحث فيه عن تفرقهم فى الأرض على قلتهم وعن انصرافهم عن فنون الحرب وأعمالها وضعفهم فى الأعمال الزراعية لعنايتهم بجمع المال من أقرب الموارد وأكثرها نماء وأقلها عناء كالربا) انتهى .

أقول ان من يتأمل كلام المفسرين بما فيهم الأستاذ الامام والشيخ رشيد رضا يظهر له انهم يقولون جميعا ان المستثنى من الذلة قد حصل لهم فعلا فيما مضى بما شرعه الاسلام من عدم جواز محاربتهم وعدم سبى ذراريهم وبمساواتهم للمسلمين فى الحقوق والقضاء وتحريم ايذائهم حيث انه وجد لهم حبل الله وحبل الناس وهما عهد الله وعهد المسلمين لهم وتأمينهم وعدم هضم حقوقهم وارتباطهم بالمسلمين فى المعيشة واحتياج بعضهما الى بعض .

ولكننى أقول ان المستثنى من الدلة هى العزة لأنها هى المقابلة لها . والعزة لا تكون حقيقة الا بالاستقلال بالملك والسلطان وهى لم تحصل لليهود فى الاسلام ، خصوصا وان ما ذكره المفسرون من العهد والتأمين وعدم هضم حقوقهم من طرف المسلمين لا ينافى بقاء الذلة عليهم . ولم يرفعها الله عنهم الا فى هذه الأيام لأنهم كانوا فى الاسلام محكومين لغيرهم لا ملك لهم ولا سلطان فالذلة باقية عليهم ، والمستثنى منها وهى عـزة الاستقلال لم تحصل لهم الا فى هذا الزمان .

وأما المسكنة فبالنظر لكونها صفة نفسية وليست حاصلة من الغير لا يمكن استثناء الحبلين المذكورين منها اللذين هما حاصلان من الغير وهذا هو السبب فى تأخير ذكر المسكنة عن هذا الاستثناء فى الآية الكريمة فالمسكنة لا استثناء فيها أصلا وهذا يدل على ان هذه المسكنة ستبقى مضروبة عليهم لأن منشأها من نفوسهم ومن مقتضى جبلتهم وطبيعتهم المفطورين عليها . وقد ذكر الله فى القرآن بعض الأسباب التى أوجبت استبقاء المسكنة عليهم عقابا لهم على أعمالهم الفظيعة القاسية الظالمة كقتلهم الأنبياء بغير حق واعتدائهم على الناس بغير ذنب وكفرهم بآيات الله وعدم شكرهم لنعمائه وآلائه التى كان قد أسبغها عليهم .

وأما قول أكثر المفسرين بأن المراد من المسـكنة المضروبة عليهم بلا استثناء هى الجزية حيث انه لم يبق عليهم الى الآن سواها فهو قول فى غير محله .

أولا — لأنها وان كانت باقية عليهم الى زمن هؤلاء المفسرين الا انها ليست باقية عليهم الى زماننا هذا .

ثانيا — لأن الجزية ليست من مقتضيات المسكنة الحاصلة من النفس وانما هى من مقتضيات الذلة الحاصلة من الغير .

ثالثا — لأن الجزية كانوا قد تخلصوا منها قبل أن يتخلصوا من الذلة التى هى عدم استقلالهم بالسلطة والملك حسبما قدمنا فالذلة لم يتملصوا منها الا فى هذه الأيام وأما الجزية فانهم قد تملصوا منها من قديم الزمان وحينئذ فلا يصح أن يفسر بقاء المسكنة عليهم الى الآن ببقاء الجزية .

وقد نقل الشيخ رشيد رضا فى تفسيره عن الفخر الرازى ان المراد من (حبل الله) المستثنى هو الجزية أى الذمة التى تحصل بقبولهم دفع الجزية . ومن (حبل الناس) هو ما فوض الى رأى الامام فيزيد فيه تارة وينقص بحسب الاجتهاد .

أقول : وهذا أيضا ضعيف لأن الذلة لا ترتفع بقبول دفع الجزية بل تزداد بها . وعلى كل فما قلناه فى هذا الموضوع من ان المراد من حبل الله هو الاتحاد وعدم التفرق ومن حبل الناس الاتفاق معهم ، والمعاونة والمساعدة منهم بالنظر لكونه موافقا للحالة الحاضرة الواقعية ، ومنطبقا على معنى الآية القرآنية يكون أولى بالقبول من غيره والله أعلم بمراده .

البحث الحادى والعشرون

نجاة أهل الكتاب ونوالهم أجرهم عند ربهم

ودخولهم الجنة لأجل استيفاء ثواب أعمالهم الطيبة

والنار لعقابهم على الأعمال القبيحة والاعتقادات الباطلة كالمسلمين

بنص القرآن الكريم

قال تعالى فى سورة البقرة ٦٢ : (إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلنَّصَارَىٰ وَٱلصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) ، وقال فى سورة المائدة ٧٢ : (إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلصَّابِئُونَ وَٱلنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) ، وقال فى سورة النساء ١٢٢ : (لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ ٱللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) .

أقوال المفسرين فى هذه الآيات

وبيان ضعفها

اختلف المفسرون فى المراد من قوله (الذين آمنوا) المذكورة فى آية البقرة والمائدة وسبب هذا الاختلاف قوله تعالى فى آخر هاتين الآيتين (من آمن الخ) فان ذلك يقتضى أن يكون المراد من الايمان فى أحدهما

غير المراد منه فى الآخر . وقال بعضهم المراد الذين آمنوا بألسنتهم دون قلوبهم وهم المنافقون أى ان المنافقين واليهود والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وبالدين الحق ورجعوا عن ضلالهم وعملوا صالحا فان الله يقبل ايمانهم ويعطيهم ثواب أعمالهم . وقال بعضهم المراد الذين آمنوا بموسى وعيسى قبل مبعث محمد وبقوا على ايمانهم الصحيح ولم يضلوا بعده كورقة ابن نوفل وقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وغيرهم والمراد من الذين هادوا والنصارى والصابئين من ضل عن دينه منهم أى ان الذين آمنوا قبل مبعث محمد والذين كانوا على الدين الباطل الذى لليهود والنصارى كل من آمن منهم بعد مبعث محمد بالله واليوم الآخر وبمحمد وعمل صالحا فلهم أجر عند ربهم الخ .

وقال بعضهم المراد من قوله للذين آمنوا هم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم . وهو عائد للماضى والمراد من قوله (من آمن بالله) أى تشبث على ايمانه واستمر عليه فى المستقبل . ولا يخفى ما فى هذه الأقوال كلها من التعسف والتمحل وعدم انطباقها انطباقا صحيحا على معنى الآية خصوصا وانهم أدخلوا فيها الايمان بمحمد (ص) وهو غير داخل فيها بل الداخل انما هو الايمان بالله وحده .

وقال الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى تفسيره (المراد من الذين آمنوا هم المسلمون أى ان المسلمين واليهود والنصارى والصابئين ليس لجنسية واحد منهم ولا لانتسابه الى دينه أثر فى رضاء الله وغضبه ولا يتعلق بذلك رفعة شأن قوم ولا ضعتهم بل عماد الفلاح ووسيلة الفوز لخيرى الدنيا والآخرة انما هو فى صدق الايمان بالله واليوم الآخر وفى العمل الصالح فكل من كان كذلك من كل أمة فى زمنها فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم و لا هم يحزنون فالآية بيان لسنة الله تعالى فى معاملة الأمم تقدمت أم تأخرت أى ان حكم الله العادل سواء فى جميع الأمم وهو يعاملهم بنسبة واحدة لا يحابى فريقا ويظلم فريقا . وحكم هذه السنة ان لهم أجرهم المعلوم بوعد الله لهم على لسان رسولهم وحينئذ

لا يوجد اشكال فى عدم اشتراط الايمان بالنبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية لأن الكلام فيها فى معاملة الله تعالى لكل الفرق والأمم المؤمنة بنبى ووحى بخصوصها الظانة ان فوزها فى الآخرة كائن لا محالة لأنها مسلمة أو يهودية أو نصرانية أو صابئة مثلا فالله تعالى يقول (ان الفوز لا يكون بالجنسيات المدنية وانما يكون بايمان صحيح له سلطان على النفس وعمل يصلح به حال الناس) . انتهى كلامه .

أقول : ان هذا التفسيروان كان حسنا جدا بالنسبة لغيره من التفاسير الا أن حمل الآية على كل أمة فى زمنها وبالنسبة لرسولها ووحيها ودينها الخاص بها أمر بعيد من وجوه : (أولا) لأنه من المعلوم بالبداهة ان العبرة فى كل دين من الأديان انما هو للايمان الصادق والعمل الصالح لا لمجرد النسبة الى ذلك الدين والتجنس بجنسيته كما يقول الأستاذ الامام وحينئذ فليس هناك كبير فائدة فى تفسير آية بما هو معلوم للناس بالبداهة .

ثانيا — ان كون الثواب والأجر لا يترتب الا على الايمان الصادق والعمل الصالح أمر مذكور فى عدة آيات لا تحصى من القرآن وتفسير هذه الآية التى وردت فى محل خاص ولبيان أمور مخصوصة كما سيأتى بهذا التفسير بعيد أيضا .

ثالثا — ان الكلام يجب أن يحمل على زمن التكلم به ولا يجوز حمله على أزمنة أخرى ما لم يكن هناك دليل على ذلك وهنا لا يوجد دليل على أن المراد فى هذه الآية من اليهود والنصارى والصابئين هم السابقون فقط مع وجود يهود ونصارى وصابئين وقت التكلم ووقت نزول هذه الآية خصوصا وان الآية قد ذكرت معهم المسلمين الذين لم يوجدوا الا زمن التنزيل وعليه فقد وجب أن يكون المراد من هذه الأجناس الأربعة الناس الموجودين فى زمن الوحى المحمدى بعد ظهور الاسلام .

ما أفهمه فى المراد من الآية المذكورة
فى السورتين السابقتين

اننى أفهم فى هذه الآية فهما آخر غير ما فهمه المفسرون وهو ان هذه الآية تقول ان هؤلاء الأصناف الأربعة الموجودين الآن وهم المسلمون واليهود والنصارى والصابئون كل من تحقق فيه منهم ثلاث خصال وهى الايمان بوجود الله ، واليوم الآخر ، والعمل الصالح فان أجره عند الله محفوظ ولا خوف عليهم ولا حزن بلا فرق فى ذلك بين مسلم ونصرانى ويهودى وصابئى وبلا محاباة بينهم لأن الههم واحد ولأن مبدأ جميع الأديان وغايتها واحدة وهى :

أولا — الايمان بوجود الله الواحد الأحد ذلك الايمان الذى تذكو به النفوس وتطهر به القلوب وتعلو به الهمم وينبعث عنه صالح العمل .

ثانيا — الايمان باليوم الآخر أى يوم الجزاء الذى يكبح من جماح الغايات والشهوات والأهواء ويحذر المؤمن به من ارتكاب الذنب والاثم ومن التعدى والظلم .

ثالثا — العمل الصالح أى العمل المفيد الصالح للفرد وللمجتمع الانسانى والذى تتحلى به نفوس البشر وتصلح به شؤون الناس وعلاقاتهم مع من يعيشون معهم .

فهذه الأمور الثلاثة التى ذكرتها هذه الآية هى جماع الخير وقوام سعادة الانسان فى الدنيا والآخرة وهى المقصود بالذات من جميع الأديان ومن ارسال سائر الرسل .

وانما خصصت الآية الايمان هنا بالايمان بالله فقط دون الايمان بغيره من الأنبياء لأن الايمان بالأنبياء ليس مقصودا لذاته لأنهم وسطاء فقط لحمل الناس على الايمان بالله وحده قال تعالى (ومن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا) وقال (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة التى ليس فيها الا ذكر الايمان بالله فقط والتى تدل على ان المقصود بالذات

انما هو الايمان بالله فقط وان الايمان بأشخاص الأنبياء والرسل انما هو أمر ثانوى ليس مقصودا لذاته بل لتحقيق وتحصيل هذه الأمور الثلاثة وجذب الناس اليها وتنفيذها بينهم .

ومثال ذلك أن يرسل الملك واليا أو مندوبا عنه الى القدس مثلا لينفذ قانون الملك فكل من اتبع هذا القانون وعمل به فقد سلم من مؤاخذة الملك وعقابه سواء كان اتباعه له والعمل به بواسطة تأثير هذا الوالى الحالى أو الوالى السابق أو لم يكن بتأثير واحد منهما لأن المقصود بالذات وهو العمل بهذا القانون قد حصل .

ولكن هذا لا ينافى وجوب الايمان بأن شخص هذا الوالى مرسل من طرف الملك ليقنع الناس بوجوب اتباعه فى كل ما يأمر به عن الملك فى كل حادثة ستقع وفى كل أمر سيحدث فكذلك هنا يجب ويشترط الايمان بأشخاص الرسل عليهم الصلاة والسلام ليلتزم الناس اتباعهم فى كل ما يأمرون به عن الله تعالى . وحينئذ فاشتراط الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ووجوب الايمان به على كل مسلم وكل يهودى ونصرانى وصابئى وغيرهم ممن وجدوا بعد مبعثه وظهوره أمر لا بد منه وأمر معلوم من آيات كثيرة فى القرآن غير هذه الآية لأنه هو دون غيره من الأنبياء الباب الوحيد فى زمنه للوصول الى الله تعالى والدخول فى الجنة . ولكن الايمان به ليس مقصودا لذاته كما وضحناه بل المقصود لذاته والمطلوب من عموم الناس على أى دين كانوا عليه انما هو الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح فمتى كان الناس كذلك فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حيث أنهم قد قاموا بأصول جميع الأديان واتبعوا المقصود بالذات منها .

وهذا لا ينافى أن من لم يؤمن برسول وقته أو بأى رسول من الرسل يكون كافرا بذلك الرسول وان عليه قسما كبيرا من الخوف والحزن بسبب كفره بذلك الرسول وان كان مؤمنا بالله لأن الكفر ليس شعبة واحدة أو جزءا لا يتجزأ بحيث من كفر بسبب شيىء من الأشياء يكون

كافرا مطلقا كما يعتقد كثير من الناس بل هو أمر كلى له جزئيات كثيرة فقد يكون كافرا بأحد الرسل و لكنه مؤمن بالله وبرسل أخرى وقد يكون كافرا بالصلاة والحج مثلا وهو مؤمن بالله ورسله كما ورد فى بعض الأحاديث من ان ترك الصلاة كفر وكما ورد فى القرآن من ان عدم الحج مع الاستطاعة كفر كما قال تعالى (وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) وقد يكون كافرا بسبب زناه وهو مؤمن بالله ورسوله والصلاة والحج وغيرهما كما ورد فى الحديث (لا يزن الزانى حتى يزنى وهو مؤمن) وعليه فالكفر مراتب متعددة والايمان كذلك مراتب متعددة وكلاهما يزيد وينقص فى الشخص على حسب كثرة جزئيات ايمانه وكثرة جزئيات كفره ولهذا ورد فى الحديث (الايمان بضع وتسعون خصلة أولها شهادة ان لا اله الا الله وآخرها اماطة الأذى عن الطريق) وعليه فعدم الايمان بأى رسول من الرسل وان كان كفرا يعاقب عليه الانسان أشد عقاب بعد الكفر بالله تعالى الا ان هذا لا يمنع أن من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا يكون سعيدا مأجورا على ذلك لا حزن ولا خوف عليه من هذه الجهة وان كان سيعذب على كفره بذلك الرسول كما يعذب أيضا على كفره بترك الصلاة والحج وغيرها وان كان الكفر بالرسول أشد عقابا وأكبر كفرا. وبالجملة فان الأمور الثلاثة المذكورة فى الآية هى المقصودة بالذات من ارسال الرسل وان الايمان بالرسل انما هو وسيلة اليها وأمر ثانوى بالنسبة لها.

ومما تقدم من البيان يظهر لك ظهورا واضحا للعيان انه لا لزوم ولا داعى أصلا لتعسف المفسرين وتمحلهم لادخال الايمان بجميع الأنبياء أو بمحمد (ص) فى الايمان المذكور فى هذه الآية التى انما تريد بيان الأمور الرئيسية التى تتوقف عليها السعادة فى الدنيا والآخرة لا الأمور الثانوية. ولو كان ذلك مرادا لها لقالت (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله ورسله أو بالله ورسوله الخ) ولكنها لم تقل ذلك بل اقتصرت على الايمان بالله وحده فقط مما يدل دلالة

واضحة على أن الايمان بأى رسول من الرسل ليس مقصودا بالذات وانما هو وسيلة فقط كما وضحناه ، وأن المقصود بالذات ، والمطلوب من الناس فى أى دين من الأديان ، وفى أى زمن من الأزمان انما هو الايمان بالله واليوم الآخر ، والعمل الصالح كما اقتصرت عليه هذه الآية وكثير من الآيات الأخرى .

أتباع كل دين حتى المسلمين

يعتقدون إلى الآن أن دينهم فقط

هو الموصل إلى الجنة دون غيره من الأديان

مع أن القرآن لا يقرهم على ذلك

يعتقد اتباع كل دين أن دينهم هو الحق الذى يدخل به الناس الجنة دون غيره من الأديان الأخرى . وهذا ما جرى عليه الناس قديما ، فان اليهود يعتقدون الى الآن انه يجب على جميع الناس أن يعتنقوا دين اليهودية حتى يدخلوا الجنة ، والنصارى يعتقدون الى الآن أنه يجب على كل البشر أن يعتنقوا النصرانية ليدخلوا الجنة . وهذا ما صرح به قوله تعالى فى سورة البقرة : (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ . تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ، وَهُوَ مُحْسِنٌ ، فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ . وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ . كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ . فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) ، أى قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا ، وقالت النصارى كذلك ، فهو اختصار على سبيل التوزيع ، ثم جاء المسلمون بعدهم فاعتقدوا هذا الاعتقاد بعينه وقالوا يجب على كل الناس أن يعتنقوا دين الاسلام حتى يدخلوا الجنة . وقد أشار الله الى ذلك بقوله فى هذه الآية (كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) أى قال ذلك

كل من لم يعلم الحقيقة فى هذا الموضوع من أرباب الأديان الأخرى . وهو يشمل من لم يعلمها من المسلمين أيضا .

ولكن آية النساء التى ذكرناها سابقا قد ردت عليهم جميعا وخطأتهم فى هذا الاعتقاد حيث قالت خطابا للمسلمين ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) فان قوله (ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب) وقوله (من ذكر وأنثى) صريحان فى أن كل انسان من أى دين من الأديان متى كان مؤمنا بالله عاملا للصالحات فانه يدخل الجنة ولا يظلم من أعماله الصالحة شيئا سواء كان يهوديا أو نصرانيا أو مسلما .

ومما يدل على ما نقول ما رواه ابن جرير وابن أبى صالح فى أسباب نزول هذه الآية من أنه قد التقى أناس من المسلمين واليهود والنصارى فقال اليهود للمسلمين نحن خير منكم . ديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن على دين ابراهيم ولن يدخل الجنة الا من كان هودا . وقالت النصارى مثل ذلك القول أيضا فقال المسلمون : كتابنا بعد كتابكم ونبينا بعد نبيكم ، وديننا بعد دينكم وقد أمرتم أن تتبعونا وتتركوا أمركم فنحن خير منكم نحن على دين ابراهيم واسماعيل واسحق ولن يدخل الجنة الا من كان على ديننا . فأنزل الله ردا عليهم جميعا وخطابا للمسلمين قوله (ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) فهذه الآية وأسباب نزولها صريحان فيما قلناه من أن أهل الكتاب من الناجين وممن يدخلون الجنة ويثابون على أعمالهم الحسنة كالمسلمين اذا توافرت فيهم هذه الأمور الثلاثة المتقدمة وهى الايمان بوجود الله وباليوم الآخر والعمل الصالح .

ولكن أهل التقليد من المسلمين البعيدين عن التحقيق لا يزالون ينكرون أن أهل الكتاب من الناجين وممن يدخلون الجنة وينالون ثواب أعمالهم الطيبة ولو توفرت فيهم هذه الأمور الثلاثة المذكورة ماداموا لم يدخلوا فى دين الاسلام رغم الآيات المتقدمة ورغم آيات أخرى كثيرة جداً كقوله تعالى : (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ فَلاَ يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقاً) . وقوله : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا ، وَلاَ تَحْزَنُوا ، وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) . وقوله : (فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ) . وقوله : (إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) . وقوله : (وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) . وقوله : (إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً) . وقوله : (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة التى تشمل أهل الكتاب .

وأما قوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا) الذى استدل به المفسرون على اخراج أهل الكتاب من مضمون هذه الآيات وعلى أن اليهود والنصارى لاثواب لهم فى الآخرة على أى عمل من أعمالهم الحسنة فهو استدلال فى غير محله لأن من عادة القرآن أن يعبر عن اليهود والنصارى بلفظ (أهل الكتاب) لا بلفظ (الذين كفروا) المذكور فى هذه الآية . والمراد من (الذين كفروا) هنا الكافرون بوجود الله وبيوم الجزاء أى كيف ان الذين كفروا بوجود الله وبيوم الثواب يكون لهم أجر وثواب عند الله ما داموا كافرين به غير مقرين بوجوده وبيوم حسابه وجزائه ، فهؤلاء اذن تكون جميع أعمالهم كسراب لا ثواب لهم عليها من الله الذين هم كافرون به وبثوابه ، ولكن اليهود والنصارى من أهل الكتاب لا ينكرون وجود الله ولا ينكرون ثوابه وعقابه ، وحينئذ فلا يدخلون فى هذه الآية كما لا يخرجون من الآيات السابقة لأنهم يعملون كثيرا من الصالحات

والخيرات والحسنات ، وكثير منهم يعددن من المحسنين ومن المصلحين كالمسلمين .

وهل يعقل أن من يعمل أعمالا نافعة للانسانية ويصرف كثيرا من أمواله فى مصلحة البشرية وكان مؤمنا بالله نافعا لعباد الله يسارع فى الخيرات ويعمل الصالحات ويفيض بالاحسان والمبرات تكون أعماله هذه كسراب لا اجر له عليها ولا ثواب له فيها لكونه يهوديا أو نصرانيا، ان هذا مما لا يكاد يعقل .

كيف يكون هذا والله تعالى يقول فى كتابه العزيز (من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله أناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين . وما يفعلو من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين) وعليه فكلام المفسرين فى هذا الموضوع لا تحقيق فيه ولا دليل عليه . ولكن كلامنا فيه وفى معنى قوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى الخ) وان كان مخالفا لكلام المفسرين الا أنه هو المعقول الموافق لصريح آيات القرآن الكريم .

ومما ذكرناه فى هذا الموضوع يظهر لك ان الله تعالى يقدر الأعمال الطيبة النافعة ويثيب عليها كل من فعلها بايمان بثوابها وبمن يثب عليها ، أما من كفر بثوابها وبمن يثب عليها فهذا لا ثواب له بل يكون عمله كسراب لا وجود له ولا فائدة تعود عليه منه ، وقد وضحت هذا الموضوع تمام التوضيح فى بحث (متساوى الأديان فى نظر القرآن) فراجعه ان شئت فى الجزء الثانى من هذا الكتاب .

وبالجملة فان القرآن الكريم لا يحابى أحدا ولا يمقت دينا لأن مبدأ الأديان كلها فى نظره مبدأ واحد وغاية الأنبياء جميعهم عنده غاية واحدة وان النبى اللاحق لم يأت لابطال الدين السابق أو التنديد به بل أتى لتنقية الدين السابق ما ألصق به من خرافات وأوهام وتقاليد وأفهام كانت قد علقت به حتى صارت جزء منه بتقادم الزمان فيأتى الدين

اللاحق فيزيل عنه تلك الأوهام والخرافات وينقيه من آثار تلك التعصبات والتخربات وحينئذ فالدين السابق واللاحق هما بالحقيقة شيء واحد وان كليهما يوصل الى الجنة فى كل زمن من الأزمان الحاضرة والماضية المستقبلة ، وان كان لا بد وان يعاقب اتباع كل دين بما جنوه على دينهم وما زادوا فيه من اعتقادات باطلة أو من خرافات وأوهام ما أنزل الله بها من سلطان

ولو أننا نترك التعصبات الدينية جانبا والتقاليد الوراثية ناحية ، وننظر الى أصول ومبادىء وغايات هذه الأديان نظرة حقيقية لما وجدنا فيها شيئا من المخالفة والمناقصة والمغايرة الا فى كيفية تأدية بعض الطقوس والعبادات التى تختلف باختلاف الأمم والأزمات والعادات قال تعالى (ولكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه) والمنسك مأخوذ من النسك وهو العبادة أى جعلنا لكل أمة عبادة خاصة بهم يتعبدون وينسكون بها ، وعلى كل فان فى الامكان الآن توحيد هذه الأديان فى مبادئها وغاياتها وفى أحكامها ومعاملاتها ولكن بشيء من التعقل والتدبر وبترك التعصب والتحزب .

سؤال من مجلة الهلال المصرية
فى أنه « هل يمكن توحيد الإسلام والنصرانية ؟ »
وجوابى عليه

كان صاحب مجلة الهلال المصرية قد وجه سؤالا لرجال الدين الاسلامى والمسيحى وهو (هل يمكن توحيد الاسلام والمسيحية) وكان قد أجاب على هذا السؤال كثير من أهل الدينين بأجوبة مختلفة وكنت قد أجبت عليه أيضا فى العدد العاشر من المجلد السابع والأربعين من الهلال المؤرخ ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨ هـ الموافق أول أغسطس سنة ١٩٣٩ م بجواب أثبت فيه امكان توحيد الدينين بسهولة . وبالنظر لكون هذا الجواب له مساس بموضوع هذه الآية فانى أذكره هنا بنصه مع مقدمة صاحب مجلة الهلال حيث قال :

(كانت مجلتنا قد ألقت سؤالا تحت عنوان (هل يمكن توحيد الاسلام والمسيحية) على رجال الدينين المسيحى والاسلامى اثر نشرها صفحات من مذكرات المستر (بلنت) عن المغفور له الشيخ محمد عبده . وقد ساهم فى الجواب على هذا السؤال طائفة من خيرة العلماء وهنا ننشر جوابا حسنا لفضيلة الشيخ عبد الله القيشاوى من علماء غزة بفلسطين .

قال فضيلته رأيت فى الجزء السابع والثامن من (هلال) سنة ١٩٣٩م ثلاثة أجوبة عن هذا السؤال أحدها لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عرفه وثانيها لحضرة القس ابراهيم سعيد وثالثها لحضرة الايغومانس ابراهيم لوقا . ولقد رأيت فى هذه الأجوبة كلاما حسنا وروحا طيبا وحبا حقيقيا لتوحيد (الاسلام والمسيحية) غير ان القس ابراهيم سعيد وان قال بامكان توحيد الديانتين الا أنه جعل ذلك من حيث الأسلوب الروحى فقط . وهذا وان كان حسنا الا أن الدين الالهى انما هو للأمور الروحية والمادية معا ليكون الانسان سعيدا فى جميع أحواله وأطواره واتجاهاته ، سعيدا من حيث العقيدة والأخلاق ، سعيدا من حيث الأعمال والنظام الاجتماعى وأعتقد أن سؤال (الهلال الأغر) انما هو توحيد الدينين فى كلا الأمرين .

واما الايغومانس ابراهيم لوقا فانه استصعب توحيد الاسلام والمسيحية فى كلا الأمرين جميعا ولكنه استسهل الجمع بين المسلمين والمسيحيين فى مصالح الوطن ثم قال (لا سبيل الى الوحدة الكاملة بين المسيحية والاسلام الا أن تعتنق احداهما مبادىء الأخرى فاما ايمان بلاهوت المسيح وتجسده وموته وقيامه فيكون الجميع مسيحيين واما الايمان بالمسيح كمجرد واحد من الرسل والنبيين فيصبح به الجميع مسلمين) انتهى .

واننى أرى أن هذا مما يجب أن يعالج فى توحيد الاسلام والمسيحية كما يجب أيضا أن يوازن ويقارن بين عقائد ومبادىء وتعاليم الدينين

فأيهما يظهر أنه أقرب للعقل وأدخل فى القلب وأحسن فى النظام وأدق وأوفق فى المعاملات والأحكام ، وأسهل وأبسط وأسلم من غيره من الأديان فهو الذى يلزم أن يقدم ، وان يوجه اليه القلب والنظر . على انى أعتقد أن كل من يتأمل ويدقق فى القرآن والانجيل ويريد أن يفهمها على الوجه الصحيح لا على وجه التقليد الأعمى فانه لا يشك فى أن الديانتين واحدة فى الأصل والمبدأ والغاية ، وأن الأمور الخلافية بينهما لا يصعب التوفيق بينهما أصلا ، بل ذلك سهل جدا على من يجرد نفسه من (التعصب) لعقيدته الموروثة ويريد أن ينظر الى الحقيقة من حيث ذاتها .

وانى أريد الآن أن أعالج بوجه الاجمال الخلافات الرئيسية بين (الاسلام والمسيحية) لعل ذلك يكون نواة اتفاق بين الديانتين وأساس توحيد بينهما ومبدأ تفاهم بين أتباعهما وان أدى ذلك الى بعض نقاش قد يكون سببا فى اظهار الحقيقة واضحة .

ان من الأمور الخلافية الرئيسية (التثليث) مع أن الأمر فيه ظاهر لا يحتاج الى تطويل نظر متى حكمنا الانجيل فى ذلك والانجيل انما يصرح (بالتوحيد) تمام التصريح وليس فيه ما يدل على التثليث أبدا كما يظهر ذلك لكل متأمل مدقق فى كثير من آياته كقوله فى الاصحاح السابع عشر من انجيل يوحنا (وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته) وقوله فى الاصحاح الثامن عشر من انجيل مرقس (ان أول الوصايا هى اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد) الى غير ذلك من الآيات الانجيلية الكثيرة التى تصرح بالتوحيد تمام التصريح وتنافى التثليث تمام المنافاة مع عدم وجود أى دليل من الانجيل على هذا التثليث . فالتثليث فى الحقيقة انما هو عارض فى الديانة المسيحية طارىء عليها ممن دخلوا فيها من أرباب التثليث الأقدمين . وعليه فالمسيحية والاسلام متحدان فى التوحيد .

الأمر الثانى من الأمور الخلافية (الوهية المسيح أو بنوته لله تعالى) وقد أقر علماء المسيحيين أنفسهم بأن معنى الوهيته أو لاهوته ان فيه نورا الهيا أى أنه مظهر من مظاهر الله وأن بنوته لله تعالى انما هى بنوة عطف ورحمة وبنوة تأديب وتعليم وتعظيم له ، لا بنوة نسب وولادة ، وعليه فان هذين الأمرين بهذا المعنى لا يخالفان أيضا الاسلام الذى يعتبر أن هذين المعنيين موجودان فى كل نبى من أنبياء الله تعالى وان تفاوتت درجاتهم فيهما اذ أن كل نبى انما هو مظهر من مظاهر الله تعالى وكل واحد منهم هو ابن الله بهذا المعنى كما ورد ذلك فى كثير من آيات التوراة والانجيل فى حق كثير من الأنبياء والمرسلين .

الأمر الثالث : الفداء وكفارة الخطايا وهذا لو فهم على حقيقته من أن المسيح عليه السلام قد فدى العالم أى تحمل الآلام والمشقات حتى الموت فى سبيل هداية الناس واسعادهم ومنعهم من ارتكاب الذنوب والخطايا فى المستقبل بسبب ايمانهم به واتباعهم له فى أوامره وأعماله لما عارضهم فى ذلك أحد من العقلاء لأن الفداء والكفارة بهذا المعنى قد تحققت فى كثير من الأنبياء فمنهم من قتل ومنهم من حرق أو ذبح فى هذا السبيل . ولكن الفداء والكفارة بمعنى أن دم المسيح يكون كفارة وفداء عن ذنوب الناس وخطاياهم بعد فعلها وبعد ارتكابها فهذا أمر لو دقق فيه المسيحيون أنفسهم لما وجدوا له من العقل سبيلا خصوصا وأن ذلك يجرىء الناس على فعل الذنوب والمعاصى اتكالا على هذه الكفارة .

نعم لو اعتقد المسيحيون كما يعتقد المسلمون من أن كل من يؤمن بالرسول الذى أرسله الله تعالى فى زمنه فان ايمانه به يكفر عنه ما مضى من خطيئاته وذنوبه قبل هذا الايمان لأنه دخل بهذا الايمان فى طور جديد وولد به ولادة جديدة لكان ذلك حقا معقولا . واعتقد أن هذا هو ما أراده الانجيل فى معنى الفداء والكفارة . وعلى كل حال

فان توحيد (الاسلام والمسيحية) فى هذا الأمر سهل جدا لا يحتاج الا الى قليل من التأمل .

الأمر الرابع ، قيامة المسيح من الأموات . وهذا أمر لو رجع المسيحيون فيه الى أن أناجيلهم التى تصرح بأن المسيح بعدحادث الصلب قد ظهر لتلاميذه واجتمع بهم وأكل معهم لعلموا أنه لم يحصل له الموت فعلا ، بل نجاه الله منه حسب ما ورد فى الانجيل من أن المسيح قد طلب النجاة من الله وأن الله قد استجاب له فيها لأجل تقواه . وهذه النجاة اما أن تكون بافلاته من أيدى اليهود وذهابه الى (ربوة ذات قرار ومعين) وصلب يهوذا الأسخريوطى بدله كما يشير الى ذلك القرآن الكريم وانجيل برنابا أيضا بل والأناجيل المعتبرة عند المسيحيين حيث تصرح بفقدان يهوذا الاسخريوطى عقب حادثة الصلب وحيث يقول المسيح نفسه فى الاصحاح السابع من يوحنا خطابا لليهود حينما صمموا على طلبه وامساكه ليقتلوه (سَتَطْلُبُونَنِي ، وَلاَ تَجِدُونَنِي) ، اذ لو وجدوه وأمسكوه حينما طلبوه لكان المسيح كاذبا فى قوله هذا حاشاه الله من ذلك .

واما أن تكون نجاته باخراجه من القبر بحياته الأولى كما يفهم ذلك من عبارات الانجيل الواردة فى هذه الحادثة وحينئذ فمعنى قيامته من الأموات على هذا القول قيامته من بينهم لأنه كان مقبورا مثلهم وان لم يمت فعلا . وعلى كل حال فان ذلك لا يعارض قول القرآن الكريم (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) أى شبه لهم أنهم قتلوه صلبا. وذلك أن اليهود كانوا مصممين على قتله باحدى طريقتين : الأولى قتله غيلة وعلى غرة كما يستفاد ذلك من قول انجيل متى ٢٦ : ٤ (وَتَشَاوَرُوا لِكَيْ يُمْسِكُوا يَسُوعَ بِمَكْرٍ وَيَقْتُلُوهُ) : الطريقة الثانية قتله بالمحاكمة العلنية وعقابه بالصلب من طرف الحكومة كما يستفاد ذلك من انجيل لوقا (٢٣ : ٢) (وَبَدَأُوا يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ قَائِلِينَ إِنَّنَا وَجَدْنَا هٰذَا يُفْسِدُ الْأُمَّةَ وَيَمْنَعُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ) ، إلى أن قال : (فَصَرَخُوا قَائِلِينَ

صْلُبْهُ . اصْلُبْهُ) ، إلى أن قال : (فَخُذُوهُ بِيلاَطُسُ أَنْ تَكُونَ طُلْبَتُهُمْ ، وَأَسْلَمَ يَسُوعَ إِلَى مَشِيئَتِهِمْ) .

ولكن اليهود لم ينجحوا فيما أرادوا بالمسيح لا بالطريقة الأولى ولا بالطريقة الثانية وهذا ما أراده القرآن بقوله (وما قتلوه وما صلبوه) أى لم يقتلوه اغتيالا على غرة ولا صلبا بواسطة الحكومة بل نجاه الله من ذلك كله وان كان قد وضع على خشبة الصليب كما يقول البعض. لأن الصلب فى اللغة هو الموت على الصليب لا مجرد وضعه على خشبة الصليب وان لم يمت بذلك . والقرآن انما يتكلم على حسب اللغة . وقد وجد فى الانجيل أكثر من اثنى عشرة آية تصرح بأن المسيح وجد حيا بعد حادثة الصلب وهذا يؤيد القرآن فى أن المسيح عليه السلام لم يقتل بالصلب .

واما ادعاء أنه قتل ومات فعلا ثم صار بعد ذلك حيا كما يقول كثير من المسيحيين تقليدا فقط فهو أمر لا يكاد يعقل خصوصا بعد الاطلاع على الأدلة الكثيرة من التوراة والانجيل والقرآن والعقل التى تدل على أن الجسم بعد موته وجمود دمه واختلال أجزائه بالموت لا يعود الى الحياة فى الدنيا مرة أخرى الا كما خلق أولا أى بالطريقة التى خلق بها من قبل . ولذلك فان كثيرا من عقلاء المسيحيين وعلمائهم أنكروا قيام المسيح حيا من بعد موت حقيقة وقد أوضحت هذا الموضوع تمام التوضيح فى الجزء الثانى من كتابنا (أفكار مؤمنين فى حقائق الدين) فمن أراد الوقوف على هذا الموضوع تماما فليراجعه .

على أن هذه المسألة انما هى مسألة تاريخية لا يتوقف عليها صحة الدين أو عدم صحته ، وعلى كل فتوحيد الاسلام والمسيحية فيها أيضا أمر سهل عند من يحب الحقيقة لذاتها .

الأمر الخامس : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا أمر يكفى فى اثباته من جهة النقل ما ورد فى الاصحاح الأول من انجيل (يوحنا)

والسابع عشر من (متى) من أنهم كانوا ينتظرون ثلاثة أشخاص ايليا والمسيح والنبى وأن الذى يأتى أولا هـو ايليا ثم المسيح ثم النبى . وما ورد أيضا من أقوال المسيح الكثيرة من أنه لا بد من مجىء معزى آخر بعده يمجده ويشهد له ويذكر الناس بكل ما قاله ويعلمهم أمورا كثيرة ويرشدهم الى جميع الحق الى غير ذلك مما ورد فى الانجيل من هذا القبيل منطبقا على محمد تمام الانطباق . كما انطبقت عليه كثير من آيات التوراة حسبما وضحت ذلك فى كتب المناظرة بينى وبين القس الفريد نيلسن الدنمركى مما لا لزوم للتطويل بذكرها الآن .

ويكفى فى اثباته من جهة العقل أن محمدا قد أحيا أمته وهـذبها وعلمها وهو أمى بدرجة لم يستطعها نبى قبله حتى جعـل أمته أرقى الأمم علما وتشريعا وأخلاقا وآدابا ، وجعلها تسيطر على معظم العالم فى مدة قصيرة بحيث لم يسبق ذلك لأمـة ولا لنبى قط . وعليه فثبوت نبوته أظهر جدا من نبوة من قبله . وما جعله الناس دليلا على نبوة الأنبياء قبله فهو دليل على نبوته ولكن بصورة أوضح وأظهر .

هذه هى الأمور الرئيسية فى الخلاف بين (الاسلام والمسيحية) لو تدبر فيها العقلاء وتخلوا عن التقليد الأعمى لما وجدوا بين الدينين خلافا أصلا ولتحققوا امكان التوحيد بينهما بصورة سهلة جدا . وقد وضحت كل مواضيع الخلاف بين الاسلام والمسيحية تمام التوضيح فى كتب المنـاظرة الكتابية التى جرت بينى وبين القس ألفريد نيلسن الدنمركى التى منها كتاب (كلمة سـواء) المطبوع سنة ١٩٣٤ م والجزء الثانى وما بعده من كتاب (أفكار مؤمنين فى حقائق الدين) المطبوع سنة ١٩٣٩ م فمن يراجعها يجـد انه من السهل جدا التوفيق بين الاسلام والمسيحية بصورة جدية عملية .

على أننـا نحن المسلمين مكلفون من طرف ديننا أن نؤمن بالمسيح وبانجيله المعتمد الصحيح فكل مسلم هو مسيحى وزيادة . وعليه فأى غضاضة على مسيحى العرب فى هذا الشرق أن يكونوا مسلمين مسيحيين

كما نحن مسلمون مسيحيون اذ لا يخرج المسيحى لو أسلم عن مسيحيته الحقيقية أصلا ، ولا عن نصرانيته الحقة أبدا .وماذا على مسيحى العرب لو اتبعوا سيدا من قومهم وافتخروا بعظيم من جنسيتهم وانتموا الى مشرع من أرومتهم ، وصدقوا نبيا من سلالة أجدادهم وهم بذلك لم يخرجوا عن أصل دياتتهم ولم ينسلخوا عن حقيقة مسيحيتهم .

أليس ذلك أولى وأوفق بهم وبصالح وطنهم ، وأفخر لعروبتهم وقوميتهم وأوفى لوطنيتهم وجنسيتهم وبذلك يتحقق (توحيد الاسلام والمسيحية) فعلا وقولا . انتهى ماكنا نشرناه فى مجلة الهلال جوابا لذلك السؤال .

انتهى الجزء الأول

ويليه الجزء الثانى إن شاء الله

فهرست مفصلة للجزء الأول

من كتاب «آراء حرة»

صفحة

مقدمة المؤلف ٣

السبب الداعى لتأليف هذا الكتاب ٣

المجاز فى القرآن لا يشترط فيه أن تكون قرينته مانعة من ارادة المعنى الحقيقى خلافا للمفسرين ٤

التقيد بقاعدة (لا يصار فى القرآن الى المجاز الا اذا تعذرت الحقيقة) قد أبعد المسلمين عن الوصول الى كثير من معانى آيات القرآن الكريم ٥

ليست كل آية ذكر فيها لفظ الجنة والنار أو الثواب والعقاب تعنى الآخرة فقط دون الدنيا وأدلتى على ذلك ٦

القرآن الكريم له ظاهر وباطن أى حقيقة ومجاز ٨

اجماع المحققين على عدم تكفير أو تفسيق من يؤول آية من القرآن الكريم بغير ظاهرها ١١

الجمود يغيض الدين والتقليد الأعمى نقيض القرآن الحكيم ... ١٤

لا يجب ، بل لا يجوز تقليد الفقهاء والمفسرين فيما يقولون ما لم يتحقق بالدليل ٢٠

صفحة

باب الاجتهاد مفتوح أبدا ، ومن يقول بقفله يكون كاليهود فى قولهم (يد الله مغلولة) ٢١

شروط الفقهاء فى امكان تحقق الاجتهاد قد أخرت المسلمين عن بحث كثير من أمور الدين ، مع أن هذه الشروط تتحقق فى كثير من علماء كل عصر ٢٤

الدين والشرع ضمن العقل لافوقه أى ليس خارجا عنه ولا مناقضا له. ٢٧

البحث الأول

الشفاعة فى الاسلام والفداء فى النصرانية — جوابا لسؤال من غزة . ٣٣

الشفاعة بالمعنى المشهور بين الناس أمر لا يليق بالله تعالى ولا بأحد من رسله الكرام ٣٤

الشفاعة بالمعنى المشهور تنافى العدالة وتجرىء الناس على فعل الذنوب والمعاصى وتشبه الفداء عند النصارى ٣٦

الآيات القرآنية الصريحة فى أن الشفاعة ولو كانت من نبى لا تقبل ، ولا تنفع ، ولا تطاع ، ولا تغنى عند الله شيئا يوم القيامة ٣٩

الآيات القرآنية الصريحة فى أن الشفاعة مطلقا لا وجود لها يوم القيامة أصلا ٤١

الآيات القرآنية الصريحة فى أن الشفاعة عند الله تعد شركا به ... ٤٢

ما أفهمه فى معنى الشفاعة الجائزة على الله والتى تليق بأنبيائه ، والتى ورد أنها حاصلة باذنه فى الدنيا والآخرة ٤٤

حديث (شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى) غير معقول حسب المعنى المشهور ، ولكنه معقول جدا حسب فهمنا المذكور ٤٧

المراد من الشفاعة فى الاسلام ، ومن الفداء فى النصرانية شىء واحد هو غير ما يفهمه الناس فيهما ٥٢

صفحة

البحث الثـــانى

الشفاعة المأذون بها الواردة فى القرآن الكريم ٥٧

ثمان آيات من القرآن تدل على وجود شفاعة مأذون بها وبيان أنها ليست بالمعنى الذى يفهمه الناس، بل هى حاصلة فى الدنيا بماهيتها وحقيقتها وفى الآخرة بأثرها وغايتها ونتيجتها ٥٧

الآية الأولى قوله تعالى (ما من شفيع الا من بعد اذنه .. الخ) ... ٥٧

الثانية قوله تعالى (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه الخ ..) ... ٥٨

رأى الأستاذ الامام فى آيات الاذن بالشفاعة وبيان ضعفه ٥٨

الثالثة قوله تعالى (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا .. الخ) ٥٩

الرابعة قوله (يومئذ لاتنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن .. الخ) . ٦١

الخامسة قوله (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) ٦١

السادسة قوله (ولا يشفعون الا لمن ارتضى .. الخ) ٦٢

السابعة قوله (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا لمن شهد بالحق الخ ..) ٦٢

الثامنة قوله (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء الخ ..) ٦٣

الخلاصة ٦٥

رأى الأستاذ الامام فى موضوع الشفاعة مطلقا ، وبيان ضعفه ... ٦٩

البحث الثـــالث

الأمانة التى عرضها الله على الســموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحمــلها الانسان – جوابا لســؤال ورد لى من دمشق الشام ٧١

صفحة

ما قاله المفسرون فى معنى هذه الأمانة ، وبيان ضعفه ٧١

ما أفهمه فى المراد من هذه الأمانة وأدلتى على ذلك ٧٣

العقيدة المسماة أمانة عند النصارى منقولة عن عقيدة الهنود القدماء فى الشمس ٧٤

السبب فى وضع هذه العقيدة وفى تسميتها « أمانة » عند النصارى ... ٧٥

أدلتى على أن المراد من الأمانة فى القرآن هى عقيدة « التثليث » عند النصارى واتخاذهم لله ولدا ٧٦

تطبيق بقية آية الأمانة وما قبلها وما بعدها على ما فهمناه دون امكان تطبيق ذلك على الأمانة بالمعنى الذى يقوله المفسرون ٧٨

البحث الرابع

الشجرة التى أكل منها آدم وحواء فأخرجا من الجنة . والملائكة وابليس والجن ٨٢

المراد من لفظ الملائكة ولفظ ابليس أو الشيطان ، ومن الأمر بسجودهم لآدم ، وما قاله المفسرون فى ذلك ، وما أفهمه فى هذا الموضوع ٨٢

القوى الجبارة التى اكتشفت فى هذا العصر مما يصح ان يطلق عليها لفظ الجن والشياطين والملائكة حسب ما ينشأ عنها من ضرر أو نفع ٨٣

القوى الطبيعية ، والأرواح الخفية المنبثة فى جميع الأشياء الأرضية يصح أن يطلق عليها لفظ ملائكة أو شياطين ٨٤

ما هو المراد من لفظ آدم وحواء ومن خلافة آدم عن الله فى الأرض . ٨٦

ما أفهمه فى لفظ آدم وحواء من أن المراد نوعهما أى مطلق الذكر والأنثى لا شخصهما ٨٧

آدم وحواء لم يخلقا أولا فردين فقط بل خلقا أفرادا كثيرة جدا فى أقطار متعددة متفرقة فى الأرض ٨٨

صفحة

الشجرة التى نهى الله آدم وحواء عن الأكل منها فى الجنة ، وما قاله المفسرون فى ذلك . وبيان ضعفه ٨٩

ما أفهمه فى المراد من الشجرة التى أكل منها آدم وحواء فأخرجا من الجنة . وأدلتى من القرآن على ما أقول ٩١

ما قاله المفسرون فى معنى قوله تعالى (فبدت لهما سوءاتهما الخ) ومعنى قوله (ما نهاكما ربكما عن هـذه الشجرة الا أن تكونا ملكين الخ ..) وما أفهمه فى معنى هاتين الآيتين خلافا لهم ٩٣

البحث الخامس

الشجرة الملعونة فى القرآن الواردة فى بعض آياته ، وما قاله المفسرون فيها وبيان ضعفه ٩٦

ما أفهمه فى المعنى المراد من هذه الشجرة الملعونة وأدلتى على ما أقول ٩٨

البحث السـادس

ذبح البقرة وضرب القتيل ببعضها ، وبيان المعنى المراد فى قوله تعالى (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحى الله الموتى) جوابا لسؤال فى ذلك وارد لنا من القدس ١٠٣

ما قاله المفسرون فى معنى هذه الآية من ذبح البقرة وعلاقاتها بالقتيل ومن مراجع ضميرى (اضربوه ببعضها) ١٠٤

ما أفهمه فى هذه الآية وفى مراجع هذين الضميرين خلافا للمفسرين وأدلتى على ما أقول ١٠٥

البحث السـابع

فتق السموات والأرض بعد أن كانتا رتقا — وبيان المعنى المراد من قوله تعـالى (أو لم ير الذين كفروا ان السـموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى) جوابا لسؤال من دمشق الشام . ١١١

صفحة

ما قاله المفسرون وما قاله العلماء العصريون فى معنى هذه الآية وبيان ضعف أقوالهم ١١١

ما أفهمه فى معنى هذه الآية وفى المراد من السموات التى كانت رتقا بالأرض . وفى معنى الرتق والفتق وعلاقتهما بجعل الماء منشأ لكل شىء حى ، وأدلتى على ما أقول بوجه ظاهر معقول ١١٢

البحث الثـــامن

موت الذى مر على القرية هو وحماره مائة عام ثم بعثهما فى قوله تعالى (فأماته الله مائة عام ثم بعثه) جوابا لسؤال من غزة ١١٢

أقوال المفسرين فى معنى هذه الآية واعتراضاتى على أقوالهم ... ١١٨

ما قاله الأستاذ الامام فى هذه الآية ، وبيان ضعفه ١١٩

ما أفهمه فى المراد من هذه الآيات وفى معنى اماتة الذى مر على القرية وحماره مائة عام ثم بعثهما ومعنى كون الطعام والشراب لم يتسنه الخ . وأدلتى الصريحة على ما أقول ١٢٠

البحث التـــاسع

نوم أصحاب الكهف ثلاثمائة سنة وتسعا ثم بعثهم — جوابا لسؤال من نابلس ١٢٧

ما قاله المفسرون فى هذه الآيات ، وبيان ضعفه ١٢٧

ما أفهمه فى معانى جميع هـذه الآيات المتعلقة بهـذه القصة خلافا لما قاله المفسرون فيها ١٢٩

ما قالوه فى معنى قوله تعالى (ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله) وما أفهمه فى ذلك خلافا لهم ١٣٩

الأدلة على أن قوله (ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين الخ) ليس من مقول الله وانما هو من مقول القوم الذين رد الله عليهم فيه ١٤١

صفحة

البحث العـــاشر

موسى وفتاه والحوت الذى اتخذ سبيله فى البحر عجبا ١٤٣
ما قاله المفسرون فى ذلك ١٤٣
ما أفهمه فى هذا الموضوع وأدلتى عليه ١٤٤

البحث الحادى عشر

عيسى وخلقـه من الطين طيرا . واحيـاؤه المـوتى . وابراؤه الأكمه والأبرص — جوابا لسؤال من رام الله التابعة للقدس ١٤٨
ما قاله المفسرون فى ذلك ، وبيان ضعفه ١٤٩
ما أفهمه فى المعنى المراد من خلق عيسى من الطين طيرا وأدلتى عليه ١٥٠
ما أفهمه فى المعنى المراد من ابراءه الأكمه والأبرص وأدلتى عليه ... ١٥٢
ما أفهمه فى معنى احياءه الموتى وأدلتى عليه ١٥٤
بطلان دعوى المفسرين ان ذلك كان حقيقيا معجزة له وأدلتى على هذا البطلان ١٥٤
المعنى المراد من احياءه الموتى الوارد فى الكتب السماوية ، وبيـان أن ذلك ليس مخصوصا بعيسى بل كل رسول كان يحيى الموتى بهذا المعنى. ١٥٦
أدلة القرآن على ذلك ١٥٧
أدلة التوراة على ذلك ١٦٠
أدلة الانجيل على ذلك ١٦٠
رأى الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى خلق عيسى من الطين طيرا ومن ابراءه الأكمه والأبرص ، واحياءه الموتى ، وبيان ضعفه وبعده عن معنى الآيات فى ذلك ١٦٢
احياء عيسى لابنة ياريوس وابن الأرمـلة ١٦٣

صفحة

حادثة احياءه لابنة باريوس وأدلتى من الانجيل على ما أقوله فيها . ١٦٤
حادثة احياءه لابن الأرملة الوحيد وأدلتى من الانجيل على ما أقول فيهـا ١٦٥
حادثة احياءه لعاذر وأدلتى من الانجيل على ما أقول فيها ١٦٧

البحث الثانى عشر

محمد وتنبؤاته فى القرآن والحديث عن المخترعات الحديثـة التى وجدت فى هذا العصر وهى اثنا عشر نوعا ١٧٢

النـوع الأول

تنبؤه فى القرآن عن القنـابل الذرية والايدروجينية وعن المـدافع وسائر القنابل والمدمرات الجوية والبحرية والبرية . وعن الألغام الأرضية وسائر المهلكات التى وجدت فى هذا العصر وذلك فى ست وثلاثين آية من القرآن مرتبة حسب ترتيبها فى السور ١٧٥
الآية الأولى قوله تعالى (هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم الخ) ١٧٦
٢ — قوله (فأما الذين شقوا .. الخ) ١٧٦
٣ — قوله (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة .. الخ) ... ١٧٧
٤ — قوله (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها .. الخ) ١٧٧
٥ — قوله (سأريكم آياتى .. الخ) ١٧٧
٦ — قوله (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى .. الخ) ١٧٨
٧ — قوله (ان زلزلة الساعة شىء عظيم .. الخ) ١٨٠
٨ — قوله (يصب من فوق رؤوسهم الحميم) ١٨١
٩ — قوله (ولهم مقامع من حديد) ١٨١

صفحة

١٠ — قوله (اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا ..الخ) ١٨١

١١ — قوله (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم) ١٨٣

١٢ — قوله (ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون) ١٨٣

١٣ — قوله (وأنذرهم يوم الآزفة .. الخ) ١٨٣

١٤ — قوله (يوم تأتى السماء بدخان .. الخ) ١٨٤

١٥ — قوله (يوم نبطش البطشة الكبرى) ١٨٤

١٦ — قوله (فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم .. الخ) ١٨٤

١٧ — قوله (يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا .. الخ) . ١٨٥

١٨ — قوله (أزفت الآزفة .. الخ) ١٨٥

١٩ — قوله (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس) ١٨٦

٢٠ — قوله (اذا وقعت الواقعة .. الخ) ١٨٧

٢١ — قوله (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فاذاهى
تمور .. الخ) ١٨٨

(أو يرسل عليكم حاصبا .. الخ) ١٨٨

٢٢ — قوله (وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ)
وقعت الواقعة .. الخ) ١٨٨

٢٣ — قوله (يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن) ... ١٨٩

٢٤ — قوله (يوم ترجف الأرض والجبال .. الخ) ١٩٠

٢٥ — قوله (واذا السماء فرجت واذا الجبال نسفت) ١٩٠

٢٦ — قوله (وسيرت الجبال فكانت سرابا) ١٩٠

٢٧ — قوله (يوم ترجف الراجفة .. الخ) ١٩١

٢٨ — قوله (فاذا جاءت الطامة الكبرى .. الخ) ١٩١

صفحة

٢٩ — قوله (فاذا جاءت الصاخة .. الخ) ١٩١
٣٠ — قوله (واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت .. الخ) ... ١٩٢
٣١ — قوله (اذا السماء انشقت واذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت) ١٩٢
٣٢ — قوله (كلا اذا دكت الأرض دكا دكا) ١٩٣
٣٣ — قوله (اذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها) . ١٩٣
٣٤ — قوله (القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة) ١٩٤
٣٥ — قوله (انها عليهم مؤصدة فى عمد ممددة .. الخ)... ... ١٩٥
٣٦ — قوله (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم .. الخ) ١٩٦

النوع الثانى من هذه التنبؤات

تنبؤه عن الطائرات التى اخترعت فى هذا العصر وهى مذكورة فى عدة أحاديث ١٩٨
الحديث الأول (تؤتى بغرس لا تبول ولا تروث فتطير بك حيث شئت .. الخ) ١٩٨

النوع الثالث منها

تنبؤه عن الأوتومبيلات والترام والقطار وسائر السيارات السريعة فى القرآن والحديث ١٩٩
النوع الرابع — تنبؤه عن الكهرباء فى القرآن ٢٠٠
النوع الخامس — تنبؤه عن الراديو والتلفزيون والتلغراف والتليفون فى الحديث ٢٠١
النوع السادس — تنبؤه عن الفونوغراف أى صندوق الغناء ... ٢٠١
النوع السابع — تنبؤه عن الاسانسير أى المصعد الكهربائى فى القرآن على تفسير بن عباس ٢٠٢
النوع الثامن — تنبؤه عن الفوتوغراف أى التصوير ٢٠٢

صفحة

النوع التاسع — تنبؤه عن الجرائد والمجلات الاخبارية والمصورة . ٢٠٢

النوع العاشر — تنبؤه عن نشر صور النساء والرجال وبيعها فى الأسواق وتعليقها على الجدران ٢٠٣

النوع الحادى عشر — تنبؤه عن السينما التى يعرض فيها للناس كثير من الأشياء ٢٠٤

النوع الثانى عشر — تنبؤه عن التقاط الأصوات ونغمات الأغانى السابحة فى الأجواء كالتقاط نغمات صوت داود عليه السلام بالراديو ونحوه ٢٠٤

البحث الثالث عشر

محمد وتنبؤاته فى القرآن والحديث عن الوقائع الغيبية والحوادث المستقبلة فى الدنيا بصورة لم تحصل من نبى قبله ٢٠٨

آيات القرآن التى ورد فيها ذلك مرتبة حسب ترتيبها فى السور وهى سبعة وعشرون آية ٢٠٨

١ — قوله تعالى (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون .. الخ) . ٢٠٨

٢ — قوله تعالى (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس) ٢٠٩

٣ — قوله تعالى (أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) ٢١٠

٤ — قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) ٢١٠

٥ — قوله تعالى (ولهم دار السلام عند ربهم) ٢١١

٦ — قوله تعالى (فستعلمون من تكون له عقبى الدار) ٢١١

٧ — قوله تعالى (أو لم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) . ٢١١

٨ — قوله تعالى (كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور) ٢١٢

٩ — قوله تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) ... ٢١٣

صفحة

١٠ — قوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) ٢١٤

١١ — قوله تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) ٢١٤

١٢ — قوله تعالى (يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس .. الخ) ٢١٤

١٣ — قوله تعالى (تجرى من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) ٢١٥

١٤ — قوله تعالى (ليستخلفنهم فى الأرض وليمكنن لهم دينهم) ... ٢١٥

١٥ — قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة، وهى تمر مر السحاب) ٢١٦

١٦ — قوله تعالى (غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين) ٢١٦

١٧ — قوله تعالى (الذى احلنا دار المقامة) ٢١٧

١٨ — قوله تعالى (على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين وعندهم قاصرات الطرف عين) ٢١٧

١٩ — قوله تعالى (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا) (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) الخ (وقالوا الحمد لله الذى أورثنا الأرض نتبوأ من الجنة .. الخ) ٢١٨

٢٠ — قوله تعالى (ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير) ٢٢٠

٢١ — قوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) .. ٢٢٢

٢٢ — قوله تعالى (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون) ٢٢٢

صفحة

٢٣ — قوله تعالى (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين) الى أن قال (وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة .. الخ) . ٢٢٢

٢٤ — قوله تعالى (ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا) الى أن قال (واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا .. الخ) ... ٢٢٣

٢٥ — قوله تعالى (يوم يفر المرء من أخيه وامه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه) ٢٢٥

٢٦ — قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) ٢٢٦

٢٧ — قوله تعالى (اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) ٢٢٦

الأحاديث النبوية التى وردت فيها التنبؤات عن الوقائع الغيبية والحوادث المستقبلة فى الدنيا وهى كثيرة جدا نذكر منها هنا ٢٢ حديثا أولها .. الخ ٢٢٧

البحث الرابع عشر

محمد ورياسته للعالم بعد المسيح وختمه للرسل بمقتضى الانجيل وتطبيق كثير من آيات الانجيل على القرآن الكريم فى قوله تعالى (الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) ردا على القس الفريد نيلسن الدنمركى ٢٣١

الكتاب الأول من القس الذى يزعم فيه أن الانجيل لا يوجد فيه أصلا ما يدل على وجود نبى بعد المسيح ولا على قول القرآن (النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) . وردى على زعمه ٢٣١

صفحة

الكتاب الثانى منه الذى يزعم فيه أن عبارة (رئيس العالم) الوارد فى الانجيل لا تعنى (محمدا) كما أقول وانما تعنى (الشيطان) وردى على زعمه ٢٣٤

رئيس العالم بعد المسيح هو النبى الذى يأتى بعده ٢٣٧

الكتاب الثالث منه الذى يؤكد فيه أن ليس المراد من (رئيس العالم) فى الآيات الانجيلية الا الشيطان . وردى عليه فى ذلك ٢٣٧

ليس المراد من رئيس العالم فى الآية الانجيلية الثالثة الا النبى العربى. ٢٤١

ختم محمد للرسل حسب الانجيل ٢٤٢

كلمة صاحب جريدة الصراط المستقيم التى نشرها فى جريدته حينما أطلع على بعض كتبنا المطبوعة فى مناظرتنا مع القس المذكور ٢٤٤

كتاب أول من سعادة (منصور فهمى باشا) المدير العام لدار الكتب المصرية الذى يطلب فيه منا نسخا من مؤلفاتنا ومن مناظرتنا مع المبشرين ليحتفظ بها فى الدار المذكورة ٢٤٤

كتاب ثانى من المذكور الذى يشكرنا فيه على ارسال هذه المؤلفات للدار المذكورة والذى يظهر فيه سروره من كيفية هذه المناظرات ٢٤٥

كتاب شكر لنا من رئيس جمعية الاعتصام بفلسطين على ما قدمناه من مؤلفاتنا خدمة للاسلام والمسلمين ٢٤٥

البحث الخامس عشر

سليمان والطير والجن والنملة والهدهد وبلقيس وعرشها — جوابا لسؤال من دمشق الشام ٢٤٧

ما قاله المفسرون فى معنى قوله تعالى (علمنا منطق الطير) . وما أقوله فى ذلك ٢٤٧

صفحة

ما قالوه فى معنى حشر الجنود لسليمان من الجن والانس والطير . وما أقوله فى ذلك ٢٤٩

ما قالوه فى أمر النملة مع سليمان وجنوده . وما أقوله فى ذلك ٢٥١

ما قالوه فى شأن الطير والهدهد مع سليمان . وما أقوله فى ذلك ... ٢٥٣

ما قالوه فى عرش بلقيس وفى أقوال الهدهد . وما أقوله فى ذلك ... ٢٥٥

كتاب سليمان الى بلقيس مع الهدهد . وما قاله المفسرون فى ذلك ، وما أقوله فيه ٢٥٧

عرش بلقيس واحضاره الى سليمان بواسطة الجن قبل أن يقوم من مقامه أو قبل أن يرتد اليه طرفه وما قاله المفسرون فى ذلك ، وما أقوله فيه ٢٥٩

معنى تنكير العرش لبلقيس لمعرفة (أتهتدى أم لا ؟) وما قاله المفسرون فيه . وما أقوله فى ذلك ٢٦٢

الصرح الممرد واللجة وكشف الساق وما قاله المفسرون وما أقوله فى ذلك ٢٦٤

البحث السادس عشر

سليمان وهاروت وماروت والشياطين والسحر ٢٦٨

ما قاله المفسرون فى ذلك ، وبيان ضعفه ٢٦٨

ما قاله الأستاذ الامام فى ذلك ٢٧٠

ما أفهمه فى هذا الموضوع وأدلتى عليه ٢٧٤

البحث السابع عشر

سليمان ومنسأته والجن وتسخير الريح له والقاء جسد على كرسيه ٢٧٥

ما قاله المفسرون فى ذلك وبيان ضعفه ٢٧٨

صفحة

ما أفهمه فى ذلك وأدلتى عليه ٢٨٠
فهمان آخران لنا فى معنى قوله تعالى (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته) ٢٨٤

البحث الثامن عشر

المعاد والبعث ٢٨٦
واحد وثلاثون دليلا من القرآن الكريم ومن التوراة والانجيل ومن الحديث والعقل تدل على أن البعث الأخروى شخصى من حيث الروح ، نوعى من حيث الجسد ٢٨٦
أدلة القرآن على ما نقول وهى (٢٢) دليـلا . الدليل الأول منها قوله تعالى .. الخ ٢٨٧
ثلاثة أدلة من التوراة والانجيل على ذلك أولها .. الخ ٢٩٧
ستة أدلة من الحديث والعقل على ذلك أولها .. الخ ٣٠١
اعتراض على ما نقوله وأجوبتى عليه ٣٠٤
عجب الذنب ٣٠٦

البحث التاسع عشر

الروح بعد الموت ٣٠٧
الروح الانسانية الناطقة باقية بعد الموت وخالدة لا تفنى ، وما قاله العلماء فى كيفية بقاءها وخلودها ٣٠٧
ما أفهمه فى كيفية ذلك مع بيان ان عالم السموات وعالم الأرض سوف يجتمعان حسبما يفيد القرآن ٣١٠
الروح الحيوانية والعناصر الكلية ٣١٢

صفحة

اختلاف العلماء فى المراد من المعاد ، وقد لخصتها فى آراء ثمانية .
الرأى الأول .. الخ ٣١٢

الاماتة مرتين والاحياء مرتين فى قوله تعالى (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) وما قاله المفسرون فى ذلك ٣١٧

ما أفهمه فى معنى الاماتة والاحياء مرتين من هذه الآية ٣١٨

الآيات القرآنية التى تشير الى المهدى المنتظر ٣٢١

البحث العشرون

معاد اليهود إلى فلسطين حسب التوراة ومزاعم الصهيونيين فى ذلك وردى على مزاعمهم ٣٢٣

الدكتور (وايزمن) زعيم الصهيونية ، والدكتور (اوشسكين) رئيس جمعية (الكيرن كيمت) والدكتور (هاريجر ليفز) رئيس المستشفى الانكليزى بغزة . يدّعون أن التوراة قد دلت على أن اليهود يرجعون الى فلسطين فى هذا الزمان ، وعلى أنهم يمتلكونها : وردى عليهم بأن التوراة انما دلت على رجوعهم الى فلسطين وامتلاكهم لها بعد سبيهم فيما مضى ، وليس فيها ما يدل على رجوعهم أو امتلاكهم الذى قد يحصل فى هذا الزمان ٣٢٤

ثمانية أدلة من التوراة على ما يدعون — وردى على كل دليل منها — الدليل الأول وردى على .. الخ ٣٢٥

ثمانية آيات من التوراة تدل على أن اليهود قد انتهى عهدهم وانه لن يعود اليهم مجدهم . أولها .. الخ ٣٣٠

ثلاث آيات من الانجيل تدل على ذلك أيضا . أولها .. الخ ٣٣٢

خمس آيات من القرآن تدل على عكس ما يزعمون ٣٣٣

مساعدة بريطانيا وأمريكا لليهود انما هو ضد ديانتهم المسيحية ... ٣٣٥

صفحة

القرآن الكريم يشير الى معاد اليهود الى فلسطين والى زوال ذلهم اذا تمسكوا بحبل من الله وحبل من الناس . وبيان أنه لا يوجد تناقض بين آيات القرآن فى هذا الموضوع ٣٣٧

معاد اليهود الى فلسطين فى هذا الزمان المشار اليه فى القرآن وان حصل فعلا الا أنه لا يستمر طويلا بمقتضى اشارات القرآن أيضا ... ٣٣٨

السبب فى كثرة وجود الأنبياء فى بنى اسرائيل ٣٤٠

عدم التناقض بين آيات القرآن فى موضوع عودة اليهود الى فلسطين جوابا لسؤال ، ودفعا لاشكال فى ذلك ٣٤٢

ما قاله المفسرون فى معنى قوله تعالى (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس) وبيان ضعفه ٣٤٣

البحث الإحدى والعشرون

نجاة أهل الكتاب ونوالهم أجرهم عند ربهم ودخولهم الجنة لاستيفاء ثواب أعمالهم الطيبة ودخولهم النار لعقابهم على الأعمال القبيحة والاعتقادات الباطلة وذلك كالمسلمين بنص القرآن الكريم ٣٤٧

أقوال المفسرين بما فيهم الأستاذ الامام فى الآيات الواردة فى هذا الشأن ، وبيان ضعفها ٣٤٧

ما أفهمه فى المراد من هذه الآيات ، وأدلتى على ما أقول ٣٥٠

أتباع كل دين حتى المسلمين يعتقدون للآن أد ينهم هو الموصل الى الجنة دون غيره من الأديان مع أن القرآن الكريم لا يقرهم على ذلك. ٣٥٣

سؤال من مجلة الهلال فى أنه «هل يمكن توحيد الاسلام والنصرانية» وجوابى عليه ٣٥٧

جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣	١٥	عن ...	عند
٥	١٧	كان ...	إذا كان
١٠	٦	فلأنه ...	فلأن
١٠	٢٦	قرينة ...	قرينته
٢٥	٩	و التكفير	التكفير
٢٨	٢٥	كثيراً ...	كثير
٣٧	١٦	يذيل ...	يزيل
٣٨	٥	يحازون ..	يجازون
٣٨	١٨	لم اخطر ..	لم اخط
٤٥	٢٧	ودخوله ..	ودخول
٥١	٤	المشهود ..	المشهور
٥٥	١٢	اقتداء ..	افتداء
٥٩	١٤	لا اكراها	لا اكراه
٦٣	٢	يتوسط ...	بتوسط
٦٣	٢	شهادتهم..	وشهادتهم
٦٣	٢٢	ووساطتها	ووساطتهما
٦٦	١٤	والخبرة ...	والحيرة
٧٥	٢٢	فى جوهرة	فى جوهره
٧٦	٢٣	بالأمان ..	بالأمانة
٨٣	١٢	نارية ...	نورانية نارية
٨٦	١٢	شررها ...	شرورها
٩١	١	أمافهمه ..	ما أفهمه
٩٢	٨	وهددهم ..	و هددوهم
١٤٠	١١	تصممك	تصميمك
١٤٦	١٦	وبتغيـيرنا	وبتفسيرنا
١٤٩	٩	فيرول ..	فسيزول
١٥٠	٢٤	موتا ...	ميتة موتا
١٥١	١٥	طين ...	طير
١٥٥	٣	ينطق ...	ينطبق
١٦٤	١٠	فى	من
١٧٢	١١	وسرورها	وشرورها
١٧٣	١١	بالآخرة ..	وبالآخرة
١٧٣	٢٥	فى	من
١٧٣	٢٥	مقاتل ...	تقاتل
١٧٥	٥	بأصدقائها	ما صدقاتها
١٧٦	١٠	سائر ...	من سائر
١٧٧	١٣	يمكنه ...	يمكن
١٧٧	٢١	بنسبتى ..	بسين
١٨٣	٥	الألغام ..	الأنعام
١٨٣	١٢	انه	ان
٢٠٧	٨	آمن ...	آمنا
٢١٠	٤	التاسع عشر	العشرين
٢٢٥	٢٤	عيسى ...	عبس
٢٢٨	٤	ثبح ...	ثبج
٢٢٨	٥	وثبح ...	وثبج
٢٤٢	٩	عيلها ...	عليها

جدول الخطأ والصواب (تابع)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٤٢	١٨	وحينئذ يتبين	وحيث تبين
٢٤٢	٢٢	من	ومن
٢٥٩	٢٠	عرض ...	غرض
٢٦١	٢	وتطيره ...	ونظيره
٢٧٥	٣	ومنقذوهم	ومتنفذوهم
٢٨٨	١٢	قيودهم ..	قبورهم
٢٩٧	٥	بكيفيته ..	بكيفية
٣٠٠	١٨	تتشكل ..	تشكل
٣٠٤	٨	لأتعابها ..	لائقاً بها
٣١٠	١٧	والبحث ..	والبعث
٣١٠	١٧	فى حالة ..	من حالة
٣١٧	١٧	للتعبير ...	للتصيير
٣١٩	٣	وأرجعوهم	ورجوعهم
٣٢١	٧	بالأمانة ..	بالإماتة
٣٢٨	٦	فتحثت ..	فتحنثت
٣٢٩	٤	لسراهم ..	لسواهم
٣٣٥	٢٥	دينهم ...	ديانتهم
٣٥٤	٢٥	ويثابرن ..	ويثابون
٣٥٦	١	يعددن ..	يعدون
٣٥٦	١٧	يثب ...	يثيب
٣٥٦	٢٠	تتساوى ..	تساوى
٣٥٦	٢٥	ما	مما
٣٥٧	٢	والتخربات	والتحزبات
٣٥٧	٨	المناقصة	المناقضة
٣٥٧	٨	والمغابرة ..	والمغايرة
٣٥٨	١٧	هو توحيد	هو عن توحيد
٣٦٢	١	صلبه ...	أصلبه

297.04:K61aA:v.1:c.1
القيشاوى ،عبد الله
آراء حرة
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01005810

American University of Beirut



297.04
K61aA
V.1
General Library